النفحات المحمدية

في السيرة النبوية

محاضرات دينية في السيرة النبوية الشريفة

ألقاها مولانا العارف بالله

فضيلة الشيخ

محمد السيد أبو العينين الرفاعي

في الاحتفالات السنوية بالمولد النبوي الشريف

بالساحة المحمدية

الجزء الأول

هدية مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى

وموضوعها

فضائل النبى صلى الله عليه وسلم ومولده الشريف

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم السبت

١١من ربيع أول عام ١٤٠٩ هـ

الموافق ٢٢ من أكتوبر عام ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحمْدُ للهِ ربِّ الْعَالَمين . الْحمْدُ للهِ الّذى اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إبْرَاهيمَ وآلَ عمْرَانَ عَلَى الْعَالَمينَ ، واخْتَارَ منْهُمُ الْعَرَبَ ، واصْطَفَى منَ الْعَرب قُرَيْشاً ، واصْطَفَى منَ قُرَيْش بَنى هَاشم ، واصْطَفَى منْ بَنى هَاشم حَبيبَهُ ونَبيَّهُ مُحَمَّداً سَيِّدُ الْمُرْسَلينَ . فَهُوَ ﷺ الْقَائلُ فى حَديثه الشَّريف " إنَّ اللهَ اصْطَفَى كنَانَةَ منْ ولَد إسْمَاعيلَ ، واصْطَفَى قُرَيْشاً منْ كنَانَةَ ، واصْطَفَى منْ قُرَيش بَنى هَاشم ، واصْطَفَانى منْ بَنى هَاشم " فَهُوَ ﷺ صَفْوَةُ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار ، ونُخْبَةُ النُّخَب ، وخيَارُ الْخيَار . صَلَّى اللهُ عَلَيْه صَلاَةً كَاملَةً دَائمَةً يُشَارِكُ فيهَا الأَزَلَ الأَبَدَ ، ولا يُشَاركُهُ فيهَا منْ خَلْق اللهِ أَحَدٌ . صَلاةً لا تُخْبَرُ فَتُحَدُّ ، ولا تُحْصَرُ فَتُعَدُّ . صَلاةً نهَايَةُ أعْلَى دَرَجَات المُقَرَّبينَ لا تَصلُ إلى بدَايَتهَا فى الأَزَل ولا بدَايَةٍ . ولَمْ تَزَلْ دَائمَةَ التَّرَقى فى كُل لَمْحَة ولَنْ تَزَالَ كَذَلكَ فَلَيْسَ لَهَا نهَايَةٌ . وعَلَى آله الأَقْرَبينَ وأُمَّهَات المُؤْمنينَ ، وصَحْبه نُجُومَ المُهْتَدينَ ورُجُومِ المُعْتَدينَ والتَّابعينَ لَهُمْ بإحْسَانٍ إلى يَوم الدِّين .

أما بعد

إنه لا يخفى على أى كائن فى الملك والملكوت لا يخفى أن سيدنا ومولانا ونبينا أبا القاسم محمداً ﷺ . هو فى كل وصف جميل أفضل الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وجميع عباد الله الصالحين ، وكافة الخلق أجمعين . إفراداً وإجمالاً أى أنه ﷺ أفضل من كل فردٍ منهم على حدته (يعنى لو جئنا بكل فرد على حدته من أهل الكمال فى الوجود كله لكان هو ﷺ أفضل من كل فرد على حدته) . وأفضل من

مجموعهم لو اجتمعوا (بمعنى أن جميع فضائلهم لو اجتمعت فى كفة ميزان ، وفضائله ﷺ فى الكفة الأخرى لرجحت فضائله ﷺ على فضائلهم . وما أحسن ما قاله الإمام البنهانى فى هذا المقام " الإمام البنهانى من كبار العارفين ومن عباد الله الصالحين العاملين ، ومن عشاق الكمال فى سيدنا رسول الله ﷺ " بيقول فى حضرة النبى إيه

سَيِّدُ الرُّسْلِ قَدْرُهُ مَعْلُومُ *** أَيْنَ مِنْهُ المَسِيحُ أَيْنَ الكَلِيمُ
أَيْنَ نُوحٌ وأَيْنَ إِبْرَاهِيمُ *** كُلُّهُمْ عَنْ مَقَامِهِ مفْطُومُ
فَعَلَيْهِ الصَّلاةُ والتَّسْلِيمُ

أَيْنَ جِبْرِيلُ أَيْنَ إِسْرَافِيلُ *** أَيْنَ مِيكَالُ أَيْنَ عِزْرَائِيلُ
فَعَلَيْهِمْ طُرّاً لَهُ التَّفْضِيلُ *** وَبِمِعْرَاجِهِ دَلِيلٌ قَوِيمُ
فَعَلَيْهِ الصَّلاةُ والتَّسْلِيمُ

أَيْنَ كُلُ العَوَالِمِ العُلْوِيَّةِ *** أَيْنَ كُلُّ العَوالِمِ السُّفْلِيَّةِ
أَيْنَ كُلُّ الوَرَى بِكُلِّ مَزِيَّةٍ *** إِنَّمَا فَوْقَهُ العَلِيُّ العَظِيمُ
فَعَلَيْهِ الصَّلاةُ والتَّسْلِيمُ

[الإمام البنهانى رضى الله عنه يقارن بين مقام سيد المرسلين وجميع المقامات ويبين أن ليس فيه مقام لموجود فى الوجود فى الملك والملكوت فوق مقام رسول الله ﷺ إنما فوق مقامه العلى العظيم ، ولو كان هناك مقام فوق مقامه ﷺ من مخلوقات الله لكان أولى أن يذكر اسمه مع اسم الله فى إعلان التوحيد] .

وقال فى هذا المقام الإمام البوصيرى فى بردة المديح رضي الله عنه :

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ
لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرُهُ آيَاتُهُ عِظَماً أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ
لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِهِ حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ
أَعْيَا الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى لِلْقُرْبِ والبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِى الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ
فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِهِمِ
وكُلُّ آىٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَاسِ فِى الظُّلَمِ

إذا علمنا ذلك فإننا نعلم أنه لا سبيل إلى معرفة فضائله ﷺ ومزاياه معرفة نحيط بها من كل الوجوه ، ولو اجتمع لذلك كل أهل الملك والملكوت بعلومهم ، وآدابهم وحبهم وعشقهم ومعرفتهم ؛ فإنهم أمام هذا المقام المحمدى فى عجز عن تحديد معرفة للكمال الكامل ﷺ إذ لا يعرف حقيقته ولا يحيط بفضائله عليه الصلاة والسلام إلا الله .

المقام المحمدى : ■

وسئل فى ذلك الإمام أبا يزيد البسطامى سلطان العارفين ﷺ فقيل له : هل يزيد أحد على النبى ﷺ (السائل يسأله ويقول له هل يزيد أحد على النبى ﷺ فى المقام من المخلوقات جميعاً فى الملك والملكوت ؟) . فقال أبا يزيد : " وهل يدركه أحد " ثم قال موضحاً مقام النبى الكريم ﷺ : " جميع ما يفهم الخلق وأدركوه من شرف رسول الله ﷺ فيما لم يفهمه ولم يدركه مثل ذلك مَثَلُ قربةٍ زرقاء ملآى من الماء فما رشح أدرك

الخلق وفهموه من شرفه وفضله ، وما سوى ذلك فلم يفهمه أحدٌ ولم يدركه . [يعنى جميع ما فهمه أهل العلم والحب والعشق والمعرفة نسبة ما فهموه من ما لم يفهموه من فضله ومقامه ﷺ كذلك] لأن مقامه ﷺ لا يعلمه إلا من فضَّله واختاره واصطفاه إلا الله ﷻ .

فضائل النبى ﷺ فى الحقائق الأزلية : ■

هناك علوم فى العلوم التى يكتسبها العلماء علوم تكتسب بواسطة العقل لأن العقل يتربى تحت ظل الأسباب ، وهناك علوم تتعلق بأسرارٍ وتسمى الحقائق ، وهذه الحقائق لا تكون إلا فى قبضة الخالق سبحانه سراً له لا يبديه ولا يظهره إلا لمن أحبه من خلقه واصطفاه (وهذه تسمى حقائق) فهذه الحقائق : أن الحق سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الخلق جميعاً سبق الخلق حكمته يعنى الحكيم ساعة أن يصنع حاجة يقول أنا أصنع دى لأجل غاية ومراد فينظر للأبعاد والمكاسب المنشودة ومن خلال قدرته العلمية وخبرته يضع لها الأجل والقدرة والميزان الدقيق فى الصنع هذا بالنسبة للمخلوقات . فالحق تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق سبق الخلق حكمته [يعنى المخلوق يخلق على فطرة ومعرفة ومهمة ووظيفة ومسئولية يُسأل عنها] كما قال سبحانه ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ فسبق الخلق حكمته ، وسبق الحكمة علمه وهذا العلم يثبت ليؤخذ على الخليقة ميثاقاً أزلياً يعنى هذا العلم يؤخذ على الخلائق ميثاقاً عنده سبحانه فى إمام مبين " ومعنى إمام

مبين يعنى إماماً سبق الخلق جميعاً " يبقى سبقت حكمته علمه وسبق العلم قدرته وسبق القدرة العظمة بالوحدانية أى أنه واحد (يبقى لا يوجد هناك أحد يدخل على الوحدانية ، ولا يوجد هناك من يدعى علماً على الله إذن كل علم فى قبضته سبحانه ونبع كل عطاءٍ من علمٍ من خزائنه سبحانه يعنى كل علم يظهر للخلق من خزائنه فإذا قال عالم من الناس أنا عالم فنقول له من أين جئت بهذا العلم هل هو من عندك فإنك قد ولدت طفلاً لا تعلم كما قال سبحانه ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ . فمن الذى علمك ؟ (الله) ، ومن الذى أمدك بوسائل اكتساب العلم وهى السمع والبصر والعقل ونعدد عليه نعم الله عليه حتى يرجع الأمر كله لله . فإذا كانت هناك حقائق وأسرار لله فى التمكين أى يبديها ويعطيها ويمكن بها أحد من خلقه فلا تكون إلا لمن آمن بهذه الحقائق وصدق بها إيماناً وتصديقاً على مراد الله فى ذلك فتكون له العطايا من الخزائن والأسرار فالحق سبحانه وتعالى لما تعلقت إرادته بإيجاد خلقه أى قلنا أن قبل الإيجاد كان هناك كتاب سبق وفيه مقادير الخلق وهى الحقائق] فلما تعلقت إرادته سبحانه بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره (إحنا قلنا أن الحقائق مقادير الخلق كتبها الخالق عنده فى إمام مبين وجعلها فى كتاب فى مكنون الغيب عنده فإذا جاء زمن ميلاد قدر يبرزه أى يبديه ويظهره) . فالحقائق عند المسبب يبديها ويظهرها فى الأسباب إلى يوم القيامة ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ أى أن كل نهار جديد يولد بمقادير جديدة فى ظهورها أزلية فى

حقيقتها . ونقول للعقل اطلب من الأسباب بالعلم والله يلهمك أن تكشف عن سرائر مكنونة لم يسبق اكتشافها لأهل زمن قبلك لأنها رزق أهل زمانك فهذه مقادير قدرها الخالق الرازق الحكيم . ثم نقول للعقل لا تفتن ولا يصحبك الغرور بأن هذا حدث جديد ولكن يستقر يقينك بأن هذا مكتوب عند الله من الأزل بزمانه ومكانه قدراً مقدورا واصطفاك الله وألهمك من العلم ما تقوم بإبدائه وظهوره واكتشافه لخلق الله ولا فرق فى هذا المطلب فى الأسباب بين مؤمن وكافر فهذا عطاء فى الأسباب للعقل . أما العلم الذى يكون من المسبب لَدُنِّيَاً لمن اقترب إليه وأحبه واصطفاه فذلك يكون من خزائن غيبه ولطائف سره فلابد أن يكون لهذا العلم شروط بين المعطى والمعطَى له . أى بين الله وعبده . وهذه الشروط أن يؤمن العبد بأن كل شئ فى العطاء من عند الله سبحانه ، وأن يصدق تصديق يقين بأن الله هو الواحد فى كل شئ ، وأن يعلم بأن الله على كل شئ قدير فهذا هو العلم عن الله . فلا يفتن المؤمن بالأسباب ويكون مع المسبب بأنه هو الفعال لما يريد ؛ فلما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها . علوها وسُفلِها ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح فهو الجنس العالى على جميع الأجناس ، ولمَّا انتهى الزمان بالاسم الباطن فى حقه ﷺ إلى وجود جسمه وارتباط الروح به . انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر وظهر محمدٌ ﷺ بكليته جسماً وروحاً (أى انتقل من الحقائق المكنونة عند الله إلى إبراز القدر وظهوره فى سلسلة المقادير ليشهده الخلق جميعاً فكان مولده ﷺ فى موكب البشرية بشراً جسماً

وروحاً محسوساً ومرئياً للخلق ظاهراً روحاً وجسماً وفى هذا المقام روى الإمام مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ أنه قال " إنَّ الله ﷻ كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو أمُّ الكتاب إن محمداً خاتم النبيين (ومعنى المقادير يعنى كل حركة وسكون وقول وفعل وآثار وكل ما يحدث من حدث إلى يوم القيامة) وهذه تسمى الحقيقة أى حقائق أزلية سبقت الخلق ومكتوبة عند الخالق قبل أن يخلق . إذن كل الخلائق التى سيتم خلقها بعد ذلك تابعة للحقائق السابقة فإذا أراد الله أن يبرز من الحقائق شيئاً ويظهره يكون هناك حقائق اسمها مكنونة ومخزونة ومبهمة لأن الحقائق كلها عند الله مكنونة ومخزونة أما عند مبهمة يكون هناك عملية فصل بين أمرين فهناك حقيقة اسمها مبهمة أى ليس عليها تعريف ، وحقيقة اسمها مثبتة بالعلم فى جميع الخلق ساعة بدء الخلق بفطرة الخالق فى خلقه . فالحقيقة المبهمة هى الأقدار بزمانها ومكانها فإذا جاء زمن قدر يبرزه الله فلا يعلمه أحد من الخلق إلا ساعة ظهوره ، وإن كان قد اطلع عليها أحد من الخلق فذلك يكون من مقام قربه إلى الله وتمكينه بعلم ومددٍ له من الله خاص . مثل الملائكة الذين اختصهم الله بالمقادير فى الرزق والأجل وتصريف السحاب والشهادة وغير ذلك من تكريم الله لهم فهم عبادٌ مكرمون ائتمنهم الله على سرائره . أما الحقيقة الغير مبهمة وتسمى مثبتة بالعلم والتعريف فهى (إن محمداً خاتم النبيين) أى أن اسم النبى ورتبته وزمان بعثته ومقامه مكتوب على حقيقته ليعرف به خلقه بين الحقائق

الأزلية ، وإذا كانت هذه الحقيقة لها تميزها بهذا الذكر من بين الحقائق فلابد وأن يكون لها عند الله سر عظيم وهذا السر يعلن لكل مخلوق ساعة خلقه فى إعلان التوحيد للذات الإلهية لله الواحد القهار ، وهذه هى الفطرة التى فطر الله الخلق عليها بالتوحيد الكامل والتوحيد الكامل هو (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) أما إذا كانت الفطرة على كلمة لا إله إلا الله وحدها فلا يسكن المخلوق وستحدث هناك هزة تُحدث فيه الشك وهو ما يهوى به إلى الشرك بالله كما حدث عند المشركين أما إذا كانت كلمة التوحيد كاملة بزينتها لا إله إلا الله وبجوار اسم الجلالة يذكر اسم النبى محمد رسول الله فهذا هو الكمال والحصن الحصين للمؤمنين من كل زلل وشك وشرك . ولذلك كان الإعلان الفطرى فى بدء الخلق فى الخلائق جميعاً (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) وإعلان التوحيد فى الخاتمة على يد خاتم النبيين (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) تتفق البداية مع النهاية إذن ما بين البداية والنهاية خاضع لهذا الإعلان لأن الله واحد فذكر النبى أزلى باسمه مع ذكر الله فى التوحيد من بدء الخلق من أول ساعة فى الوجود إلى يوم القيامة ولذلك هناك حديث شريف عن العرباض بن سارية عن النبى ﷺ قال : " إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته أى طريح مُلقىً قبل نفخ الروح فيه (يعنى كان آدم من صلصال ولم ينفخ فيه من روح الله وأنا كان معلنٌ عن نبوتى فى أهل الملكوت " ، وحديث آخر عن العرباض بن سارية رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال " إنى عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم عن ذلك إنى دعوة أبى إبراهيم وبشارة

عيسى ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين (أى فى بداية الإعلان عنه ﷺ فى الكتب السماوية لأهل الأرض من ذرية آدم الله سبحانه ألهم سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يطلبه بمطلب فطرى بدعوة يدعوها سيدنا إبراهيم الذى ستنبع منه تكاليف الإسلام قياساً على طاقته بقول الله سبحانه : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ أى فى دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى بناء الكعبة ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ ، وفى مطلب الرسول الكريم ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، وهناك حديث عن حقيقة النبى ﷺ الأزلية ؛ فعن على بن الحسين عن أبيه عن جده ﷺ عن النبى ﷺ قال : " كنت نوراً بين يدى ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف " الحديث الأول يقول فيه النبى ﷺ إن الله ﷻ كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وهنا فى هذا الحديث يقول كنت نوراً بين يدى ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام فيكون هنا فرقٌ بين خمسين ألف سنة وأربعة عشر ألف سنة فالفرق هنا أن الله كتب الحقائق قبل الخلق بخمسين ألف سنة أما ساعة أن بدأ الله الخلق فأبرز الحقيقة المحمدية نوراً وذلك قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام . وعن سيدنا الإمام الشيخ تقى الدين السُبكى أنه قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد فالإشارة بقوله ﷺ

كنت نبياً إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها ومن أمدَّه الله تعالى بنور إلهى فحقيقة النبى ﷺ قد آتاها الله وصف النبوة من قبل خلق آدم إذ خلقها متهيئةً لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليُعلِمَ الملائكة وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها إذن الإشارة فى حديث النبى الشريف كنت نبياً وآدم منجدل فى طينته تكون إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقته ليست إلى جسده الشريف . والحقائق يقصر عن معرفتها العقل لأن العقل بدأ فى اكتساب علمه من الأسباب من لا شئ يعلمه كما أخبر سبحانه بقوله ﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ فيتدرج العقل فى اكتساب العلم طفلاً ثم يرتقى فى العطاء شيئاً فشيئاً ويظل محدوداً فى اكتسابه بعلوم الأسباب ، والعقل محدود وفيه نواقص وهو الحجاب لكل ما فى الحقيقة أى أن الله حجب العقل عن رؤية الحقائق لأنه جندى للأسباب ولخدمة الأسباب كلفه الله وجعل له طاقة محدودة لاكتساب علمه من الأسباب وفهمه وتمييزه والخبرة والمعرفة به ليخدم به الأسباب ولا يستطيع العقل أن يكتسب علوم دائرة الأسباب كلها ولكنه يكتسب جانباً فى تخصص على قدر طاقته واستعداده ؛ ولذلك تكون علوم الحقيقة اكتسابها بصدق القلب وصفائه ونقائه والإيمان بها وتسليم العقل تسليم سجود بعجزه عن إدراك عظمة السر والعطاء ، وفى حديث سيدنا سلمان ﷺ قال : " هبط جبريل على النبى ﷺ فقال : إن ربك يقول إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً

فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم علىَّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأُعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ، ولولاك ما خلقتُ الدنيا " ، وهناك أمور كثيرة تبين وتوضح مقام سيدنا رسول الله ﷺ وكفى شرفاً ما هو واضح فى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) فقد قال بعض العارفين إن الله تبارك وتعالى حين أراد أن يعلن للخليقة إعلان الفطرة قبل البلاغ أى ساعة خلقهم وإعلان الفطرة فى خلقه معناه أن يجعل فيهم خُلقاً يسكن خَلْقهم فيطبعه فيهم طبع قدرة إلهية فيثبت من خلالها على أن الخالق واحد ، والفطرة هذه هى سكون كل مخلوق على طاعة دائمة وثابتة وهو فيها ساكن إلى الله الواحد لا يهتز قلبه بشك أو ريب فالذى جعل الله به كل شئ ساكن إلى الله بالتوحيد هو ذكر اسم محمدٍ بكلمة التوحيد مقروناً باسم الجلالة لله سبحانه . فيقول بعض العارفين ومن خصائص جمال اسم محمد ﷺ أن الله تبارك وتعالى جعله من أربعة أحرف ليوافق اسم الجلالة (الله) لأنه سيقرن به فى الذكر ، وأن الله سبحانه جعل اسم محمدٍ على شكل صورة الآدمى فالميم الأول رأس الإنسان ، والحاء ذراعيه ، والميم الثانى سُرَّته ، والدال رجلاه . قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها إلا ممسوخ الصورة إكراماً لصورة لفظ محمد ﷺ أعاذنا الله من النار . وأن الله تبارك وتعالى جعل اسم النبى ﷺ مشتقاً من اسم الله تعالى محمود وقد كان سيدنا حسان بن ثابت ﷺ يقول فى هذا المقام مادحاً سيد المرسلين ﷺ :

أغرُّ عليه للنبوةِ خاتمُ ... من الله نورٍ يَلُوحُ ويُشْهِدُ

وضَمَّ الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذ قال فى الخمس المؤذنُ أشهدُ

وشقَّ لـــه من اسمـــه ليُجِلّـــَهُ فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

صلى الله عليه وسلم ، وهناك حديث لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لما أُقْرِفَ آدم الخطيئة قال يا رب أســألك بحــق محمدٍ لمَّا غفرت لى فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقــه قال : لأنك يا رب لمَّا خلقتنى بيدك ونفخت فىَّ من روحك رفعتُ رأســى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله فعلمــتُ أنك لم تُضِف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله تعالى : صــدقتَ يا آدم إنه لأحبُ الخلق إلىَّ ، وإذ سألتنى بحقه فقد غفرتُ لــك ولــولا محمدٌ ما خلقتك وهو آخر الأنبياء من ذريتك ، ويا آدم لو تشفعت إلينــا بمحمدٍ فى أهل السموات والأرض لشفعناك ، وما خلقتُ خلقاً أكرمُ علىَّ منه " نشاهد فى الحديث سؤال من الله لآدم وكيف عرفت محمــداً ؟ أى أن الله أراد أن يقرر آدم ليظهر معرفته بالنبى ولم يقُل وكيف علمــتَ ؟ لأن المعرفة أرقى من العلم ؛ فالمعرفة هو وصولٌ من خلال علمٍ بخبرةٍ فأصبح عارفاً ولذلك الحق تبارك وتعالى حين يحدثنا عن أهــل الكتــاب وموقفهم من معرفة النبى ﷺ فيقول ســبحانه ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ ﴾ أى أنهم أخذوا العلم فى التوراة عــن رسول الله ومقامه عند ربه ؛ فكانوا إذا ضاقت بهم الأمور أو أحاطــت بهم الخطوب فى المعارك يفتحون التوراة على الصفحة المكتــوب بهــا اسم رسول الله ويتوجهون إلى الله مستفتحين (أى متوسلين) بصاحب الاسم أن ينصرهم الله ؛ فينصرهم الله . فهذه تجربــة لمعرفــة النبــى ومقامه وقربه إلى الله . ثم بعد ذلك فى الحديث نشاهد مــشهد العطــاء

العلمى لسيدنا آدم عن النبى ﷺ أنه قال : " فرأيت على قــوائم العــرش مكتوباً لا إله إلا الله محمدُ رسول الله " فمن رؤيته لهذا المكتوب قــال : فعلمتُ أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك (يعنى أنه اكتــسب هذا العلم عن مقام النبى من رؤية اسمه مضافاً إلى اسم الله فى الذكر) وهناك رواية للإمام اليافعى وهو من كبار العــارفين ﷺ (فــى كتابــه روض الرياحين) يقول : " حكى لى بعض الصالحين أنه فــى ســياحته ببلاد الهند وجد شجرة تحمل ثمراً كاللوز له قشر إذا كُسِرَ خرجت منــه ورقة خضراء مطوية مكتوب فيها بالحُمرة (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) كتابة جليَّة وهم يتبركون بها . قال : فحدثتُ بــذلك شــيخى أبــا يعقوب الصَّياد فقال : ما أستعظِمُ هذا لقد كنت أصطاد يوماً علــى نهــر الأُبُلَّة فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الأيمن لا إله إلا الله ، وعلــى جنبها الأيسر محمدٌ رسول الله . فلما رأيتها وتحققت من ذلــك قــذفتها بالماء احتراماً لها فهذه أمور دالة على فطرة الخالق فــى خلقــه أنهــا إثبات كلمة التوحيد طبعاً وكتابة بيد القدرة الإلهية بذكر اسم محمدٍ فطرياً على مخلوقات الله جميعاً . وقد روى ابن عساكر عن كعب الأحبــار ﷺ قال : أنَّ آدم عليه السلام أوصى ولده شيث عليه السلام ، وسيدنا شيث كان هو ابــن آدم الذى وقع فيه نور النبوة واستلم الخلافة من أبيه ، وكان هو الابن الأربعين لآدم عليه السلام وقد ظل نور النبوة مكنوناً فى صلب آدم عليه السلام حتــى جاء الابن الأربعين فانتقل فيه فيقول فى وصيته لابنه شيث (أى بُنَــىَّ أنت خليفتى من بعدى فخذها بعمارة التقوى والعروة الــوثقى ، وكلمــا ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمدٍ فإنى رأيتُ اسمه مكتوباً على ساق

العرش وطُفتُ السموات فلم أرى فيها موضعاً إلاَّ ورأيتُ اسم محمدٍ مكتوباً عليه ، ولقد رأيت اسم محمدٍ مكتوباً على نحور الحور العين ، وعلى ورق قصب آجام الجنة ، وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى ، وعلى أطراف الحجب ، وبين أعين الملائكة فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره فى كل ساعاتها . (ومعنى أنت خليفتى من بعدى فخذها بعمارة التقوى أى : عمِّر أنفاسك كلها بتقوى الله إن أردت الحفاظ على الخلافة وهو مقام الإنسان الكامل وكرامته فى الوجود . أى أن تعلم أن كل نفسٍ تتنفسُّهُ أن الذى أمدَّك به هو الله ، واعلم أن الله أمدَّك بهذا النفس فى الحياة ليبتليك يعنى ليختبرك . أتستنفذه فى طاعة الله أم فى معصيته ، ولذلك يكون الحساب بين يدى الله يوم القيامة على الأنفاس وما أقل من ذلك ، ولذلك يقول آدم لابنه فخذها بالتقوى والعروة الوثقى ، والعروة الوثقى هى كمال التوحيد وسكونك على كمال التوحيد ورؤيتك لجمال التوحيد أى مذاق ثمرة التوحيد بصدق الطاعة والإخلاص والمراقبة لله عز وجل كما أخبر سبحانه بقوله ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ ﴾ . ثم يبين آدم عليه السلام فى وصيته لابنه شيث عليه السلام أنه رأى اسم محمد مكتوباً على كل شئ فى السموات وفى الجنة على قصورها ، وأن الحلىَّ للحور العين كتابة اسم محمدٍ على نحورهن ، وأن الملائكة تذكر اسم محمدٍ فى كل ساعاتها . ، وفى حديث لسيدنا أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " لمَّا عُرِجَ بى

إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت اسمى فيها مكتوباً محمدٌ رسول الله ، وأبو بكر من خلفى " ، وفى رواية عن سيدنا كعب الأحبار رضي الله عنه قال : لما أراد الله أن يخلق حبيبه محمداً ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التى هى قلب الأرض وبهاؤها ونورها قال : فهبط جبريل فى ملائكة الفردوس وملائكة الرفع الأعلى فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف ، وهى بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم فى معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاعٌ عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسىِّ وفى السماوات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم عليهما السلام . هذا الإعلان من الله فى أهل الملكوت عن فضل النبى ﷺ ومقامه عنده وفى فطرة الخلق ثم بعد ذلك يكون الإعلان من الله عن حبيبه ومصطفاه محمداً ﷺ فى الأسباب بين أهل الملك أى الناس جميعاً .

فضائل النبى ﷺ فى الكتب السماوية : ـ

فى الكتب السماوية المنزلة من الله على رسله من ذرية آدم إلى الناس جميعاً ليشهدوا مقام النبى ﷺ فيكون الإعلان فى الكتب السماوية عن النبى باسمه وصفته ونعته ورسالته وذكر أمته وما اختصت به الأمة من السيادة والخيرة والتكريم والتفضيل والاصطفاء كل هذا جاء فى الكتب السماوية السابقة ، وقد روى عن سيدنا علىِّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه عنه أنه قال : لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد فى محمدٍ ﷺ لئن بُعِثَ وهو حىٌّ ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ

بذلك العهد على قومه) أى أن كل نبى ورسول أخذ الله عليه العهد والميثاق أن يصدق برسالة النبى الخاتم وأن يبلغ قومه ذلك ويأخذ على قومه العهد ويقررهم بالتصديق بالنبى الخاتم إن ظهر فيهم يتبعوه فإنه المتمم للرسالة عن رب العالمين) وتصديقاً لذلك قول الله سبحانه فى قرآنه الكريم ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أى أن الله سبحانه أخذ الميثاق أى العهد على النبيين وأقررهم وأخذ عليهم الإصر والشهادة بالتصديق بالنبى الخاتم والرسول المصدق لكل من قبله من الرسل والرسالات كأن الحق سبحانه يقول للنبيين وأتباعهم إن حافظتم على هذا العهد والميثاق على مرادى فشهادتى لكم ، وإذا لم تحافظوا على العهد والميثاق على مرادى واتباعكم وتصديقكم برسولى ساعة أن يُبعث فستكون شهادتى عليكم . ثم يخبر الله عن شهادته فى القرآن حين بعث حبيبه بالرسالة فيقول سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ . يعنى الحق سبحانه يقول لأهل الكتاب اذكروا شهادتى فى

الميثاق عندكم فى التوراة وصدقوا النبى الخاتم والرسول المسمى عندكم باسمه ووصفه ووصف أمته واعلموا أن الذى شهد عليكم فى الميثاق هو الله الحىُّ القيوم الذى لا يغفل ولا ينام ولا يتغير ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وهو الذى أرسل إليكم محمداً الآن بكتاب من عنده فإن كتمتم الإقرار بالميثاق الذى أُخِذَ عليكم فاسمعوا شهادة الله وحده ففيها الكفاية ، وكفى بالله شهيداً محمدٌ رسول الله ، ويقول سيدنا الإمام تقى الدين السبكى ﷺ فى قول الله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين (الآية) يقول فى هذه الآية الشريفة من التنوية بالنبى ﷺ وتعظيم قدره العلىِّ ما لا يخفى ، وفيها مع ذلك أنه على بقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلاً إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله ﷺ " وبُعثت إلى الناس كافة . لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضاً ، ويتبين بهذا معنى قوله ﷺ كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد فإذا عرف هذا فالنبى ﷺ نبىُّ الأنبياء ولهذا ظهر ذلك فى الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ؛ ليلة الإسراء صلى بهم إماماً ليتمم لهم الميثاق باليقين ، ولو اتفق مجيئه ﷺ فى زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم وسلامه وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم ، وفى الكتب السماوية الكثير عن ذكر النبى وصفته فقد رُوى عن سيدنا وهب بن أمية قال : " أوحى الله تعالى إلى نبيه شَعْيَاً نبى من أنبياء بنى إسرائيل (إنى باعثُ نبياً امياً أفتح به

آذاناً صُماً وقلوباً غلفاً وأعيناً عُمياً مولده بمكة ومُهاجره طَيْبة ومُلكُه الشام عبدى المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المنتخب المختار لا يَجزى السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر رحيماً بالمؤمنين يبكى للبهيمة المُثقلة ولليتيم فى حجر الأرملة ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صخابٍ فى الأسواق ولا متزينٍ بالفحش ولا قوَّالٍ للحِتا لو يمرُّ إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشى على القصب الرَّعراع (أى الطويل) لم يُسمع من تحت قدميه أبعثهُ مُبشراً ونذيراً) . فى هذا الحديث يصف الله حبيبه محمداً بتمام الهدى وكمال العبودية والاصطفاء والحلم والعفو والصفح والمغفرة والرحمة بالمؤمنين والسكينة والتواضع ﷺ . ، وفى ذكر هذه الأمة المحمدية فى الكتب السماوية من الاصطفاء وخصوصية الأمة بالفضل والتكريم الكثير فى القرآن الكريم الكثير من الآيات ؛ فقد أخرج أبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن موسى لمَّا نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال يا رب إنى أجد فى الألواح أمةً هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتى قال : تلك أمة أحمد . قال يا رب إنى أجد فى الألواح أمةً أناجيلهم فى صدورهم يقرؤنها ظاهراً فاجعلها أمتى . قال : تلك أمة أحمد . قال يا رب إنى أجد فى الألواح أمةً يأكلون الفَيْئ فاجعلها أمتى . قال : تلك أمة أحمد . قال يا رب إنى أجد فى الألواح أمةً يجعلون الصدقة فى بطونهم يُؤجَرون عليها فاجعلها أمتى . قال : تلك أمة أحمد . قال يا رب إنى أجد فى الألواح أمةً إذا هَمَّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة واحدة وإن عملها كُتبت له عشر حسنات فاجعلها أمتى . قال : تلك أمة

أحمد . قال يا رب إنى أجد فى الألواح أمةً إذا هَمَّ أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له وإن عملها كُتبت سيئةً واحدة فاجعلها أمتى . قال : تلك أمة أحمد . قال يا رب إنى أجد فى الألواح أمةً يُؤتَونَ العلم الأول والآخر فيقتلون المسيح الدجال فاجعلها أمتى . قال : تلك أمة أحمد . قال يا رب فاجعلنى من أمة أحمد فأُعطىَ عند ذلك خصلتين . فقال الله يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . قال قد رضيت يا رب . فهذه كلها أمور أخبر الحق عنها فى الكتب السابقة على لسان كل نبى ورسول وهذا سيدنا موسى عليه السلام نبى ورسول من بنى إسرائيل حين قرأ صفات الأمة المحمدية وما جعله الله لهذه الأمة من الخصوصية والتكريم تمنى أن يكون من هذه الأمة ليحظى بشرف الخصوصية فى العطاء الذى رآه فى مقام النبوة ففضائل النبى ﷺ لا تحصر ولو اجتمع كل العارفين والعاشقين فى الملك والملكوت لظلوا يسبحون فى بحار علوم فضائله لم ينتهوا إلى يوم القيامة .

مولده الشريف صلى الله عليه وسلم : ـ

ثم بعد ذلك ننتقل إلى مولده ﷺ فالنبى الكريم ﷺ مولده لم يكن حدثاً غريباً على العالمين مفاجئاً لهم من أهل الملك والملكوت لما شاهدناه من حقائق أخبر عنها الحق فى الكتب السماوية السابقة فكان ﷺ نوراً يتنقل فى الأصلاب من صلب أبينا آدم عليه السلام إلى صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب وكان هذا التنقل بيد الحق بعنايةٍ ورعايةٍ وحراسةٍ يعنى يتنقل فى الأصلاب من كل طاهر اصطفاءً فى الطهر فى الصلب من

الرجال والرحم من النساء وقد ورد فى الخبر أن أبينا آدم عليه السلام أوصى ولده شيث عليه السلام بأن يحافظ على هذا النور الذى فى صلبه وهو نور النبوة فى التنقل فقال له : هذا النور كن حريصاً عليه أن لا يتنقل إلا فى أرحام الطاهرات . هذه كانت وصية من آدم لابنه شيث عليهما السلام . ثم بعد ذلك يتنقل النور فى الأصلاب الطاهرة والأرحام الطيبة كما أخبر سيدنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه و رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : " خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شئ . " والنكاح معناه أنه زواج شرعى تحت ظل أمر الله وطاعته فى طُهر نسل آدم أى أنه كان محفوظاً بحفظ الله ، وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ " لم يلتق أبواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مُصَفىً مُهذباً لا تتشعب شُعبتان إلا كنت فى خيرهما " . يعنى لو أن الذى فى صلبه هذا النور المحمدى رزقه الله بولدين كريمين وهما من أهل الكمال وأنبياء ينتقل النور فى خيرهما ، وهناك أمرٌ يتأمله أهل المحبة والعقول المستنيرة بأنه ﷺ لم يَشرِكهُ فى ولادته من أبويه أخٌ ولا أختٌ لانتهاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية ، ونحن إذا اختبرنا حال نسبه وعلمنا طهارة مولده تيقنا أنه سلالة آباء كرامٍ فهو ﷺ (النبى العربى الأبطحى الحرمى الهاشمى القرشى نُخبة بنى هاشم المختار المنتخب من خير بطون العرب وأعرقها فى النسب وأشرفها فى الحسب وأنضرها عوداً وأطولها

عموداً وأطيبها أرومة وأفصحها لساناً وأوضحها بياناً وأرجحها ميزاناً وأصحها إيماناً وأعزها نفراً وأكرمها معشراً من قِبَلِ أبيه وأمه ومن أكرم بلاد الله على الله فهو سيدنا محمد بن عبد الله الذبيح بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصى إلى أن ينتهى نسبه العربى إلى سيدنا إسماعيل الذبيح إلى سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء الخليل ولذلك يمدحه المادحون بقولهم يا ابن الذبيحين نسبة إلى الذبيح الأول سيدنا إسماعيل والذبيح الثانى أبوه عبد الله . وإذا وقفنا عند التأمل فى قصة الذبيحين فنقف

أولاً عند الذبيح الأول وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام : ▪

فنرى أن رؤيا الذبح كانت بعد مطلب أبيه فى الدعاء بالنبى ﷺ " ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم " وهذه دعوة مستجابة والنور المحمدى قد انتقل فى صلب إسماعيل إذن لو تم الذبح لإسماعيل لتعطل ظهور النور المحمدى ولكن الحق تبارك وتعالى أراد أن يبين كرامة حبيبه ومصطفاه نبينا ﷺ بأنه كان من أجله الفداء ووجود نوره تشفع وخفف الحكم بالفداء ، ومن جانب أرقى أن الله تبارك وتعالى أراد أن يبين للخليقة جمعاً أن النور المحمدى يتنقل فى أصلاب طيبة وأرحام طاهرة وعلى كمال الإسلام لله رب العالمين . فهذا خليل الله إبراهيم يرزقه الله بالولد بعد المائة من السن وعلى شوق فيبتليه الله بأن يذهب به وأمه من الأرض المقدسة إلى مكة المكرمة وحينذاك كانت صحراء لا عمران بها ولا ماء ولا نبات ولا يَرِدُ عليها من الناس وارد ثم يأمره الله أن يترك الأم وولدها إسماعيل فى هذا المكان ويعود إلى القدس ؛ فيمتثل إبراهيم

لأمر الله صادقاً فى إسلامه لله ثم يكون ظهور الإسلام الكامل فى أم إسماعيل حين يتركها إبراهيم فتقول له : يا إبراهيم (آلله أمرك بهذا) . قال : نعم . فقالت : إذن لا يضيعنا الله . ويودعها إبراهيم عليه السلام وهو يدعو دعاءه ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ . ثم يبين الله كمال إسلام إسماعيل بالابتلاء العظيم وذلك بعد بلوغ أشُدهُ ليكون من أهل التكليف لنرى كمال الإسلام فيه فيسمع من أبيه أعظم نبأ يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى فتكون الإجابة من إسماعيل : ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ . ومن هنا نرى كمال الإسلام لله من إبراهيم وولده إسماعيل وأم إسماعيل ، ولذلك يقول الحق سبحانه ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ وهذا أشد ابتلاء ويكون من خلال رؤيا منامية لا من خلال وحى وذلك يبين جمال ونقاء إسلامهم ، ومن عظمة ما نشاهده من إسلام الوجه لله عند سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل أن سيدنا إسماعيل دلَّ أباه على طريقة الذبح كيف تكون ؛ ليحقق طاعة الله منه ومن أبيه فروى أن سيدنا إبراهيم أراد أن يذبح من الأمام فألقى إسماعيل على ظهره وحين اعتزم بالسكين اصطدم بصره ببصر ولده فوقع بالقلب حنان الأبُوة فانبعث الحنان من القلب إلى الجوارح فارتعدت يده فقال إسماعيل يا أبت تُلَّنى

على الجبين أى يكون وجهى إلى الأرض حتى لا يصطدم بصرى ببصرك فيكون الحنان فنقع فى معصية الله ففعل ذلك إبراهيم . هذا مشهد الصدق الكامل فى إسلام الوجه لله فيكون له المقابل من رحمة الله بالصادقين وهو الفداء والنداء من الله يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم . (يعنى اذبح هذا الكبش وكأنك ذبحت إسماعيل ولك الأجر عندنا فى النجاح أنك ذبحت ولدك لأننا رأينا فيكما كمال الصدق مع الله فى الطاعة .

مع الذبيح الثانى : ■

ثم بعد ذلك ينتقل النور المحمدى فى الأصلاب الطيبة والأرحام الطاهرة حتى يصل إلى جده عبد المطلب إلى أبيه عبد الله . فعند جده عبد المطلب يتأخر فى الإنجاب مدة طويلة بعد الزواج فيذهب إلى الكعبة ويقف على بابها متوجهاً إلى السماء قائلاً : " اللهم رب هذا البيت إن رزقتنى بعشرة من البنين لأذبحن منهم العاشر على باب البيت شكراً ونذراً فأصبح الابتلاء هنا مثل ابتلاء إبراهيم مع إسماعيل لأن النذر أصبح فريضة عليه تؤدَّى ويكون الذبح على العاشر أى عندما يتم العطاء ويولد المولود العاشر ويبلغ سن الرشد يعرض عليه الأمر ليكون معه فى الابتلاء كما حدث بين إبراهيم وإسماعيل . وقد رزقه الله بعشرٍ من البنين ، وكان العاشر عبد الله الذى انتقل فيه نور النبى الكامل ﷺ فعندما بلغ السن أى سن التكليف عرض عليه أبوه عبد المطلب فى ليلة بعد العشاء هذا الأمر الجلل فما كان من عبد الله إلا أن قال لأبيه عبد

المطلب عجِّل بالضحَّى . (يعنى ساعة أن تقوم من النوم فى الصباح اجعل شاغلك أن تنفذ هذا الأمر خشية أن يتدخل الشيطان بوساوسه بينى وبينك فى هذا الأمر فيفسده فنعصى الله ، وهذا مشهدٌ آخر عند الذبيح الثانى لكمال الإسلام فيه ، فلما سمع عبد المطلب من ولده هذا التسليم الكامل والبيعة العظيمة لطاعة الله وطاعة أبيه رقَّ قلب الأبوة وآوى إلى فراشه وهو فى حيرة إنه كان يظن أن ابنه يأبى هذا الأمر فيتركه على عاتقه ولكن الأمر أصبح حتماً للتنفيذ ويذبح بيده ولده ، فلما نام على هذا الحال رأى فى منامه وسمع من يقول له يا عبد المطلب إن لك فى أبيك إبراهيم لأسوة حسنة فى هذا البلاء فالفداء الفداء وفاءً لنذرك لله فاقترع بين ولدك وبين عشرة من الإبل الحسناء فإن وقع السهم على ولدك فزد من الإبل ضعف ما قدمت ثم زد وزد حتى يقع السهم على الإبل فاذبحها فداءاً . فذهب عبد المطلب فى الصباح وبيده ولده عبد الله أمام الكعبة واقترع فوقع السهم على عبد الله فقدم عشراً بعد عشرٍ من أجمل وأحسن الإبل حتى وقع السهم على مائةٍ من الإبل ؛ فذبح المائة على باب الكعبة وفاءاً لله بالنذر وفداءاً لولده عبد الله ، وهذا إن دل فإنما يدل على أن النور المحمدى يتنقل فى رعاية من الله وحراسة وعناية وفى أصلاب أهل كمال وإسلام لله على مراد الله حتى وصل إلى أبيه خاتم الآباء نرى أنه قال لأبيه يا أبى عجِّل بالضحى وأبه عبد المطلب سلم وتهيأ بأن يذبح ولده ، ولما انتهى جده عبد المطلب من هذا وانصرف عبد الله مع أبيه بعد أن فداه بنحر مائة من الإبل تنفيذاً للرؤيا التى رآها .

زواج عبد الله : ـ

مرَّ عبد الله على امرأةٍ كاهنةٍ متهودةٍ (أى يهودية) قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة وعرفت من الكتب أوصاف نور النبوة فى وجه من ينتقل فيه هذا النور فحين نظرت إلى وجه عبد الله وكان أحسن رجل فى قريش فقالت له : " لك مثل الإبل التى نحرت عنك وقَعْ علىَّ الآن لِما رأت فى وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبى الكريم ﷺ (أى طلبت منه أن يرتكب معها الفاحشة) فأجابها عبد الله بقوله :

أَما الحرام فالممات دونهُ ... والحلُّ لا حِلَّ فأستبينهُ

فكيف بالأمر الذى تبغينهُ ... يحمى الكريمُ عِرضَهُ ودينهُ

(يعنى نحن قوم أهل طُهرٍ وطاعةٍ لله لا نقدم على مثل هذه المعصية ولو كان الموت دون ذلك) . ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذٍ سيد بنى زهرة نسباً وشرفاً فزوجه ابنته آمنة وهى يومئذٍ أفضل امرأة من قريش نسباً وموضعاً فوقع عليها (أى تزوج ودخل بها) يوم الاثنين من أيام مِنىً فى شِعب أبى طالب فحملت برسول الله ﷺ ليلة الجمعة ثم خرج من عندها عبد الله فمَّر بالمرأة اليهودية التى عرضت عليه ما عرضت (وذلك فى صبيحة زواجه) فلم تلتفت إليه ولم تحدثه كما كان بالأمس فتعجب عبد الله من ذلك وقال فى نفسه : إن وراء هذا التغيير فى حال هذه المرأة لسرٌ فقال لها : " ما لك لا تعرضين علىَّ اليوم ما عرضت بالأمس " . فقالت : " فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك اليوم حاجة إنما أردت أن يكون النور فىَّ فأبى الله إلا أن يجعله حيث شاء .

رؤيا جده عبد المطلب : ■

وقيل أن جده عبد المطلب رأى رؤيا فى منامه وقصها على بعض الكهنة فقالوا له : " إن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك أو من ظهرك من يؤمن به أهل السموات والأرض و ليكونن فى الناس علماً " . وهذه رؤيا عبد المطلب يقول فيها : " كأنى رأيت سلسلة من فضة خرجت من ظهرى لها طرفٌ فى السماء وطرفٌ فى المشرق وطرفٌ بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة فى كل ورقة منها نور وإذا بأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها " . وفى ليلة حمله (أى أول ليلة حملت آمنة أم النبى به) كانت هناك أمور عجيبة لأن الكل فى الملك والملكوت يترقب مولده وبعثة النبى الخاتم المعلن عنه فى رسالته من الأزل فى الكتب السماوية لحمله ومولده إشارات وبشارات فمن إشارة حمله يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : " ما من دابة على الأرض إلا ونطقت حُمِلَ بالنبى الهادى " ، ويقول سيدنا سهل بن عبد الله التَّسْتُرِى ﷺ : " لما أراد الله تعالى خلق نبينا محمد ﷺ فى بطن أمه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس ونادى منادٍ فى السموات والأرض ألا إن النور المخزون الذى يكون منه النبى الهادى يستقر فى هذه الليلة فى بطن أمه الذى فيه يتم خلقه ويخرج إلى الناس بشيراً ونذيراً .

وفاة أبيه عبد الله : ■

ولما تم لأمه من حمله شهران توفى عبد الله فى المدينة عند أخواله بنى النجار ، ودفن أبوه بالأبواء بالمدينة (أى أن الله تبارك وتعالى)

أراد أن يبين للخلق عنايته بحبيبه أن يموت أبوه ويدفن بالمدينة المنورة أى البلد التى يهاجر إليها ويعيش بها رسول الله وتكون بلد النبى وبها الحرم النبوى وذلك وهو فى بطن أمه قبل أن يخرج إلى الدنيا . وكذلك ماتت أمه ودفنت أيضاً بالمدينة وهو ابن ست سنوات ، ويقول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : " أنه لما توفى عبد الله قالت الملائكة إلهنا وسيدنا بَقِىَ نبيك يتيماً فقال الله تعالى : أنا له حافظ ونصير (أى أن الله يقول أنا أريد لحبيبى أن تبتعد عنه الأسباب ليقع فى يد المسبب فلا يكون لأحد من الخلق له عليه الفضل لأنه أفضل خلق الله . كما قال النبى ﷺ فى حديثه الشريف : " أدَّبنى ربى فأحسن تأديبى " . ويقول سيدنا عمرو بن قتيبة : " سمعت أبى وكان من أوعية العلم رضى الله عنهما قال : لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى للملائكة : " افتحوا أبواب السماء كلها أبواب الجنان وأُلبست الشمس يومئذٍ نوراً عظيماً وكان قد أذن الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لحبيبه محمداً ﷺ (أى أن الكون كله تهيأ تهيئة الفرحة والبهجة والسرور لاستقباله ﷺ .

حديث آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم : ■

وفى مولده فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " كانت آمنة تحدث وتقول أتانى آتٍ حين مر من حملى ستة أشهر فى المنام فقال لى يا آمنة إنك حملت بخير العالمين فإذا ولدته فسميه محمداً واكتمى شأنك . قالت ثم لما أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى أحدٌ لا ذكرٌ ولا أنثى وإنى لوحيدةٌ فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه فسمعتُ وَجْبَةً

عظيمةً وأمراً عظيماً هالنى (أى صوتاً وضجة شديدة أزعجنى) ثم رأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع أجده ثم التفتُّ فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابنى نورٌ عالٍ ثم رأيت نسوةً كالنخل طوالاً كأنهن من بنات عبد مناف يُحدقن بى فبينما أنا أتعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بى ؟ فقلن نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين . واشتد بى الأمر وأنا أسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك إذا بديباجٍ أبيض قد مُدَّ بين السماء والأرض ، وإذا بقائل يقول : خذوه عن أعين الناس . قالت ورأيت رجالاً قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فإذا أنا بقطعةٍ من الطير قد غطت حجرتى مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علماً بالمشرق وعلماً بالمغرب وعلماً على ظهر الكعبة .(أى أن معنى ذلك أنها أعلام التوحيد التى جاء بها سيد المرسلين لتربط أهل المشرق بأهل المغرب بالكعبة بيت الله تحت ظل راية المعبود الواحد الله سبحانه وتعالى) . ثم تقول : فأخذنى المخاض فوضعت محمداً ﷺ فنظرت إليه فإذا هو ساجدٌ قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عنى فسمعت منادياً ينادى طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ثم تجلت عنه فى أسرع وقت (ويتبين لنا من هذا الحديث أن الله قد صرف أهل الفردوس ليشهدوا مولد سيد المرسلين

مريم ابنة عمران وآسية زوجة فرعون ، وأرواح المؤمنين جميعاً فى طير غطى الحجرة كما قال سيد المرسلين فى حديثه الشريف : " أرواح المؤمنين فى حواصل طير فى الجنة " ثم يولد سيد الكائنات ويخرج إلى الدنيا وهو ساجد لله رب العالمين (لأنه سيد الساجدين ﷺ وفى ساعة مولده ﷺ خرج معه نورٌ أضاء ما بين المشرق والمغرب ، يقول سيدنا عثمان بن أبى العاص ﷺ : " عن أمه فاطمة قالت : " لما حضرت ولادة رسول الله ﷺ رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نوراً ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علىَّ . وفى ساعة مولده ﷺ حدثت عجائب كثيرة ولم يبق سريرٌ لملكٍ من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً وانهزم إيوان كسرى كما قال بعض العارفين :

وإيوَانُ كِسْرَى كَانَ مُحْكَمٌ فى البِنَا ... تَصَدَّعَ ذَا الإِيوَانِ لَيْلاً وقَدْ نَزَلْ
ونِيرَانُ فَارِسَ أُخْمِدتْ لِقُدُومِهِ ... وقَالوا سَيَعْرُونَا مُلِمٌ وقَدْ حَصَلْ

(أى تصدع أربعة عشر طابق من إيوان كسرى الذى كان يستعبد فيه الناس فى بلاد الفرس ونيران فارس روى أنهم كانوا يعبدونها من دون الله ولم تُخمد هذه النار منذ ألف سنة فأخمدت فجأة برؤية صاحب لواء التوحيد محمدٌ ﷺ لأن كل شئ لله يسبح " وإن من شئ إلا يسبح بحمده " وفى هذا المقام مولد سيد الوجود يقول الإمام البوصيرى ﷺ :

أَبَانَ مَولِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنصُرِهِ ... يَا طِيبَ مُبْتَدإٍ مِنْهُ ومُخْتَتَمِ
يَوْمٌ تَفَرَّسَ فيه الفُرْسُ أَنَّهُمُ ... قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ البُؤسِ والنِقَمِ
وبَاتَ إِيوانُ كِسْرىَ وهْوَ مُنْصَدِعٌ ... كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَئِمِ
والنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ ... عَلَيْهِ والنَّهْرُ سَاهِى العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا ... وَرُدَّ وارِدُهَا بالغَيْظِ حينَ ظَمِى

كَأَنَّ بالنَّارِ مَا بالمَاءِ مِنْ بَلَلٍ ... حُزْنَاً وبالمَاءِ مَا بالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

والجِنُّ تَهْتِفُ والأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ ... والحَقُ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَىً ومِنْ كَلِمِ

عَمُوا وصَمُوْا فإِعْلانُ البَشَائِرِ لَمْ ... تُسْمَعْ وبَارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامُ كَاهِنَهُمْ ... بِأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

وبَعدَ مَا عَايَنُوا فِى الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ ما فى الأَرضِ مِنْ صَنَمِ

والجن تهتف أى تصيح لأن عالم الحقيقة كان يرى النور المحمدى يملأ الكون من معنى ، وأهل البشارات والإشارات فى الكتب السماوية يشهدونه من كلم يعنى من العلم عندهم كان بالتوراة ميلاد نجم بأوصاف معروفة يشهدونه فوق الكعبة فكان الكهنة من اليهود يترقبون ميلاد هذا النجم كل ليلة ويسمى نجم أحمد ، وفى ليلة مولده ﷺ صاح يهودى فى مكة يقول : وُلدَ الليلة نجم أحمد وعن سيدنا حسان بن ثابت ﷺ قال : (إنى لغُلام بن سبع سنين أو ثمانٍ أعقل ما رأيت وسمعت إذا يهودى يصرخ ذات غداة : يا معشر يهود فاجتمعوا إليه وأنا أسمع قالوا ويلك ما لك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة . وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : " كان يهودى يسكن بمكة فلما كانت الليلة التى وُلد فيها رسول الله ﷺ قال يا معشر قريش هل وُلد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا نعم قال انظروا فإنه وُلد فى هذه الليلة نبى هذه الأمة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد وُلد لعبد الله بن عبد المطلب غلامٌ فذهب اليهودى معهم إلى أمه فأخرجته لهم فلما رأى اليهودى العلامة (أى خاتم النبوة) خرَّ مغشياً عليه وقال ذهبت

النبوة من بنى إسرائيل . يا معشر قريش أما والله ليَسْطُوَنَّ بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب هذا معنى من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم بأن دينهم المعوج لم يقم . كذلك الشياطين من الجن حين رأوا رؤوس الأصنام تتساقط قالوا سنذهب إلى مقاعدنا بالسماء لنزداد يقيناً إذا كان هناك أمر وحدث جديد متفق مع هذا فسيكون العلم بذلك فعندما اقتربوا من مقاعدهم الذين يسترقون منها السمع رأوا شُهباً من نار قد أعدت لهم لتحرق من يقترب من السماء وهذه معاينة تطابق ما حدث فى الأرض .

وبعد ما عاينوا فى الأفق من شهب *** منقضة وَفْقَ ما فى الأرض من صنم

فعلموا أن هذا الأمر عظيم فليلة مولده ﷺ أفضل من ليلة القدر وولد ﷺ فى مكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف وأرضعته ﷺ ثُوَيبة عتيقة أبى لهب أعتقها حين بشرته بولادته عليه الصلاة والسلام وقد رأى بعض الصحابة أبو لهب بعد موته فى النوم فقيل له ما حالك فقال فى النار إلا أنه خُفف عنى فى كل ليلة اثنين وأمص من بين إصبعىَّ هاتين ماءً وأشار برأس إصبعيه وإن ذلك بإعتاقى لثويبة عندما بشرتنى بولادة النبى ﷺ وبإرضاعها له (وهذا مشهد عظيم من رحمة النبى ﷺ أنه فى ساعة مولده أعتق رقبة) قال الإمام ابن الجزرى فإذا كان هذا أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بِذَمِه جُوزِىَ بفرحه ليلة مولد النبى ﷺ فما حال المسلم الموحد من أمته ﷺ يُسر بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته ﷺ لعمرى إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم . ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه

الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويجتمعون على محبته بمجالس الـذكر والصلوات على النبى ﷺ وينقبون فى سيرته العطرة ويتـصدقون فـى لياليه بأنواع الصدقات ويُظهرون السرور ويزيدون فـى أعمـال البـر ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويتحلى كل منهم بصفات النبى العظيمـة كلٌ على قدر حبه وقربه ويظهر عليهم من بركاته كل فضلٍ عميم فرحم الله امرءاً اتخذ ليالى شهر مولد النبى الكريم المباركة أعياداً فإنه يجـب على كل مسلم أن يتهيأ فى ليلة مولده ﷺ بكل فرحةٍ وبهجةٍ ويذهب عن نفسه كل حُزنٍ وهمٍ بذكر الله والصلاة على النبى وقـد ورد عـن ابـن عباس رضى الله عنهما قال : " ولد ﷺ يوم الاثنين واستُنبى يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخـل المدينـة يـوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين وكذا فتح مكة ونزول سورة المائـدة يوم الاثنين " وفى هذا القدر كفاية أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله ﷺ . وكل عام وأنتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثانية

وموضوعها

فضائل النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته العظيمة

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الأربعاء

١١ من ربيع أول عام ١٤١٠ هـ

الموافق ١١ من أكتوبر عام ١٩٨٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الذى جَعَلَ حَبِيبَهُ مُحَمَّداً ﷺ مِجْلاهُ الأَعَزُّ الأكْمَلُ الأَفْخَرُ الأَفْضَلُ الأَمْجَدُ الأَعْظَمُ مَحَلُّ نَظَرِهِ مِنَ العَالَمِ ومَظْهَرُ ذَاتِهِ مِنْ بَنِى آدَمَ ومِرْآةُ جمالِهِ وجلالِهِ وكمالِهِ الأكملُ الأقومُ تُرْجُمَانُ صِفَاتِهِ إلى مخلوقاته بين الحدوثِ والقِدَمِ باللسانِ الأقدمِ ، أكملُ كُمَلاءِ الوجود المُبْهَمِ طِرَازُ حُلَّةِ الصُورةِ والمعْنَى المُعَلَّمِ تاجُ فَرْقِ الجمعِ المحكمِ ، واحدُ الدَّهرِ الأَزَلَى المُدْغَمِ سِرُّ اللهِ فى الوجودِ ، وخِزَانَةِ الكَرَمِ والجُودِ سُلطانُ الحقيقتين ، وحقيقةُ الرَّقِيقتين ، وواحدُ الوجْهَين ، ومَوصُوفُ الوَصْفَين ، وحَاوِى المَعْنَيَيْنِ ، وحَائزُ الكَمَالَيْنِ ، مِنَ العَينِ والأَيْنِ المُنْفَرِدِ بالأكْمَلِيَةِ صُورةٌ ومعنى صَاحبُ قابَ قوسين أو أدْنَى صلَّى اللهُ عليه وسلم .

عينُ الوجودِ وواحدُ الموجودِ ... مَجْلَى مَحَاسِنِ حضرةِ المعبودِ
وحقيقة الاسم الذى لصفاته ... خَضَعَتْ رقابُ مُعانِدٍ وجَحُودِ
كل الكمالِ عبارةً عن خردلٍ ... مُتحقرٍ فى عِزِّهِ المصْمُودِ
خَالَ المِلاحةَ نورُ ضَوءِ جبينها ... قد عمَّ مسبوقُ الفَنَا بوجودِ
روحُ المعانى والأوانى جُملةً ... معنى الوجودِ وصورة الموجودِ
ذاك النبىِّ الهاشمىِّ مُحمدٍ ... عبدِ الإلهِ خليفةِ المحمودِ

صلى الله عليه وسلم

وبعد

إننا إذا وقفنا أمام سيد المرسلين وقفةً لندقق حتى نحقق أمرنا فيه فإننا لا نستطيع إذا اجتمعت العقول على عقلٍ واحدٍ فى جمع العلوم بوصفٍ أو اجتمعت القلوب على قلب واحدٍ بالحب والتصديق فإننا لا نستطيع أن

نفى سيد المرسلين بذَّرةٍ من ذَّرةٍ من ذرات وصف جماله وكماله ، وكفى شرفاً أن الله تبارك وتعالى جعل اسمه مع اسم الله فى ذكر الله ، وكفى شرفاً لسيد المرسلين أنه ما تم التوحيد وإعلان التوحيد فى الملك والملكوت إلا بذكر اسم رسول الله ﷺ مع اسم الله ، وفى الصلاة التى هى عبادة لله الواحد وصلة بين العبد والرب فإن الله تبارك وتعالى جعل التشريف لعباده فى اتصالهم بخالقهم لا يتم إلا بذكر النبى والصلاة على النبى ﷺ ، وكذلك فى الأذان للصلاة لا يتم ولا يكمل الأذان إلا بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لا يصحُّ الأذانُ فى الفرضِ إلا ... باسمهِ العذْبُ فى الفمِّ المَرضىِّ
أَلَمْ ترَ أنَّا لا يصحُ أذانُنَا ... ولا فَرْضُنَا إنْ لمْ نُكرِّرْهُ فيهما

وكفى شرفاً أن الحق ﷻ قد جرت عادته مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أن يناديهم بأسمائهم الأعلام نحو " يا آدم اسكن " ، " يا نوحُ اهبط " ، " يا موسى إنى أنا الله " ، " يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك " . أما نبينا محمدٌ ﷺ فناداه بالوصف الشريف من الإنباء والإرسال فقال : يا أيها النبىُّ ، يا أيها الرسول .

فدعا جميعَ الرُّسْلِ كُلا بِاسْمِهِ ... وَدَعَاكَ وَحْدَكَ بالرَّسُولِ وبالنَّبِى

وقد قال فى هذا المقام سيدنا الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولايخفى على أحد أن السيد إذا دعا عبيده بأفضل ما أوجد لهم من الأوصاف العلية والأخلاق السنية ودعا آخرين بأسمائهم الأعلام التى لا تُشعر بوصفٍ من الأوصاف ولا بخلقٍ من الأخلاقِ . أنَّ منزلة من دعاهُ بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاهُ باسمه العلم وهذا

معلوم بالعُرفِ أنَّ من دُعىَ بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مُبالغةً فى تعظيمهِ واحترامهِ فهو ﷺ سيد المرسلين وسيد الخلق أجمعين ، ولقد تضمن القرآن الكريم الكثير من التصريح والتوضيح بجليل رتبته وعظيم قدره وعُلُوِّ منصبه ورِفعة ذكرهِ ﷺ ما يقضى بأنه استولى على أقصى درجات التكريم ، ويكفى إخباره تعالى بالعفو عنه مُلاطفةً قبل ذكر العتاب فى قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ وتقديم ذكره على الأنبياء تعظيماً له مع تأخره عنهم فى الزمان فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ ونحمد الله أننا ما اجتمعنا فى هذه الليلة وفى هذا المكان إلا على محبة سيدنا رسول الله ﷺ فإن السبق كل السبق إلى الله وإلى رضوان الله وإلى القرب إلى الله وإلى محبةِ أنه فى حب رسول الله ﷺ . فقد ورد فى الصحيحين البخارى ومسلم عن أنسٍ ﷺ أن رجلاً قال يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال النبى ﷺ ما أعددت لها ؟ قال لا شئ إلا أنِّى أُحبُ الله ورسوله قال رسول الله ﷺ أنت مع من أحببت فقال أنس ﷺ فما فرحنا بشئ فرحنا بقول النبى ﷺ أنت مع من أحببت ثم قال أنس فأنا أحبُّ النبى ﷺ وأبا بكرٍ وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم . (وهذه هى يقظة المحبين حين سمع أنس ﷺ من رسول الله ﷺ أن المحب يحشر مع من أَحَبَّ فأسرع بإعلانه لمحبته لرسول الله ولأبى بكر وعمر راجياً أن يتحقق له هذا الرجاء وهذه المَعِيَّة العظيمة) . ونحن فى هذا الجمع نقتدى بصاحب رسول الله ﷺ سيدنا أنس ﷺ ونعلن جميعاً أننا نحب رسول الله ونحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلىٍّ وسائر صحابة

رسول الله أجمعين ونحب آل بيت رسول الله ونحب الصالحين ونحب كل ولىٍّ وتقىٍّ وصالحٍ ونقىٍّ وصفىٍّ ، ونعلن هذه المحبة فى هذا الجمع ونقتدى بسيدنا أنس ونقول ونرجوا أن نكون معهم بحبنا إياهم (ولمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم علامات) .

علامات المحبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ

أعظمها الإقتداء به واستعمال سنته ، وسلوك طريقته ، والاهتداء بهديهِ وسيرتهِ ، والوقوف على ما حدهُ لنا من شريعته فقد قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ فجعل سبحانه وتعالى متابعة الرسول ﷺ آية محبة العبد رَبَّهُ ، وجعل جزاء العبد على حُسْن متابعة الرسول محبة الله تعالى إياه ، وبحسب هذا الإتباع تحصل المحبة والمحبوبية معاً ، ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن أن تحب الله فقط بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ﷺ ظاهراً وباطناً وصدَّقتهُ خبراً وأطعته أمراً ، وأجبته دعوةً ، وآثرتهُ طوعاً ، وفنيت عن حُكمِ غيره بحُكمهِ ، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته ، وعن طاعة غيره بطاعته ، وإن لم تكن كذلك فلست على شئ ، وتأمل قوله تعالى ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ أى الشأن فى أن الله يحبكم لا فى أنكم تحبونه ، وهذا لا يناله أحد إلا بإتباع الحبيب عليه الصلاة والسلام . فقد روى الإمام الترمذى عن أنس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : " من أحيا سُنتى فقد أحبنى ، ومن أحبَّنى كان معى فى الجنة " فإتباع النبى الكريم بصدقٍ ومحبة حياة القلوب ، ونور

البصائر ، وشفاء الصدور ، ورياض النفوس ، ولَذَّةُ الأرواح ، وأُنسُ المُستوحشين ، ودليل المتحيرين ، ولا يكون الصدق فى الإتباع إلا بالحب ؛ فالحب هو الدين كله ولا نجاح فى أُسرةٍ إلا بالمحبة ، ولا نجاح فى مجتمع إلا بهيمنة المحبة ولا نجاح فى أمة إلا بالمحبة ، ولا نجاح فى سيرٍ إلى الله إلا بالمحبة ، وقد ورد فى صحيح الإمام البخارى ومسلم رضى الله عنهما حديث لسيدنا رسول الله ﷺ قال فيه : " أُحُدُ جَبَلٌ يحبنا وننحبه " إذن الجبل هنا واضح فى الحديث أنه بدأ بمحبة رسول الله والرسول ﷺ قد رد على محبة الجبل بمحبة من عنده ، وكما قلنا أن الرد على المحبة لا يتم إلا بصدق الإتباع لرسول الله ﷺ فلابد وأن يكون هناك أمر صدر من رسول الله ﷺ إلى الجبل فسمعه الجبل فأطاع أمر الرسول الكريم طاعة بصدقٍ فعلم النبى ﷺ من خلالها أن الجبل يُحبه فرد عليه بالمحبة فقال ﷺ " أُحُدُ جَبَلٌ يُحبُنا ونُحِبهُ " ففى صحيح الإمام البخارى يبين لنا هذا الأمر فيقول سيدنا أنس ﷺ : " صعد النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً فرجفَ بهم فضربه النبى ﷺ برجله وقال اثبت أُحُد فإنما عليك نَبىٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان " (أُحُد جبل بالمدينة) فثبت أُحُد . هذا هو الأمر من رسول الله ﷺ لأُحُد حين رَجَفَ أى اهتز هزة شديدة يكاد أن يتصدع فأطاع الجبل أمر النبى الكريم هذا إن دل فإنما يدل على أن رجفة الجبل كانت هزة هيام المحب لمحبوب حين رأى المحبوب فحين خاطبه النبى بقوله اثبت أُحُد فثبت أُحُد أى أن المحب يكون ثقيلاً فى بنيانه لا يهتز بهيام المحبة هزة تسقط عنه كماله العقلانى وميزانه الأدبى حتى يستطيع أن يتلقى الخطاب من محبوبه

وهو ثابت . هذا جبل أظهر حبه لسيد المرسلين حين رآه فما بالنا ونحن أصحاب العقول والتكليف الشرعى ، تكليف شرعىٌّ من الله لنا بحبُ رسول الله فإن كل حب سوى حب رسول الله ﷺ فهو حُبٌّ عاطفة للقلب أن يختار فيه ما يشاء أما حب سيدنا رسول الله ﷺ فإنه أمرٌ من الله تشريعىٌّ بأن نُحبَ رسول الله . إذن فلابد وأن يُحبَ كل مسلم رسول الله وأن يعلن عن محبته لرسول الله ، وإعلانه عن محبته لرسول الله هو صدق إتباعه لرسول الله والتحفظ على جوارحه بالخضوع لطاعة رسول الله هذا هو الحب بمعناه ، وقد ورد فى كتاب الحِليةِ لأبى نُعَيمٍ عن أنس ﷺ قال : " قال رسول الله ﷺ " أوحى الله تعالى إلى موسى نبى بنى إسرائيل أنه من لقِيَنى جاحدٌ بأحمدَ أدخلته النار قال يا رب ومن أحمد ؟ قال الله تعالى ما خلقت خلقاً أكرم علىَّ منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل أن أخلق السموات والأرض إن الجنة مُحرَّمةٌ على جميع خلقى حتى يدخلها هو وأمته قال ومن أمتهُ ؟ قال الله تعالى : الحمادون يحمدون صعوداً وهبوطاً وعلى كل حالٍ يشدون أوساطهم ويُطَّهرونَ أطرافهم أُسودٌ بالنهار رُهبانٌ بالليل (وفى رواية أخرى صائمون بالنهار رُهبانٌ بالليل) أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله فقال موسى اجعلنى نبى تلك الأمة . قال الله تعالى : نبيها منها . قال موسى : إجعلنى من أمة ذلك النبى قال الله يا موسى استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال (يصف الحق أمة محمد بأنهم أسود بالنهار أى يعملون فى حركة العمران فى الحياة باكتساب العلم والسباق فى العمل ليكونوا سادة لأهل الدنيا ، وإذا رأيتهم فى الليل فهم

فى عبادة الله الواحد قياماً رُكعاً سُجداً كأنهم رُهبان انقطعوا انقطاعاً لعبادة الله ثم يبين الحق سبحانه بأنى أدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله ، أى من صدق منهم فى التوحيد فى صدر الدعوة واسْتُشْهِدَ أو مات دخل جنة الفردوس الأعلى دون أن يعمل بتكاليف شرعية لأنها لم تصدر إليه قبل استشهاده . وأقبل منهم اليسير (أى من عمل منهم حسنة جعلتها عندى بعشر أمثالها وأضاعفها له بفضلى حتى سبعمائة أو أزيد) . فسيدنا موسى عليه السلام لما رأى هذا الفضل والتكريم العظيم لهذه الأمة طلب وتمنى أن يكون من هذه الأمة عشقاً للشرف العظيم الذى سيناله فقال الله له استقدمت واستاخر أى أنك تسبق زمان هذا النبى الخاتم وأمته من شهده فى زمانه ومن بعده فى الزمان إلى يوم القيامة واتبعه واهتدى بهديه (ولكن يا موسى لا أقطع لك رجاء سأجمع بينك وبينه فى الجنة) . ونحن قد مَنَّ الله علينا إذ جعلنا من المسلمين ، ونرجو أن يوفقنا للهدى ، ويجعلنا من الصادقين فى إتباع سيد المرسلين ، ونكون من أمة محمد ﷺ . وقد روى عن سيدنا وهب بن مُنبِّه أنه قال : (قرأت فى بعض الكتب القديمة (أى السابقة) قال الله ﷻ : وعزتى وجلالى لأُنزلنَّ على جبال العرب نوراً يملأ ما بين المشرق والمغرب ولأُخرجنَّ من ولد إسماعيل نبياً عربياً أمياً يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الأرض كلهم يؤمن بى رَباً وبه رسولاً ويكفرون بملل آبائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبى وشرفته قال الله يا موسى إنى أنتقم من عدوه فى الدنيا وفى الآخرة ، وأُظهر دعوته على كل دعوة وأُذل من خالف شريعته وبالعدل

زيَّنتهُ وللقسط أخرجته وعزتى لأستنقذنَّ به أمماً من النار فتحتُ الدنيا بإبراهيم وختمتها بمحمدٍ مثل كتابه الذى يجئ به فاعقلوه يا بنى إسرائيل كمثلِ السَّقاءِ المملوء لبناً يُمَخَّضُ فيُخرجُ زبداً بكتابه أختم الكتب ، وبشريعته أختم الشرائع فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل فى شريعته فهو من الله برئ . أجعل أمته يبنون فى مشارق الأرض ومغاربها مساجد إذا ذكر اسمى فيها ذُكرَ اسمُ ذلك النبى معى لا يزول ذكرهُ من الدنيا حتى تزول (وفى هذه الرواية وهذا الحديث القدسى الشريف نرى أن الحق سبحانه يبين فضائل النبىِّ ، وفضائل القرآن ، وفضائل الأمة فى قوله : إنى أنتقم من عدوه فى الدنيا وفى الآخرة وهذه غيرة الله على حبيبه وقد رأينا ذلك فى الذين تآمروا عليه وآذوه فى مكة أبو جهل وشيبة وعتبة وغيرهم قُتلوا جميعاً فى غزوة بدر ، وصدق وعد الله فيهم . ثم قوله سبحانه " وبالعدل زَيَّنتهُ " أى أن حكم رسول الله من حكم الله لأن الله زينه بالعدل وما ينطق عن الهوى ، وللقسط أخرجته أى للحق الواضح التام الكامل أخرجته ليعلنه للناس ثم يُقسمُ الله بعزتهِ لأستَنْقِذَنَّ به أمماً من النار أى أجعله رحمةً للعالمين برسالتهِ فيُغيثُ اللهفان ويرحم الضعيف ويُخرجُ الناس من الظلمات إلى النور كما قال سبحانه فى قرآنه الكريم ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ فتحت الدنيا بالكتب السماوية للناس بصحف إبراهيم على إبراهيم ، وختمتها بمحمدٍ أى ختمت النبيين به فهو خاتم النبيين وختمت الكتب بالقرآن ، وختمت الأمم بأمة محمدٍ فرسالته قائمة إلى يوم القيامة مثل كتابه (أى القرآن) فاعقلوه يا بنى إسرائيل أى

استقبلوه استقبال حُبٍّ وأخرجوا من صدوركم الكراهية والعداء والحقد على رسول الله وأفيقوا فإنه كتاب مَثَلُهُ فى العطاء والبركة كمثل السقاء أى القربة المملوءة باللبن كلما قلت فرغَ منها الزبد ومخّضْتَها (أى خضضتها) تُخرِج لك زُبَدَاً فلا ينتهى منها الزبد فى العطاء إلى يوم القيامة (أى كتابٌ مباركٌ عطاؤه من العلم لا ينتهى) فكل أهل زمانٍ من العلماء يأخذون منه رزقاً لخدمةِ أهلِ زمانهم فلا ينتهى مددهُ إلى يوم القيامة ويظل مباركاً بعلومهِ وأسرارهِ . ثم (بذكر الأمة) فقوله سبحانه : أجعل أمته يبنون فى مشارق الأرض ومغاربها مساجد (أى أن الله بعنايته وتوفيقه يجعل الأُمة شاغلها كثرة بناء المساجد فى الأرض ليشمل صوت الحق ونداء التوحيد كل أرجاء الأرض ويجعل لِلأمة الأجر على ذلك وعظيم الثواب) ، وفى هذه المساجد يذكر اسم الله ويذكر اسم رسول الله بصوتٍ عالٍ فى الأذان فى كل وقت للصلاة فلا يزول هذا النداء وهذا الذكر حتى تنتهى الدنيا . ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أى يذكر اسمه مع الله كلما ذكر الله . وإلى أن تقوم على ذكره الساعة (أى القيامة) وقد قال الإمام سَهْلُ بن محمد رضى الله عنه فى الآية الشريفة ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ هذا التشريف الذى شرف الله تعالى به حبيبه محمد ﷺ بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ أتم وأجمع من تشريف آدم بأمر الملائكة بالسجود له لأنه لا يجوز أن يكون الله تعالى مع الملائكة فى ذلك التشريف . فتشريف يصدر عنه تعالى وعن

الملائكة والمؤمنين أبلغ من تشريف تَختصُ به الملائكة .

معجزات النبى صلى الله عليه وسلم : ▪

ثم شرفه الله ﷻ بالمعجزات العظيمة ومعجزات رسول الله ﷺ لا حصر لها ولا عد فله معجزات أزلية ومعجزات خالدة أبدية فمعجزاته الأزلية هو إخبار الله عنه بالحقائق فى فِطرة الخلق على كلمة التوحيد بذكر اسمه وما جاء عن ذكره فى التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزَّلة من ذكره ونعته وإشارات وبشارات مولده بخُمود نار فارس وسقوط شرفات إيوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة رؤيا الموبِذَان وما سُمعَ من الهواتف الصارخة بنعوته ﷺ وما حدث للعرب من ألفةٍ بعد ما كانوا يجتمعون على عبادة الأصنام وسفك الدماء والبغى والتعادى وشن الغارات لا تجمعهم ألفة دين فألف ﷺ بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وترادفت الأيدى فصاروا يداً واحدة وصفاً واحداً فى نُصرته ، وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم فى محبته ، وبذلوا مهجهم وأرواحهم فى نُصرتهِ ونصبوا وجوههم لِوَقْعِ السيف فى إعزاز كلمته بِلا دنيا بسطها لهم ولا أموال أفاضها عليهم فهذا إعجاز إلهى ناقض للعادات تعجز عن بلوغه قُوىَ البشر ولا يقدر عليه إلا الله الذى له الخلق والأمر فتبارك الله رب العالمين ، ومعجزات النبى ﷺ لو اجتمع أهل العلم فى كل زمان ومكان على عقلٍ واحد وقلبٍ واحد ليدققوا حتى يحققوا الأمر فى حصر معجزات رسول الله ﷺ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لأنه ﷺ له معجزات كما قلنا أزلية فى الكتب السابقة ، ومعجزات حسِّية عند أهل زمانه ،

ومعجزات مع رسالته قائمة لا تنتهى إلى قيام الساعة . القرآن الكريم وما به من أسرار وما له من عطاء ، وكرامات الأولياء من أمة محمد التى هى مدد الله لأوليائه بالإلهام بالحجة والبرهان لنصر الدعوة . فكرامات الأولياء تكون لماذا ؟ لنصر الدعوة والحفاظ على الراية المحمدية ؛ فكرامات الأولياء فى أمة محمد ما هى إلا مددٌ سارٍ وجارٍ من معجزات النبى ﷺ للعارفين . ونحن فى هذا الحديث لا نتعرض لحصر المعجزات المحمدية ولكن نذكر منها ما يفيض الله علينا بمدده على قدر ما نحن له أهلٌ فى العطاء فكانت معجزة النبى ﷺ الأولى والدالة على نبوتهِ (أُمِّيَتُهُ) .

١ـ معجزة النبى صلى الله عليه وسلم الأولى (أميتهُ) : ـ

كان عليه الصلاة والسلام أمِّياً لا يخُطُّ كتاباً بيده ولا يقرؤه كما أخبر عنه الحق سبحانه بقوله ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ ، وكما قال سبحانه ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ يعنى لا يقرأ ولا يكتب ، وولد فى قوم أميين أى لم ينزل عليهم كتاب من السماء من قبل ، ونشأ بين أظهرهم فى بلد ليس بها عالمٌ يعرف أخبار الماضيين ولم يخرج فى سفرٍ ضارباً إلى عالمٍ فيعكفُ عليه ليتعلم على يديه ؛ فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم السابقة الماضية ، وقد كانت ذهبت معالم تلك الكتب ودُرست وحُرفت عن مواضعها ، ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها وسقيمها إلا القليل ، ثم حاجَّهُ كل فريق من

أهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حُذَّاقُ المتكلمين وجهابذة النقاد المتفننين لم يتهيأ لهم نقض ذلك ، وهذا أدل شئ على أنه أمر عظيم جاءه من عند الله ﷻ ومعجزة جَلِيَّة واضحة خضع لها العقل بالتسليم وانتصر النبى بالحجة والدليل القاطع والبرهان الساطع .

٢ـ المعجزة الثانية والخالدة [القرآن الكريم] : ـ

فقد جاءهم صلى الله عليه وسلم بالقرآن العظيم وتحدى بما فيه من الإعجاز ودعاهم إلى معارضته والإتيان بسورة من مثلهِ فنَكَلُوا عنه وعجزوا عن الإتيان بشئ منه . قال بعض العلماء العارفين : إن الذى أورده عليه الصلاة والسلام على العرب من الكلام الذى أعجزهم عن الإتيان بمثلهِ أعجب فى الآية وأوضحُ فى الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين فى علم المنطق بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه أعجب من عجز مَنْ شاهد المسيح عند إحياء الموتى لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا فى إبراء الأكمه والأبرص ولا يتعاطون علمه ، وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل على أن العجز عنه إنما كان ليصير عَلَماً على رسالته وصحة نبوته وهذه حُجةٌ قاطعةٌ وبرهانٌ واضحٌ ، وفى هذا المعنى قال سيدنا أبو سليمان الخطابى ﷺ (وقد كان النبى ﷺ من عقلاء الرجال عند أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله تعالى على الإطلاق ، وقد قطع فيما أخبر به عن ربه تعالى بأنهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به فقال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ فلولا علمه بأن ذلك من عند الله ﷻ علام الغيوب وأنه لا يقع فيما أخبر

عنه خلاف ما أخبر و إلا لم يأذن له عقله أن يقطع القول فى شئ بأنه لا يكون وهو يكون ، وهذا من أحسن وأكمل وأبين ما يقال فى هذا المجال فإنه صلى الله عليه وسلم نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير عن بلوغ فى المناقضة صارخاً بهم على رؤوس الأشهاد ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ أى حكم عليهم بالعجز والتقصير بأنهم لن ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بآية من مثله ولو كانوا على عقلٍ واحد وقلبٍ واحد إلى يوم القيامة ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ فهذا إعجاز عظيم . وروى عن سيدنا محمد بن كعب ﷺ أنه قال : (حُدِّثتُ أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله ﷺ وحده فى المسجد يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أمور لعله أن يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا : بلى يا أبا الوليد فقام عتبة فجلس إلى جوار رسول الله ﷺ وحدثه وعرض عليه من المال وغير ذلك من أمور الدنيا فلما فرغ عتبة من حديثه قال رسول الله ﷺ : أفرغت يا أبا الوليد قال : نعم . قال رسول الله ﷺ : فاسمع منى . قال : افعل . فقال صلى الله عليه وسلم " بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها . ثم قال النبى ﷺ : سمعت

يا أبا الوليد . قال : سمعت فأنت وذاك فقام عتبه إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد . قال : إنى والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعونى خلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ قال : فأجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا سحرٍ ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فأمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (يبين عتبة لقومه أنه قد صدق النبى ﷺ ولذلك قال لقومه أطيعونى خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ثم قال لهم إنى قد استحلفته بالقرابة التى بيننا وبينه أن يكف عن القراءة خشية أن يقع بكم العذاب ثم إنكم تعلمون بل علمتم من محمد من الزمن الماضى الذى عاشه بيننا أنه صادق ولم يكذب أبداً) ومعجزة القرآن ستظل خالدة إلى يوم القيامة تخاطب العقول بآيات العلم والإعجاز تذكرة لأهل الإيمان وزجراً لأهل الجحود والنكران .

٣ـ المعجزة الثالثة [معجزة انشقاق القمر] : ـ

ثم ننتقل إلى معجزة انشقاق القمر ودليلها القرآن الكريم والسُنَّة فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا

آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ هذه الآية تدل على أن انشقاق القمر كان مطلباً لكفار مكة إعجازياً ليؤمنوا بالرسالة وأن القمر لم ينشق لأحد غير نبينا ﷺ وهو من أمهات معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وقد أجمع المفسرون وأهل السُنَّة على وقوع انشقاق القمر لأجله ﷺ فإن كفار قريش لمَّا كذبوه ولم يُصدقوه طلبوا منه آية تدل على صدقه فى دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التى لا قدرة لبشرٍ على إيجادها دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام فى دعواه الوحدانية لله تعالى وقد قال فى هذا المقام الإمام الخطابى ﷺ : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئٌ من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر فى ملكوت السموات خارجاً عن جملة طِباعِ ما فى هذا العالم المُرَكَب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول إليه بحيلةٍ فلذلك صار البرهان به أظهر . فقد روى عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال : انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال كفار قريش هذا سِحرُ ابن أبى كبشة . قال : فقالوا انظروا ما يأتيكم به السُفَّار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . قال : فجاء السُفَّار فأخبروهم بذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لمَّا اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونُظراؤهم فقالوا للنبى ﷺ إن كنت صادقاً فشق لنا القمر ، وفى الصحيحين البخارى ومسلم عن أنس ﷺ قال : إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شِقَتَيْنِ حتى رأوا حراء بينهما ، وقال ابن مسعودٍ : انشق القمر على عهد

رسول الله ﷺ فِرقتين فِرقةً فوق الجبل وفِرقةً دونه فقال رسول الله ﷺ : " اشهدوا " . (أى أن القمر انشق نصفين فنصف ثبت مكانه والنصف الآخر تحرك حتى افترق وحده بعيداً وأصبح جبل حراء الذى يقف عليه النبى ﷺ والناس معه بين النصفين والكل يرى ذلك جَلِيَّاً واضحاً . وهناك أمر آخر بينه وبين هذه الآية رباط أزلى فيقول سيدنا العباس عم رسول الله ﷺ : قلت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله دعانى إلى الدخول فى دينك أمارةٌ لنبوتك رأيتك فى المهد تُناغى القمر وتُشير إليه بإصبعك فحين أشرت إليه مال قال رسول الله ﷺ : إنى كنت أحدثه ويحدثنى ويُلهينى عن البكاء وأسمع وَجْبَتَهُ حين يسجد تحت العرش . (أى أن عم النبى ﷺ يقول للنبى لم يكن إيمانى بك أنك ابن أخى ولكنى رأيت برهاناً ومعجزة ثم يقول هذا الحديث مبيناً أن القمر كان يناغى الرسول كذلك ، والمناغاة معناها أنها حديثٌ بين الحبيب والمحبوب بإشارات لا يفهم سرها إلا المحبوبين وهذا ما يسمى بعلم الشفرة السرِّية والإشارة والمترقب من الجالسين يرى الإشارة ولا يفهم المراد فهذه تسمى المناغاة ولذلك سيدنا العباس عم النبى قال فيها أنها مُناغاة بقوله رأيتك فى المهد تُناغى القمر وتُشير إليه بإصبعك فهذه الإشارة يراها القمر فيتبعها فحيث أشرت إليه مال يعنى إن كانت الإشارة منك إلى جهة اليمين أرى القمر يميل متحركاً جهة اليمين وإن كانت جهة الشمال أراه يتحرك جهة الشمال مُتبعاً الإشارة فهذه محادثة سرِّية بين الحبيب ومحبوبه فيقول الحبيب المصطفى مُبيناً عظمة الإعجاز بأنه كان حديث بينى وبين القمر وكنت أعيه بتعقل ومعرفة (إنى كنت أحدثه ويحدثنى

ويلهينى عن البكاء) ثم يبين النبى ﷺ ما هو أعظم من ذلك فيقول : " وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش " أى أنه ﷺ كان يطَّلِعُ على عبادة القمر لله ويشاهد ذلك وهو فى المهد . ومن هذا يتبين لنا أن القمر كان على علم من الله أزلى سابق بُشِرَ به بأنه سينشق فى آخر الزمان على يد النبى الخاتم محمدٌ ﷺ فكان القمر يترقب مولد النبى ﷺ بالشوق والبشرى فحين ولد سيد المرسلين أراد القمر أن يحظى برؤيته وصحبته بالرؤيا والحديث والتعايش اليومى حتى يأتى يوم الأمر بالانشقاق ثم ننتقل بعد ذلك إلى معجزة (ردِّ الشمس بعد غروبها للنبى) .

٤ـ المعجزة الرابعة [رَدُّ الشمس بعد غروبها] : ـ

وأما معجزة رد الشمس له ﷺ فروى عن السيدة أسماء بنت عُمَيس رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يُوحَى إليه ورأسه فى حجر علىٍّ ﷺ فلم يُصلِّ العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ﷺ أصليت يا علىُّ قال لا فقال رسول الله ﷺ اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس . قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصَّهباء فى خيبر . (أى أن هذه المعجزة كانت مطلباً للنبى ﷺ من أجل أن لا ينقُص من أعمال الإيمان وقتاً من الصلاة عند علىٍّ ﷺ فإن وقت الصلاة أعظم من الدنيا وما فيها ، ثم تؤكد السيدة أسماء بأنها تحققت من رؤيا المعجزة فتقول : فرأيتها غربت أى غروبها على سُنَّة الحركة الفطرية الثابتة لطاعة الله فى الكون . فلما توجه النبى ﷺ بالدعاء طالباً ردَّها رأيتها

بعد ذلك طلعت طلوعاً كاملاً كشروقها التام ليومٍ جديدٍ ووقع شعاعُها وضياؤها وحرارتها مغطياً على الجبال والأرض ثم تؤكد حديثها بتحديد المكان فتقول وذلك بالصّهباء فى أرض خيبر . ثم بعد ذلك ننتقل إلى معجزة طاعات الجمادات له وتكليمها لرسول الله ﷺ .

٥ـ المعجزة الخامسة [كلام النبى لجبل أُحُدٍ وكلام جبل ثبير للنبى ﷺ] : ـ

فمعجزة كلام الجبل له وقد سبق أن ذكرنا معجزة كلام النبى للجبل عن أنس ﷺ قال : صعد النبى ﷺ وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان أُحُداً فرجف بهم فضربه النبى ﷺ برجله وقال اثبت أُحُد فإنما عليك نبى وصدِّيقٌ وشهيدان . أى فسمع الجبل كلام النبى ﷺ له فأطاعه ، وأما كلام الجبل للنبى فقد روى أن النبى ﷺ يوم أن خرج من مكة مُهاجراً إلى المدينة وطلبته قريش صعد على جبل ثبيرٍ فقال له ثبير اهبط يا رسول الله فإنى أخاف أن يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله تعالى فقال له حراء إلىَّ يا رسول الله (وجبل حراء مُقابل جبل ثبير والوادى بينهما بمكة) أى كأن ثبير يقول يا رسول الله لم يصدر إلىَّ الأمر من الله بإيوائك فسمع النبى ﷺ كلام الجبل فتوجه للهبوط أى النزول فسمع حراء أى الجبل المقابل لثبير ينادى بصوت عالٍ ويفخر فَرِحاً مسروراً لأن جاءه الأمر من الله بتشريفه بإيواء سيد المرسلين من أعداءه أعداء الله ؛ فيتوجه النبى ﷺ إلى حراء ويدخل بالغار ومعه صاحبه أبو بكر ﷺ وتكون عناية الله فى انتصارهما بجند الله بأوهن الأسباب لينتصر النبى على أعدائه فالعنكبوت تُخيم على الغار فتغلقه وعناية الله تستر نسيج العنكبوت بالقدم الزمانى وحمامة تبيض والعدو يقُصُّ الأثر للنبى وصاحبه حتى

يصل إلى باب الغار فينتهى الأثر ويقف العدو أمام الإرادة الإلهية عاجزاً مقهوراً مهزوماً ، ويصطدم وجه العدو بوجه النبى وصاحبه وبصر العدو محجوب عن الرؤيا ولكن أبا بكرٍ يراهم ويقول للنبى ﷺ : يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فيقول النبى الكريم يا أبا بكر ما ظنُك فى اثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا . وكما قال الإمام البوصيرى فى بُردته ﷺ :

وَما حوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ ومِنْ كَـرَمٍ ... وكُلُّ طرْفٍ مِنَ الكُفَّار عَنْهُ عَمَى
فالصِّدقُ فى الغَارِ والصِّدِّيقُ لمْ يرِما ... وَهُمْ يقُولُونَ ما بالغارِ من أَرَمِ
ظَنُّوا الحمامَ وظَنُّوا العنكبُوتَ على ... خير البريةِ لم تَنْسُجْ ولم تَحُمِ
وقَايَةُ اللهِ أغْنتْ عَنْ مُضَاعفَةٍ ... مِنَ الدُّرُوعِ وعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

ثم بعد ذلك ننتقل إلى معجزة تسبيح الحصَى فى كفه ﷺ .

٦ـ المعجزة السادسة [تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم] : ـ

فقد ورد عن تسبيح الحصى فى كفه ﷺ أحاديث كثيرة منها ما رواه الإمام الطبرانى عن أبى ذرٍّ الغفارى ﷺ قال : " تناول النبى ﷺ سبع حصيات فسبحن فى يده حتى سمعتُ لهن حنيناً ثم وضعهن فى يد أبى بكر فسبحن ثم وضعهن فى يد عمر فسبحن ثم وضعهن فى يد عثمان فسبحن فسمع تسبيحهن من فى الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحدٍ منا " ، وهذا يدل على أن فى الأمة رجالٌ شربوا من شراب اليقين من مقام سيدنا رسول الله ﷺ حالاً وسراً فحين انتقل الحصى فى أكُفِّهم بعد كفَّ أشرف الخلق ظلَّ فى تسبيحه ليُشهد الناس مقامهم فى اليقين .

٧ـ المعجزة السابعة [تسبيح الطعام بين يدى النبى ﷺ] : ـ

فى معجزة تسبيح الطعام بين يَدَىْ سيد الخلق ﷺ فقد ورد فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال : " كُنَّا نأكل مع النبى ﷺ الطعام ، ونحن نسمع تسبيح الطعام " ، وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : مَرِض النبى ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رُمَّانٌ وعِنَبٌ فأكل منه النبى صلى الله عليه وسلم فسبح .

٨ـ المعجزة الثامنة [تسليم الحجارة على النبى ﷺ] : ـ

وفى تسليم الحجارة على رسول الله ﷺ فقد ورد فى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : " إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أُبعث إنى لأعرفه الآن " ، وروى الإمام الترمذى عن علىٍّ بن أبى طالب كرم الله وجهه و ﷺ قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجرٌ ولا حجرٌ إلا قال السلام عليك يا رسول الله . ، وروى أبو نُعَيْم عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " لمَّا استقبلنى جبريل بالرسالة جعلتُ لا أمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تأمينُ أسْكُفَّةِ الباب وحوائط البيت على دعائه عليه الصلاة والسلام (أى أن سقف الباب أمَّن على دعائه بصوتٍ مسموع .

٩ـ المعجزة التاسعة [تأمين أسكفّة الباب وحوائط البيت على دعاء النبى صلى الله عليه وسلم] : ـ

فقد روى الإمام البيهقى عن أبى أُسيد السَّاعدىُّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب ﷺ : " يا أبا الفضل لا ترِمْ منزلك أنت

وبَنُوكَ غداً حتى آتيكم فإن لى فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : أصبحنا بخير والحمد لله . فقال لهم : تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم إلى بعض حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته فقال يا رب هذا عمى وصِنْوُ أبى وهؤلاء بيتى فاسترهم من النار كسُترى إياهم بمُلاءتى هذه فأمَّنتْ أسكُفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين . آمين . آمين . بصوتٍ مسموع للجميع . ، ومن معجزاته ﷺ سلام الشجر عليه وطاعة أمره .

١٠ـ المعجزة العاشرة [تسليم الشجرة على رسول الله ﷺ] : ـ

وروى عن سيدنا بُرَيْدَة أنه قال : سأل أعرابى النبى ﷺ آية فقال له رسول الله ﷺ : " قُلْ لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وعن شمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخُدُّ الأرض تجُرُ عروقها مُغبَرَّةً حتى وقفت بين يدى رسول الله ﷺ فقالت السلام عليك يا رسول الله . فقال الأعرابى مُرْها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلَّت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت فقال الأعرابى يا رسول الله ائذن لى أن أسجد لك . قال ﷺ : لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لِعظمِ حقهِ عليها . ، وفى رواية أخرى للإمام البغوى عن سيدنا يَعْلَى بن مُرة الثقفى ﷺ أنه قال : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا منزلاً فنام النبى ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ رسول الله ﷺ ذكرت له ما رأيت فقال هى شجرة استأذنت ربها فى أن تُسلم علىَّ فأذن

لها . (أى أن الشجرة حين رأت النور المحمدى تاقت إلى أن تحظى بالقرب منه وتسلم عليه ﷺ . ومن معجزاته ﷺ حنين الجذع إلى فراقه والبكاء حتى سُمِعَ بكاؤه .

١١ـ المعجزة الحادية عشر [حنين الجذع شوقاً إلى النبى ﷺ] : ـ

ومعجزة حنين الجذع شوقاً إلى النبى ﷺ هى آية كبرى من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا محمد ﷺ فقد قال الإمام الشافعى ﷺ : ما أعطى الله تعالى نبيا ما أعطى نبينا محمداً ﷺ . فقيل له أعطى عيسى إحياء الموتى . قال : أعطى محمداً ﷺ حنين الجذع حتى سُمِعَ صوته فهى أكبر من ذلك . وقصة حنين الجذع هى أن مسجد النبى ﷺ كان مسقوفاً على جذوع نخلٍ فكان النبى ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذعٍ منها فصُنِعَ له المنبر ثلاث درجات ليسمع الناس خطبته لمَّا كثُروا فلما قعد ﷺ خار الجذعُ حتى تصدع ، وفى حديث سيدنا بُريدة ﷺ (جأر الجذع كجُؤارِ الثور حُزناً على فِرَاقِ رسول الله ﷺ حتى ارتج المسجد لجؤاره فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمَهُ وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال رسول الله ﷺ والذى نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حُزناً على رسول الله ﷺ ثم يقول بُريدة أن النبى ﷺ قال له إن شئت أردك إلى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوصٌ وثمرةٌ وإن شئت أغرسك فى الجنة فتأكل أولياء الله من ثمرك . ثم أصغى له النبى ﷺ ليسمع ما يقول فقال : بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه من الصحابة بالمسجد فقال النبى ﷺ قد فعلت . ثم قال النبى الكريم

ﷺ لصحابته الكرام هذا الجذع اختار دار البقاء على دار الفناء (ويتبين لنا من ذلك أن كل شئ يسبح بحمد الله ويعبد الله على معرفة وتعقل إلهى بقدرة الله فيه فالجذع يُخيره النبى ﷺ بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة فيختار نعيم الآخرة وهو على يقين أن نعيم الآخرة باقٍ لا يفنى أما نعيم الدنيا زائل وفانٍ بقوله للنبى ﷺ وأكون فى مكانٍ لا أبلى فيه فيسمعه من كان قريباً منه بالمسجد ثم يقول النبى ﷺ لمن فى المسجد جميعاً ليعلموا ما قاله الجذع هذا الجذع أجابنى واختار دار البقاء على دار الفناء . فأين نحن أصحاب العقول والتكليف من هذا المقام فى حُسن الاختيار بين دار الفناء ودار البقاء ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم كلام الحيوانات وطاعتها له فهذا بعير يشكو له .

١٢ـ المعجزة الثانية عشر [شكوى البعير إلى رسول الله ﷺ] : ـ

فقد روى الإمام البغوى فى كتابه (شرح السُّنَّة) عن سيدنا يعْلَى بن مُرَّةَ الثقفىِّ أنه قال : بينما نحن نسير مع النبى ﷺ إذ مررنا ببعير يُسنى عليه فلمَّا رآه البعير جرجر فوضع جِرانَهُ فوقف عليه رسول الله ﷺ فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاءه فقال له النبى الكريم ﷺ بِعْنِيهِ فقال بل نَهَبُهُ لك يا رسول الله وإنه لأهل بيتٍ ما لهم معيشة غيرهُ فقال ﷺ أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العَلَفِ فأحسنوا إليه . ومن ذلك نرى أن كل مخلوقٍ بفطرته يعرف رسول الله بأنه رحمةُ الله للعالمين فالجمل المظلوم حين رأى النور المحمدى أسرع إليه مُستجيراً به وشاكياً إليه ما هو فيه من ظلم كالمظلوم المتعقل حين رأى الإمام العادل الذى سيرفع عنه مظلمته ويحِنُّ إليه ويضع جِرانَهُ

على كتفه ﷺ ويئنُّ فى أذنهِ أنين الشكوى (والجِرانُ) هو : مقدَّمُ عُنُقُ البعير من مذبحه إلى منحره .

١٣ـ المعجزة الثالثة عشر [سجود الغنم للنبى ﷺ] : ـ

روى عن أنس ﷺ قال : دخل رسول الله ﷺ حائطاً للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجلٌ من الأنصار وفى الحائط غنمٌ فسجدت الغنم للنبى ﷺ فقال أبو بكر يا رسول الله : نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال رسول الله ﷺ : لا ينبغى لأحدٍ أن يسجد لأحدٍ . ومن معجزاته ﷺ كلام الذئب بلسانٍ عربى يدعو الناس إلى النبى .

١٤ـ المعجزة الرابعة عشر [إيمان الذئب بالرسالة] : ـ

روى عن أبى هريرة ﷺ أنه قال : عَدَا الذئب على شاةٍ فأخذها فطلبهُ الراعى فانتزعها منه فَأَقْعَى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقاً ساقه الله إلىَّ فقال الراعى : يا عجباً ذئبٌ مُقْعٍ على ذنبه يكلمنى بكلام الإنس فقال الذئب أنت أعجب منى واقفاً على غنمك وتركت نبياً لم يبعث الله قطُّ أعظم منه عنده قدراً قد فُتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشِّعْبُ فتكون فى جند الله . قال الراعى : من لى بغنمى ؟ قال الذئب : أنا أرعاها لك حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصتهُ وإسلامهُ ووجودهُ النبى ﷺ يقاتل . فقال له النبى ﷺ عُدْ إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاةً منها ولا عجب أن الراعى يسلم للذئب غنمه لأنه رأى أعجب من ذلك وهو كلام الذئب له بلسانٍ عربى مبين . ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم كلام الضَّبِّ .

١٥ـ المعجزة الخامسة عشر [كلام الضَّبِّ بين يدى رسول الله ﷺ] :

فقد ذكر القاضى عِيَاضٌ فى كتابه (الشفاء) عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ فى محفل من أصحابه إذ جاء أعرابىٌّ من بنى سُلَيْم قد صاد ضَبًّا فى كُمِّه ليذهب به إلى رَحْلِه فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة قال : من هذا ؟ قالوا : نبى الله ﷺ فأخرج الضَّبُّ من كُمِّه وقال : واللاَّت والعُزَّى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضَّبُّ وطرحه بين يدى رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ : يا ضَبُّ فأجابه بلسانٍ مبين يسمعه القوم جميعاً : لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة . قال من تعبد ؟ قال : الذى فى السماءِ عرشُهُ وفى الأرض سُلطانهُ وفى البحر سبيلُهُ ، وفى الجنة رحمتُهُ ، وفى النار عقابُهُ . قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدَّقك وخاب من كذَّبك . فأسلم الأعرابى . فهذه معجزةٌ عظيمةٌ ليست قاصرة على كلام الضَّبِّ ولكن تبين فيها أن الضَّبَّ على معرفةٍ بقضية التوحيد معرفة العارفين بالله ، وعلى معرفة بمقام سيد المرسلين فى الدنيا والآخرة . ومن معجزاته ﷺ شكوى الغزالة إليه

١٦ـ المعجزة السادسة عشر [شكوى الغزالة إلى رسول الله ﷺ] : ـ

فقد روى عن أم المؤمنين السيدة أم سَلَمَةَ رضى الله عنها قالت : بينما رسول الله ﷺ فى صحراء من الأرض إذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فإذا ظبْيَةٌ مشدُودةٌ فى وثَاقٍ وأعرابى منجدلٌ فى شملةٍ نائم فى الشمس فقال لها النبى ﷺ : ما حاجتك ؟ قالت صادنى هذا الأعرابى ولى خِشْفانِ فى ذلك الجبل فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما

وأرجع قال النبى ﷺ : وتفعلين . قالت عذَّبنى الله عذاب العَشَّارَ إن لم أعد فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها النبى ﷺ فانتبه الأعرابى وقال : يا رسول الله ألك حاجةً ؟ قال تُطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحاً وهى تضرب برجليها الأرض وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . (هذه غزالة تصدُقُ الوعد مع رسول الله ﷺ وقلبها مليئ بالرحمة بولديها ولكنها تخاف من عذاب الله بمعصيتها لرسول الله فَتُرضع ولديها وترجع وهى تعلم أنها ستُذبح تفضل الموت على طاعة الله ورسوله خيرٌ من الحياة فى معصيتها . فشملتها رحمة النبى وشفاعته فيها لصدقها مع رسول الله وتنصرف إلى رضيعيها وهى فى بهجة وفرحة تعلن شهادة التوحيد التى من خلالها النجاة ونشاهد أيضاً فى هذه المعجزة أن النبى ﷺ بعد عودة الغزالة أوثقها أى ربطها كما كانت لأنها أصبحت حقاً مملوكاً للأعرابى الذى صادها لأن الله حلَّ صيدها ثم يستأذن النبى الأعرابى ليُطلقها فأذن الأعرابى . فهذا إن دل فإنما يدل على أن عظمة النبى ﷺ لا تدانيها عظمة فى الخلق والسماحة والعدل والشفقة وأن ما اكتسبه الإنسان من حلال فهو ملكٌ له وله الأمر فيه والإذن فذلك من محارم الله وحقوق للعباد) . ومن معجزات النبى صلى الله عليه وسلم بركة الطعام فى يده .

١٧ـ المعجزة السابعة عشر [تكثير الطعام القليل ببركة النبى ﷺ] : ـ

ومعجزة تكثير الطعام القليل ببركة ودعاء النبى ﷺ فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن سيدنا جابر ﷺ قال فى غزوة الخندق : انكفأتُ إلى امرأتى فقلت هل عندك شئ ؟ فإنى رأيت بالنبى ﷺ خَمَصاً

شديداً . فأخرجت جِراباً فيه صاعٌ من شعير ولنا بهيمةٌ داجنٌ فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البُرْمَة ثم جئت النبى ﷺ فسارَرْتُهُ فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمةً لنا وطحنَّا صاعاً من شعير فتعال أنت ونفرٌ معك فصاح النبى ﷺ : يا أهل الخندق إن جابراً صنع سُؤراً فحيَّهَلاً بكم فقال ﷺ لا تُنْزِلنَّ بُرمَتِكُمْ ولا يُخبزنَّ عجينكم حتى أجيئ ثم جاء فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى بُرمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : ادع خابزةً فلتخبز معكِ واقدحى من بُرمتكم ولا تُنزلوها وهم ألفٌ فأقسم سيدنا جابر بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن بُرمتنا لتغِطُّ كما هى وإن عجيننا ليُخبزُ كما هو . ومن معجزاته ﷺ نَبْعُ الماء من بين أصابعه .

١٨ـ المعجزة الثامنة عشر [نَبْعُ الماء من بين أصابع النبى ﷺ] : ـ

ومعجزة نَبْعُ الماء الطهور من بين أصابع النبى ﷺ فقد حدثت فى مواضع كثيرة فى غزواته ﷺ ولكنا سنذكر ما ورد فى الصحيحين البخارى ومسلم فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع يده فى ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم . قال راويه فقلنا لأنس كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة . وفى الصحيحين أيضاً رُوى عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله ﷺ بين يديه رَكْوَةٌ يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال ما لكم . فقالوا : يا رسول الله ما عندنا

ماء نتوضأ به ولا نشربه إلا ما بين يديك . فوضع النبى يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا . قال راوى الحديث : قلت كم كنتم ؟ قال جابر : لو كنا مائة ألف لكفانا . كنا خمس عشرة مائة . (والرَّكْوَة إناء صغير من جلد يُشرب فيه) ـــ وجهش الناس أى (فزع الناس نحو النبى ﷺ وهو يتوضأ .) ومن معجزات النبى ﷺ أن تكلم مولود فى المهد بين يديه شاهداً له بالرسالة .

١٩ـ المعجزة التاسعة عشر [كلام من فى المهد مع النبى ﷺ] : ـ

فقد روى الإمام البيهقى عن سيدنا مُعَيقيب اليمانى أنه قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله ﷺ ورأيت منه عجباً جاءه رجلٌ من اليمامة بغلام يوم وُلِدَ فقال رسول الله ﷺ : يا غلام من أنا ؟ فقال : أنت رسول الله . قال : صدقت بارك الله فيك . ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شبَّ فكُنا نُسميه مُباركَ اليمامة (أى أن الغلام حين شبَّ لم يتكلم لأنه يعيش مع مشاهدة الحقيقة فى الملك والملكوت فحجبه الله عن الكلام ويتبرَّك به وبرؤيتهِ ببركة دعاء النبى ﷺ له (بارك الله فيك) ومن معجزات سيد المرسلين ﷺ إعادة البصر إلى من فقده .

٢٠ـ المعجزة العشرين [ردّ العين إلى مكانها وإعادة البصر بيد النبى ﷺ] : ـ

فقد روى أنه يوم غزوة أُحُد أُصيب سيدنا قتادة بن النُعمان فى عينهِ حتى وقعت عينُ قَتَادةَ على وجنته فأُتى به إلى النبى ﷺ فقال قتادة : يا رسول الله إن لى إمرأةً أُحِبُّها وأخشى إن رأتنى تقذرنى فأخذها رسول

الله ﷻ بيده وردَّها إلى موضعها وقال : اللهم اكسُهُ جمالاً فكانت أحسن عينيه وأحدَّهُما نظراً وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى . وروى البخارى فى صحيحه أنه فى غزوة خيبر قال النبى ﷺ : أين علىٌّ بن أبى طالب فقالوا : يا رسول الله إنه يشتكى عينيه . قال النبى : فأرسلوا إليه فأُتِىَ به . فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ . قال علىٌّ : ودعا لى رسول الله ﷺ فقال : اللهم أذهِبْ عنهُ الحرَّ والقرَّ فما اشتكيتهما حتى يومى هذا (أى طوال حياته) . وروى البخارى فى صحيحه : أن سيدنا سَلَمَة ﷺ أُصيب يوم خيبر بضربةٍ فى ساقه فنفث فيها رسول الله ﷺ ثلاث نفثات فما اشتكاها قطُّ . ونفث ﷺ فى عينيى سيدنا قُدَيْك ﷺ وكانتا مُبيضَّتين لا يبصر بهما شيئاً وكان قد وقع على بيض حيةٍ ؛ فكان يُدخِلُ الخيط فى الإبرة وإنه لابْنُ ثمانين سنة وإن عينيه لمُبيضَّتان . ومعجزات النبى ﷺ لا حصر لها ولكنَّا قدَّمنا بين أيديكم على قدرِ ضعفِنا وتوفيق الله لنا . وفى هذا القدر كفاية . أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وكل عام وأنتم بخيرٍ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثالثة

وموضوعها

جمال الذات المحمدية خَلْقاً وخُلُقاً

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الاثنين

١١ من ربيع أول عام ١٤١١ هـ

الموافق أول أكتوبر عام ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله اختار نبيَّهُ محمداً ﷺ من شجرة الأنبياء ، ومِشْكاة الضِّياء وذُؤابَة العَلْياء ، وسُرَّة البَطْحاء . نبىُ الرحمة ، وإمامُ الأئمة ، وسراجُ الأُمَّة المُنْتَخَب من طينة الكَرَم وسُلالة المجد الأقدم ، ومَغْرَس الفَخَار المُعْرِق ، وفرع العلاء المُثْمِر المُورِق صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته مصابيحَ الظُلَم ، وعِصَم الأُمم ، ومَنارُ الدين الواضحة ، ومَثَاقيلُ الفَضْل الرَّاجحة صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاءً لِفَضْلِهم ومُكَافأةً لعَمَلِهم ، وكِفَاءاً لطيب فَرْعِهم وأصْلِهم ما أنَارَ فَجْرٌ سَاطِعٌ ، وخَوَى نَجْمٌ طَالِعٌ فَهم آلُ محمد ﷺ هُمْ عَيشُ العلم ، وموتُ الجَهل يُخْبِرُكمْ حِلمُهمْ عِلْمُهُمْ ، وصمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ ، لا يُخَالِفُونَ الحقَّ ولا يختلفونَ فيه ، هم دعائمُ الإسلام ، وولائِجُ الاعْتِصَام . بهم عاد الحقُ فى نِصابِه ، وانْزَاحَ البَاطلُ عن مُقامِه ، وانْقَطَعَ لسانهُ عن منبَتِه . عَقَلوا الدين عَقلَ وعايةٍ ورعايةٍ لا عقلَ سماعٍ وروايةٍ . فإنَّ رُواةَ العلمِ كثيرٌ ورُعاتُهُ قليلٌ . فصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاتُهُ عليك سيدى يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك ومن اهتدى بهديك واستن بسُنَّتك واقتفى أثرك إلى يوم الدين .

أما بعد

فنحن فى هذه الليلة المباركة . ليلة هى صاحبة الفضل على كل الليالى . بل على كل الزمان بأهله من مُلك وملكوت ؛ إذ وُلد فيها سيد الوجود ﷺ فمولد سيد الوجود كان مولد النور التام الكامل الشامل للمُلك والملكوت ، وكان مولده الرحمة المُهداة من الله الرحمن الرحيم إلى العالمين فقد

قال سبحانه وتعالى فى مُحكم التنزيل وهو أصدق القائلين " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ويقول النبى الكريم ﷺ : " إنما أنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ " ، ويقول العارف بالله سيدى أحمد أبو العباس المرسى ﷺ (الأنبياء لأُممهم عَطِيَّة ونبينا لنا هَدِيَةً ، والعطية للمحتاجين ، والهدية للمحبوبين) أى فإن الحق ﷻ جعل الأمة المحبوبة هى أمة محمد ﷺ إذ أرسل فيها حبيبهُ ومُصطفاهُ ﷺ ، ونحن فى هذا الجمع العظيم اجتمعنا قلوباً وأرواحاً وأشباحاً على حُب سيد المرسلين فى ذكرى ليلة مولده العطرة ، ونبدأ الحديث بمُناجاة سيد المرسلين من حقائق كلام الله .

مناجاة

سيدى يا رسول الله .

يا سيِّدَ الوجودِ طُورُكَ ليلةَ أسْرَى (رفْرفُ النورِ) والوادى المقدس لك (قاب قَوْسَيْنِ) البلبل الذى يُرَجِّعُ لك شهىَّ اللُّحُونِ (فأوحَى إلى عبده ما أوحى) مطلوبُ موسى قد سُجِّلَ لك به سِجِل (ما زاغ البصر وما طغى) أنت آخر حزبٍ كُتِبَ فى ديوان الأنبياءِ أنت أخر سطر رُقِّمَ فى منشور (تلك الرسُل فضلنا) . زُفت عروسُكَ فى مَجْلَى الأفق الأعلى فكان من بعض خلَعِها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قد صِيغَ لِمفْرِقِ جبين الوجودِ من شَرَفِكَ تاجٌ لم يُصْنَعْ له مِثْلُهُ الأنبياء كلهم ما قدروا على عِزِّ ليلةِ (أسرى بعبده) ولا وجدوا نَسَمَةً من نسمات روضِ (فكان قاب قوسين) . ولا قِيل لأحدٍ منهم كِفاحاً (السلام عليك أيها النبى) .

تأخر الكل عند (أو أدنى) ، وتقدم صاحب (دنا فتدلى) . وجُلِّيتْ عليه عرائسُ الأكوانِ فى خلَعٍ (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .ما تَلَفَّتَ إليها بعينِ الاشتغالِ بل تأدب بأدبِ (لا تَمُدَّنَّ عينيكَ) . هذا الوادى المقدسِ ــ فأين موسى ؟ * هذا روح القدس ــ فأين عيسى ؟ * هذا مغتسل باردٌ وشرابٌ ــ فأين أيوب ؟ * فصلوات الله وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته عليك يا سيد الوجود وحديثنا معكم نسأل الله أن يمدنا بمدده ويوفقنا بتوفيقه ليكون الحديث عن جمال الذات المحمدية خَلقاً وخُلقاً . ونحن إذا تعرضنا للحديث عن الذات المحمدية وجمال الذات المحمدية خَلقاً وخُلقاً . فإنه لا يوجد فى الوجود أحدٌ من الخلق يستطيع أن يتعرض لوصف الذات المحمدية ويكون مُنصفاً ليفى لها حقها لِضَعفهِ عن إدراك مقام العلم والمعرفة بها على حقيقة ما يُرادُ ؛ فإنه لا يعلم قدر الذات المحمدية إلا خالقها سبحانه جل شأنه ولكنا نتحدث على قدر ضعفنا وعطائنا من المحبة .

جمال الذات المحمدية خَلْقاً : ـ

فالذات المحمدية هى أجمل الذوات ، وأكملها وأفضلها وأنورها وأطهرها وصورتهُ صلى الله عليه وسلم أجمل الصور وأحلاها وأزكاها كمالاً خَلْقاً و خُلُقاً صلى الله عليه وسلم ؛ لذلك زين الله باسمه كلمة التوحيد ويقول الإمام البوصيرى ﷺ فى هذا المعنى :

فهو الذى تَمَّ معناهُ وصورتهُ ... ثم اصطفاهُ حبيباً بارئُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عن شريكٍ فى محاسنهِ ... فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فيه غيرُ مُنْقَسِمِ

(أى أن كمال الخلق والخُلق فى تمام المحاسن كلها كان لرسول الله ﷺ ، ويقول الإمام القرطبى ﷺ : إنه لم يظهر لنا تمام حُسنهِ صلى الله عليه وسلم لأنه لو ظهر لنا تمام حُسنهِ لما أطاقت أعيننا رؤيتهِ صلى الله عليه وسلم . وقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن البَرَاء ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خُلُقاً . وما أحسن ما قاله شاعر النبى ﷺ الصحابى الجليل حسَّان بن ثابت ﷺ :

خُلِقتَ مُبَرَّءاً من كل عَيبٍ *** كأنك قد خُلقت كما تشاءُ

فأعظمُ منك لم ترَ قَطُّ عينى *** وأفضلُ منك لم تلِدُ النساءُ

وروى عن سيدنا جابر بن سَمُرَةَ ﷺ أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ فى ليلةٍ إضحيانٍ (أى مقمرة) وعليه حُلَّةٌ حمراءَ فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فَلَهُوَ فى عينى أحسنُ من القمر صلى الله عليه وسلم . (سيدنا جابر ﷺ يبين لنا فى هذا الحديث أنه عقد مقارنة بين نور وجه رسول الله ﷺ وبين القمر ليلة البدر والمقارنة تكون بين اثنين لنرى ونُشاهد ونحكم مَنِ الأحسن من الآخر فى الاثنين فكان ينظر إلى وجه رسول الله ﷺ تارةً مُدققاً ليتحقق ثم ينتقل بالنظر للتدقيق تارةً أخرى إلى القمر وهو فى ليلة البدر ثم يُحَكِّمُ القياس ليرى من فيهما نُورهُ أحسن من الآخر فيقول : [فرأيت أن نور وجه رسول الله ﷺ أحسن من نور القمر] . وهذه مِنَّةٌ امْتَنَّ الله بها على أحباب رسول الله ﷺ أن كل من عشق رسول الله ﷺ على قدر عشقهِ ينال مَطلبهُ من مُشاهدةِ الكمال المحمدى (ونحن إذا سمعنا هذا وعلمناه علم اليقين ووقفنا عند هذا العلم لنُدقق نحن ونُحقق فلا نقول إلا قول الحق والصواب أن نور القمر

نورُ حِسٍّ للمبانى (أى لحركة الكائنات الحسِّية) أما نور سيد المرسلين فهو نور المعنى للمعانى ، والمبانى من المعانى ليست إلا أوانى أى أن نسبة العطاء والنور والقدْرِ للمبانى وهى آيات الكون الظاهرة الحسية كلها من المعنى الخفىَّ أن المبانى أوانى يُصَبُّ النور فيها من عظيم المعانى على قدر حدَّها وطاقتها فإنها محدودة فأين هذا من ذاك ؟ ولذلك الحق سبحانه وتعالى حين يتجلَّى بوصف حبيبه ومصطفاه فى القرآن وصف حق ليبين حقيقة النبى خَلقاً وخُلقاً فيقول سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ فهذا هو الوصف الحقيقى لسيد المرسلين من الله رب العالمين ، والسراج معلوم أنه الشمس ، والمنير هو القمر . كما قال سبحانه فى سورة الفُرقان ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ أى أن السراج وهو الشمس يُعطى الحيوية لكل الكائنات والموجودات فى الملك فى الأرض وما بين الأرض والسماء لكل متطلبات حياتهم الحسية والحركية فى الوجود ومن بينها النور يأخذه القمر قبساً من السراج على قدر طاقته وعلى قدر حاجة الخَلْق إليه كما قال الحق سبحانه ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ أى أن الشمس وهى السراج تُرسل من بين عطاياها للوجود بإذن الله فيها من حرارة وضياء وأشعة ونور وغير ذلك من أسرار الله فيها لحياة الكائنات . تُرسل جُزءاً من الأشعة البنفسجية فى وقت الضحى خاصَّ للقمر فيقتبسه القمر لأن القمر كما وصفه أهل العلم الحديث بأن

الله خلقهُ من الحجر الفسفورى مُجهزٌ لاقتباس الأشعة البنفسجية من الشمس ، ويأخذ القمر كل يوم فى الضحى شُحنته على قدر حملهِ وطاقتهِ فإذا جاء الليل يتلوها نوراً حتى يفتقدها ومعنى التلاوة النقل أى ينقلُها إلى الناس نوراً بالليل . ثم يحتاج بعد فقدها بأن يقتبس قبساً آخر فى الضُّحى من اليوم التالى وهذا ما نسميه (الشحن اليومى) إذن نشاهد من ذلك أن القمر فى حاجة إلى الشمس كل يوم لأن مَددَ عطائه من النور للناس منها وعلى سُنَّةٍ ثابتهٍ كل يوم ، وكذلك الشمس وهى السراج لابد وأن يكون العطاء فيها من الله ومنها كل يوم للقمر ويكون القمر من الشمس فى المقابلة (أى المواجهة) كالمرآة ولذلك قال الحق سبحانه ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ لذلك يصف الله حبيبه ونبيه صلى الله عليه وسلم بالسراج المنير أى الذى يُعطى لأهل المعانى حيويتهم وحظهم من النور المعنوى فى حياة المعنى لكل أقمار المعانى كل يأخذ قبساً من النور المحمدى على قدر طاقته وهُم الأنبياء والأولياء . وكما قال الإمام البوصيرى ﷺ :

وكُلهم من رسول الله مُلتمسٌ *** غَرْفاً من البحر أو رشفاً من الدِّيَم

أى أن أهل الكمال فى الوجود يقتبسون كمالهم ومحامدهم وأنوارهم وأسرارهم من السراج المنير أى السراج المُمِدُّ . وكما قال الإمام البوصيرى فى بُردةِ المديح :

وكُل آىٍ أَتَى الرُّسْلِ الكرامُ بها *** فإنما اتصلت من نُوره بهم

ﷺ ولذلك سادتنا الصحابة الذين شرَّفَهُم الحظ بصحبةِ ومجالسة سيدنا

رسول الله ﷺ وشربوا شراب العلم مُشافهة من رسول الله وتربَّوْا على يديه انتقل فيهم النور المحمدى فقد قال فيهم الحبيب المصطفى ﷺ (أصحابى كالنجوم بأيِّهمُ اقتديتم اهتديتم) فالنجوم وظيفتها كما قال سبحانه ﴿ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ أى صحابة النبى الكرام هم مصابيح الهُدى فهم السبب الذى جعله الله لينتقل به النور إلينا فكل منهم أخذ من رسول الله حظهُ من عطاء النبوة والرسالة على قدر طاقتهِ واستعداده للبلاغ فأى كلمة تسمعونها من صحابى أو عنه فخذوها على أنها منِّى وعنِّى لأنهم تعلموا وتربوْا وتأدبوا بأدب النبوة وإذا كان النور المحمدى قد انتقل فيهم إذن فكل من يراهم ويشاهدهم ويجالسهم ويتربى على أيديهم ينتقل فيه النور المحمدى وكذلك من تربى على أيدى الصحابة ينتقل فيه النور المحمدى ؛ ولذلك قال سيدنا رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف (خيرُ القُرُونِ قرنى ثم الذين يلونُهُم ثم الذين يلونُهُم) أى قرن الصحابة ثم قرن التابعين ثم قرن تابعى التابعين .

عطاء الصحابة من الفتح : ▪

وفى حديث آخر مبيناً عطاء الصحابة من الفتح المحمدى فيقول سيدنا رسول الله ﷺ (يغزُوا فِئَامٌ من الناس فيقال لهم : هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم فيُفتح لهم (وهذا هو القرن الأول) ثم يغزوا فئامٌ من الناس فيقال لهم هل فيكم من رأى من رأى رسول الله ﷺ فيقولون : نعم . فيُفتح لهم (وهذا هو القرن الثانى) ثم يغزوا فئام من الناس فيقال لهم : هل فيكم من رأى من رأى رسول الله ﷺ

فيقولون : نعم . قال : فيُفتح لهم . (وهذا هو القرن الثالث) وما زاد صلى الله عليه وسلم عن هذا [ومعنى من رأى رسول الله ، ومن رأى من رأى رسول الله ، ومن رأى من رأى من رأى رسول الله أى من رأى رسول الله وهم الصحابة ، ومن رأى الصحابة الذين رأوا رسول الله وهم التابعين ، ومن رأى التابعين الذين رأوا الصحابة الذين رأوا رسول الله ﷺ أى أن الصحابة ، والتابعين ، تابعى التابعين هم الذين وقع فيهم النور المحمدى بكماله وظلت أمانة الدين فيهم وفى قلوبهم وفى أيديهم كما سلمها رسول الله لصحابته بتمامها فقاموا برفع راية الإسلام وغزوا بها مشارق الأرض ومغاربها ففُتحت لهم البلاد وقلوب العباد وكان لهم حظاً من الفتح المبين الذى جعله الله لحبيبه محمداً ﷺ بقوله سبحانه ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ وذلك بوقع النور المحمدى فيهم وبصدقهم مع الله ورسوله فصدق فيهم وعدُ الله لهم بقوله سبحانه ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ وهؤلاء هم السُبَّق فى الأمة الذين قال فيهم الحق سبحانه ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ والثلة هم الكتلة والجماعة والكثرة وهم الصحابة والتابعين وتابعى التابعين والقليل أى الذين يلحقون بمقاماتهم فى القرون اللاحقة والأزمنة المتأخرة فيكون عددهم قليل فى

كل زمانٍ حظه منهم بعدد قليل وهؤلاء القِلَّةِ هم سادتنا الأولياء أولياء الله الذين نالوها وأخذوها بالصدق والإخلاص والمحبة والعشق والتفانى ﷺ ، وتقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها (كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ تبرُقُ أسارير وجهه كأنه قطعة قمر) . يعنى أن النبى ﷺ فى حال السرور والفرحة يبرق وجهه فمن يراه كأنه رأى القمر بتمام نوره .

كمال خَلْقِهِ صلى الله عليه وسلم : ▪

وفى كمال خَلقهِ صلى الله عليه وسلم فقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : أن رسول الله ﷺ كان يُرى بالليل فى الظُلمة كما يُرى بالنهار فى الضوء . وقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : (هل تَرَوْنَ قبلتى هاهُنا فوالله ما يخفى علىَّ ركوعكم ولا سجودكم إنى لأراكم من وراء ظهرى) . هذا الحديث يبين لنا أن رسول الله ﷺ مُتفق مبناه مع معناه أى أنه كامل الخَلق فى هيكله البشرى وما به من حواس وهذه تسمى المبنى فبصره الحِسِّىِّ فى المبنى ليس بمحدود كغيره من البشر ولكنه يرى بعين البصيرة من خلال نور المعنى الحقيقى الذى لا يثبت فى الكون ظُلمة ولا ظُلمات كما قال سبحانه ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وكما سبق فى الحديث أن النبى ﷺ هو السراج المنير الذى يُمد المعانى والمبانى بالأنوار والأسرار والمحامد إذن فأنوار المبانى من نوره ﷺ ؛ فهو صلى الله عليه وسلم تستنير برؤيته الظُلمات ، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم

لصحابته وهو فى صلاة العشاء والمسجد مُعْتِمٌ هل ترون قبلتى هاهُنا يعنى من أمامكم بالقطع تكون الإجابة : لا . فيقول النبى إذا كنتم قد عجزتم عن رؤية شئ أمام بصركم فاعلموا أنى لست مثلكم فى هذا الضعف فإنى أراكم جميعاً كلٌّ على حركته خلف ظهرى ودون أن ألتفت فانظروا إلى هذا الكمال الخَلقى وهذه القوة الحسية التى منحها الله سبحانه لرسوله وهذا إن دل فإنما يدل على أن حقيقة النبى ﷺ نور فى المبنى وفى المعنى ، وهذا الحديث مقصور على البصر فى المُلك أما هناك حديث آخر يبين أن النبى ﷺ كان يرى أهل السموات ويسمع تسبيحهم حقيقة دائمة بالمعايشة والتمكين فى كل مكان فى السماء .

سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم : ▪

فقد روى الترمذى عن أبى ذرٍ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (إنى أرى ما لا تَرَوْنَ وأسمع ما لا تسمعون أطَّتِ السماءُ وحق لها أن تئطُّ ليس فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَكٌ واضع جبهته ساجد لله تعالى) . ومعنى أطت السماء أى ارتفع صوتها ، ويحق لها أن يرتفع ويُسمِعُ الكون كله لماذا ؟ فيبين النبى ﷺ السبب فى ذلك أنه يراه أمامه فيقول ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد لله تعالى . فيحدد النبى أنه يرى كل مكان فى السماء رؤيا يقين بالتمكين بالقياس التحديدى إذن فالسماء على اتساعها العظيم وازدحامها هذا بالملائكة المسبحين بأصوات عالية لابد وأن يُسمع هذا الصوت لأهل الكائنات ولكن لا يسمعه إلا أهل التزكية والخصوصية والمقربين الذين كشف الله لهم عن سماع ورؤيا الحقائق .

لسانه الشريف صلى الله عليه وسلم : ـ

وقد تجلى الحق بتزكية وطهارة لسانه ﷺ فقال سبحانه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ .

نور وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم : ـ

فكما أن الذات المحمدية بتمامها الخلقى الشريف أجمل الذوات وأكملها وأفضلها وأطهرها كما ذكرنا من قبل فإن وجهه صلى الله عليه وسلم كان يعلوه نوراً يدركه أهل الأسباب إما بالحياء أو بالمكافحة أى باليقين كل حسب مقامه فى الحب والقرب لرسول الله ﷺ وقد ورد فى الخبر أن النبى ﷺ كان أملحُ من نبى الله يوسف عليه السلام إذ تُوجَت محاسن يوسف بتاج الجمال فعندما فوجئ برؤيته نسوة امرأة العزيز لم يَزِدْنَ فى الوصف له عن قولهن ﴿ مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ لأن الملائكة خلقهم الله من نور الجمال أمانبينا محمداً ﷺ توَّجهُ الله بتاج الجلال أى أن محاسنه ﷺ فى الجمال تصحبها هيبة جلالية (وقد روى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ على فراشه فى ليلة مُظلمة فسقط من يدها إبرة إلى الأرض فكشفت عن وجه رسول الله ﷺ فوجدتها بنور جَبينه فرفعتها) . فهذا نور واضح وجلىٌّ لأهل الأسباب .

الوصف الجامع لسيد الخلق : ـ

وهذا حديث جامع فى صفة حلية النبى الخلْقية واعتدالها رواه سيدنا هندُ بن أبى هالة ﷺ فيقول : (كان رسول الله ﷺ فَخماً مُفخماً . يتلألأ

وجهُهُ كالقمرِ ليلة البدر . أطول من المربوعِ . وأقصر من المُشَذَّب . عظيم الهامة . رَجْل الشَعْرِ . إن انفرَقتْ عقيقَتَهُ فرَقَ . وإلا فلا يجاوزُ شَعَرَهُ شَحْمَةَ أُذُنيه . إذ هو وفْرة . أزهرُ اللون . واسعُ الجَبين . أذجَّ الحواجب . سوابغ من غير قَرَنْ . بينهما عِرْقٌ . يُدِرُّهُ الغَضبْ . أقْنَى العِرنَينْ . له نورٌ يعلُوهُ . يحسَبُهُ من لم يتأملُهُ أشمْ . كَثُ اللحية . أدعجْ . سهلُ الخدَّين . ضليعُ الفَمْ . أشنبْ . مُفَلَّجَ الأسنان . دقيقُ المَسْرُبَة . كأن عُنَقهُ جيدُ دمْيَة فى صفاءِ الفضة . مُعتدل الخَلْق . بادناً . مُتماسكاً . سواء البطنِ والصدر . طويل الزِّنْدَيْن . رَحْبِ الراحة . شَثْنِ الكفَين والقدمين . سائل الأطراف . سَبْطِ الراحة . خُمْصانِ الأخْمَصَين . مسيحُ القدمين . يَنبو عنهُما الماء . إذا زالَ زالَ تَقَلُّعاً . يخطو تَكَفُّؤاً . ويمشى هَوْناً . ذَريعُ المشيَة . إذا مشى كأنما ينْحطُ من صَبب . وإذا التفتَ التَفَتَ جميعاً . خافضِ الطرْف . نَظَرُهُ إلى الأرض أطول من نَظَرِه إلى السماء . جُلُّ نَظَرِهِ المُلاحظة . يَسوقُ أصحابَهُ ، ويبدأُ منْ لَقيَهُ بالسلام . مُتواصلِ الأحزان . دائمُ الفكرة . ليست له راحة . ولا يتكلمُ فى غير حاجة . طويلُ السُكوتُ . يفتتحُ الكلام ويَخْتَتمهُ بأشْدَاقِه . ويتكلمُ بجوامعُ الكَلِمْ . فصلاً لا فُضولاً فيه ، ولا تقصير . دمْثاً . ليس بالجافى ، ولا بالمهيمن . يُعَظِّمُ النعمة ، ولايذِّمُ شيئاً . لم يكن يذمُ ذواقاً ولا يمتدحهُ ، ولا يقام لغضبِه إذا تَعَرَّضَ يلحقُ بشئ حتى ينتصر له . ولا يغضبُ لنفسه ، ولا ينتصرُ لها إذا أشار أشارَ بكَفِه كُلِهَا . وإذا تعجَّبَ قلَّبَها . وإذا تحَدَّث اتصل بها .

يضربُ بإبهامه اليُمنى راحة اليُسرى . وإذا غَضِبَ أعرضَ ، وإذا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَه . جُلُّ ضحكه التبَسُّمْ . ويَفْتُرُ عن مثل حبِّ الغَمام .)

(**فخماً مُفَخماً** "١") فخماً أنه جامع لكل معانى الكمال والجمال والخُلُق والقوة ، ومفخماً يعنى هذه الفخامة ليست من تَصنُّعِه ولا من صنع الأسباب ولكنها من بديع صنع الخالق فى حبيبه ومصطفاه ﷺ (**يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر** "٢") يعنى مَلِيحَ الوجه مستدير تراه فيه نورٌ يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر . (**أطولُ من المربوع وأقصر من المُشذَّب** "٣") فالمربوع هو الطول الوسط الذى يزيد على القصير ، والقصير المُتردِّد هو القصير الذى يحكم النظر فيه بقصره ثابت فى القياس ، والمشذب هو الطويل البائن فى نحافة جسمه فالنبى ﷺ كان ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالرَّبْعَة ولكنه كان بين الرَّبْعَة والطويل البائن . وكما وصفه سيدنا علىٌ ﷺ فقال : كان رسول الله ﷺ لا قصير ولا طويل وهو إلى الأطول أقرب . وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : (لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير المُتردِّد ، وكان ينسب إلى الرَّبْعَة إذا مشى وحده ولم يكن على حال يُماشيه أحد من الناس يُنسب إلى الطول إلا طالهُ صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطُولُهُما فإذا فارقاه نُسب صلى الله عليه وسلم إلى الرَّبْعَة) أى أنه صلى الله عليه وسلم إذا مشى بين رجلين طويلين يرفعه الله بالكمال فيكون طولهما فإذا افترقا منه تراه أطول من المربوع وأقصر من المشذب ، وكذلك إذا مشى ﷺ بين مربوعين يسترهُما فيكون طولهما لأنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أى أنه صلى الله عليه وسلم

كان له سُنَّةَ خَلقية وحده منحها له الخالق سبحانه وتعالى ليُظهر فيه كمال خلقه ﷺ . (**عظيم الهامة** "٤") الهامة : الرأس أى عظيم الرأس (**رَجْلَ الشعْرِ** "٥") إن تفرقت عقيقته فَرَق ، وإلا فلا يجاوز شعرُهُ شحمةَ أذنيه إذ هو وفْرَة ، ومعنى رَجْلَ الشَّعْر أى أن الشعر يكون طوله عند شحمة الأذنين ويسمى فى هذا (وَفْرَة) لأن فيه حالة أخرى تسمى الجُمَّة وهى بلوغ طول الشعر إلى المنكبين (الكتفين) وفيه حالة تسمى اللَّمَّة وهى بلوغ طول الشعر إلى أن يغطى المنكبين (الكتفين) أما وصْفُ شعر النبى كان يسمى وَفْرَةٌ أى لا يزيد عن شحمة أُذنيه صلى الله عليه وسلم . (**أزهَرَ اللون** "٦" ، **واسع الجبين** "٧"، **أزجَّ الحواجب** "٨" ، **سوابغُ من غير قَرَنٍ** "٩" **بينهما عِرْقٌ يُدِرُّه الغضب** "١٠") أزهر اللون يعنى أبيض اللون مليح الوجه بياضه يميل إلى السُّمْرَةِ لوضوح النور فى وجهه صلى الله عليه وسلم ، واسع الجبين أى واسع الجبهة ، أزج الحواجب أى مُقوَّس الحواجب ، سوابغ من غير قرن يعنى من يراهم يحكم بأنهما موصولين ببعضهما ولكنهما من غير وصل أى قَرَنِ فسيدنا هند يقول حين تحقق من وجه رسول الله رأى أن حاجبيه ﷺ غير مقرونين ورأى بينهما عرْقٌ يُظهره غضب النبى ﷺ إذا غضب ، وكانت غضبته صلى الله عليه وسلم لله لم يغضب رسول الله ﷺ يوماً لنفسه كان صبوراً مُحتمل الأذى يجزى بالسيئة الحسنة . (**أقنَى العِرْنَين** "١١") أى أقنى الأنف والقنى فى الأنف طوله ورِقةَ أرنبته مع حدَبٍ قليل فى وسطه . (**له نورٌ يعلوه يحسبه من لم يتأملُهُ أشمٌّ** "١٢") والأشم الطويل قصبة الأنف فالنبى ﷺ يعلو وجهه نورٌ من لم يتأمل فى وجهه يحسب أن

هذا النور ارتفاع فى قصبة أنفه صلى الله عليه وسلم . (**كَثُّ اللحية** "١٣") ثقيل الشعر فى اللحية (**أدعج** "١٤") أدعج العينين أسود الحدقة فى عينيه حمرة وواسع شق العين . (**سهل الخدَّين** "١٥") أى ليس فى الخدين ارتفاع وجنة . (**ضليع الفم** "١٦") أى واسع الفم ، والعرب تمدح الرجال بسعة الفم ، وتذم بصغر الفم . (**أشنب** "١٧") والشنب هو رونق الأسنان وبياضها وصفاء مائها أى اللمعة الواضحة بها . (**مُفَلَّجُ الأسنان**"١٨") أى متفرق الأسنان . (**دقيق المسربَة** "١٩") والمسربة هى خيط الشعر بين الصدر والسُرَّة كما روى الإمام البيهقى : له شعرات من لُبَّته إلى سُرَّته تجرى كالقضيب ليس على صدره وبطنه غيرها) . (**كأن عنقه جيدُ دميَةٍ فى صفاء الفضة** "٢٠" ، **معتدل الخلق** "٢١") أى واضح الحلية والكمال (**بادناً** "٢٢") أى قوى البدن فى استقامة كأن أعضاءه تمسك بعضها بعضاً . (**مُتماسكاً** "٢٣") قوى الأعضاء غير مُسترخٍ . (**سواء البطن والصدر** "٢٤"، **طويل الزندين** "٢٥" ، **رحبُ الراحة** "٢٦") أى رحب الكفين كفُ يده ليِّنة مع ضخامتها ولها بردٌ ورائحة زكية وقد روى فى صحيح البخارى عن أنس ﷺ قال : ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ . (**شثن الكفين والقدمين** "٢٧") أى غليظ أصابعهما . (**سائل الأطراف** "٢٨" **سَبْطُ الرَّاحة** "٢٩") أى أن كفَّهُ صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحماً غير أنها مع ضخامتها كانت ليِّنة . (**خُمصان الأخمُصين** "٣٠" **مسيح القدمين** "٣١") الأخمُص من القدم الموضع الذى لا يلصق بالأرض منها عند الوطء ، والخمصان البالغ منه ، ومسيح القدمين أى ملساوتان لينتان ليس فيهما

تكسُّر ولا شُقاق . وعن عبد الله بن بُرَيْدة قال : كان رسول الله ﷺ أحسن البشر قدماً . (**ينبو عنهما الماء** "٣٢") أى القدمين سطحهما ناعم كسطح الماء دون تشقق . (**إذا زال زال تقلُّعاً** "٣٣" **يخطو تكفؤاً** "٣٤" **ويمشى هَوْنَا** "٣٥") أى إذا تحرك للمشى تحرك يقلِّع إلى أعلى وقال الإمام بن القيم (التقلُّع : الإرتفاع من الأرض بجُملته كحال المُنْحطِّ من الصبب وهى مِشية أولوا العزم والهِّمة والشجاعة ، وهى أعدل المشيات وأروحها للأعضاء ، يخطو تكفؤاً والتكفؤ : الميل إلى سُنَنِ المشى ميلاً غير ملحوظ ، ويمشى هوناً : أى متواضعاً فقد مدح الله عباد الرحمن بقوله ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ، وقد وصف الله حبيبه ومصطفاه فى بعض الكتب السماوية بقوله : " لو يمر إلى جنب السراج لم يُطفئه من سكينته ولو يمشى على القصب الرعراع لم يُسمع من تحت قدميه صلى الله عليه وسلم . (**ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب** "٣٦" ، **وإذا التفت التفت جميعاً** "٣٧") أى سريع المشية إذا مشى يتحرك بجسمه كلِّه فالذى يراه يرى كأنما يهبط من مكان مُنحدر كأنما ينحطُّ من صَبب وإذا وطئ بقدمه الأرض وطئ بكلها وقد روى عن أبى هريرة ﷺ أنه قال : ما رأيت أحداً أسرع فى مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تُطوى له إنا لنُجهد أنفسنا وهو غير مُكترث وإذا ناداه أحد فيقف ويلتفت إليه بكُلِّيته وإذا التفت التفت جميعاً وهذا إن دل فإنما يدل على عظمة النبى ﷺ وتواضعه مع خلق الله غاية التواضع فهو سيد المتواضعين ﷺ وإذا وقف مع أحد يُحدثه لا يملُّ ولا يهمُّ بالانصراف إلا إذا انصرف مَن يحدثه . (**خافض الطرف** "٣٨" **نظره**

إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء "٣٩" جُـلُّ نَظَـرِهِ الملاحظـة "٤٠") خافض الطرف : أى لا يطيل بصرُه فى مَن يحدثه من شدَّة حيائه ﷺ وعِظم أدبه وتواضعه . نظرُه إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء أى يطيل النظر إلى الأرض ثم يصرف نظره أحياناً وقليلاً إلى السماء ثم يعيد النظر إلى الأرض ويطيل ولذلك قال بعض العارفين ﷺ : من كانت هذه نظرتُه من الناس فهو حَكِيمُ زمانه لأن الأرض بساط المُلك والسماء سقف المُلك وبساط الملكوت فالذى يطيل النظـر إلـى الأرض يـصحبه التفكر فى الملكوت الأعلى لأن السماء سقف مقابـل لـلأرض وبـساط لأسرار العظمة الملكوتية فبطول النظر إلى الأرض ومداومة التفكر تكون الأرض كالمرآة ينعكس عليها المقابل لها فينتقل بـالنظر والعقـل إلـى مشاهدة الملكوت بالرُّقى توهُّماً ثم تخيلاً ثم تصوراً ثم بعد ذلـك يكـون اليقين ومن ذلك نعلم أن من كان نظرُه إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء فهو كثير التفكر فى أهل الملكوت . جلُّ نظره الملاحظة : وهـى مُفاعلة من اللَّحظ وهو النظر بِشق العين الذى يلى الـصِّدغ . (**يـسوق أصحابه "٤١" ، ويبدأ من لَقِيَهُ بالسلام "٤٢"**) يـسوق أصـحابه أى إذا مشى مع صحابته يجعلهم أمامه ويمشى خلفهم وكان يقول ﷺ لـصحابته (خلُّوا ظهرى للملائكة) ويبدأ من لقيه بالسلام أى أنه ﷺ إذا لقيه أحـد يعنى قابله يبدأ النبى ﷺ بالسلام عليه وهذا إن دل فإنما يدل علـى أنـه صلوات الله وسلامه عليه أطهر الناس قلباً وأزكاهم نفساً وأسبقهم فـضلاً وأوسعهم حلماً لأن من بدأك بالسلام فله الفضل عليـك والنبـى ﷺ هـو صاحب لواء الفضل والعطاء على الناس جميعاً فقد قال سبحانه : ﴿ وَمَا

آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (**متواصل الأحـزان "٤٣" دائم الفكرة "٤٤" ليست له راحة "٤٥" ولا يتكلم فى غيـر حاجـة "٤٦" طويل السكوت "٤٧" يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه "٤٨" ويـتكلم بجوامع الكلم "٤٩" فصلاً لا فضولاً فيه ولا تقـصير " ٥٠"**) متواصـل الأحزان أى أنه صلى الله عليه وسلم لا ينتهى من حزن طوال حياته فى الدنيا لأن الله سبحانه أرسله إلى الناس كافة برسالة العلم بالله والإيمان به فقال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ أى أن أمر الرسالة له ثِقله وعظمته فى الأمانة فى التبليغ والعمل أى أنه صلى الله عليه وسلم يبلـغ الناس ويعلمهم ويباشر فيهم التربية وصِحَّة أداء الفعل ورفع راية دين الله ولذلك كان النبى ﷺ إذا انتهى من حزن مع طائفة من أهل الكفر فـآمنوا فيرى أن طائفة من أهل الكفر والمعاندة للرسالة أخرى قد أشعلت نـاراً للفتنة فيحزنه ذلك فلا يخرج من حزنه بل يواصل أحزانه وذلك من خلال رحمته بالناس جميعاً يريد أن ينقذهم من الضلال إلى الهدى ومن العذاب إلى النعيم وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـالَمِينَ ﴾ ويمدحه الله بهذه الشفقة والرحمة فى قوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ . دائم الفكـرة : أى أنـه صلى الله عليه وسلم قائم على خدمة الرسالة بصفة دائمة إذا انتهى مـن عمل يُدبِّر لما بعده لزيادة النجاح وحماية الرسالة لأن عمل الرسالة ليس له حد ولا نهاية . ليست له راحة : أى أنه صلى الله عليه وسلم ليس لـه حظ فى الراحة من العمل فى الدنيا كغيره من الناس لأن من عظيم ثِقـل

الرسالة عليه صلى الله عليه وسلم أن يُعلم أمة وأن يُرسى قواعد أمة قائمة بلواء أمانة العلم والعمل وإلى يوم القيامة فعليه أن يُعلم وهو المعلم ويربى وهو المُربِّى فى كل جوانب الحياة اجتماعياً وخُلقياً وسياسياً وعسكرياً فمن أين توجد له فرصة الراحة ؟ فإنه لو أحصينا ما هو مطلوب من رسول الله ﷺ بالقيام بأدائه من فعل وعمل لخدمة الرسالة لزاد ذلك عن عدد أنفاسه فى هذه الحياة فكيف وقد قام صلى الله عليه وسلم بأكثر من ذلك فقد قام ببناء صرح الأمة فى عشر سنوات بالمدينة بناءاً تاماً وكاملاً ورفع لواء المجد والعزة للأمة الإسلامية شهد بذلك الحق سبحانه فى يوم حجة الوداع لسيد المرسلين ﷺ نزل قول الله سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ . ولا يتكلم فى غير حاجة : أى أنه صلى الله عليه وسلم كانت كلمته دواء لداء فلا تخرج من فيه كلمة إلا وللناس حاجة إليها فى حياتهم كما أخبر عنه الحق ﷻ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ . طويل السكوت : أى أنه صلى الله عليه وسلم كثير التفكر والتفكر يحتاج إلى طول الصمت كما قال صلى الله عليه وسلم (أوصانى ربى أن يكون صمتى تفكراً) . وأنه يطيل السكوت لأن كلمته رفيعة القدر لاتكون إلا لحاجة سائل أو دواء عليل . يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه : أى بسعة فمه إذ أنه فى الوصف صلى الله عليه وسلم ضليع الفم يعنى واسع الفم والعرب تمدح الرجال بسعة الفم .

فصاحة لسانه صلى الله عليه وسلم : ـ

ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضولاً فيه ولا تقصير ومعنى جوامع الكلم أى أنه صلى الله عليه وسلم يوجز حديثه فى كلمات مفردة بموجز بديع وجامع لكثير من المعانى من قضايا الناس لو فسر العلماء منه حديثاً لامتلأت بكتابته المجلدات من الكتب وأفاض بكل ما هو مطلوب دون زيادة أو نقص . فصلاً : يعنى تاماً ودقيقاً فى صحته لا فضولاً فيه : يعنى لا زيادة عن ما هو مطلوب ، ولا تقصير : يعنى أنه مع إيجازه فى الحديث لم يُقصِّر ويترك جانباً من جوانب قضية من القضايا ولو اجتمع عليه أهل النقد جميعاً لينالوا منه فلم يجدوا إلا التسليم تحت لوائه ليزدادوا علماً وأدباً . ولذلك قال الإمام ابن الأثير رضي الله عنه : إنه مما عُدَّ من وجوه بلاغته صلى الله عليه وسلم أنه جمع متفرقات الشرائع وقواعد الإسلام فى أربعة أحاديث وهى :

١) حديث [**إنما الأعمال بالنيات**] رواه البخارى ومسلم .

٢) حديث [**الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن**] رواه مسلم .

٣) حديث [**البينة على المدَّعى واليمين على من أنكر**] رواه البخارى ومسلم .

٤) حديث [**لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**] رواه البخارى ومسلم .

فالحديث الأول يشتمل على ربع ــ العبادات ــ : أى ربع أعمال الدين ، والحديث الثانى يشتمل على ربع ــ المعاملات .

والحديث الثالث يشتمل على ربع ــ الحكومات وفصل الخصومات ــ : يعنى الحكم والقضاء .

والحديث الرابع يشتمل على ربع ــ الآداب والمناصفات ويدخل تحته التحذير من الجنايات .

ومن ذلك يتبين لنا وللناس جميعاً أن رسول الله ﷺ أفصح خلق الله وأعذبهم كلاماً ، وفى ذلك تقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : (ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثاً لو عدَّه العاد لأحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثاً لتُفهم عنه ، وكان يقول أنا أفصح العرب وإن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ﷺ . يعنى أن النبى ﷺ كان يُحدث الناس على أدنى طاقة للعقل فى الفهم حتى أن حديثه لو أراد أحدٌ أن يُحصيه عدداً لاستطاع ومع ذلك يُعيد الكلمة ثلاث مرات حتى يُفهم عنه الحديث لأنه صلى الله عليه وسلم يعلمهم علماً ليس مع أحد غيره فمن الأمانة والرحمة أن يطمئن على أن كُلاً قد أخذ العلم ليعمل به ويؤدى عبادته لله صحيحة وروى أن سيدنا عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله . ما لك أفصحنا ولم تخرُج من بين أظهُرنا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : كانت لُغة إسماعيل قد دُرست فجاءنى بها جبريل فحفَّظنيها) أى أن سيدنا عمر يتعجب قائلاً للنبى ﷺ ما لك أفصحنا ولم نراك تركتنا وسافرت لطلب العلم بعيداً عنا يوماً . فيقول النبى ﷺ : كانت لغة إسماعيل قد درست يعنى غابت بدخول اللغة العامية عليها من الناس فجاءنى جبريل فحفَّظنيها كما كانت) ، وروى عن سيدنا علىٍّ ﷺ قال : قلنا يا نبى الله نحن بنوا أب واحد ونشأنا فى بلد واحدٍ وإنك تُكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره . فقال صلى الله عليه وسلم : إن الله ﷻ أدبنى فأحسن تأديبى ، ونشأت فى بنى سعد بن بكر . يعنى أن سيدنا علىٍّ يقول

للنبى ﷺ نحن وُلدنا ونشأنا سوياً فى بلد بلغة واحدة ونرى معك من العلم ما لم نفهمه . فيقول النبى ﷺ أدبنى ربى : أى علمنى ربى فأحسن تأديبى) . (**دَمْثاً "٥١" ليس بالجافى "٥٢" ولا بالمهيمن "٥٣" يُعظم النعمة "٥٤" ولا يذم شيئاً "٥٥" لم يكن يذم ذواقاً ولا يمتدحه "٥٦" ولا يُقام لغضبه إذا تعرض يلحق بشئ حتى يُنتصر له "٥٧" ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها "٥٨"**) ليس بالجافى (الجفاء) معناه البعد فالنبى ﷺ كان لا يجافى أحداً ولا يبتعد عنه لأنه طبيب يعالج عِلل الناس جميعاً من خلال رحمة وحب وقرب إليهم ، ولا بالمهيمن أى لا يشعر من يصاحبه بأنه صاحب أمرٍ أو سيادة عليه أو فضل حتى لا يتكلف فى صحبته ما لا يطيق حتى أن من يصاحب رسول الله ﷺ كان يرى أن أقرب محبوب إلى قلبه هو رسول الله بل يراه أقرب إلى نفسه من نفسه (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ولذلك يقول سيدنا أنس ﷺ خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فلم يقل فى شئ فعلته لما فعلت ، ولم يقل فى شئ لم أفعله لما لا تفعل . يعظم النعمة : يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يستحقر نعمة لصِغرها وقليلها ولكنه كان يستقبل كل نعمة باستقبال عظمة المُنعم وهو الله سبحانه . ولا يذم شيئاً : أى لا يقول فى شئ أنه قبيح فيُشينهُ . لم يكن يذم ذواقاً ولا يمتدحه : يعنى إذا ذاق طعاماً أو شراباً لا يقول حلواً ولا مراً . فإن هذا هو حال النفس الكاملة جعلت أن كل شئ حلوه ومره من صنع الله فيها ولله فى ذلك الحكمة ، والحكمة هى الخير والنفع للعبد فمن قال هذا حلوٌ وهذا غير ذلك فقد نازع الله وكان النبى ﷺ لا يغضب لنفسه أبداً كانت غضبتهُ لله ، ولا ينتصر لنفسه

إذا تمكن من عدوه وكفانا مشهد يوم فتح مكة مكنه الله من الذين آذوه إيذاءاً شديداً هو صحابته وأخرجوه من وطنه فلما مكنه الله منهم وقف فى سيادة وعزة المنتصر المتمكن من رِقاب أعداءه جميعاً ثم يُذكِّرهم بقبيح ما صنعوه به صلى الله عليه وسلم بكلمة واحدة يا أهل مكة ما تظنون أنى فاعلٌ بكم ، فيتذكرون ما صنعوه وما هم به الآن فيشهدون شهادة الحق لرسول الله بأنه أهلٌ للعفو والصفح من خلال علمهم ومعرفتهم لرسول الله فيقولون أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريم فيقول ﷺ لا أقول لكم إلا كما قال أخى يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) . **(إذا أشار أشار بكفه كلها "٥٩" وإذا تعجب قلَّبها "٦٠" وإذا تحدث اتصل بها "٦١" يضرب بإبهامه اليمنى راحة اليسرى "٦٢" ، وإذا غضب أعرض "٦٣" ، وإذا فرح غض طرفهُ * جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبسُّمُ "٦٤" ، ويفترٌ عن مثل حبِّ الغمام "٦٥"** هذا حديث ابن أبى هالة الذى وصف فيه سيد المرسلين بخمسٍ وستين صفة . صلى الله عليه وسلم . **وروى عن مُقاتل بن حيَّان ﷺ قال : (أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول إنى خلقتك من غير فحلٍ فجعلتك آية للعالمين فإياى فاعبد ، وعلىَّ فتوكل فسر لأهل سُوران إنى أنا الله الحى القيوم لا أزول صدِّقوا النبى الأمى صاحب الجمل ، والمِدرَعة ، والعِمامة ، والنعلين ، والهِراوة . الجعد الرأس ، الصَّلت الجبين ، المقرون الحاجبين ، الأهدب الأشفار ، الأدعج العينين ، الأنجل العينين ، الأقنى الأنف ، الواضح الخدَّين ، الكث اللحية ، عَرَقُهُ فى وجهه كاللؤلؤ ، وريحُ المسك ينفح منه كأن عنُقه إبريق فضة) . هذا الحديث القدسى**

وصف الله فيه حبيبه محمداً ﷺ بصورته ومركبته وملبسه صلى الله عليه وسلم وجمالُ عَرَقِهِ فى خُصوصيتهِ ورائحتهِ الزكية فيقول الله سبحانه فى ملبسهِ صلى الله عليه وسلم (صاحب الجمل ، والمدرعة ، والعمامة ، والنعلين ، والهراوة) قال بعض الصالحين إن الله ﷻ إذا وصف حبيبه بمثل هذا من صُحبة مركبٍ يركبه وشئ من ملبس يلبسه فهذه أشياء لها قدرها مع الرسول فى الرسالة فلا تُفارقه لحظة ولا يُغيرها رسول الله لأنها ثابتة عند أهل العلم بالكتب السابقة ويخص بالذكر النعلين فقد كان النبى ﷺ يلبس نعلين متواضعين برسم وشكل ثابت لا تغيير فيه ولا تبديل ، وما دام الحق قد وصفه فى الكتب السماوية بالنعلين فلا يؤذن له صلى الله عليه وسلم بخلع النعلين أبداً ، ولذلك لم يُؤذن له من قِبَلِ الله بخلع النعلين فى ليلة معراجه إلى السموات العلا لأن أهل الملكوت عندهم العلم بأوصافه كاملة بما فيها النعلين فأى عظمة هذه يُرفع قدر النعلين فى الذكر لصُحبتهما لسيد الخلق ﷺ ولذلك كان يقول سيدنا أبو بكر القرطُبى ﷺ :

على رأس هذا الكون نعلُ محمدٍ عَلَتْ ... فجميع الخلق تحت ظلاله

لدى الطورِ موسى نُودىَ اخلع وأحمدٌ ... على النور لم يؤذن بخلع نِعالهِ

وسادتنا الصالحين ﷺ من صدقهم فى محبة رسول الله ﷺ وعشقهم جمال سيد المرسلين قالوا إن ذكر العِمامة فى وصف الله لحبيبه ﷺ تاجٌ لرسول الله ﷺ ، وذكر النعلين تاجٌ لأحباب وعشاق رسول الله لأنه الكمال المطلق فكل ما بصُحبتهِ كمالٌ . فكل ما فيه وما بصُحبته محبوب ومعشوق وحاز السيادة على أهل المحبة ولذلك كان يقول سيدنا أبى بكر

القرطبى ﷺ :

وَنَعْلٍ خَضَعْنا هَيبةً لِبَهائِها ... وَإنا مَتَى نَخْضَع لَهَا أَبَداً نَعْلُ
فَضَعْهَا على أَعْلَى المَفارِقِ إنَّها ... حَقِيقَتُهَا تَاجٌ وصُورَتُها نَعْلُ
بأَخْمَصِ خير الخلق حَازَتْ مَزِيَّةً ... لَى التَّاجِ حتَى بَاهَتِ المفْرِقَ الرِّجْلُ
طَرِيقُ الهُدَى عنْهَا استنارت لمُبْصِرٍ ... وإنَّ بِحَارَ الجُوْدِ مِنْ فَيْضِهَا حُلُّوا
سَلَونَا ولكنْ عَنْ سِوَاهَا وإنَمَا ... نَهِيمُ بِمَعْنَاهَا الغَرِيبِ ومَا نَسْلُوا
شِفَاءُ لِذِى سُقْمٍ رَجَاءٌ لبائسٍ ... حَمِيمٌ ولا مَالٌ كَرِيمٌ ولا نَسْلُ
فَمَا شَاقَنَا مُذْ رَاقَنَا رسْمُ عِزِّهَا ... أَمَانٌ لِذِى خَوفٍ كَذَا يُحْسَبُ الفَضْلُ

وبعض الصالحين كان يرسم مثال نعل المصطفى ﷺ كما ورد فى الكتب المنقولة ويتبرك بها وهو سيدنا أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد وكان شيخاً صالحاً قال : حذوتُ هذا المثال لبعض الطلبة فجاءنى يوماً فقال لى رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجباً أصاب زوجتى وجعٌ شديدٌ كاد يُهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم أرنى بركة صاحب هذا النعل فشفاها الله للحين ، وكان رضى الله عنه يقول فى خدمته لمثال النعل :

إنِّي خَدَمْتُ مِثَالَ نَعْلِ المُصْطَفَى ... لأَفُوزَ فى الدَّارَيْنِ تحت ظِلالِهَا
سَعِدَ ابنُ مسعُودٍ بِخِدْمَةِ نَعْلِهِ ... وأنَا السَّعِيدُ بِخِدْمَتِى لِمِثَالِهَا

طيب ريحه وعرقه صلى الله عليه وسلم : ■

وبعد أن يصف الله حبيبه فى هذا الحديث يصفُ عرَقَهُ فيقول سبحانه : (عرقُهُ فى وجهه كاللؤلؤ ، وريح المسك ينفحُ منه كأن عُنقَهُ إبريق فضة) وتقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : (كان

رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم لوناً لم يصفهُ واصفٌ قطٌّ إلا شبَّه وجهه بالقمر ليلة البدر . وكان عرقه فى وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر وفى رواية عن سيدنا أنس ﷺ يقول فيها : (دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا (يعنى فى وقت القيلولة من الظُهر فنام عندنا) فعرق وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلتُ العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال : يا أُم سليم ما هذا الذى تصنعيه ؟ قالت : هذا عرَقُكَ نجعله فى طيبنا وهو أطيبُ الطيب . رواه مسلم (وأم سليم كانت محرماً للنبى من الرضاع) وروى الطبرانى أن رجلاً من الصحابة استعان برسول الله ﷺ على تجهيز ابنته فلم يكن عنده ﷺ شئٌ فاستدعى بقارورةٍ فسلت له فيها من عرَقِهِ وقال مُرها فلتتطيب به فكانت إذا تطيبت به شمَّ أهلُ المدينة ذلك الطيبُ فسُمُّوا بيت المُطيبين ثم ننتقل إلى الحديث عن خُلقه صلى الله عليه وسلم .

جمال الذات المحمدية خُلُقاً : ■

فيما أكرم الله حبيبهُ محمداً ﷺ من الأخلاق الزكية كان صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم كما أحسنت خَلقى فحسِّن خُلُقى ، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت) . ولمَّا اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يُحيط به حدٌّ ولا يحصرُهُ عدٌّ أثنى الله ﷻ عليه فى كتابه الكريم فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وحُسن الخُلق مَلكةٌ نفسانية يسهلُ على المُتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة ، وإنما كان خُلقه صلى الله عليه وسلم عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه فقد قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله تعالى بعثنى بتمام مكارم الأخلاق

وكمال محاسن الأفعال) ، وسُئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت كان خُلُقُهُ القرآن وكما أن معانى القرآن لا تتناهى كذلك أوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة الدالة على خُلُقه العظيم لا تتناهى إذ فى كل حالة من أحواله ﷺ يتجدد له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيَّم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمُه إلا الله تعالى فإذاً التعرُّض لحصر جزيئات أخلاقه الجميلة تعرُضٌ لما ليس من مقدور الإنسان ، وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولاً على الأخلاق الكريمة فى أصل خلقتِه الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفسٍ بل بجُودٍ إلهىٍّ ، ولهذا لم تزل تُشرق أنوار المعارف فى قلبه حتى وصل إلى الغاية العليا والمقام الأسنى ، وأصل هذه الخصال الحميدة كمال العقل . وقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال العقل فى الغاية القصوى التى لم يبلغها بشرٌ سواه . فقد روى عن سيدنا وهب بن مُنَبِّه ﷺ أنه قال : قرأت فى أحدٍ وسبعين كتاباً فوجدت فيها جميعها أن الله تعالى لم يُعطِ جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رملٍ من جميع رمال الدنيا وأن محمداً ﷺ أرجحُ الناس عقلاً وأفضلهم رأياً) . ومن تأمل حُسن تدبيره صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحش الشارد مع الطبع المُتنافر المُتباعد ، وكيف ساسهُم ؟ واحتمل جفاهم ؟ وصبر على أذاهم ؟ إلى أن انقادوا إليه ، واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه أهليهم وآبائهم وأبناءهم ، واختاروه على أنفسهم ، وهجروا فى رضاهُ أوطانهم وأحباءهم . وذلك من غير ممارسة سبقت

له ولا مُطالعةِ كُتُبٍ يتعلم منها سِيَرَ الماضين . تحقق أنه أعقل العالمين صلى الله عليه وسلم ، ولمَّا كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول لا جَرَمَ اتسعت أخلاقُ نفسهِ الكريمة اتساعاً لا يضيق عن شئ . فمن ذلك اتساع خُلقه العظيم صلى الله عليه وسلم فى الحلم والعفو مع القدرة ، وصبره عليه الصلاة والسلام على ما يكره ، وحسبنا صبرُهُ وعفوه صلى الله عليه وسلم عن الكافرين به المقاتلين له المحاربين له فى أشد ما نالوه منه من الجراح والجهد بحيث كُسرت رَباعِيَّته وشُج وجهه يوم أُحُد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على أصحابه شديداً ، وقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم . فقال صلى الله عليه وسلم : (إنى لم أُبعث لَعَّاناً ولكن بُعثتُ داعياً ورحمة اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف : (ما جُمع شئ إلى شئ أحسنُ من حلمٍ إلى علمٍ) . وصبره وعفوه وحلمُه صلى الله عليه وسلم كان فيما يتعلق بنفسه الشريفة أمَّا غضبه فكان فيما يتعلق بأمر الله والاعتداء على حدود الله سبحانه .

وفى حلمه صلى الله عليه وسلم : ■

فقد روى الإمام الحاكم فى سنده عن زيد بن سَعْنَةَ وهو أجلُّ أحبار اليهود الذين أسلموا أنه قال : لم يبق من علامات النبوة شئ إلا وقد عرَفته فى وجه محمدٍ ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه (يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً) فكنت أتلطفُ له لأن أخالطُه فأعرف حلمهُ وجهله فابتعتُ منه تمراً إلى أجل فأعطيته الثمن فلمَّا كان قبل محلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذتُ

بمجامع قميصهُ وردائه ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظٍ ثم قلت ألا تقضينى يا محمد حقى فوالله إنكم يا بنى عبد المطلب مُطْلٌ فقال عُمرٌ أىْ عدوَّ الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوْتهُ لضربتُ بسيفى رأسك ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدةٍ وتبسُّمٍ ثم قال أنا وهو كُنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرنى بحُسن الأداء وتأمره بحُسن التقاضى . إذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رُعته ففعل . فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما فقد اختبرتهما أشهدك أنى قد رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً . هذا فى حلمه وتواضعه صلى الله عليه وسلم فخُلُقُ النبى ﷺ كان الكفاية لخدمة الدعوة إلى الله عز وجل ، وسادتنا الصالحين ﷺ من صدق محبتهم وعشقهم لسيدنا رسول الله ﷺ نظروا إلى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها حين سُئلت عن خُلقه عليه الصلاة والسلام فقالت : كان خُلقه القرآن . فقالوا : إذن بين رسول الله ﷺ والقرآن صلةٌ أزلية ورباطٌ بين أسماء سور القرآن وأحداثه ورسول الله ﷺ رباطُ سرٍّ فى المعنى كما بين فاتحة الكتاب وأسرار الكتاب فالرسول ﷺ فاتحة الوجود الجامع لسر معانى الوجود فيقول سيدنا العارف بالله سيدى عبد الغنى النابلسى ﷺ عن مولد النبى ﷺ : (كان صلى الله عليه وسلم فاتحةُ الوجودَ وبقرةُ آلَ عمرانَ شربتْ من وِردهِ المورودِ وبررةُ النساءِ امتدتْ لمن بنورهِ مائدةُ الشهودِ ، وطَافتْ به أَنعامُ الأعرافِ ذوُ الأنفالِ ونجا بالتوبة يونس وهود ويوسف من رعد شَدائدهمِ الثِقَالِ ، وسَعِدَ به

إبراهيم فى بُنيان الحِجر ، وحصُلَ به وحىُ النحلِ ، وإسراء الكمال ليلاً فى كهف غِرِّه بلا حِجر ، وحملت به مريم لأنه طه الأنبياء وحجِّ المؤمنين ، والنور والفرقان بالشعراء الكاملين ، والنملُ آمن بالقصص لديه ، وعشعش العنكبوت فى الغار عليه ، وأذْعَنَتْ له الروم بأنه لقمان الحكمة وسجدة الأحزاب وسبا بمحبته القلوب فهو فاطر الألباب ، ياسين الصافات من الملائكة ، وصاد الزمر من الطائفة المباركة ، وسرٌّ غافر الذنب الغفور الذى فصلت به الأمور ، وشورى بين الأشراف ، وزخرف دخان النفس الجاثية عنده بالأحقاف محمدٌ صاحبُ الفتح والحجرات من التجليات العرفانية ، وقاف الذاريات من طور النفوس الإنسانية نجم الأفلاك وقمرُ الأملاك ، والمستمدِّ من نور الرحمن الذى به واقعة الحديد فى المجادلة ، وحشر الممتحنة فى الصف للجمعة مع المنافقين فى تغابن المُقَاتَلَةِ ، ومنه طلاق التحريم فى الملك ونون الحاقة الإحسانية ، ومعارج نوح والجن والسالكين فى المقامات الإيمانية المزمل والمدثر زين القيامة وفخر الإنسان ، وذو الأخلاق المرسلات لأهل النبأ والعرفان والنازعات من الأوصاف الكبار لمن عبس من التكوير والإنفطار ، القاطع للمطففين بانشقاق البروج ، والطارق حضرة الأعلى بغاشية الفجر فى البلد المَوْلُوجِ ، ضياء الشمس ونور الليل والضحى المُنزَّلُ عليه ألم نشرح حيث شرح الله صدره للرسالة شرحاً افتخر التين والعلق بقدْرِه بل كل البرية ، وزلزلت العاديات بقارعة التكاثر فى عصر هُمزة النفس الأَبِيَّةِ ، ووُلد صلى الله عليه وسلم عام الفيل ؛ فابتهجت قريش بالماعون من كوثر السلسبيل وارتفع على الكافرين بالنصر على أبى

لهب ، وكمُل له الإخلاص والفلق الواضح فهدى الناس حتى كُلٌّ من ربه اقترب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وفى هذا القدر كفاية ، أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله ﷺ . وكل عام وأنتم بخير ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الرابعة

وموضوعها

المقام المحمدى روحاً ومعنى فى الملك والملكوت

أُلقيت فى الساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الجمعة

١١ من ربيع أول عام ١٤١٢ هـ

الموافق ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين انْفَرَدَ بالوَحْدَانِيَّةِ والأَحَدِيَّةِ والفَرْدِيَّــةِ والــصَّمَدِيَّةِ فهو سُبْحَانهُ وتعالى الواحدِ الأحدِ الفردُ الصمدُ كما أخبرَ سُــبحَانهُ عــن ذاتهِ العَلِيَّةِ بقوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ وكما أخبر سيدُ الوجودِ فى حديثهِ الشريف بقوله : (إن الله فردٌ يحب الفرد ، وإن الله وترٌ يحب الــوتْر ، وإن الله جميلٌ يحب الجمال) وتجلى سبحانه وتعالى علــى حبيبــهِ ومــصطفاهُ مُحمداً ﷺ فمنحهُ إشارةَ الفَرْدِيَّةِ فى خَلْقِهِ فاكْتَــستْ بأنوارهَــا الحقيقــةَ الأحمديةِ فهو بها (صلى الله عليه وسلم) أحمدْ وامتنَّ سبحانه وتعالى عليه فمنحة إشارة الوِتْرِيَّةِ فى خَلْقِهِ فاكْتَسَتْ بأسْرَارِ أنوارِهَا الحقيقــةَ المُحَمَّدِيَةِ فهو (صلى الله عليه وسلم) مُحَمَد . وسرَّ الذَّاتَ المُحمَّديَّــةَ بإشَارةِ الجمالِ والكمالِ المُطْلَقِ فى الوجودِ فاسْتَظَلَّ كلُّ مقامٍ بظلالِ مقامِ سيدِ الوجودِ ؛ فهو (صلى الله عليه وسلم) خيرِ البريَّةِ طفْلاً ، وأنجبَهَا كَهْلاً ، أطْهَرَ المُطَهَّرِينَ شيمَةً ، وأجْودَ المُسْتطْرَدِينَ ديمَةً ، طَبيبٌ دوَّارٌ بطِبِّهِ قد أحكم مَرَاهِمَهُ ، واحْمَى مَواسِمَهُ يَضَعُ ذَلكَ حيثُ الحَاجَةِ إليه من قلوبٍ عُمْيٍ ، وآذانٍ صُمٍّ ، وألسنةٍ بُكْمٍ ، مُتَّبِعٌ بدوائِهِ مَواضِــعَ الغَفْلَــةِ ومَوَاطِنَ الحيرَةِ أرسلهُ الله بالضِّيَاءِ ، وقدَّمهُ فى الاصطفاءِ فرتَــقَ بــه المَفاتِقَ ، وسَاوَرَ به المُغالبَ ، وذَلَّلَ به الصُعُوبَةَ ، وسَهَّلَ به الحُزُونَةَ ، حتى سرَّحَ الضَلالَ عن يمينٍ وشمالٍ . رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيبٌ ولا مُتشهِّدٌ ولا صاحبُ صلاة إلا يُنادى بها (أشــهد أن لا

إله إلا الله ، وأن محمداً رســول الله) رفــع الله ذكــره فــى الأولــين والآخرين ، ونوَّهَ به حين أخذ الميثاقَ على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أممهُم بالإيمان به بقوله سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَــاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَــا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . ثم شهَرَ الله ذكره فى أمته فلا يُذكر الله إلا وذُكر معه ... فصلوات الله وسلامه ورحمتــه وبركاته عليك سيدى يا رسول الله وعلى آلك مصابيح الهدى وأصحابك أعلام العصمة من الجهل والرَّدَى ومن اهتدى بهديك واقتفى أثرك واتبع سُنَنك ونهج نهجك ومنوالك إلى يوم الدين .

أما بعد

فنحن فى هذا الجمع العظيم وفى هذه الليلة المباركة ذكرى مولد ســيد المرسلين صلى الله عليه وسلم امتَّنَ الله علينا إذ جمعنا قلوباً وأرواحــاً على حُب سيد المرسلين فهذا شرفٌ عظيم نفخر به بــين أهــل الملــك والملكوت فنحمد الله على هذه المنَّة وعلى هذا الفضل وهــذا العطــاء فمحبة سيد الوجود وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ هى حيــاةُ القلــوب وغذاء الأرواح ، وقد جعلها الله فريضة على المؤمنين ليكتمل إيمــانهم فلا اكتمال لإيمانٍ عند مؤمنٍ إلا بإعلانه محبته لرسول الله ﷺ .

محبة رسول الله فريضة على المؤمنين : ▪

فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ **فلا تأسِّى إلا بإيمان ، ولا إيمان إلا بمحبة ، ولا محبة إلا باتباع ، ولا اتباع إلا بصدق فقد مدح الله رجالاً فى قرآنه بقوله** ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ **رضى الله عنهم ومنحنا الهدى كما منحهم ، ومحبة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هى قوام سُنتِهِ الشريفة وهدْيِهِ القويم ، وبها يكمُل إيمان المؤمن . فقد روى الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) إذن محبة الرسول تكون فوق كل محبة ، وقد روى الإمام البخارى فى صحيحه عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال للنبى ﷺ : (لأنت يا رسول الله أحبُ إلىَّ من كل شئ إلا نفسى التى بين جنبَىَّ . فقال النبى ﷺ : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه . فقال سيدنا عمر : والذى أنزل عليك الكتاب لأنت أحبُ إلىَّ من نفسى التى بين جنبىَّ . فقال النبى ﷺ : الآن يا عمر .) . ومن ذلك نعلم أنه لا إيمان يكتمل عند مؤمن إلا وأن يُقدم محبة رسول الله ﷺ على محبة نفسه لأن النفس تبقى مع المحب لنهاية تجريده من المال والولد والوالد والدنيا فالنبى ﷺ يقول لعُمر وأضف إلى كل شئ تجردت من محبته من أجلى أضف إليه نفسك لا تُبقيها لك . فعندما سمع عمر من النبى ﷺ ذلك كان أمراً تشريعياً كافياً عند سيدنا عمر ﷺ فسمع وأطاع وأعلن طاعته بتجريده من محبة نفسه وتمكين**

أمر رسول الله ﷺ من قلبه بالامتثال والمحبة لأن كل حب للقلب أن يختار فيه إلا حبٌ رسول الله ﷺ فليس للقلب فيه اختيار لأنه أمر تكليف تشريعى من الخالق ﷻ . إذن لابد وأن يُحبه القلب حُب امتثال وطاعة لأن النبى ﷺ هو المبلغ عن الله فلابد وأن تسبق محبةُ النبى ﷺ إلى القلوب بأمر من الله وتثبت فى المؤمن بإعلان يُعلنه ليكون مُجهزاً لتصديق رسول الله ﷺ فى بلاغه عن الله فيسمع من النبى ﷺ ويطيع ولذلك نُشاهد جمال الطاعة فى سيدنا عمر ﷺ حين أعلن محبته لرسول الله عن نفسه صادقاً ويرى النبى ﷺ صدق عمر فيقول له الآن كمُل إيمانك يا عمر إذن فلا يكمُل إيمان المؤمن إلا بإعلانه محبته لرسول الله ﷺ ولا يكون إعلانٌ إلا بصدق الاتباع وحُسن الخُلق وحُسن السِّيرة . وقال سيدنا علىٌّ بن أبى طالب كرم الله وجهه وﷺ : (كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا من الماء البارد على الظمأ) . يبين سيدنا علىَّ حال محبتهم لرسول الله أنه كان فوق كل شئ وأشد وأعظم من حال الظمآن الذى يتلهف على الماء البارد الذى يردُّ ظمأه ، والظمأ : هو انتهاء كل مدد للماء ذاتياً أى من مخزون الجسم ، ومن وسائل الأسباب حتى يجعل الظمآن فى حالة يختار الموت على الحياة ، وأحب شئ إليه جرعة ماء بارد لأن الماء البارد ساعة أن يدخل فى جسم الظمآن يبعث فيه الحياة ويُنعشه . فسيدنا علىٌّ كرم الله وجهه وﷺ يقول : كان حالنا فى محبة رسول الله ﷺ أعظم من ذلك . وقال الإمام البَغوىٌ فى تفسيره : نزل قول الله تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًـا * ذَلِـكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا ﴾ . نزلت هذه الآية فى ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فأتاه ذات يومٍ وقد تغير لونُه يُعرف الحزن فى وجهه . فقال رسول الله ﷺ : ما غيَّر لونُك ؟ فقال ثوبان : يا رسول الله ما بى مرضٌ ولا وجعٌ غير أنى إذا لم أرك استوحشتُ وحشةً شديدةً حتى ألقاك . ثم ذكرتُ الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك تُرفع مع النبيين ، وإنى إن دخلتُ الجنة فى منزلة أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً) فنزلت هذه الآية . وفى هذا الحديث يبين لنا أن حال سيدنا ثوبان أنه كان يأتنس برؤية رسول الله ﷺ ولا يصبر على بُعاده عن رسول الله فكان يُهيمن عليه الاستيحاش الشديد ، ومعنى (الاستيحاش) : هو فقدان كل أنسٍ ويحلُّ محلَّه الخوف والحزن كقول المُتحابَّين إذا التَقَيَا يقول كُلاً منهما للآخر : (وحشتنى) أى أن بُعادكَ عنى يُذهبُ عنى كُل أُنس ويحلُ مَحَلَّهُ الاستيحاش أى الخوف والحُزن فسيدنا ثوبان ﷺ يبين أن حاله فى حُب رسول الله ﷺ هو الائتناسُ برؤيته ، ثم ينتقل بالتفكير فى حالهِ فى الآخرة إذا دخل الجنة بعدل الله سبحانه فسيكون فى مقامه بين مقامات المؤمنين ، والنبى فى مقامه مع النبيين ؛ فبذلك لا يرى النبى وهو فى الجنة ، ويخاف أن لا يدخل الجنة فلا يراه أبداً . فينزل قول الحق يبشر ثوبان وأهل المحبة لرسول الله جميعاً بأن من يصدق فى محبة الله ورسوله فيرفعه الله بفضله مع رسول الله ، والفضلُ : مزيد من العطاء فوق العدل) ، ويكون من خلال علم الله وحده بحال

وقلب المُحب ، وكفى بالله عليماً فهذا الحال من الحُب يُسمى مقام الائتناس برؤية المحبوب ، وهناك مقام فى الحب أرقى من ذلك ويُسمى مقام التنعُّم بالنعمة برؤية المحبوب وهو ما نشاهده فى هذا الصحابى الجليل سيدنا عبد الله بن زيد صاحب رؤيا الأذان التى سبق بها سيدنا عمر فقد روى أن سيدنا عبد الله بن زيد كان يعمل فى جنة (بُستان) فأتاه ابنه وأخبره أن النبى ﷺ قد تُوفىِّ فقال : اللهم أذهب بصرى حتى لا أرى بعد حبيبى محمداً أحداً ؛ فكُف بصرهُ) ، وهذا مشهد عظيم فى الحب يبين فيه المحب وهو سيدنا عبد الله بأن نعمة البصر كانت محبوبة ومعشوقة عنده لأنه بها يرى المحبوب وهو رسول الله ﷺ وبذلك كانت تُعدُ عنده نعمة ؛ فإذا لم ير بها المحبوب بعد ذلك فستكون عليه نِقْمة لأنه بعد ذلك إن ظلت معه سيغلقُها حتى لا تنصرف إلى رؤية شئ بعد رسول الله ، وإن انصرفت سهواً إلى رؤية شئ يبكى حزناً حتى تبيض عيناه كما حدث لنبى الله يعقوب عليه السلام وابيضت عيناه من الحزن ويخشى إن حدث ذلك يكون كُفراناً بنعمة الله ومعصيةً لله ورسوله ؛ فيعجل بالدعاء (اللهم أذهب بصرى حتى لا أرى بعد حبيبى محمداً أحداً) ؛ فيستجيب الله دعاءه وقتئذٍ فى الحال فكُف بصرهُ ﷺ ، واستجابة الله لدعوة سيدنا عبد الله من باب الفضل فوق مقام العدل لأن الله سبحانه حين تجلَّى على أهل الصدق فى الجنة فرفعهم إلى مقام المعية مع النبيين قال : ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا ﴾ أى علم الله بصدقهم رفعهم بفضله الذى هو فوق مقام عدله ، وهنا عند سيدنا عبد الله نقول : إن علم الله بصدق سيدنا عبد الله فى القول

والحب والحال وما سيكون له من انفعالات الحزن شوقاً إلى رؤية سيدنا رسول الله ﷺ ؛ استجاب الله وعجَّل له مطلبه من باب الفضل الذى هو فوق مقام العدل فى العطاء لأن مقام العدل بين الله وخلقه أن لا يُعجِّل لهم استجابة دعوة الشر والضر رحمة من الله بهم وبعلمه بضعف إدراكهم ساعة الدعاء لتأثير الاستجابة عليهم أما عند دعوة سيدنا عبد الله فكان علم الله بقوة إدراك سيدنا عبد الله لعظمة ما يطلب وصدقه حالاً ومقالاً عجَّل له الاستجابة تحت ظل العطاء فى هذه الآية ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا ﴾ إذن فلا حياة للقلب إلا بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ولا عيش إلا عيش المحبين الذين قرَّت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم إليه واطمأنت قلوبهم به واستأنسوا بقُربه وتنعموا بمحبته ففى القلب طاقة لا يسُدُّها إلا محبة الله ورسوله ، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات . جعلنا الله من أهل المحبة فأهل المحبة يشهدون كل شئ من المحبوب أنه نعيم حتى ولو كان بلاءٌ كما قال سلطان العاشقين ابن الفارض رضى الله عنه :

تلذُ لىَّ الآلامُ إذ أنت مُسْقِمِى *** وإن تمتحنِّى فهى عندى صنائعُ

ونحن فى هذه الليلة المباركة ليلة مولد سيد الوجود نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا بتوفيقه وأن يمدنا بمدده ، وأن يشرح صدورنا بإلهاماته ليكون حديثنا معكم عن (المقام المحمدى روحاً ومعنىً فى المُلك والملكوت) .

المقام المحمدى روحاً ومعنىً فى المُلك والملكوت : ـ

نحن إذا تعرضنا للحديث عن مقام سيد الوجود فلا نستطيع أن نفى بذرة من عالم ملكوت وصفه لضعفنا فى الإدراك لأسمى مقام فى الوجود . فمقام سيد الوجود لا يدركه من أهل الوجود موجود فلا يعلم مقامه (صلى الله عليه وسلم) إلا خالق الوجود وهو الله ﷻ ؛ فهو الذى مدحه فى قرآنه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وقد سُئل الإمام علىٌّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه قال له رجل : يا إمام صف لى مقام رسول الله ﷺ . فقال سيدنا علىٌّ للرجل : إنى أسألك سؤالاً إن أجبتنى عليه أجبتك على سؤالك . فقال الرجل : سلْ . فقال الإمام علىٌّ : صف لى الدنيا وما فيها من متاع . فتعجب الرجل قائلاً : كيف أستطيع أن أصف لك الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ وأنا لا أعلم إلا القليل فى بيتى ومن حولى ؟ والدنيا واسعة لا يستطيع أحدٌ أن يسيح فى أرجاءها داراً وقرية ومدينة ودولة ليُحصى متاعها من خلق الله أبداً . فقال له الإمام علىٌّ : يا هذا قد عجزت أن تصف لى الدُّنيا وقد قال الله فى شأنها " قل متاع الدُّنيا قليل " فقد عجزت عن وصف شئ قال الله فيه إنه قليل . فكيف تطلب منى أن أصف لك مقام النبى ﷺ وقد قال الله فيه " وإنك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ " فإن كنت قد عجزت عن إجابة سُؤالى فإنى عن إجابة سؤالك اعجز فلا يعلم قدر النبى ﷺ إلا ربهُ فمقام سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مقامٌ فردىٌّ وترىٌّ والكل يشهد ذلك فى شهادة التوحيد علماً ومعرفة فلا يكون المسلم مُسلماً إلا بإعلانه شهادة التوحيد (أشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله) مقام فردى وترى واضح وجلِّىٌّ .

وقد قال الإمام البوصيرى ﷺ فى مقام سيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم) :

محمدٌ سَيِّدُ الكونَيْنِ والثَّقَلَيْنِ ... والفَريقَينَ من عُرْبٍ ومن عَجَمِ
نبيُّنَا الآمرُ النَّاهى فلا أحدٌ ... أبَرَّ فى قولٍ لا منهُ ولا نَعَمِ
هو الحبيبُ الذى تُرجى شفاعته ... لكل هولٍ من الأهوال مُقتَحِمِ
دعا إلى الله فالمُستَمْسِكُونَ به ... مُستمْسِكونَ بحبلٍ غَيرَ مُنفَصِمِ
فاق النبيين فى خلقٍ وفى خُلُقٍ ... ولم يُدانوهُ فى علمٍ ولا كرَمِ
وكلهمُ من رسول الله مُلتمسٌ ... غَرفاً من البحر أو رَشْفاً من الدِّيَمِ
وواقفون لديه عند حدِّهمِ ... من نُقطة العلم أو من شكلَة الحِكَمِ
فهو الذى تمَّ معناهُ وصورتُهُ ... ثمَّ اصطفاهُ حبيباً بارئُ النَّسَمِ
مُنَزَّهٌ عن شريكٍ فى محاسنه ... فجوهرُ الحُسنِ فيه غيرُ مُنقَسِمِ

السراج المنير : ■

قد وصف الله حبيبه محمداً ﷺ بالوصف الحقيقى وصف مقام كامل منه مدد الكمال لأهل الوجود وكان هذا الوصف فى كل الكتب السماوية وفى القرآن الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ فقد رُوى أن سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لمَّا قرأ فى التوراة ذكر الحبيب مع الوصف وسراجاً منيراً . قال : يا رب لم سمَّيت حبيبك بالسراج المنير . فقال الحق تبارك وتعالى : يا موسى بن عمران إذهب فأوقد لك سراجاً ، وأمر الإسرئيلين أن يوقدوا سُرُجهم من سراجك . ففعل كُلهم ، وذهب

سيدنا موسى لمناجاة ربه قائلاً : يا رب فعلتُ ما أمرتنى به ولم أُدرك شيئاً من مسألتى . فقال له جلَّ وعلا : يا موسى لمَّا أسرجَ الإسرائيلين سُرُجهُمْ من سراجك هل نقص من نور سراجك شئ ؟ قال : لا يا رب . فقال الله تعالى : فلذلك سميتُ حبيبى بالسراج المنير (صلى الله عليه وسلم) معنى ذلك أنه (صلى الله عليه وسلم) هو الكمال المطلق الذى يقتبس منه كل أهل الكمال محَامِدَهُم وأسرارهم وأنوارهم وهو السراج المنير لحياة المعنى والروح كما أن الشمس فى الوجود هى السراج لحياة المبنى أى الكائنات الصورية كالإنسان والحيوان والطير والنبات والبحار وغير ذلك من مخلوقات الله عز وجل فكيف إذن والمبنى هى هيكل المعنى إذن فالحبيب ﷺ سر الله فى المبانى والمعانى جملة أى فى المُلك والملكوت . ولذلك الحق سبحانه وتعالى حين يصف جمال الرسول وجمال الرسالة وجمال المنهج وجمال خدمة النبى ﷺ للرسالة يصفها على أنها حقائق نورانية كلها أرادها الله ليخرج بها الناس من الظلمات التى صُنعت من هَوى أنفسهم إلى النور الذى صُنع من هوى الحق سُبحانه . فيقول سبحانه : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ فالنور فى هذه الآية هو رسول الله ﷺ ، ويقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ فالنور فى هذه الآية هو القرآن الكريم ، ويقول سبحانه : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ فالنور فى هذه الآية هو الإسلام دين الله ورسالة رسول الله ، ويقول سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن

يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ أى يريدون أن يعطلوا حركة النبى فى خدمة الرسالة بالمحاربة ولكن الله يؤيد رسوله بالنصر ليُتم نعمته ويكْمُلُ دينه بالتشريع ورفع الراية إذن فالرسول نُورٌ ، والقرآن نُور ، والإسلام نُور ، وجهادُ النبى وصحابته نُورٌ ؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم اقتبسوا من النور المحمدى بصدقهم .

المقام المحمدى ومعراجه فوق المقامات : ■

معجزة المعراج أراد الحق سبحانه وتعالى بها أن يُطلع الكائنات جميعاً من أهل المُلك وأهل الملكوت على مقام حبيبه ومصطفاه محمداً ﷺ فلم تكُن معجزة المعراج إلا إعلان من الله لخلقه من أهل المُلك والملكوت ليُشهدهم مقام سيد الوجود صلى الله عليه وسلم إذ يدعوه الله ﷻ برسالة أمين الوحى جبريل عليه السلام . فيعرُج النبى ﷺ من فوق البسيطة وهى كوكب الأرض الذى جهزهُ الله للبشرية بروحه وجسده ويخترق سُنن نظام الكون اختراق رُقىٍّ ومعراج ويمُرَّ على الكواكب العلوية التى تعلو كوكب الأرض فيما بين الأرض والسماء وهى كلها كواكب عظيمة فيها كواكب من شُهب نارية وبها مخلوقات عظيمة ووجود هذه الكواكب العظيمة لحماية الكوكب الضعيف الذى هو أدنى وهى الأرض يمُرُّ عليها سيد المرسلين بذاته الخلقيه روحاً وجسداً بإرادة الله وقدرته حتى يرتقى إلى السماء ثم يعرج من سماء إلى سماء ، ومعنى المعراج : أى أنه (صلى الله عليه وسلم) يرتقى إلى مقام فإذا وصل إليه يستوى معه

فإذا عرج فوقه يرتقى عليه حتى إذا انتهى إلى مقام عَلِىٍّ يكون كل مقام خفضهُ بمعراجه تحت لواء مقامه (صلى الله عليه وسلم) ، وسادتنا الصالحين ﷺ قالوا : إن معارج النبى ﷺ كانت عشرةُ معارج ، وكل معراج يضُم تحت لوائه جنساً كاملاً بأهل مقامه . فسبعةُ فى السموات يعنى كل سماء بمقامٍ بسكانها فسماءُ الدنيا مقام وكلما ارتقينا فى السموات تكون كل سماءٍ مقام أرقى حتى إلى السماء السابعة تكون المقامات سبع مقامات . فالمقامات التى عرج إليها رسول الله ﷺ وارتقى عليها سبعةٌ فى السموات ، والثامن إلى سدرة المنتهى ، والتاسع إلى المستوى الذى سمع فيه صريف الأقلام فى تصريف الأقدار ، والعاشر إلى العرش والرَّفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقى فهذا مقامٌ مشهودٌ فردىٌ وترىٌ ولذلك سيدنا عبد القادر الجيلانى ﷺ يصف هذا المقام فى الرُّقىّ فيقول : كان تاج شرفِ رسول الله ﷺ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ وعرضه ربُه على عيون سكان السموات ، وأشرق جبين جمال رسالته حين زيَّنهُ بغُرَّة ﴿ أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ وضوعفت الأنوار فى الملكوت الأعلى ليلة جلاء عرُوس أحمد ﷺ فانبهرت أحداق أشخاص النور من شعاع بهاء بهجته (صلى الله عليه وسلم) وغشيت أبصار الملائكة من لأْلاءِ نُوره (صلى الله عليه وسلم) . قيل لهم : يا سكان الصفيح الأعلى من القدس الأسنَى . اقتبسوا من ضياء المبعوث سراجاً منيراً فأنتم فى خَفَارَةِ إمام الأنبياء استترت الشمس السماوية لظهور الشمس الأرضية (صلى الله

عليه وسلم) واختفت الكواكب حياءً من طلوع نجم يثرب (صلى الله عليه وسلم) ، وانطفأت الشهب بتبلج شهاب مكة (صلى الله عليه وسلم) واندرجت الأنوار فى شعاع نور أحمد ﷺ وخرجت رهبان صوامع القدس الأشرف لتنظُر جمال صاحب :﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ (صلى الله عليه وسلم) وحين نتأمل فى معراجه (صلى الله عليه وسلم) نرى أنه يرتقى من سماء إلى سماء ويستقبله كرام كل سماء استقبال الزائر الكريم المقبل على الملك الجليل بدعوة فخار وتكريم إلى أن يصل إلى سدرة المنتهى وعندها ينتهى مقام جبريل عليه السلام ، وينتهى علم الدنيا والآخرة لأن بها مقام جبريل أمين الوحى الذى مكنه الله من سدرة المنتهى إلى الأرض إلى ما تحت الثرى تمكين علم وقوة وأمانة وسيادة حيث قال سبحانه ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ ويرى النبى الكريم سيدنا جبريل فى مقامه على كمال خلقه بتمام هيئته الخلقية الملائكية العظيمة ستمائةً جناح لو سُلَّط جناح منها على أهل الدنيا لملأ ما بين السماء والأرض والنبى ﷺ ثابت الجنان لأن الله منحهُ قوةً فوق ذلك لمقامٍ يرى فيه أعظم من كل عظيم يراه ، وفى هذا المقام يُودِّع جبريل النبى ليتقدم . فيقول النبى ﷺ أفى هذا المكان يترك الخليل خليله ؟ فقال جبريل : يا رسول الله أنت مُراد الله فلو تقدمت لاخترقت ، وأنا لو تقدمت لاحترقت . وما منا إلا وله مقام معلوم ويعرج النبى ﷺ فوق مقام جبريل عليه السلام ، وفى هذا يقول الإمام البوصيرى رضي الله عنه :

خفَضْتَ كُلَ مقامٍ بالإضافةِ إذ ... نُوديتَ بالرفعِ مثلَ المُفردِ العلمِ
كيْمَا تفوزَ بوَصْلٍ أىِّ مُسْتَترٍ ... عن العُيونِ وسرٍّ أىِّ مُكتَتَمِ
فحُزْتَ كل فَخَارٍ غيرِ مُشْتَرَكٍ ... وجُزْتَ كل مَقامٍ غيرِ مُزدحَمِ
وجَلَّ مِقْدَارُ ما وُلِّيتَ من رُتبٍ ... وعَزَّ إدْرَاكُ ما أُولِيْتَ من نِعَمِ

ويقول النبى ﷺ فى هذا المقام : (ثم زُجَّ بى فى النور زَجًّا فخرق بى سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يُشبه حجاباً ، وانقطع عنى حِسُّ كل ملك وإنسىٍّ فلقينى عند ذلك استيحاشٌ فأسمعنى الله صوت أبى بكر ، وبينما أنا أتفكر فى ذلك أقول هل سبقنى أبو بكر فإذا النداء من العلى الأعلى . اُدْنُ يا خير البرية اُدْنُ يا أحمد اُدْنُ يا محمد ليدْنُ الحبيب فأدنانى ربى حتى كُنت . كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ قال : فسألنى ربى فلم أستطع أن أُجيبه فوضع يدهُ بين كتفىَّ بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها بين ثديىَّ فأورثنى علم الأولين والآخرين وعلمنى عُلوماً شتى فعلمٌ أخذَ علىَّ كتمانه إذ عَلِمَ أنه لا يقدر على حمْلِه أحد غيرى ، وعلمٌ خيرنى فيه ، وعلمنى القرآن فكان جبريل عليه السلام يُذكرُنى به ، وعلمٌ أمرنى بتبليغه إلى العام والخاص من أمتى ، ولقد عاجلت جبريل عليه السلام فى آية نزل علىَّ بها فعاتبنى ربى وأنزل علىَّ ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ . ثم قلت : اللهم إنه لمَّا لحقنى استيحاشٌ سمعت منادياً ينادى بلغةٍ تشبه لُغة أبى بكر . فقال الله تعالى : يا محمد إن أخاك موسى كان أُنسهُ بالعصا فلما أردنا كلامهُ قلنا : ﴿ وَمَا تِلْكَ

بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة ، وكذلك أنت يا محمد لمَّا كان أُنسُك بصاحبك أبى بكر وإنك خُلقت أنت وهو من طينة واحدة ، وهو أنيسك فى الدنيا والآخرة خلقنا مَلكاً على صورته يناديك بلُغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يُراد منك . ثم قال الحبيب المصطفى ﷺ فَأَفْضى إلىَّ بأشياء لم يُؤذن لى أن أُحدِّثكُمُوها ثم جُعل نور بصرى فى فؤادى فنظرت إليه بفؤادى ، وهذا معنى قوله : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ فهذا مقامٌ علىٌّ جلىٌّ مشهودٌ للخلائق جمعاً اختص به سيد المرسلين وقد روى عن ابن أبى حاتم عن عكرمة رضى الله عنهما فى وصف المقام النورانى لسيد المرسلين بأنه فوق جميع المقامات النورانية بجمعها إذا جُمعت فيقول : (لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدَّواب والطير فى عين عبدٍ ثم كشف حجاباً واحداً من سبعين حجاباً دون الشمس لما استطاع أن ينظر إليها ، ونور الشمس جُزءٌ من سبعين جُزءاً من نور العرش ، ونور العرش جزء من سبعين جزء من نور الكرسىِّ ، ونور الكرسىِّ جزءٌ من سبعين جُزءاً من نُور السِّتْر فانظر ماذا أعطى الله حبيبه ومصطفاه محمداً ﷺ فى مقام المعراج فوق السر من النور وقت النظر إلى ربه حيث قال سبحانه : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ فهذا مقامٌ فردىٌ وترىٌ .

مقام عَلَمُ العُبُودية (العُبُودة) : ـ

وهناك مقام مشهود فى القرآن الكريم وهو أن الحق تبارك وتعالى إذا ذكر نبياً من أنبيائه بوصف العبودية يذكر اسم النبى مقروناً بالعبودية مثل ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾ ، وغير ذلك لماذا ؟ لأن مقام الرسالة يضم عدداً من الأنبياء والمرسلين والكُلُ يُدرج تحت ظلال مقام العبودية كُلاً بمقامه أما عند سيد المرسلين ﷺ فحين يذكره الحق سبحانه يذكره بمقام العبودية دون ذكر اسمه (صلى الله عليه وسلم) لأنه عَلَمُ العبودية مثل :

١) ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾
٢) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾
٣) ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾
٤) ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾

والعَلَمِيَّةُ لا تكون إلا لفردٍ واحدٍ وقد أعلنها له الحق سبحانه فى كلمة التوحيد إعلاناً بوضوحٍ تام (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) ، وبذلك يُصبح مقام العلمية فى العبودية لله مشهودٌ للخليقة جمعاً أنه مقام رسول الله ﷺ ... وبتوضيح مُفصَّل ودقيق هناك مقام يُسمى بالعبدية (ومقام العَبْدِيَّةِ) هذا لجميع مخلوقات الله فى السموات وفى الأرض لقوله سبحانه ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ، وهذا مقامُ يدخل فيه المؤمن والكافر لأن الجميع خلقٌ خلقهم الله فلله عليهم حق العبديه لجلاله . ومقامٌ يسمى (مقامُ العُبودية) فمقام العبودية هذا تحت ظلاله مقام العُبَّاد من أهل الطاعة والقرب إلى

الله جميعاً كُلاً بمقامه وقُربه إلى الله من أنبياء ومرسلين وصِدِّيقين وشُهداء وأولياء وجميع عباد الله المؤمنين . إذن فمقامات العُبَّاد تحت ظلِّ مقام العبودية كثيرةٌ وعديدةٌ بالترقى الإيمانى لأهل الخصوصية ومقاماتهم ، ولعامة المؤمنين مقاماتهم ، ومقامٌ يُسمى (مقام العُبُودة) فمقام العبودة لا يكون إلا لفردٍ واحد سبق كل العباد فى مقاماتهم فأصبح فريداً بذاته فى مقام وتكون له العَلَميَّةُ فى الذكر عند كل العُبَّاد وهذا ما أعلنه الحق ﷻ فى كلمة التوحيد فى الذكر اسماً ومقاماً لرسول الله ﷺ (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) وهذا معنى قوله (ورفعنا لك ذكرك) فهذا مقامٌ فردىٌّ وِترىٌّ وقد ذُكِرَ الله اسم حبيبه فى الكتب السماوية بأسماء تتعلقُ بها المحامد والعطايا وكل كتاب حظى باسمٍ فى الذكر دون الآخر فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (اسْمِى فى القرآن محمدٌ ، وفى الإنجيل أحمدٌ ، وفى التوراة أُحِيدُ وإنما سُمِّيتُ لأنى أُحيدُ عن أمتى نار جهنم) . كما جعل الله ذكر النبى ﷺ بمقام العُبودة مقروناً بأسمائه التصريفية فى جميع أجناس مخلوقاته وعباده كُلاً على حاله مع الاسم فيقول سيدنا كعب الأحبار رضي الله عنه : اسم النبى ﷺ عند أهل الجنة (عبدُ الكريم) ، وعند أهل النار (عبد الجبار) ، وعند أهل العرش (عبد الحميد) ، وعند سائر الملائكة (عبد المجيد) ، وعند الأنبياء (عبد الوهاب) ، وعند الشياطين (عبد القهار) ، عند الجن (عبد الرحيم) ، وفى الجبال (عبد الخالق) ، وفى البر (عبد القادر) ، وفى البحر (عبد المهيمن) ، وعند الحيتان (عبد القدوس) ، وعند الهوام (عبد الغياث) ، وعند الوحوش (عبد الرزاق) ، وعند

السباع (عبد السلام) ، وعند البهائم (عبد المؤمن) ، وعند الطيور (عبد الغفار) ، وعند الله (طه ويس) ، وعند المؤمنين (محمدٌ ﷺ) وكُنيتهُ أبو القاسم ؛ لأنه يقسمُ الجنة بين أهلها صلى الله عليه وسلم أى أن جميع المخلوقات على معرفة بمقام العُبُودة الرفيع لسيد الكائنات ﷺ وتذكره مع اسم الله المصرَّف فى حالها وشئونها ، وأجلُّ من ذلك قدراً أن الحق ﷻ يذكره بأسماء اصطفاها لذاته العليَّة فى ذكر حبيبه ومصطفاه يذكره بـ طه ، يس ، ولذلك أقسم الله بها فى القرآن مُبيناً عظمة القرآن ، وتأكيد رسالته وتوضيح ثباته على صراط الله المستقيم بقوله سبحانه ﴿ طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى* لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ، واسمه عند المؤمنين فى شهادة التوحيد وإعلان الإيمان ودخول الإسلام محمدٌ مقروناً باسم الجلالة (أشهد أن لا إله إلا الله * وأن محمداً رسول الله) ﷺ فهذا مقامٌ فردىٌّ وِترىٌّ ...

مقام القيامة شهيدٌ وشفيعٌ : ■

يقول الحق ﷻ فى قرآنه الكريم ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا ﴾ أى أنه إذا كان يوم القيامة وحُشر الناس جميعاً الأولين والآخرين ليوم العرض على الله للحساب والجزاء والفصل بين الحياة الدنيا والآخرة ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ﴾ بمعنى أن كل أمة أمامها رسولها شهيدٌ عليها . ثم يَجيئُ الحق سبحانه بحبيبه محمداً ﷺ مُعلناً مقامه الوترىُّ شهيداً على كل الرسل ومعنى الوترىُّ أنه مقامٌ مُنزَّهٌ بالختميَّة على كل المقامات كما أن الوتر فى الصلوات ركعةٌ يُختم بها عمل اليوم ، ومعنى ذلك أن مقامات المرسلين كثيرة ومتعددة بتعدد الأمم ، ومقام سيد المرسلين مقام يعلُوهُم جميعاً وهو فيه مُنزَّهٌ بذاته وفرديته ختماً للمقامات ، وهذا معنى قوله : ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا ﴾ وهناك حديثٌ شريف رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرىِّ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (أنا سيدُ ولدُ آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبىٍّ آدم فمن سواهُ إلا تحت لوائى) ومعنى ولا فخر : أى أن الله الذى أمرنى أن أقول ذلك بالتبليغ ، ولا فخرَ بذاتى من نفسى .

مقام الشفاعة : ـ

ومقام الشفاعة مقامٌ فردىٌّ وهو المقامُ الذى منحهُ اللهُ فيه اسم أحمد ﷺ ومعناه : أحمد الخلق ــ أعظم الخلق ــ أكرم الخلق ــ أشرف الخلق ، ومقام الشفاعة هذا يشهدُهُ أهل الموقف فى القيامة جميعاً مؤمنهم

وكافرهم لأنها شفاعةٌ عُظمى تشمل المؤمن والكافر لأنه إذا جُمع الناس يوم القيامة والشمس تدنو من الرؤوس ويكون الكافر فى عرقهِ من نارٍ غارقاً فيها ويظلُّ الناس على هذا الحال ضَحْوةَ القيامة أى : ساعة الضُّحى ليوم القيامة سبعون عاماً بحساب الزمن فى الدنيا حتى يتمنى الكافر أن ينصرف من هذا الموقف ولو إلى النار لأنه يُعذبُ بما هو فيه وعذاب الانتظار لما هو آت ؛ فيذكرون أن لله رُسُلاً أرسلهم إلينا فى الدنيا فيجتمعون إلى آدم عليه السلام أى يطلبون منه أن يشفع لهم عند الله ليُعجِّل الحساب فيُحيلُهُم آدم إلى من بعده من المرسلين ثم يُحيلُهُم كل رسول إلى من بعده حتى تصل الإحالة إلى نبى الله عيسى عليه السلام وهو الرسول الذى أعلمه الله باسم من بعده من الرسل لأنه خاتم أنبياء بنى إسرائيل وليس بعده إلا خاتم النبيين وبشَّرَ به فى رسالته قومه فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ فيقول سيدنا عيسى عليه السلام أنا أعلمُ أنها عند بهاء الله أحمد فيتوجهون إلى صاحب مقام الشفاعة (صلى الله عليه وسلم) ويطلبونها منه فيقول النبى ﷺ : أنا لها . أنا لها . يعنى : الله وعدنى بها . فيسجد من فوره فيُلهمُه الله اسماً من أسمائه المستأثرة فى علم الغيب عنده لهذا الموقف خاصَّةً فيدعو الله بهذا الاسم فتكون الشفاعة ، وتنشق السماء قبل أن يرفع الشفيع المُشفع ﷺ رأسه من السجود ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ

عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ فهذا مقامٌ فردىٌ ، ويُسمى فردىٌ لأنه لم يحظَ به أحدٌ من الخلق إلا فرداً واحداً كما شاهدنا فى الإحالة بين المرسلين حتى انتهى المقام إلى صاحبه مولانا رسول الله ﷺ ثم ننتقلُ إلى مقامه (صلى الله عليه وسلم) فى الجنة .

مقام الوسيلة والمقام المحمود : ▪

ومقام الوسيلة والمقام المحمود يقول سيدنا عبد الكريم الجيلى ﷺ : (إن الله تعالى خلق نبيه محمداً ﷺ إكسير السعادة الكبرى فجعل مرتبتهُ فى الوجود المرتبة العليَّة التى ليس فوقها مرتبةً لموجود كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (إن الوسيلة أعلى درجةٍ فى الجنة وإنها لا تكون إلا لرجُلٍ واحدٍ وأرجو أن أكون ذلك الرجل) ورجاؤه (صلى الله عليه وسلم) مُحققٌ لأن الله تعالى قد وعدهُ بها فجميع أحوالهِ وأقوالهِ (صلى الله عليه وسلم) ممَّا يوافق لتلك المرتبة العُليا والمكانة الزُلفَى ، ولهذا كان (صلى الله عليه وسلم) هدايةً مَحْضَةً يهدى إلى السعادة المُطلقة قولاً وفعلاً وحالاً ظاهراً وباطناً لأنه ذاتهُ لا تقتضى خلاف ذلك وضرورة من آمن به أو سلك طريقه أو حذا حذوهُ أو أحبهُ أن يسعد لأنه (صلى الله عليه وسلم) إكسير السعادة المطلقة . فكل من اتبعه أو خالطهُ أو مازحهُ أو قاربهُ بوجهٍ من الوجوه سعِدَ سعادةً أبدية على قدر ذلك الاتباع والمخالطة ، ومقام الوسيلة : هو مقام القرْبةِ والمقام المحمود لذهاب المقرَّب فيها إلى حيث لا يتقدمه فيها أحدٌ فيكون هو فرداً فى هذا المقام الذى يعلو كل مقام فى المخلوقات ويكون هو أقرب مقام لله ﷻ) . وقد قال الإمام الحافظ بن كثير ﷺ فى تفسيره : الوسيلة

علمٌ على أعلى منزلة فى الجنة ، وهى منزلةُ رسول الله ﷺ وداره فى الجنة وهى أقرب أمكنة الجنة إلى العرش ، ولمَّا كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عُبُودية لربه ، وأعلمهم به وأشدهم له خشيةً ، وأعظمهم له محبة كانت منزلتُهُ أقرب المنازل إلى الله تعالى وهى أعلى درجة فى الجنة) . وأمر (صلى الله عليه وسلم) أُمتَهُ أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزُلفى وزيادة الإيمان فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلُّوا علىَّ فإنه من صلى علىَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً ، ثم سلُوا الله لى الوسيلة فإنها منزلةٌ فى الجنة لا تنبغى إلا لعبدٍ من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لىَ الوسيلة حلَّت له الشفاعة) . وعن علىٍّ كرَّم الله وجهه ورضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا سألتم الله فسلوا لىَ الوسيلة . قالوا : يا رسول الله من يسكن معك فيها ؟ قال : علىٌّ وفاطمة والحسن والحسين) . وروى عن ابن أبى حاتم ﷺ عن علىٍّ كرَّم الله وجهه وﷺ أنه قال : إن فى الجنة لؤلؤتين إحداهما بيضاء والأخرى صفراء فأما البيضاء فإنها إلى بُطنانِ العرش والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غُرفة كلُّ بُيَت منها ثلاثةُ أميال وغُرفها وأبوابها وأسرَّتُها وسُكانها من عرقٍ أى أصلٍ واحدٍ واسمها الوسيلة وهى لمحمدٍ ﷺ وأهل بيته . والصفراء فيها مثل ذلك هى لإبراهيم ﷺ وأهل بيته .

الفضيلة : ▪

وأما الفضيلة فهى المرتبة الزائدةُ على سائر الخلائق ، وهنـــاك مقـــامٌ يتعلق بالمقام المحمود وفيه سرُّ كلِّ نعيمٍ لأهلِ الجنـــةِ ، وهـــى شـــجرة طُوبَى .

شجرة طُوبَى : ■

وشجرة طُوبى شجرة فى الجنة غرسها الله بيده (أى بقدرتـــه) تُنبـــتُ الحُلىِّ والحللُ ، وإن أغصانها لتُرى من وراء سُورِ الجنة ، وإن أصلها فى دار النبى ﷺ وفى دار كلِّ مؤمن منها غُصن فما من جنةٍ من الجنان إلا وفيها من شجرة طُوبى ليكون سرُّ كلِّ نعيم ونصيب كل ولىٍّ من سرِّه عليه الصلاة والسلام ، وإنهُ (صلى الله عليه وسلم) ملأَ الجنة فلا ولىٍّ يتنعم فى جنته إلا والرسول ﷺ مُتنعمٌ بنعمته لأن الولىَّ ما وصل إلى ما وصل إليه من النعيم إلا باتباعه لنبيهِ (صلى الله عليه وسلم) ؛ فلهـــذا كان سرُّ النبوة قائماً فى تنعُّمِه . نسأل الله تبـــارك وتعـــالى أن يجعلنـــا وإياكم من أهل الطاعة الصادقة الصريحة الواضـــحة النقيـــة الـــصافية الخالية من الرِّياء وأن يُعلِّق قُلوبنا بُحبِّ سيد الأنبياء . أقول قولى هـــذا وأستغفر الله لى ولكم ، وأصلى وأسلم على سيدنا رســـول الله ﷺ وكـــل عامٍ وأنتم بخير . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضـرة الخامسـة

وموضـوعها

عظمة النبى صلى الله عليه وسلم قبل الوحى وبعد الوحى

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الثلاثاء

١١ من ربيع أول ١٤١٣ هـ

الموافق ٨ من سبتمبر عام ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله غير مقنُوطٍ من رحمته ، ولا مخلُوٍّ من نعمته ولا ميأوسٍ من مغفرته ، ولا مُستنكفٍ عن عبادته الذى لا تَبْرَحُ منه رحمةٌ ، ولا تُفقدُ له نعمةٌ فهو سبحانه الناشرِ فى الخَلْقِ فضلَهُ والباسطِ فيهم بالجودِ يَدَهُ سبحانه . سبحانه شرعَ الإسلام فسَهَّل شرائعهُ لمن وَرَدَهُ ، وأعزَّ أركانهُ على من غَالبَهُ فجعلهُ أمْنَاً لمنْ عَلِقَهُ ، وسِلْماً لمن دخلهُ ، وبُرْهاناً لمن تكلَّمَ به ، وشاهداً لمن خاصم به ، ونوراً لمن استضاءَ به ، وفَهْمَاً لمن عقَلَ ، ولُبَّاً لمن تَدبَّر ، وآية لمن توسَّمَ ، وتبصرةً لمن عَزَمَ ، وعبرةً لمن اتَّعَظَ ، ونجاةً لمن صَدَّقَ ، وثِقَةً لمن توكَّلَ ، وراحةً لمن فوَّضَ ، وجُنَّةً لمن صَبَر أحمدهُ اسْتِتْمَاماً لنعمته ، واسْتِسْلاماً لعزَّتِه ، واسْتِعْصَاماً من معصيته ، وأستعينُهُ فاقَةً إلى كفايته إنه لا يضلُ من هداهُ ، ولا يئِلُ من عاداهُ ، ولا يفترقُ من كفاهُ ؛ فإنه أرْجَحُ ما وُزِنَ ، وأفضلُ ما خُزِنَ غيرُ مفقودِ الإنعامِ ، ولا مُكافأ الإفْضَالِ . نحمدهُ فى جميع أمورهِ ، ونستعينُهُ على رِعايَةِ حُقوقه ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لهُ الأولُ لا شئ قبلهُ ، والأخر لا غايةَ له لا تقعُ الأوهامُ له على صفةٍ ، ولا تقعُدُ القُلوبُ منه على كيفيَّةٍ ولا تنالُه التجزئةَ والتبعيضُ ، ولا تُحيط به الأبْصَارُ والقلوبُ ــ قد عَلِمَ السرَائرَ ، وخبُرَ الضمائرُ له الإحاطةُ بكل شئٍ ، والغلبةُ لكل شئٍ ، والقوةُ على كل شئٍ عيالهُ الخلقُ ضَمِنَ أرزاقهُمْ ، وقدَّرَ أقواتهُم ، ونهَجَ سبيل الرَّاغبين إليه ، والطالبين ما لديه فله الحمد كُلَّما وقبَ ليلٌ وغَسَقَ وله الحمد كُلَّما لاحَ نَجْمٌ وخَفَقَ . سبحانه سبحانه أحاط بكل شئٍ علماً

وأشهدُ أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ﷺ بعثهُ والناسُ ضلالٌ فى حيرَةٍ وخابطُونَ فى فتنةٍ قد استهوتهُمُ الأهواءُ ، واستزلَّتهُمُ الكبرياءُ ، واستخفَّتهمُ الجاهليةُ الجهلاءُ ، حَيَارَى فى زلزالٍ من الأمرِ وبلاءٍ من الجهلِ فبالغَ (صلى الله عليه وسلم) فى النصيحة ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة مُستقَرَّهُ خيرُ مُستقَرٍّ ، ومنبتُه أشرف منبتٍ فى معادن الكرامة ، ومَمَاهدِ السلامةِ قد صُرفتْ نحوهُ أفئدةُ الأبرار ، وثُنيت إليه أزِمَّةُ الأبصارِ ، دَفَنَ به الضغائنُ ، وأطفأ به الثَّوائرِ ألَّف به إخواناً ، وفرَّق به أقراناً أعزَّ به الذِّلَّةَ وأذلَّ به العزَّةَ كلامهُ بيانٌ وصمتُهُ لسانٌ فصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليك سيدى يا رسول الله وعلى آلك الطيبين الطاهرين ، وأصحابك الغُرِّ الميامين والتابعين وتابعى التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد

نحن فى هذا الجمع المبارك وفى هذه الليلة المباركة ليلة ذكرى مولد سيد المرسلين وإمام المتقين ﷺ جمعنا الله بعنايته ورعايته تحت لواء محبة سيد المرسلين فقد أمرنا الله بصدقٍ فى محبته (صلى الله عليه وسلم) فقال : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ فلا محبة إلا بطاعة . إن المحب لمن يُحب مُطيعُ وهذه الآية بيَّن الحق سبحانه فيها أن عبادته وطاعته لا تتم إلا بطاعة سيدنا رسول الله ﷺ وفى آية سورة النور يقول سبحانه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ إذن من طمع فى رحمة الله نقول له لن ولم تدخل

فى رحمة الله مع عباده الصالحين إلا بمحبتك لسيدنا رسول الله وطاعته وصدقٍ فى اتباعك لسيد المرسلين ﷺ ونحن فى اللقاء السابق كان حديثنا عن المقام المحمدى ، وحديثنا فى هذا اللقاء وفى هذه الليلة المباركة نسأل الله سبحانه أن يتجلَّى علينا بتجلياته ويُلهمُنا من عظيم إلهاماته بفيضٍ من مددهِ وعطاياه ليكون موضوعنا (عظمة النبى ﷺ قبل الوحى ، وبعد الوحى) .

نبوَتُهُ ورسالتُهُ (صلى الله عليه وسلم) : ▪

النبوة : ▪ النبوة هِبةُ الله سبحانه لا تُنال بالكسب لكن حكمةُ الله وعلمهِ قاضيان بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها (الله أعلم حيث يجعل رسالتهُ) وسيدنا رسول الله ﷺ اصطفاه الله وأعدَّهُ لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعهِ أحمرهِ ، وأسودهِ . إنسهِ وجنهِ وأعدَّهُ الله بالكمال والجمال لأن يحمل رسالة أكمل دين ، ولأن يختم به الأنبياء والمرسلين ويختم برسالته الرسالات وبكتابه الكتب السماوية وليكون (صلى الله عليه وسلم) شمس الهداية وحدهُ إلى أن تنفطر السماء ، وتنكدر النجوم ، وتُبدَّلُ الأرضُ غير الأرض والسموات .

عَصمةُ النبى (صلى الله عليه وسلم) فى تبليغ الرسالة

إن عصمة النبى ﷺ وعصمة سائر الأنبياء فى التبليغ وأداء أمانة الوحى قضية فرغ العلماء منها فليس للأنبياء فضلٌ للاختيار فى التبليغ وأداء الأمانة بعد طبعهم بخاتم النُبوة واختيارهم لها ، وهذا التبليغ نتيجة حتمية للنبوة لا مردَّ لها غير أن الوحى لا يلازم الأنبياء فى كل عمل يصدر عنهم ، وفى كل قول يبدر منهم وقد أُمر سيدنا رسول الله ﷺ بأن

يُبلِّغ عن ربه بقوله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ولم تُبيَّن له الطرق التى يتبعها فى التبليغ وفى حماية الدعوة ، وتُرك له (صلى الله عليه وسلم) أن يتصرف بعقله وعمله وفطنته كما يتصرف غيره من العلماء والعقلاء وجاء الوحى مُفصَّلاً قاطعاً فى كل ما يخُص ذات الله ووحْدَتهُ وصفاته وكيفيةُ عبادته ، ولم يكن كذلك فيما يخُص النُظم الاجتماعية للأسرة والقرية والمدينة والدولة مُنفردة ومُرتبطة بغيرها من الدول .

عظمة النبى (صلى الله عليه وسلم) قبل الوحى وعظمتُهُ بعد الوحى :

فهناك مجالٌ واسعٌ للبحث عن عظمة النبى ﷺ قبل الوحى ، وهناك مدىً فسيحٌ للبحث عن تلك العظمة بعد الوحى . فقد صار (صلى الله عليه وسلم) مُبلغاً عن ربه داعياً إليه حامياً لتلك الدعوة ، ولحُرية الداعين ومُدافعاً عنهم وأصبح حاكم الأمة الإسلامية وقائد حربها ومُفتيها وقاضيها ومُنظم جميع الصِّلات والروابط فيها وبينها وبين غيرها من الأمم ، وقد أقام العدل فى ذلك كله ، وألَّف بين أممٍ وطوائف ما كان العقل يسيغُ إمكان التأليف بينها ، وظهرت الحكمة والرَّصانة وبُعدُ النظر وكمال الفِطنة ، وسرعة الخاطر ، وقوة الحزم فى كل ما صدر عنه (صلى الله عليه وسلم) من قولٍ أو فعلٍ وتفجرت منه (صلى الله عليه وسلم) ينابيع الحكمة وينابيع العلم والمعرفة ، وينابيع البلاغة التى يُطأطئُ البُلغاءُ رؤوسُهم أمامها إجلالاً وهيبة ، وفَارق الدُنيا (صلى الله

عليه وسلم) وهو راضٍ عن عمله مَرضِيٌّ من الله ومن المسلمين وكل هذه النواحى تستحق الدرس والتمحيص وليس فى مقدور شخصٍ واحدٍ أن يفيها حقَّها بل ليس فى مُكنةِ شخصٍ واحدٍ أن يُوفى على الغاية فى ناحيةٍ من هذه النواحى .

سيرة النبى (صلى الله عليه وسلم) : ■

وسيرة النبى ﷺ وعلى آله كسائر العُظماءِ غير أنها تمتاز عن سِيَرِ العظماء وجميعهم بأن منها شيئاً كثيراً ضَمَّهُ الوحى الإلهى ، وضمن حفظهُ القرآن الكريم المُطهَّر فهو كلام الله وصفتهُ والقرآن حقٌ لا ريب فيه فقد جعل العقل حَكَماً والبرهان أساس العلم وعاب التقليد ، وذمَّ المُقلِّدين ، وأنَّبَ من يتبعُ الظنَّ وقال : ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ وعاب تقديس ما عليه الآباء وفرض الدعوة بالحكمة لِمَنْ يفقهُها ...

معجزة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى القرآن : ■

ولم تكن معجزة سيدنا رسول الله ﷺ القاهرة إلا القرآن ، وهى معجزةٌ عقليةٌ وخالدةٌ ودائمةٌ على مدى الدهر إلى أن تقوم عليها القيامة وما أبدع قول الإمام البُوصيرى ﷺ :

لم يمتحنَّا بما تَعْيَا العُقُولُ به *** حرصاً علينا فلم نَرْتَبْ ولم نَهِمِ

فإنه لا طريق للمعرفةِ إلا البُرهان وهو إن كان نوعاً من أنواع القياس إلا أنه يجب أن تكون مُقَدَّماتُهُ قطعيةٌ حسيَّةٌ أو مُنتهيةٌ إلى الحِسِّ أو مُدركةٌ بالبداهةِ ومُعتمدةٌ على التجربة الكاملة أو الإستقراء التام على ما

هو معروف فى المنطق وقد بيَّن الحق ذلك فى قرآنه بقولهِ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ ولقد كان أهل الكتاب من قبل بَعثةِ النبى ﷺ يستفتحون على الذين كفروا .. أى أن اليهود كانوا إذا دخلُوا فى حربٍ مع المجُوس كانوا عند لقاء العدُو فى أرض القتال كانوا يفتحون التوراة ويجعلون الصفحة أو الصفحات المكتُوب فيها اسمِ النبى الأمِّى الخاتم يجعلونها فى مواجهة السماء ويقولون اللهم إنا نسألك بحق صاحب هذا الاسم ، وهذا الذِّكْرِ أن تنصرنا على عدونا هذا ؛ فينصرُهُم الله فهذه تجربة بالبرهان دلَّتهُم على معرفة قدر النبى عند الله يزيدُ على ذلك ذِكرُ صفتهِ ونعتهِ فى الصُحُف والكتب السموية ولذلك حين بُعث النبى ﷺ وكفروا به ولم يؤمنوا برسالته كشفهم الحقُ سبحانه بقوله ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ ﴾ وكان سيدنا عبد الله بن سلام ﷺ حَبْرُ اليهود بالمدينة فلمَّا أسلم ونزلت هذه الآية قال : والله إنى لأعرفُ رسول الله ﷺ أكثر من معرفتى لإبنى . وقد جرى الإمام أبى حامد الغزالى حُجةُ الإسلام ﷺ على هذه الطريقة نفسها وقد قرر فى أحد كُتُبهِ أنه جَرَّدَ نفسه من جميع الآراء ثم فكر وقدَّر ورتّب ووازن ، وقرَّبَ وباعدَ ، وعرض الأدلة وهذَّبها وحلَّلها ثم اهتدى بعد ذلك كله إلى أن الإسلام حقٌ ، وإلى ما اهتدى إليه من الآراء وقد فعل

هذا ليُجافى التقليد ، وليكون إيمانه إيمان المُستيقنين المعتمد على الدليل والبرهان ذلك الإيمان الذى لا يختلف المسلمون فى صحَّتِه ونجاة صاحبه فى حِمَى الحق وحِصنِ اليقين وهو الوحى الصادق ، وهو القرآن الكريم والسُنَّةُ الصحيحة المُطَّهرة ، وبما فى الوحى المحمدى من هُدىً ونور ، وبما فى سيرة النبى ﷺ من جمال وجلال ، وعظمة ، وعبرة مُطمئناً كل الإطمئنان إلى أنَّ هذا الدين القويم المحمدى سيُنقذ البشر مما هم فيه من الحيرَةِ ، وينتشلُهُم من ظُلمة المادة ، ويُبصِّرهم بنور الإيمان ، ويُوجِّههم إلى النور الإلهى فيدركون به سِعَةَ رحمتِه التى وسعت كل شئ ، وعظمة مجده الذى تُسبِّحُ به السماوات والأرض وكل شئ فيهما ، وعِزَّتِه التى تتضاءل أمامها الموجودات . وإذا كان النبى الخاتم ﷺ خاتم الأنبياء وليس للعالم بعدهُ هاد مُرشد ، وكان دينُه أكمل دينٍ بنص الوحى القاطع ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ فلا يمكن أن يقف أمرُهُ على ما هو عليه الآن ولابد أن يمحو نوره نور غيره كما تمحو الشمس أضواء غيرها من الكواكب . وكفى شرفاً وعزاً وجاهً ، ومقاماً ، وذكراً ذكر اسم النبى مقروناً بذكر اسم الجلالة فى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) بهذا الاسم الكريم (محمدٌ) تنطق ملايين الشِّفاهُ وله تهتزُ ملايين القلوبِ كل يومٍ مرات ، وهذه الشفاهُ والقلوب به تنطق وله تهتز مُنذ أربعة عشر قرنٍ ويزيد ، وبهذا الاسم الكريم ستنطق ملايين الشفاهُ وتهتز ملايين القلُوبِ إلى يوم الدين . فإذا كان الفجر من كل يوم وتبيَّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود ؛ أهابَ المؤذن بالناس أن الصلاة خيرٌ

من النوم ، ودعاهم إلى السجود لله ، والصلاة على رسوله ومصطفاه فاستجاب له الألوف والملايين فى مختلف أنحاء المعمورة (الأرض) يُحيُونَ بالصلاة رحمة الله وفضلهِ مُتجلِّين فى مطلع كل نهار وإذا كانت الظهيرة وزالت الشمس أهاب المؤذن بالناس لصلاة الظهر ثم العصر فالمغرب فالعشاء ، وفى كل واحدة من هذه الصلوات يذكُر المسلمون محمداً عبد الله ورسوله فى ضراعةٍ ، وخشيةٍ ، وإنابةٍ وهم فيما بين الصلوات الخمس ما يكادون يسمعون اسمه (صلى الله عليه وسلم) حتى تجف قلوبُهم بذكر الله وبذكر مصطفاهُ كذلك كانوا وكذلك سيكونون حتى يُظهر الله الدِّين القيِّم ، ويتم نعمتهُ على الناس أجمعين ، ولم يكن سيدنا رسول الله ﷺ فى حاجة إلى زمان طويل ليُظهر دينهُ وينتشر فى الخافقين لواؤهُ فقد أكمل الله للمسلمين دينهم قُبيل انتقالهِ إلى الرفيق الأعلى ويومئذٍ وضع هو(صلى الله عليه وسلم) خُطة انتشار الدِّين فبعث إلى كِسرَى ، وإلى هرَقل وإلى غيرهما من الملوك والأمراء كى يُسلموا ولم تمضِ خمسون ومائة سنةٍ من بعد ذلك حتى كان عَلَمُ الإسلام خفاقاً من الأندلس فى غرب أوروبا إلى الهند وإلى التركستان ، وإلى الصين فى شرق آسيا وبذلك وصلت الشام والعراق ، وفارس وأفغانستان وقد أسلمت كلها ما بين بلاد العرب ومملكة ابنُ السما كما وصلت مصر وبرقة ، وتونس ، والجزائر ، ومُراكِشُ ما بين أوروبا وإفريقية ومن بَعثةِ النبى ﷺ من يومئذٍ إلى يومنا هذا بقى علم الإسلام مرفوعاً على هذه الرُّبوع جميعاً فالإسلام دين توحيد فى أشدِّ معانى التوحيد صفاءً وقُوةً وفى أشدِّ معانى التوحيد بساطة ووضوحاً .

الإسلام والعقل : ▪

فالإسلام جعل العقل حكماً فى كل شئ وجعله حكماً فى الدين ، وفى الإيمان نفسهُ يقول تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ **وهذه الآية صريحة فى أن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين وإن المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقلَ دينهُ وعرفَهُ بنفسه حتى اقتنع به فمن رُبِّىَ على التسليم بغير عقلٍ والعملُ ولو صالحاً بغير فقه فهو غيرُ مؤمنٍ . فليس القصدُ من الإيمان أن يُذَلَّلُ الإنسانُ للخير كما يُذلل الحيوان بل القصد منه أن يرتقى عقله ، وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير لأنه يفقهُ أنهُ الخير النافع المُرضىُ لله . ويترك الشر لأنه يفهم سُوء عاقبته ودرجة مَضرَّته ولذلك سُئل أعرابى لم آمنتَ بمُحمد ؟ قال : آمنتُ بمُحمدٍ نبياً ورسولاً لأنه ما قال محمدٌ فى شئ إفعل والعقل يقول لاتفعل وما قال محمدٌ فى شئ لا تفعل والعقل يقول إفعل إذن كل ما جاء به سيدنا رسول الله ﷺ أقرَّهُ العقل بالتسليم ... وتكاليف الإسلام كلها بثقلها على العقل لأن شرطُ دخول المرء فى الإسلام البلوغ والعقل أى التكاليف الشرعية على البالغ العاقل .**

القرآن يدعو إلى النظر فى الكون : ▪

وقد جاء القرآن بآيات كثيرة يدعو الناس إلى النظر فى الكون ومعرفة أنبائه ؛ ليهديهم نظرهُم إلى وجود الله ووحدته جلَّ شأنهُ يقول الله سبحانه ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ **ويقول تعالى** ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ **والدعوة إلى النظر فى الكون استنباط سُننه وللإهتداء إلى الإيمان ببارئه يُكرِّرُها القرآن مئات المرات فى سوره المختلفة وكلها مُوجَّهةٌ إلى قوى الإنسان العاقلة تدعوه إلى التدبر والتأمل ليكون إيمانه عن عقل وبيِّنة وتُحذرُهُ الأخذ بما وجد آباءهُ عليه من غير نظر فيه وتمحيص له وثقة ذاتية بمبلغه من الحق . هذا هو الإيمان الذى دعا الإسلام إليه ، وهو ليس هذا الإيمان الذى يُسمُّونهُ**

إيمان العجائز إنما هو إيمان المستنير المستيقن الذى نظر ونظر ثم فكر وفكر ، ثم وصل من النظر والتفكير إلى اليقين بالله جلَّت قُدرته . فالإيمان إذاً شعور روحىٍّ يحسُّ به الإنسان المؤمن بربه فإن الذين تصلُ عقولهم وقلوبهم إلى أن تؤمن بالله من طريق النظر فى الكون إيماناً صادقاً يدعوهم إيمانهم إلى أن يُسلِمُوا لله وحده أمْرَهُمْ فأولئك لا يعرفون لغير الله خُضوعاً ولا إذعاناً وهم لا يَمُنُّون على أحدٍ إسلامهُمْ . ﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مؤمن فأولئك لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . أولئك لا يخافون فى الحياة فقراً ولا مذلَّةً لأن الإيمان بالله غاية الغنى وغاية العزة والعزة لله ولرسوله والمؤمنين . والنفس الراضية المطمئنة إلى هذا الإيمان لا تستريح إلا فى الدَّأَب ؛ لمعرفة أسرار الكون وسُنَنِه كَيْمَا تزداد بالله اتصالاً وسبيلها إلى هذه المعرفة البحث والنظر فى خلق الله مما فى الكون نظراً علمياً دعا القرآن إليه وجدَّ المسلمون الأولون فيه ؛ فالمؤمن الصادق الإيمان هو من يتوجه بقلبه إلى الله ساعة الصلاة يُشهده على تقواهُ ، ويستعينهُ على أداء واجب الحياة ، ويستمد منه هدايته ، ويستلهمهُ توفيقهُ لإدراك سر الكون وسُننه ونظامه والمؤمن الصادق الإيمان بالله يشعر بنفسه أثناء صلاته ويشعر بها دائماً شيئاً ضئيلاً أمام عظمة الله العلى الكبير ؛ فالصلاة صلةُ يقين بين العبد وربِّه والصلاة هى الاتصال بالله إيماناً به والتماساً للعون منه . وليس القصد من الصلاة حركات الركوع والسجود وتلاوة ما يُتلى من القرآن أو تلاوة التكبير والتعظيم لله جل شأنه دون أن تمتلئ النفس

إيماناً به والقلب تقديساً له والفؤاد سمواً إليه ، وإنما القصد منها ومما فيها من تكبير وتلاوة وركوع وسجود إلى هذا السُّمو والتقديس والإيمان وإلى عبادته عبادة خالصة لوجه الله سبحانه وحده ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يقول تعالى ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ والقرآن الكريم حين يقص علينا قصص الأنبياء والمرسلين نشاهد جمال البحث والاستدلال على وجود الله وعظمته ووحدانيته انفرد بها أبو الأنبياء خليل الرحمن صاحب الملَّة الحنيفية السمحاء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام واقيمت قوائم الإسلام وتكاليفه على طاقة اليقين الذى استيقنه الخليل من عطاء الله له حين تفرَّغ وشغلتهُ قضية البحث عن معرفة جلال الله المُكَوِّنِ لهذا الكون العظيم وخالقه ومُبدعه وفاطره على سُنن ثابتة وطاعة واحدة إن دلَّت فإنما تدُل على أن وراء هذا الكون إلهٌ عظيمٌ واحدٌ يُحرِّكه بيد قدرته الواحدة المطلقة وأمرُ الطاعة واحد ونظامٌ دقيقٌ لجريان وسير كل الآيات الكونية فى فلك يسبحون تحت عين الله وحراسته وحفظه ورقابته وهذا ما بيَّنه القرآن الكريم مع خليل الرحمن .

سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام يستدل على وجود الله بالفطرة والعقل : ـ

يقول الحق سبحانه ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْـرَاهِيمَ مَلَكُـوتَ الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّـذِي فَطَـرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . **أراد الله سبحانه أن يكشف لأهل الوجود كله عن جمال الفطرة التى فطر الله الناس عليها فى خليله سيدنا إبراهيم عليه السلام . لقد وُلد عليه السلام ونشأ فى دولة العراق بين أُسرة مشركة مُبتكرة للشرك وصناعة الأصنام والتجارة فيها وكان أحدهم إذا ذهب إلى السوق ليبيع الأصنام يفترشها وينادى من يشترى صنماً يُعطى الخير والنفع لصاحبه ويمنع ويدفع عنه الشر والسوء والضُّر فيبيع ويربح ويعود بدنياه إلى أهله مسروراً وكان سيدنا إبراهيم إذا كلَّفه أباه أن يذهب إلى السوق وأعطاه صنماً يبيعه فكان يذهب**

ويجعله أمامه ويقف وينادى فى الناس على بيعه ويقول : من يشترى ما لا ينفع ولا يضُر ولا يأتى بالخير لصاحبه فلا يقبل عليه أحدٌ ليشتريه منه ثم يعود من السوق به إلى أبيه وهو مسرورٌ لعدم بيعه الصنم حتى لا يكون قد ضل وأضل غيره فيسأله أباه عن نداءه فى السوق ليُدلل على بيعه فيقول له الصدق فمنع منه أن يتجُر معهم فى الأصنام ، وذلك فى سنِّ الصِّبا صبياً لم يبلغ الحُلُمْ . فلمَّا بلغ أشُدَّهُ وبلغَ رُشدهُ ونضج عقله وبدت له أنوار الفطرة فيه بدأ يفكر فى عظمة هذا الوجود من حوله ويقول فى حديثه مع نفسه : ليست هذه الأصنام مؤثرة على هذا الوجود بشئ إن هذا الوجود بعظمته يدل على أن وراءه خالقٌ أعظمُ .

سيدنا إبراهيم عليه السلام مع الربوبية بالإثبات الفطرى : ـ

سيدنا إبراهيم عليه السلام يشغله ويحيره أمر الوقوف على ما يدله على معرفة خالق هذا الكون العظيم فيلهمه الله إلهامات الحق بالتجلى على فطرته وبصيرته ليستيقن عظمة الله ويكون من الموقنين : أى أهل اليقين بالله بتحقيق جلىٍّ واضح يُقرهُ العقل ويُصدقهُ القلب وتسمو به الروح فيصعد على ذروة جبلٍ فى وقت الغروب وبدأ زمن البحث والإثبات وهو الغلاف الكونى الزمنى الفردى الذى يتقلب بداخله الناس جميعاً والمُكَوَّنُ من آيتين عظيمتين ألا وهما الليل والنهار . فأراد الله أن يُريهُ كيفية البحث للاستدلال على عظمة الله الخالق لهذا الوجود ومعرفته يقيناً من مشاهدته لعظمة سُننه فى آياته الكونية بثبوت لا اضطراب فيه بقوله سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْـرَاهِيمَ مَلَكُـوتَ الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ... ﴾ أى لمَّا صعد سيدنا إبراهيم عليه السلام وتمكن من قيامه فوق الجبل من أول ساعة فى الليل فلمَّا دخل عليه الظلام نظر إلى السماء ببصره وفكر ليتأمل ويتدبر ويثبت بمشاهدته فطرياً وعقلياً وبرؤية يقينية لعظمة مشهودة له تدُله على عظمة الصُنع فى هذه الآيات الكونية والتى من خلالها يستدل على معرفة عظمة الصانع والخالق سبحانه . فلمَّا دخل عليه ظلام الليل نظر فوقه رأى كوكباً فدقق النظر فى هذا الكوكب ليتحقق من حقيقة أمره بين ما حوله من آيات فشاهد فيه سُمُوًّا فوق كل فوق للآيات من حوله وشاهد منه نوراً جامعاً لامعاً بظهوره ووضوحه ليس فى غيره ممن حوله فى الفوْق ؛ فأثبت بفطرته وعقله الكامل المستنير أن من صفات الله خالق الأشياء والموجودات أن يكون سُموهُ فوق كل سُمُوٍّ ، ونوره يتغشى كل الأنوار ويعلوها بظهوره ووضوحه . وقد رأى ذلك فى هذا الكوكب فنطق بالإثبات المنصف لقضية البحث والاستدلال الفطرى وقال : هَـٰذَا رَبِّي أى هذا الكوكب المنفرد بجماله وسموه ومجمع أنواره يليق بأن يكون رب هذه الآيات وربى وهذا إثباتٌ فطرى منصف وعادل فى الإثبات حتى نعثر على من هو أكمل منه كمالاً وأعلى منهُ سمواً وأتمَّ منه نوراً ولكنه لما أفل الكوكب وتركهُ وغاب عن بصره عليه السلام أثبت بفطرته أنه من صفات الله خالق الكون البقاء ، وأن يكون حيىٌ قيومٌ قائمٌ بين خلقه بالحراسة والمراقبة وأن لا يترك الرَّعية طرفة عين ، وهذا الكوكب قد ولىَّ ولم يبق لوجوده أثر يراه

بصرى إذن لا يليق بالإثبات أن يكون ربى فبعد أن أثبته بفطرته السليمة وعقله الراجح أنه ربه نفاه . أى نفى عنه الربوبية بفطرته السليمة وعقله الراجح والذى أثبت بهما ، وقال : لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (يعنى لا أحب أن يكون ربى يتركنى ويترك رعيته فليس هذا بالرب حقيقة) ثم يستمر فى مزاولته للبحث عن الله الخالق الحق لهذا الوجود . فنظر إلى السماء مرة أخرى رأى القمر فى تمامه بدراً ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ فلما رأى القمر ظاهراً له بعد أن ولىَّ الكوكب واختفى وتركه وغاب عن بصره ، وأصبح القمر هو المثبت له بالرؤية نظر وتأمل فيه وتدبر ليتحقق من أمره فرآه أرقى من الكوكب ومن كل الموجودات من حوله ، وأكمل نوراً وخلقاً من نور الكوكب ومن نور كل الموجودات من حوله فبالمقارنة بين سمو القمر وسمو الكوكب الذى سبقه ونور القمر ونور الكوكب أثبت أن القمر أولى بإثبات الربوبية له . فقال الخليل عليه السلام : هذا ربى . وسرعان ما انتهى الليل وأفل القمر وولىَّ وتركه كما رأى من الكواكب فقال هذه مخلوقات لها عظمتها الخلقية فى الوجود وليس لها سلطان فى أن تُذهب عنى حيرتى فى ما أنا فيه من أن اهتدى إلى رؤية ربى وخالقى وسلطان ذلك لا يكون إلا لله ربى هو الذى يدلنى على رؤية جماله وجلاله وإن لم يدلنى عليه هو فسأكون فى حيرة دائمة لا أهتدى إلى شئ ولذلك قال ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ يعنى إذا لم يهدنى ربى ويدلنى هو عليه لأكونن من الحائرين

فى أمره المتحيرِّين فى البحث عن معرفته فلما انقضى الليل بظلامه وآياته أشرق النهار بنوره وضيائه وأشرقت الشمس وأرسلت أشعتها وضوئها وحرارتها وأنوارها ، ونظر الخليل إبراهيم رأى الشمس بموكبها هذا العظيم ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ فلما دخل عليه وقت القليلولة وكان ذلك فى زمن الصيف وفوق ذروة جبل عالٍ شامخ وعانى عناءًا شديداً من شدة حرارة الشمس وأصبح لا يقدر على مقاومة الحرارة الشديدة ونارُ الحرِّ تلفح وجهه وفرَّ حائراً يبحث عن ظل لشجرة يستظل به فلم يجد أو كهف أو مغارة يحتمى بداخلها فلم يجد فلمس قوة الشمس وضعفه الذى لا يُدرك هذه القوة وطاقته التى لا تتحمل المقاومة زمناً طويلاً تحت حرارة الشمس وشدتها ولذلك قال هذا ربى هذا أكبر من الكوكب وأكبر من القمر وسرعان ما انقضى النهار وغربت الشمس ولم يبق زمانٌ للبحث لأن الزمان لا يزيد على الليل والنهار آيتين لا ثالث لهما فلمَّا أفلت الشمس وكان قد أثبت لها الربوبية والتكبير عن ما سبقها من كوكب وقمر وأيقن أنها ربُهُ ورأى فيها بعد هذا الإثبات أنها ولَّت وفارقته كما كان من الكوكب والقمر من قبلها عَلِمَ يقيناً أنها خلقٌ من مخلوقات الله رب العالمين ولكنهُ شاهد ورأى فيها قوةً ما استطاع بقوتهِ وجمع كل طاقاته أن يقاوم شدة حرارتها المحرقة وقد أثبت عند ذلك بفطرته السليمة وعقله الراجح أن كل آية مرَّت عليه أكبر وأقوى مما سبقتها مما جعله كان ينتظر فى بحثه ليشاهد ما بعدها ما دامت لربه القدرة على الرؤية لها فالكوكب بعد أن أثبت بسموه

ونوره أنه ربه نفى هذا الإثبات عند أُفُوله وانتظر ما بعده فلما رأى القمر بسموه ونوره أرقى سمواً وأعظم نوراً من الكوكب قال هذا ربى وأثبت له الربوبية فلما رأى أنه أفل وولىَّ وفارقه نفى عنه إثبات الربوبية وظل منتظراً ما بعده ليُكمل بحثه عن ربه لأنه لم يشاهد لنفسه ضعفاً من قوته وطاقته الذاتية أمام هاتين الآيتين ولكن ساعة أن يشاهد قوة الشمس فى شدة حرارتها ويشاهد ضعف قوته وطاقته وعدم القدرة على تحمل شدة حرارتها ، وقد أدرك حقائق نظام الكون فى بحثه عن رؤية خالقه وأثبت فى مراحل الانتقال فى بحثه أن الآية التى تلى ما قبلها أقوى وأعظم مما قبلها ، وقد عجز عن إدراك قوة الشمس بضعف قوته الذاتية إذن لو ظل مستمراً فى طلب البحث عن رؤية خالقه سبحانه فإن عِلمهُ اليقينى الذى رسخ فيه من خلال ما أثبته يقيناً فى مراحل بحثه مع عظم الآيات الكونية وترتيبها ترتيباً نسبياً بتقديم الأقوى فالأقوى يكون الذى يقدُمُ عليه بعد أُفُول الشمس أقوى وأعظم من الشمس حتى ولو كان مخلوقاً . فساعة أن يهلَّ ويظهر له أمام عينيه يحرقُهُ لأنه أقوى من الشمس وهو بضعف قوته الذاتية ما استطاع أن يدرك الشمس إذن يقوم هو بنفسه بإنهاء البحث مُعلناً يقينهُ التام الكامل بأن لهذا الكون إله واحدٌ عظيم جل فى علاه لا شريك له بشهادة حق ويقين مُثبت وراسخٌ فى لُب قلبى بإثبات فطرته النورانية فى وجدانى وهذا أقوى الأدلة الباهرة فى إثباته ﷻ أن يكُف عن مطلبه لرؤية الخالق سبحانه لأن المخلوق بضعفه لا يقدر على رؤية خالقه إلا إذا أعدَّه الخالق سبحانه بقوة نورانية إلهية عظمى تليق بهذا المقام وهذه

القوة اليقينية التى حلَّت فى ذات خليل الرحمن مُنح من خلالها قوة الإيمان وقوة الحُجة وعظمة المعرفة عن الله وقوة المواجهة للمشركين بلا خوف وأحقيَّة الأمن الذى خاطبهم به ، ولذلك ساعة أن أفلت الشمس قال بصوت عالٍ مسموع للجميع ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ **إلى آخر الآيات التى ذكرناها من قبل فهذا كان استدلال على جمال الحق ومعرفة جلاله بالفطرة والعقل غرس غراسُ اليقين التام الكامل الذى أثمرت من أنواره وأسراره ومدد عطاياهُ أنوار النبوة والحكمة فى سيدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم بقول الحق سبحانه** ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ **ويقول سبحانه فى آل إبراهيم** ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ .

النبى (صلى الله عليه وسلم) حبيب الله : ـ

إن من سُنن الله الخالق فى خَلقه الاصطفاء والتفضيل فقد فضَّل الرُسل بعضهم على بعض بقوله سبحانه ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ **وفى الاصطفاء قال سبحانه** ﴿ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ **وقال فى سيدنا إبراهيم** ﴿ وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ **وقال فى سيدنا موسى**

﴿ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ **أما سيد الخلق فهو حبيبه ضمَّ اسمهُ إلى اسمه فى ذكره فى كلمة التوحيد وزكاهُ فى عظمة خُلُقه بقوله** ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ **ورفع ذكره بقوله** ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ **وجعله صاحب لواء الحمد فى القيامة بقوله سبحانه** ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا ﴾ **وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جلس ناسٌ من أصحاب النبى ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنَا منهم سمعهم وهم يتذاكرون . قال : فسمع حديثهم . فقال بعضهم عجباً أن الله اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى . كلمه تكليماً ، وقال آخر فعيسى روح الله وقال آخر فآدم اصطفاه الله فخرج عليهم سيدنا رسول الله ﷺ فسلم وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وهو كذلك ، وموسى كليماً وهو كذلك ، وعيسى روح الله وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخرٌ وأنا حاملُ لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخرٌ ، وأنا أول من يُحرِّكُ حلق الجنة فيفتح الله لى فيُدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخرٌ ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخرٌ " رواه الترمذى .**

وعن أنسٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وقائدهم إذا وفدوا ، وشافعهم إذا حُبسوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد بيدى ، ومفاتيح الجنة يومئذٍ بيدى ،

وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر ، ويطوف علىَّ ألفُ خادم كـأنهم اللؤلؤ المكنون) رواه الترمذى .

أمة محمد أسبق الأمم يوم القيامة : ـ

روى الإمام مسلم فى صحيحه : عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة ..) فهذه الأمة أُمةُ محمدٍ عليه الصلاة والسلام أسبق الأمم خروجاً من الأرض ، وأسبقهم إلى أعلى مكانٍ فى الموقف ، وأسبقهم فى ظل العرش ، وأسبقهم إلى فصل القضاء ، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة ، وهى أكثر أهل الجنة) . وقد روى عن عبد الله بن الإمام أحمد من حديث أبى هريرة ﷺ لمَّا نزلت هذه الآية ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ قال (صلى الله عليه وسلم) أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة) ، وفى حديث بهْزِ بن حكيم قال (صلى الله عليه وسلم) أهل الجنة عشرون ومائة صفٍّ أنتم منها ثمانون . وعن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحُرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى . وروى ابن شيبة من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أتانى جبريل فأخذ بيدى وأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى فقال أبو بكر : يا رسول الله وددت أنى كنت معك حتى أنظر إليه . فقال (صلى الله عليه وسلم) : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى .

شفاعة النبى (صلى الله عليه وسلم) بأمته : ـ

روى الإمام الدار قطنى رضى الله عنه عن أبى أُمامة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : نِعمَ الرجل أنا لشرار أمتى . قالوا : فكيف أنت لخيارها ؟ قال : أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم ، وأما شرار أمتى فيدخلون الجنة بشفاعتى ...

فصلى الله عليه وسلم . ما أشفقه على أمته ، وفى هذا القدر كفاية وجزى الله عنا سيدنا محمداً ﷺ ما هو أهله وأدخلنا فى شفاعته وجعلنا من أهل محبته وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وكل عام وأنتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة السادسة

وموضوعها

تجليات الجمال الإلهية على سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

أُلقيت فى الساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الأحد

١١ من ربيع أول ١٤١٤ هـ

الموافق ٢٨ من أغسطس ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الفعَّال لما يشاءُ . القابضِ على ناصيةِ الأرضِ والسماء . المُصَرِّفُ للمُلكِ بحكمةٍ بالغةٍ . المُدبِّرُ للكونِ بسُنَنٍ ثابتةٍ . سبحانه . سبحانه يُعِزُ أصحاب النفوس الكبيرة ، ويحقق أمجادهم ويكتب الخلود والبقاء لهم ، وهو الحكَمُ العدل اللطيف الخبير . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له عزَّ سُلطانهُ ، وبَسط الخير لعباده فأظلَّهُم سلامَهُ وأمَانَه . سبحانه . سبحانه . لا إله غيره ولا معبود سواه ولا عينٌ تراه . أبْصَرَ الناسَ بشحمٍ ، وأسمعهم بعظمٍ ، وأنطقهم بلحمٍ ، وهو على كل شئ قديرٌ لا تُدْرِكُهُ الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبيِ الرحمةِ ، وهَادى الأُمَّةِ ، وكاشِفُ الغُمَةِ ، السِرَاجِ المُنِيرِ ، الرؤوف الرحيم ، الفاتح لِما أُغلق ، والخَاتم لِما سَبَق ، والمُعلن الحَقَّ بالحَقِّ ، والهادى إلى صراط الله المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسُنته واقتفى أثرهُ وسار على نهجه القويم إلى يوم الدين ، وسلِّم تسليماً كثيراً ....

أما بعد

فنحن فى هذا الجمع العظيم ، وفى هذه الليلة المباركة إنها ليلةٌ بوركت بها السموات والأرض ، وبورك بها الوجود وكل ما هو موجود بل كل شئ فى الوجود مسَّتهُ البركات ، وأحاطت به العناية وأظلَّته الرحمات فى هذه الليلة المباركة ؛ لأنها ليلةٌ وُلد فيها الرحمة المهداة من الله الخالق الأعظم الرحمن الرحيم الذى تجلَّى على عباده فى هذه الليلة بل تجلَّى

على الوجود كله بأعظم وأجلِّ قدرٍ من الأزل وهو مولد سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولم يكن مولد سيد الوجود مولد بشرٍ كسائر البشر فإن كان مولد بشرٍ فى ظاهر الأمر حِساً لأهل الحسِّ والمبنى فإنه فى المعنى التى تفوق المبنى إنه مولد النور السارى فى الوجود كله من الأزل إلى الأبد ، وإنه إظهار حقيقة أزلية عظيمة القدر جليَّة الذِّكر عند أهل الحقائق فى المُلك والملكوت . أراد الحق سبحانه وتعالى فى هذه الليلة الجليَّة الواضحة المستنيرة التى استنارت كل الأشياء والموجودات مدداً من نورها ، وإذا دققنا فى أمر مولد سيد المرسلين لنتحقق ونشاهد من جمال هذا القدر العظيم قبساً نهتدى به إلى معرفة ذِكرٍ أو وصفٍ يليق بالكمال المحمدى فلا نشاهد ولا ندرك إلا عجزنا عن الإدراك ولكن تكون لنا نظرة أزلية فقبل أن يخلق الله الخلق سبق الخلق كتابٌ . كِتابٌ كَتَبَ الله فيه مقادير الخلق وسُجِّلت فيه الآثار والأقوال والأفعال والأعمال والأحوال وكل شئ لقوله سبحانه ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ ومعنى إمام مبين : أى كتابٌ هو إمام الخلق السابق للوجود كله سبقاً خَلقياً وإيجادياً ومعنى مبين : أى بيِّنٌ جليٌّ واضحٌ كل ما فيه أحصى الله فيه كل ما يكون وما سيكون وما سوف يكون إلى يوم القيامة وما يكون فى موقف القيامة وما يكون بعد الحُكم والفضل فى القيامة وحياة أهل الجنة الخالدة وحياة أهل النار ، وإن كان ما فيه خفيٌّ وغير مُبينٌ لأهل الحسِّ والمبنى فسيبديه الله ويظهره فى المكان والزمان الذى أجَّله الله وسماه بِعلمه وحكمته فإن الله سبحانه جعل لكل قدرٍ كتبهُ فى كتاب المقادير زمانه ومكانه فإذا جاء الزمان ، ووافاه

المكان أبرزه الله إلى الوجود إذن لم يكن ذلك بداية خلقٍ له ولكن إبرازٌ وإبداءٌ وظهورٌ من خفيٍّ كان فى علم الله من الأزل فإن بداية الخلق واحدة ، وهذه أمورٌ يُبديها الخالق ولا يبتديها . إذن لم يكن مولد سيدنا رسول الله ﷺ حدثاً على الوجود ولا على العقول ، ولكنه كان أمراً مُنتَظراً ومعلوماً ومعروفاً بمعرفةٍ ومحبوباً ومعشوقاً ومحسوباً ومُنتَظراً قدومُهُ بعلم من الله للناس فى الكتب السماوية السابقة على لسان أنبيائه ورسله ذِكْرُه (صلى الله عليه وسلم) بأوصافه ونُعوته وعلامات مولده ، وعند أهل الملكوت بفطرة الله لهم بكلمة التوحيد وأسرارها فيهم (لا إله إلا الله . محمدٌ رسول الله) ولذلك الحبيب المصطفى ﷺ قال فى حديثه الشريف الذى رواه سيدنا على زين العابدين بن الإمام الحسين ﷺ عن أبيه عن جده الإمام علىٍّ كرم الله وجهه ورضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله ﷻ كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنةٍ وكان عرشه على الماء ومن جُملة ما كُتب إن محمداً خاتم النبيين) إذن فهذا قدرٌ مكتوبٌ أزلىٌّ فى الحقائق ، وهذه أمور تُسمى حقائق ، والحقائق سابقة لخلق الأرواح ، والأرواح سابقة لخلق الأشباح . فحين تجلى الله سبحانه وخلق السموات والأرض ، وخلق العرش والكرسى ، وخلق اللوح والقلم تجلَّى على مخلوقاته ففطرهم على فطرة التوحيد الكامل الشامل التام الصافى النقىِّ المُنقَّى بعلم الله وحكمته وعنايته ففى كل مخلوق علمٌ فطرىٌّ عن الله وعن سيدنا رسول الله من أسرار كلمة التوحيد (لا إله إلا الله . محمدٌ رسول الله) فما من شئٍ خلقه الله إلا تجلَّى عليه بطابع القدرة بكلمة التوحيد فإن من سُنن

الصُنع أن كل صانع يُظهر ويُبرز على صنعته خاتم التعريف عن صانعها . إذن كل الوجود على علمٍ ومعرفةٍ بميلاد النبى ﷺ فطرياً وعلى شوقٍ له وانتظار لقُدومه (صلى الله عليه وسلم) ، وإنه من سُنن الله فى البشرية والإنسانية من ذُرية آدم عليه السلام أن أرسل إليهم رسلاً منهم ، وتجلى سبحانه على أنبيائه ورُسلِه بأنواره ، وأسراره فأوحى إليهم بكتبٍ سماوية مُبيِّناً فيها لهم علوم الحق سبحانه وأسراره فى كل مخلوقاته ومن بين هذه العلوم والأسرار ذِكْرُ النبى وتبشيرٌ به وتعريفٍ عنه أنه خاتم النبيين فكان كل رسول يرسل إلى قومه فيبشرهم به (صلى الله عليه وسلم) بأنه خاتم النبيين ومُرسلٌ إلى الناس كافة إلى يوم القيامة فلا نبى بعده ولا رسالة بعد رسالته وهو مُصَدِّقٌ لكل ما سبقهُ من الرسل ومن الكتب ونحن كُلنا مُصدِّقين فإن ظهر فيكم فصدِّقوه واتبعوه فنحن ننتظر مولده وبعثته وقد أخذ الله الميثاق على كل نبى ورسول بالتصديق به وبرسالته وأن يُبلغ كل رسولٍ قومه بالتصديق بالنبى الخاتم وأن يتبعوه إن ظهر فيهم .. ؛ ولذلك يقول الحق سبحانه فى قرآنه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ثم يقول سبحانه فى الكتب السماوية السابقة المنَّزلة على رُسله فى التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم ، وفى كل صحيفة من الله إلى أنبيائه . يذكر وصف النبى ﷺ ونعتِه ،

ووصف أمته بالمدح وتبيان جمال النبى فى صنيعه بأمته وجمال الأمة وحُسن صنيعها مع الرسالة إلى يوم القيامة ولذلك يقول الحق مُبيِّناً هذا الجمال فى قرآنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . فالمثل الأول فى التوراة مثلاً رُوحياً راقياً جليلاً مُبيّناً قدر الأمة وجمال العطاء والمقام الكمالى الخُلقى الذى يفوق المقام الملائكى فى وصفه أشداء على الكفار رحماءُ بينهم : أى أن المؤمن فى أمة محمدٍ يجمع بين الشئ وضده ويحفظ بينهما ضوابط الحركة فى تصريفها بالعدل والأمانة على مُراد الله ورسوله وهذا لا يكون إلا فى النفس الكاملة كمالاً روحياً نبوياً ربانياً . فهذا مشهدٌ جمالىٌّ مشهودٌ فى الصادقين من الأمة ، وبالذكر موصوفٌ من الله سبحانه ومشهدٌ آخر أجمل وأكمل فى المثَل الأول فى التوراة يجمع بين الشئ وضده . قوله سبحانه : ﴿ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ فهذا المثل جعله الله فى التوراة لأن اليهود لا يؤمنون إلا بالمادة والحِسِّ ولذلك

كان مطلبهم من رسول الله المرسل إليهم سيدنا موسى عليه السلام قالوا أرنا الله جهرة فأراد الله أن يُبين لهم فى التوراة كتاب الله إليهم صفة أمة محمد أنهم خيرُ أمةٍ أُخرجت للناس بهذين الوصفين الجميلين . رُكَّعاً سُجَّداً يعنى فى العبادة لله والصلاة وقيام الليل فإذا رأيتهم فى قيامهم مع الله فى الليل فى المناجاة يدعون ربهم خوفاً وطمعاً لا يهجعون من الليل إلا القيل . تقول إنهم لا يعملون فى النهار فى عمل يشاركون به فى عمران الحياة فهذا حالُهم مع الله فى الليل ، وإذا رأيتهم فى النهار تراهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً : أى يشاركون فى حركة الحياة بالعلم والعمل وطلب العطاء والسعى على الكسب الحلال . وتراهم أسبق أهل الأرض علماً وعملاً . وقد وصف الله أمة محمدٍ فيما أوحاه لسيدنا موسى عليه السلام حين سألهُ عن وصف أمة محمد قال : يا موسى أُمَّتُهُ الحمَّادون يحمدوننى صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشُدون أوساطهم ، ويطَّهرُون أطرافهم . أُسودٌ بالنهار رُهبانٌ بالليل .. فمعنى يشدون أوساطهم : أى الرُكوع والسجود فى الصلاة رُكَّعاً سُجَّداً ، ومعنى أُسود بالنهار : أى سادة الناس وأئمتهم وقدوتهم فى العلم والعمل فأهل الأرض جميعاً يوقِّرونهم ويُجلُّونهم . رُهبانٌ بالليل : أى قوامين لله عُباداً أتقياء أصفياء روحانيون تعرج بهم عبادتهم لله عروجاً روحياً وسمواً إلى عالم الملكوت تسبحُ فيه أرواحهم فى أسرار الله وعلومه وأنواره قرباً ووصلاً ووصالاً للمَلِك الجليل محبوبُهم ومُرادهم ومثَلُهم فى الإنجيل عند النصارى وصفهم الله وصفاً مادياً لأن النصارى مظهرهم مع الجانب الروحى فكان ذِكرُ الأمة عندهم فى كتابهم بوصفٍ

مادىٍّ حِسِّىٍّ يُشاهدهُ أهل الحس والمبنى . ومن خلال صدقهم مع الله ومجاهدتهم النفس وجهادهم فى سبيل الله ارتقوا إلى مقام أهل الصدق وعظيم الأجر .. فيقول الحق سبحانه ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ... ﴾ فبعد أن وصفهم الله فى التوراة بوصفين مادىٍّ بالنهار وروحىٍّ فى الليل ليظهر جمال العطاء فيهم وكمال الخُلُق انتقل الحق سبحانه لذكر أوصافهم فى الإنجيل بالمثل الذى له واقع مشهود فى الأسباب لأهل المُلك فيه مشاهد بالرؤية والإثبات ، ولأهل الملكوت فيه بالرؤية والتحقيق . فهذا الوصف فى الإنجيل شاهدناه وشاهده صحابة النبى الكرام رضوان الله عليهم بل تعايشوا معه واقعاً وقع عليهم وكانوا هم أهل هذا المثل القرآنى بالتحقيق ، وشاهده فيهم الصديق والعدو والمكان والزمان . فقد بدأت الرسالة فى مكة ودعوة النبى ﷺ إلى الله فلما دعا النبى قومه إلى عبادة الله ، وعاب عليهم عبادتهم للأصنام من دون الله آذوهُ وآذوْا وعذبوا كل من آمن من الفقراء والمستضعفين ؛ فتعرضوا لشدة الإيذاء والتعذيب وكان مظهرهم أمام أعين المشركين الضعف فاستهانوا بهم وأخرجوهم من ديارهم وأهليهم وأموالهم فكان الوصف بداية مثلهم فى الإنجيل كشطأة أى كزرع أخرج شطأة فهم زرعةُ الله ورسولهِ وأخرج الزرع شطأه والشطأه ضعيفة يطؤها الطفل بقدمه فيهلكها فلا يبقى لها أثر يصلُح ، لكن عناية الله ورعايته تجعل هذه الشطأه تقوى وتسموا رغم أنف أعداءه من المشركين ؛ ولذلك تعرضوا جميعاً صحابة النبى الكرام فى بدايتهم بمكة لابتلاءات عظيمة حتى كانت

الهجرة إلى المدينة فارتقوا بالقوة والظهور كَرُقيِّ الزرع كزرع أخرج شطأه فهذا مظهر الصحابة فى البداية بمكة فبتحملهم الإيذاء وصدقهم كانت عناية الله بهم ورعايته لهم فآزرهم فقوَّاهم بالهجرة إلى المدينة ثم كانت الغزوات ونصر الله لهم فظهرت أمام أعين الناس قوتهم وعزتهم وكرامتهم وقويت شوكتُهم بعد ضعفها قويت على عدوهم بالحق وارتقوا إلى وصف فآزرهم فاستغلظ فاستوى على سوُقه يُعجب الزراع ليغيظ بهمُ الكفار . أى فاستغلظ فقوى الزرع فاستوى على سُوقه يعنى غلُظ الساق واستوى لا يقدر أحدٌ على هشمه أو كسره ولا يعرف سر عظمته إلا أهل الخبرة بالزراعة من هذا الصنف من الزرع ، وهم أهل الكتاب أهل المعرفة بهم من الكتب السماوية ولذلك أراد الحق سبحانه أن يكمل جمال هذا المثل بعد تمام أطواره بنجاح فى أمة محمدٍ بقوله ليغيظ بهم الكفار لأن هذا مُراد الله سبحانه فحين افترض الله على الأمة فريضة الحج .

فريضة الحج وتكريم الله للأمة : ■

حين فرض الله سبحانه وتعالى على الأمة فريضة الحج وذلك فى العام التاسع من الهجرة وكان النبى ﷺ يشغله أمرُ كتابة المعاهدات مع اليهود والمشركين وكان يخرج من غزوة تبوك ، وهذه أمور عظيمة وهامة فى خدمة الرسالة فجعل سيدنا أبو بكر أميراً على وفد الحجيج وخرج أبو بكر ﷺ والحجاج المسلمين معه من المدينة ونزل قول الحق سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ

الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ . فأرسل النبى ﷺ سيدنا علىَّ بن أبى طالب كرم الله وجهه و ﷺ ليلحق بوفد الحجاج ليكون خطيب الحج فى عرفات ويعلن هذا الإعلان الإلهى الذى كلَّف الله به المؤمنين من أمة محمدٍ ليُنذروا به أهل الشرك فى عرفات من خلال قوتهم المشهودة ويتحقق قول الحق سبحانه ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ ويأخذ سيدنا علىٌّ تعاليم سيدنا رسول الله ﷺ فى هذا الشأن ويلحق بالحجاج فى ميقات المدينة دى الحُليفة (أبيار على) ويسأله سيدنا أبى بكرٍ ﷺ عن سبب إرساله فقال بلسان أدب النبوة . إن رسول الله أرسلنى خطيباً فى عرفات مؤتمراً بأمرك فأنت أمير الوفد ، ويقف المسلمون على عرفات كما يقف المشركين من جميع الملل لأن كل الناس يهود ونصارى ومشركين ومجوس كانوا يقفون على عرفات ويطوفون بالبيت يتوهمُون أن الحج لجميع الناس ، ولكن حقيقة الأمر أن فريضة الحج خاصة للمسلمين بمعرفة المناسك فى دين الله الإسلام ملة إبراهيم حنيفاً بدعوة أبينا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ . ويقف سيدنا علىٌّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهه و ﷺ على الصخرة فى عرفات ويقرأ الآية والجميع يلتفت حولهُ مُنصتين لخُطبته ويبدأ خُطبته بقول الحق سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ **ثم يقول مُعلناً فى خطبته لا يحُجُّ البيت إلا مُسلماً ولا يطوف بالبيت عُرياناً ، ولا يقرب الحمى من كان مُشركاً ، ولا يقف فى عرفات إلا من كان مسلماً ، وإن سماحة الإسلام دين الله دينُ الرحمة تجعلنا منكم فى وفاءٍ بوعد الله الذى نعدُكم أنتم منَّا فى أمنٍ وأمانٍ لمدة ثلاثةِ أشهر حتى يأمن كل منكم على نفسه داخل داره وبعد وفاء هذه المدة من وجدناه اقترب من حمى البيت نقتله فقد استأمن الله المؤمنين من أمة محمد على بيته ومناسكه وبما أن فريضة الحج لا يقوم بها ولا يؤديها إلا من كان مُسلماً فإن فريضتها على الأمة كانت تكون فى بداية الدعوة ولكن حكمة المشرِّع وهو الله سبحانه جعل وقت فريضتها يتعلق باستكمال قوة الأمة ليكون إعلان مَنع المشركين من أن يقتربوا من البيت من خلال قوة مشهودة تُرهبهم فلم يكن هناك قوة فى البداية عند المسلمين لمثل هذا الإعلان كما قلنا فى البداية شطأة ولكنهم اليوم اجتازوا كل المراحل بنجاح حتى وصلوا اليوم إلى مرحلة عُظمى وهى فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ولا غيظ أشد من هذا الإعلان الذى قهر أهل الشر بجمعهم ورؤية قوة المسلمين مشهودة لهم وضعفهم لأنفسهم مشهود ، ولم يبق من مراحل هذا المثل إلا وفاء الله لهم بوعده بقوله :** ﴿ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ منهم لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ **نشاهد أجر الله لهم بما وعد فى حجة**

الوداع فى العام الذى يليه فى السنة العاشرة من الهجرة يخرج النبى ﷺ من المدينة بصحابته مَحْرِماً لحج بيت الله الحرام ، وحين يقف بعرفات والمسلمون من حوله أراد الحبيب المصطفى ﷺ أن يكشف لصحابته عن رؤية مشهد قوتهم اليوم . أمر الرسول الكريم ﷺ سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر بن الخطاب ، وسيدنا علىٍّ أن ينصرفوا فى جوانب عرفات ليبحثوا ويتحسسوا عن مشركٍ إن وجدوه يأتوا به فعادوا إلى النبى ﷺ قائلين يا رسول الله ما تركنا مكاناً مستوراً كان أو مكشوفاً من عرفاتٍ إلا وقفنا عليه واقتحمناه أى : فتشناه فلم نجد مشركاً واحداً فقال (صلى الله عليه وسلم) لقد تمت نعمة الله عليكم وقام (صلى الله عليه وسلم) واقفاً على الصخرة وخطب خُطبةً بيَّن فيها مناسك الحج ومعالم الإسلام وبيَّن فيها الحلال والحرام ونزل قول الحق سبحانه معلناً للمسلمين عطاء الله لهم على صدقهم قوله سبحانه ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ **أى أن المشركين شاهدوا فيكم القوة التامة وشاهدوا فى أنفسهم الضعف التام فلم يجترئ منهم رجلاً واحداً ليدخل عرفات اليوم فلا تخشوهم واخشوا ربكم واستقيموا على هذا الحال الذى أنتم عليه اليوم من الصدق يدوم لكم وبكم ومعكم عطاء الله ونعمه ، ونحن فى هذا الجمع المبارك اجتمعنا على محبة سيدنا رسول الله ﷺ صاحب الذِّكر الرفيع والوصف العظيم فمهما وصف الواصفون فى سيد المرسلين فكلٌّ يصف على قدر ضعفه فلا يستطيع**

أحدٌ من الخلق أن يفى للحبيب المصطفى حقاً فى وصفٍ إلا الذى خلقه سبحانه . وتحت لواء الوصف الجميل لسيد المرسلين الذى كمَّله وجمَّلهُ الحق سبحانه فإنه لم يكن لسيدنا رسول الله ﷺ مددُ من الأسباب بتصنُّع فى جمال من مخلوق أو من أى ذاتٍ خُلقت ولكن الجمال المحمدى الممنوح لسيد المرسلين من الذى خلقه واصطفاه ولذلك يعلن الحق سبحانه عن جمال الرسول وجمال الرسالة فرسالة الرسول رحمة للعالمين . إذن فالرحمة بمعناها هى جمال الوجود كله مُلكاً وملكُوتاً بقوله سبحانه ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وكل شئٍ مشهودٌ فيه جمال صنعة صانعه إذن الرحمة تحتضن الأشياء كلها فى جمال الخالق جل وعلا وموضوعنا فى المحاضرة فى هذه الليلة المحمدية عنوانه [تجليات الجمال الإلهية على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) : ■

إن الجمال المحمدى المُعلن عنه بلسان الحق سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ . أى تشريفٌ هذا إنه تشريفٌ عظيم بدأ الله فيه بنفسه على حبيبه أشرف الخلق وثنَّى بملائكته وأمر المؤمنين من أمته أن يُصلوا ويسلموا عليه تسليماً على الدوام فإن هذا التشريف أكمل وأتم من تشريفه سبحانه لأبينا آدم عليه السلام إذ أمر الملائكة وحدهم بالسجود له ولكنه سبحانه فى تشريفه لحبيبه محمداً ﷺ بدأ فيه بنفسه فهذا إن دل فإنما يدل على أنه (صلى الله عليه وسلم)

أعظم خلق الله وأسماهم على الإطلاق وقيل إن هذه الآية نزلت فى شهر شعبان شهر رسول الله ﷺ كما أخبر الحبيب فى حديثه الشريف بقوله : (رجب شهر الله ، وشعبان شهرى ، ورمضان شهر أمَّتى) فاختار الله إعلانه فى خلقه لتكريم النبى وتعظيم قدرهِ وتبيان علوِّ مقامه أن يكون هذا الإعلان فى قرآنه فى شهر النبى ﷺ شهر شعبان ولذلك يُسمَّى عند الصالحين شهر الصلاة على رسول الله ﷺ وكان شاغلهم فى شهر شعبان الصلاة على النبى . وقد قال سيدنا أبو بكر القُشيرى ﷺ ــ وهو من كبار الصالحين العالمين العارفين ــ يقول : (الصلاة على النبى ﷺ تشريف وزيادة تكْرِمَةٍ والصلاة على من دون النبى رحمة ، وبهذا يظهر الفرق بين النبى ﷺ وبين سائر المؤمنين حيث قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ والمعلوم أن القدر الذى يليق بالنبى ﷺ من ذلك أرفع مما يليق بغيره . إذن نشاهد فى ذلك أن الصلاة على النبى ﷺ من الله تشريف وزيادة تكْرِمَةٍ فهذا شأنٌ يتعلق بمقامه (صلى الله عليه وسلم) وصلاة الله على المؤمنين شأنها يتعلق بمقام المؤمنين كلٌّ على قدر مقامه فيقول سبحانه ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ لماذا ؟ لمعالجة علة فيكم وإنقاذكم من الظلمات إلى النور إذن صلاة الله على المؤمن نجاةٌ له من الهلاك ليأخذ بيده مولاه إلى النجاة من الظلمات أى من ظلمات الضلالة إلى أنوار الهداية ، ومن ظلمات الجهالة إلى أنوار العلم و المعرفة نقول وما الذى تحققه هذه النجاة للمؤمن ؟ نقول تحقق له الرحمة بقوله ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ أى وصار

بالمؤمنين رحيماً يعنى من تعلق شوقاً إلى تحقيق رحمة الله به وله مطلب التجليات الجمالية الربانية الإلهية الرحمانية المحمدية نقول له : أكثر من الصلاة على حبيب الله نبيك ونبى الرحمة يُصلى عليك الله ، واعلم يقيناً أنك بمقامك الإيمانى لست أهلاً لأن تُصلى على النبى فالله سبحانه هو الذى يصلى عليه لأن الصلاة لا تكون إلا من العلىِّ الأعلى على حبيبه فكيف تكون من الأدنى على الأعلى ؟ أى منك على رسول الله وأنت أدنى منه مقاماً ولكن الله أمرك بالصلاة على نبيه وعلمك كيف تصلى عليه أن تطلب من الله وترجوه أن يصلى عليه فتقول : (اللهم صلِّ على النبى) ، وما دُمت مع الله فى مطلب الصلاة على النبى فهذا الحال منك دالٌ على محبتك لرسول الله ﷺ فالله سبحانه يُصلى عليه ويكون عائد الصلاة لك من الأجر والرحمة والرُقى والقرب والوصل والوصال بالله وبرسوله (صلى الله عليه وسلم) .

الصلاة على النبى عقب الأذان : ■

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علىَّ فإنه من صلى علىَّ واحدةً صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لىَ الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبدٍ من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل الله لىَ الوسيلة حلَّت عليه شفاعتى .) أى وجبت وغشيته ونزلت به . رواه مسلم فى صحيحه . إذن الصلاة على النبى ﷺ بعد الأذان وبعد الإقامة سُنةٌ مؤكدةٌ على كل مسلم وعلى المؤذن ، وعلى من يسمع الأذان ، ولذلك سادتنا الصالحون قالوا : فى الفعل الصحيح فى ذلك أن

على المؤذن أن يُجمِّل ويُكمِّل الأذان بالصلاة على النبى بصيغةٍ حسب إلهامات الحق الجمالية فيه من ينابيع المحبة فى قلبه لسيدنا رسول الله ﷺ وعلى قدر حبه يصف ويمدح فى جمال الذات المحمدية بصلوات على النبى يطلب بها مطالب جمالية من محاسن العطاء من الله الذى أحبه وصلى عليه وملائكته ، وأن يكون ذلك بعد فراغه من إتمام الأذان بكلماته المعلومة وبصوتٍ عالٍ لا يقلُ شأناً عن صوته بالأذان وذلك أمرٌ من سيدنا رسول الله ﷺ فى هذا الحديث الشريف بقوله (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علىَّ ..) إذن الذى يسمع المؤذن قد حظىَ بالمثلية له بمتابعته وأُمرَ بالصلاة على النبى بعد تتمَّة كلمات الأذان فالمؤذن أولى بالسبق إلى أن يحظى بهذا الأمر وعطاياه ما دامت بعد الأذان ولا تقطع كلمات الأذان بفصلٍ فى وسطه ؛ فالصلاة على النبى ﷺ تمام وكمال وجمال وحُسن لكلِّ قولٍ وفعلٍ وعملٍ وأداءٍ ولأنها سُنةٌ مؤكدةٌ على المؤذن وعلى من يسمعه من المسلمين فاختيار الصالحين أن يُصلى المؤذن على النبى رافع الصوت فضلٌ . ويصلى من يسمع إليه مثله بصلاته حسب سُنةِ المثلية فى الأذان حتى إذا كان من بين المصلين من لا يستطيع أن يصلى بهذه الصلوات وحده يحظى بها قولاً وعطاءً وأجراً ولا نحكم من جهلنا على المؤذن أنه أخطأ فى أن صلى على النبى عقب الأذان ولكن حُكمُ الخطأ إن أدخلها فى وسط كلمات الأذان فإن قال كلمات الأذان بترتيبها وتمامها كما هو معلومٌ عند الجميع وزادها تماماً وكمالاً وجمالاً وحُسناً بالصلاة على النبى ﷺ نقول له لقد أحسنت اختيارك بالأفضل والأحسن والأسمى فالصلاة على النبى

ﷺ سُنةٌ مؤكدةٌ فى مواضع كثيرة عند دخول المسجد ، وعند الخروج من المسجد . فقد روى الإمام أحمد عن السيدة فاطمة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمدٍ وسلم ثم قال : اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج صلى على محمدٍ وسلم ثم قال : اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب فضلك . وروى البخارى فى صحيحه عن سيدنا جابر عن النبى ﷺ : (من قال حين يسمع النداء (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته حلَّت له شفاعتى يوم القيامة) والصلاة على النبى سُنةٌ مؤكدةٌ فى أول الدعاء وأوسطه وآخره لِمَا روى الإمام أحمد من حديث سيدنا جابر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (لا تجعلونى كقدح الراكب يملأ قدحهُ ثم يضعهُ ويرفع متاعهُ فإن احتاج إلى شرابٍ شربهُ أو الوضوء توضأ وإلا أهرقهُ ولكن اجعلونى فى أول الدعاء وأوسطه وآخره والصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) سُنةٌ مؤكدةٌ عقب دعاء القنوت لما رواه الإمام أحمد عن مولانا الإمام الحسن بن علىٍّ رضى الله عنهما قال : علمنى رسول الله ﷺ كلماتٍ أقولُهن فى الوتر (اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولَّنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شرَّ ما قضيت فإنك تقضى ولا يُقضى عليك ، وإنه لا يَذل من واليت ولا يَعزُّ من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت . والصلاة على النبى ﷺ سُنةٌ أثناء تكبيرات العيدين وعند التلبية بعد الفراغ منها ، وعند الصفا والمروة ، وفى صلاة الجنازة فإن

السُنةَ أن يقرأ الفاتحة بعد التكبيرة وأن يصلى على النبى ﷺ بعد الثانية ، ويدعو للميت بعد الثالثة ، ويقول بعد الرابعة : اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعدهُ ... ، وعند الاجتماع والتفرق . فقد روى الإمام الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه إلا كان عليهم تِرَةٌ فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم) والتِّرةُ : النقصُ أو التبِعةُ أو الحسرة . وعن أبى سعيدٍ قال : ما من قومٍ يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبى ﷺ إلا كان عليهم حسرةٌ وإن دخلوا الجنة لِما يرون من الثواب لمن يصلى عليه) . والصلاة على النبى ﷺ سُنةٌ عند الصباح والمساء فعن أبى الدرداء ﷺ عن النبى ﷺ قال : (من صلى علىَّ حين يصبح عشراً وحين يُمسى عشراً أدركته شفاعتى يوم القيامة) رواه الطبرانى وسُنةٌ كذلك عند الوضوء فقد روى ابن ماجة عن سهلِ بن سعدٍ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (لا وضوء لمن لم يصلِّ على النبى ﷺ . وسُنةٌ عند نسيانِ الشئ لحديث سيدنا أنس ﷺ عن النبى ﷺ (إذا نسيتم شيئاً فصلُّوا علىَّ تذكروه إن شاء الله تعالى) . " رواه أبو موسى المرينىُّ

فضل الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) : ■

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : (من صلى علىَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً) . وعن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أن النبى ﷺ قال : (إن جبريل أتانى فقال من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، ورفعه عشر درجاتٍ) .

وعن أبى طلحة ﷺ أن رسول الله ﷺ جاء ذات يومٍ والسرور يُرى فى وجهه فقالوا يا رسول الله : إنا لنرى السرور فى وجهك . فقال : إنه أتانى المَلَكُ فقال يا محمد أما يُرضيك أن ربك ﷻ يقول إنه لا يُصلى عليك أحدٌ من أمتك إلا صليتُ عليه عشراً ، ولا يُسلم عليك أحدٌ من أمتك إلا سلمتُ عليه عشراً . قال بلى . رواه الإمام أحمد . وعن عامر بن ربيعة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من صلى علىَّ صلاة لم تزل الملائكة تُصلى عليه ما صلى علىَّ فليُقلل عبدٌ من ذلك أو ليُكثر ... رواه الإمام أحمد . وعن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : (من صلى على رسول الله ﷺ صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليُقلل عبدٌ من ذلك أو ليُكثر ..) رواه الإمام أحمد . وروى الإمام الترمذى عن سيدنا أُبىِّ بن كعب ﷺ قال : يا رسول الله إنى أُكثرُ الصلاة فكم أجعل لك من صلاتى . قال : ما شئت . قلت : الربع . قال : ما شئت . وإن زدت فهو خيرٌ لك . قلت : فالثلثين . قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خيرٌلك . قلت : أجعل لك صلاتى كلها . إذاً تُكفَى همك ويُغفرُ ذنبُك .) وقال الإمام النووى ﷺ : (ويُكْرَهُ إفراد الصلاة عن السلام ، واستدل بورود الأمر بهما معاً فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ إذن تجلَّى الحق سبحانه على عبده بالقبول والقرب لا يتحقق إلا بمحبته للنبى ﷺ وكثرة الصلاة عليه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ولذلك قال بعض العارفين وهو سيدنا بن العربى ﷺ : فائدة

الصلاة على النبى ﷺ ترجع إلى الذى يُصلى عليه لدلالة ذلك على نُصُوح العقيدة وخُلُوص النِّية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة واحترام الواسطة الكريمة (صلى الله عليه وسلم) . ولذلك نرى أن الصلاة على النبى إظهار المحبة له والمداومة على طاعته (صلى الله عليه وسلم) لأن المؤمن قيامه لله بعبادته تحت ظلال طاعة رسول الله ﷺ بقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ فمعنى أن المؤمن يصلى على سيدنا رسول الله فذلك يكون إعلاناً منه بإظهار محبته لرسول الله ومداومته على طاعته فإن المُحبَ لمن يُحبُ مُطيع . واحتراماً منه للواسطة الكريمة لأنه رسولٌ مرسل إليك من الله ولفظ رسولٍ مبنىٌ على قاعدة إرسال مُرسِلٍ ، ومُرْسَلٌ ، ورسالة ، ومُرسَلٌ إليه . إذن ساعة أن نقول رسولٌ نتنبهُ لذلك فنقول رسولُ مَن ؟ أى من الذى أرسله ؟ فتكون الإجابة (رسول الله) إذن نرى أن أمرهُ موصولٌ بالذات الإلهية أى مرسلٌ من قِبَل الله ، والمرسل إليه الناس جميعاً ومضمون رسالته إلى الناس أن اعبدوا الله وأطيعوه بعلم من الله بكتابٍ أرسلنى إليكم لأُبيِّن لكم تكاليفه التى شرعها لكم فنشاهد من ذلك أن أخذ كل علمٍ لعبادة الله والعمل على مرضاته من يد رسولٍ إذن فالطاعة تكون لرسول الله ولذلك يؤكد لنا الحق ذلك فى قرآنه بقوله : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ وبقوله سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

فَانتَهُوا ﴾ ولذلك يكون احترام الواسطة الكريمة وهو سيد المرسلين بالأدب الجمِّ والمحبة الصادقة وكثرة الصلاة عليه يكون هذا إعلان من المؤمن بخُلوص نيَّته وصدقه في طاعته .

الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) فى الصلاة : ـ

أمر النبى ﷺ الأمة بالصلاة عليه بهذه الصيغة فى الصلاة المفروضة التى هى صلةٌ بين العبد وربه وفى صلاة النوافل فى التشهد ... بهذه الصيغة (اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ) فهذه صيغة خاصة بالصلاة أما فى غير الصلاة فصلِّ على النبى بأى صيغةٍ جمالية بها مدحُ النبى ووصفه الكمالى على قدر محبتك للنبى وإلهامات الله لك بما شئت من مدد الله لك والصلاة التى أمر بها سيدنا رسول الله ﷺ فى الصلاة بين يدى الله وهى اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .. ليس للتسوية بإبراهيم ولكن لجنس العطاء من التجلى . وقد قال فى ذلك الإمام الشافعى ﷺ أن التشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة أو للمجموع بالمجموع أى لأصل الصلاة وهو التجلى بالجمال أو للمجموع من جميع عطاء الله لإبراهيم من تجلى الجمال ولآله من جمال النبوة والرسالة والحكمة والمُلك العظيم وقد بين ذلك موضحاً العارف بالله سيدى محمد المُرجانى فى قوله : وسر ذلك فى قوله (صلى الله عليه وسلم)كما صليت على إبراهيم وكما باركت على إبراهيم . لم يقل كما صليت على موسى عليه

الصلاة والسلام لأنه كان التجلى له بالجلال فخرَّ موسى صعقاً ، والخليل إبراهيم كان التجلى له بالجمال لأن المحبة والخُلة من آثار التجلى بالجمال فلهذا أمرنا صلوات الله عليه وسلامه أن نصلى عليه ونسأل الله كما صلى على إبراهيم ليكون المسألة له بالتجلى بالجمال ، وهذا لا يقتضى التسوية فيما بينه وبين الخليل فالذى يقتضيه الحديث المشاركة فى الوصف الذى هو التجلى بالجمال ولا يقتضى التسوية فى المقامين ولا فى الرتبتين فإن الله سبحانه يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما وإن اشتركا فى وصف التجلى بالجمال فيتجلى لكلٍّ واحدٍ منهما بحسب مقامه عنده ورُتبته منه ومكانته فيتجلى للخليل عليه الصلاة السلام بالجمال بحسب مقامه ، ويتجلى لسيدنا رسول الله محمد ﷺ بحسب مقامه . والصلاة على النبى سُنةٌ مؤكدةٌ فى الصلاة فى التشهد وفى خُطبتا الجمعة وفى دعاء القنوت ، وبعد الأذان والإقامة ، وعند دخول المسجد والخروج منه وفى مواضع كثيرة . وأن يتحلى بها المصلى فى أوقات العبادة والذِّكر بحسب اعتناقه بالمحبة ومطلب التجلى ... ومن هذا نعلم أن الصلاة على النبى ﷺ دعاء ورجاء للمؤمن لربه بمكافأة النبى على ما قدمه للأمة من رحمات فهذا أمرٌ يعجز عن أدائه المخلوق ولذا قال سيدى ابن عبد السلام ﷺ (ليست صلاتنا على النبى شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله لِما عجزنا عن مكافأة نبينا عليه الصلاة والسلام .

الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) عند قبره يسمعها : ـ

روى بن عساكر أن رسول الله ﷺ قال : (من صلى علىَّ عند قبرى سمعته) . أى أن النبى ﷺ حىٌّ فى قبره بالسمع والرؤية أى يسمع سلام المُسلِّم عليه وصلاة المصلى عليه ويرد السلام على من سلَّم عليه وكلٌّ مع سمعِ ردِّه على قدر مقام الزائر المسلِّم فإن من الأولياء الذين تجلى الله عليهم باليقين كشفاً للحقائق ومشاهدةً لليقين يسمعون رد السلام منه (صلى الله عليه وسلم) فهذا مقامهم وكيف لا وقد قال الله فى ذكر الشهداء ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ وهؤلاء استشهدوا تحت راية إمامته وقيادته وصِدق اتباعه إذن فهو سيد الشهداء وإمامهم وهو أولى بالحياة الكريمة الكاملة بالتكريم والتمكين والعطاء .

فضل الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) يوم الجمعة : ـ

عن أوس بن أوسٍ القَوْسِىِّ قال : قال رسول الله ﷺ من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خُلق آدم وفيه قُبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة . فأكثروا علىَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىَّ . قالوا : يا رسول الله وكيف تُعرضُ صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ (أى بليت) قال : إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) . وقد قال ابن القيِّم ﷺ فى خُصوصية يوم الجمعة بذلك (فإن رسول الله ﷺ سيد الأنبياء ، ويوم الجمعة سيد الأيام فللصلاة عليه فى يوم الجمعة مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى ، وهى أن كل خير نالته أمته فى الدنيا والآخرة فإنما نالته

على يده (صلى الله عليه وسلم) فجمع الله لأمته بين خيرى الدنيا والآخرة وأعظم كرامةٍ تحصل لهم يوم الجمعة فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم فى الجنة وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة وهو يوم عيدهم فى الدنيا ، ويومٌ فيه يُسعِفُهُم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ، ولا يرد سائلهم ، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده (صلى الله عليه وسلم) لذلك كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يهيمون فى محبة سيدنا رسول الله ﷺ والشوق إليه مما جعلهم يُكثرون الصلاة عليه مستحضرين عظمته فى قلوبهم متصلة أرواحهم بأنوار وأسرار روحه العَلِيَّة . فكان بعضهم يصلى على النبى فى يوم الجمعة خمسة وعشرون ألف مرة ..وهذا الإمام القطب سيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ يقول والله لو غاب عنى رسول الله ﷺ طرفة عين ما أعددت نفسى من جملة المسلمين إذن فالعطاء كله فى محبة النبى والشوق إليه وحُسن اتباعهِ (صلى الله عليه وسلم) .

محبة النبى (صلى الله عليه وسلم) : ـ

روى الترمذى عن أنسٍ عن النبى ﷺ قال : ـ (من أحيا سُنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة) . وقال بن عطاء ﷺ : (من ألزم نفسه آداب السُنة نَوَّر الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام مُتابعة النبى الحبيب فى أوامره ونواهيه ، وأفعاله وأخلاقه) إن محبة رسول الله ﷺ هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون وإليها يشخص العاملون وعليها يتفانى المحبون وبروحِ نسيمها يتروَّحُ العابدون فهى قوت القلوب . وغذاء الأرواح وقُرَّة العيون وهى الحياة

التى من حُرمها فهو من جملة الأموات والنور الذى من فقدهُ فهو فى بحار الظلمات وهى روح الإيمان والأعمال والأحوال والمقامات ، ومن كان صادقاً فى محبته للنبى ﷺ واتِّباعه لسُنته العطرة واقتفائه أثره الشريف يحصل له الفهم للكتاب والسُنة بأمرٍ يختص به دون غيره بمدد من الله ورسوله من باب من القرآن ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ فالعلم الذاتى هو فهم القرآن والسُنة على حقيقة المراد فيه كما قال سيدنا علىَّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهه و ﷺ حين سُئل : هل خصكم رسول الله ﷺ بشئ دون الناس ؟ فقال : لا . إلا فَهماً يؤتيه الله عبداً فى كتابه فهذا هو العلم اللدنى الحقيقى . فاتِّبَاعُ النبى الكريم ، وصدق محبته حياةُ القلوب ونور البصائر ، وشفاء الصدور ، ورياض النفوس ولذَّة الأرواح ، وأُنسِ المستوحشين ، ودليل المتحيرين .

علامات محبة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) : ـ

من علامات محبة الرسول الكريم ﷺ كثرة الشوق إلى لقائه وقد كانت الصحابة ﷺ إذا اشتد بهم الشوق وأزعجهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله ﷺ واستشفوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر إليه والتبرك به . وقد روى عن عبدةَ بنت خالد بن مَعْدَان ــ وهو من التابعين ــ قالت : ما كان خالدٌ يأوى إلى فراشٍ إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار . يُسميهم ويقول : هم أَصْلِى وفصلى وإليهم يحنُّ قلبى طال شوقى إليهم فعجِّل ربِّ قبضى إليك حتى يُغلبُهُ النوم . ولما احتضر سيدنا بلال نادت زوجته واحرباهُ فقال ﷺ : وا طَرَبَاهُ غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبهُ . وكان أصحاب النبى إذا

ذُكر اسم النبى يتغيرُ لونهم ويأخُذهم البُكاء . فقد روى عن عبد الله بن الزبير إذا ذُكر عندهُ النبى ﷺ بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع وكان قتادة إذا سمع الحديث النبوى أخذه البكاء والعويل والقلق والإنزعاج وكان صفوان بنُ سُليمٍ من المتعبدين المجتهدين فإذا ذُكر عنده النبى ﷺ اصفرَّ لونه . وهذا هو صدق محبتهم وشوقهم وحنينهم إلى رسول الله صنع بهم هذا الصنيع إذا ذُكر اسم المحبوب وهو رسول الله ﷺ أن يخضع ، ويخشع ، ويتوقَّر ، ويسكن من حركته ، ويأخذ فى هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ، ويتأدب بما أدبنا الله به . ، ومن علامات محبتك لرسول الله ﷺ حبُ القرآن الذى أتى به ، وهدى به ، واهتدى به ، وتخلَّق به . وإذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك ، والْتذاذك بسماعهِ . هل هو أعظم من الْتذاذ أصحاب الملاهى والغِنَى المُطربِ بسماعهم ؟ ويروى أن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ قال : لو طهُرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله . وروى البخارى فى صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال لسيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ : إقرأ علىَّ القرآن . قال : أقرأ عليك ، وعليك أُنزل . فقال : إنى أُحب أن أسمعه من غيرى فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا ﴾ قال حسبُك فرفع رأسه فإذا عينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تذْرِفان من البكاء ، وهذا يجده من سمع القرآن الكريم بأُذُن قلبهِ . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى

الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ربما مرَّ بآية فتخنُقه العَبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يُعاد ويُحسبُ مريضاً وإذا رأيت الرجل ذواقة وجدهُ وطربَهُ ونشأتَهُ فى سماع الأبيات دون سماع الآيات وفى سماع الألحان دون سماع القرآن . فاعلم أن هذا من أقوى الأدلة على فراغ قلبِهِ من محبة الله ورسوله . رزقنا الله حلاوة محبته بمنِّتِهِ ورحمته ، وهناك حالٌ فى المحبة (الطربُ عند سماع اسمهِ الشريف) واستغراق القلب والروح فهذا مقام الكامل فى محبته لله ورسوله نسأل الله سبحانه أن يحفظ قلوبنا على محبته ومحبة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وآل بيته الكرام . وفى هذا القدر كفاية وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكل عام وأنتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة السابعة

وموضوعها

جمال الرسالة والرسول

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الجمعة
١١ من ربيع أول سنة ١٤١٥هـ
الموافق ١٩ من أغسطس سنة ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى لا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، ولا تَحْوِيهِ المشاهِدُ ، ولا تَراه النَواظِرُ ، ولا تحجُبُهُ السَواتِر ، الدَّالِ على قِدَمِهِ بحدوث خَلْقِهِ ، وبحدوث خَلْقه على وجوده ، وباشْتِبَاهِهِم على أن لا شِبْهَ له الذى صَدَقَ فى ميعادِه ، وارتفع عن ظُلْمِ عبادِه ، وقام بالقسط فى خلقه وعَدَلَ عليهم فى حُكمِه مُسْتَشْهِدٌ بحدوث الأشياء على أزليَّتِهِ وبما وسَمَهَا به على قُدْرته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحدٌ لا بعدد ، ودائم لا بأمد ، وقائمٌ لا بِعَمَد ، ما وحَّدَهُ مَنْ كيَّفَهُ ولا حقيقتُهُ أصاب مَنْ مَثَّلَهُ ، ولا إياه عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ ، ولا صَمَدَهُ مَنْ أشار إليه وتوهَّمَهُ سبحانه . سبحانه كبُر شأناً وعظُمَ سُلطاناً . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصَفِىُ وأَمِينُهُ الرَّضىِّ أرسله الله بوجوب الحُجَجِ ، وظهورِ الفَلَجِ ، وإيضَاحِ المنْهَجِ ، فبلَّغَ الرِسالةَ صادعاً بها ، وحمل على المحجَّةِ دالاً عليها ، وأقام أعلام الاهتداء ، ومنار الضياء ، وجعل أَمْرَاسَ الإسلام متينةً ، وعُرَى الإيمانِ وثيقةً ووضَّحَ لنا معالم الطريق ، وأنقذنا من عذابِ الحريقِ . أرسلهُ ربهُ وأعلامُ الهُدى دارسةً ومناهجُ الدين طامِسَةً فصدع بالحق ، ونصح للخلق ، وهدى إلى الرُشْدِ ، وأمر بالقصد . فصلوات الله وسلامه ، ورحمته وبركاته عليك سيدى يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك وأحبابك وأتباعك ، ومن اهتدى بهديك ، واقتفى أثرك إلى يوم الدين .

أما بعد

فنحن فى هذه الليلة المباركة هى أعظم ليلة امتَّن الله بها على الوجود

كله فى المُلك والملكوت ليلة مولد سيد الوجود ﷺ ليلة صنعت فى قلوب أهل الصفا من أهل الإيمان صنيع الحب الصافى ؛ لأن رسالة النبى ﷺ (الحب) لذلك اصطفاه مولاه واختاره وحباهُ إلى مقام الحبيب المحبوب فقد اصطفى الله إبراهيم خليلاً ، واصطفى موسى كليماً ، واصطفى نبينا محمداً ﷺ حبيباً فهذه مقامات أعلاها مقام الحبيب الجامع لأسرار المقامات والكمالات الإلهية وتحت لواء مقام الحبيب ﷺ يكون نداء الحب لله ولرسوله ويكون أيضاً شرط الإيمان الكامل عند المؤمن بالله هو الحب لرسول الله ؛ لأنه بداية الحب والمحبة لله . فأصل الحب (الله) وكثيرٌ زعموا محبة الله من الناس بقولهم وزعمهم فأراد الله ﷻ أن يصنع لذاته برهاناً جليَّاً نورانياً ساطعاً نورهُ لتصفية أهل محبته الصادقين والمؤمنين به حقاً على مراده . فجعل ذلك البرهان حبيبه محمداً ﷺ بقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ وجعل محبة النبى ﷺ دالَّة ودلالة على محبة الله بقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾ يعنى يا من زعمتم من الناس جميعاً محبتكم لله وترجون من الله محبته لكم ردَّاً على محبتكم لله فإن كنتم صادقين فى زعمكم هذا فاتبعونى يُحببكم الله ن ولا اتِّباع إلا بمحبة فيكون التصريح هنا بمعنى فأحبونى وأطيعونى واتبعوا سُنَّتى واقتدوا بقولى وفِعْلِى فإن المحب لمن يُحب مُطيعُ ، وقد جعل النبى ﷺ شرط الإيمان بالله وبرسوله فى محبته صلى الله عليه وسلم بقوله فى حديثه الشريف : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون

أحب إليه من نفسه وماله وولده) فهذا شرطٌ للإيمان أن تكون محبتك لرسول الله أكثر من محبتك لنفسك أى تُقَّدم أمر رسول الله فيك على أمر نفسك ويكون هَوَى نفسك خاضعاً لِهَوَى الحق الذى يدعوك إليه رسول الله ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به) وأيضاً تكون محبتك لرسول الله أكثر من محبتك لمالك وتكون أكثر من محبتك لولدك فهذا شرطُ الإيمان بالله ورسوله فمن قصَّر فى شرط الإيمان أى فى محبة سيدنا رسول الله ﷺ فلا إيمان له ومن هذا المشهد الجمالى نُشاهد أن الحق سبحانه جعل محبته فى محبة رسوله (صلى الله عليه وسلم) . وننتقل إلى مشهد جلىٍّ أن رسول الله ﷺ جعل محبته فى محبة آل بيته الأطهار رضى الله عنهم .

حُبُ آل بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) ورضى الله عنهم : ـ

إن محبة المؤمن لآل بيت النبى يرتقى بها إلى مقام يُقرِّبه إلى سيدنا رسول الله ﷺ بالمحبة فإن الحب مع الله ارتقاءٌ فى درجاتٍ عليَّة أعلاها الله ورسوله فالحب حبُّ الله ، وحب سيدنا رسول الله ، وحب آل بيت رسول الله فالله جعل برهان صدق محبته فى محبة رسول الله والرسول ﷺ جعل برهان صدق محبته من أمته فى محبة آل بيته ولذلك قال النبى الحبيب ﷺ فى حديثه الشريف (أحبُوا الله لِمَا يغذوكم به ، وأحبُونى بُحب الله ، وأحبوا أهل بيتى بحُبى) أحبوا الله لما يغذوكم به يعنى : أحبوا الله لما تلمسونه وتتنعمون فيه من نعيم قائم وواقع تعيشونه برؤية آلائه وآياته الكونية العظمى المشهودة لكم أمام أعينكم قد سخرها لكم لخدمتكم فى كل ما تدَّعيه حياتكم من مطلبٍ فهذا المشهد العظيم لكم

يفرضُ عليكم محبة الله لأن العبد إذا تأمل فى الآيات الكونية العظيمة وعَلِمَ يقيناً أن الله ما خلقها إلا لخدمته فى حياته وأسرار حياته تتعلق بوجودها لَعَلِمَ يقيناً ورأى يقيناً وأثبت يقيناً أن الله سبقت محبته لعبده إذ هيأ له الكون لخدمته قبل أن يُوجدهُ فى الوجود فأصبح لِزاماً على العبد محبته لله بلا شك ولا ريب . ثم قال الحبيب المصطفى ﷺ وأحبونى بحب الله ؛ لأنى حبيب الله ورسوله أى : أنا رسول الرحمة إليكم من الله بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وأنا بكم رؤوفٌ رحيمٌ بقول الحق سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وأنا المُبَّلغ لكم عن الله سبحانه فأحبونى بحُب الله أى بحب الله لى إذ أرسلنى إليكم وبحبكم لله إذ أنا حبيبه ومُصطفاهُ ورسوله إليكم بما يُسعدكم فى الدنيا والآخرة من رحمة وهدى ونوروعلم وضياء وشفاءٍ ثم قال الحبيب المصطفى ﷺ (وأحبوا آل بيتى بحُبى) لأن آل بيتى هم رُسلٌ إليكم منى بالرحمة والهدى والنور والقرآن والعلم النافع وهم مصابيح الهدى المُبَّلغين عنى ، وهم ورثتى فى التبيان لأسرار القرآن وعلومه ووقع النور منى فيهم فهم أهل الأمانة وأهل العلم والمعرفة وأهل الحكمة وأهل القرآن ، وأهل الحُجة والبُرهان لله ولرسوله فى كل زمان إلى أن تقوم الساعة .. لذلك قال فيهم الإمام علىٍّ بن أبى طالب ﷺ وكرَّم الله وجهه يصفُهم فيقول : آل بيت النبى هم عيشُ العلم وموت الجهل ، يُخبركم حِلمُهم عن علمِهم وصمتهم عن حكم منطقهم ، ولا يخالفون

الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الإسلام ، وولائجُ الاعتصام بهم عاد الحق فى نصابه وانزاح الباطل عن مُقامه وانقطع لسانه عن منبتهِ عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فإن رواة العلم كثيرٌ ورعاته قليلٌ لذلك أمرنا الله بالصلاة عليهم فى الصلاة المكتوبة وعلَّمنا رسول الله بقوله (صلى الله عليه وسلم) صلُّوا كما رأيتمونى أصلى فنقول فى التشهد فى الصلاة (اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمدٍ كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم . لماذا ؟ لأن آل سيدنا إبراهيم جعل الله فيهم النبوة والرسالة بأنوارها وعلمها وحكمتها ومقاماتها ممدودة إلى سيدنا رسول الله ﷺ بقول الحق سبحانه : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ فهذا من عطاء الجمال وقد ختمه الله فى آل إبراهيم من ذرية إسحاق ويعقوب ببعثة ورسالة سيدنا محمد صاحب مقام النبوة والرسالة الفردية من ذرية إسماعيل عليه السلام ، والمُرسل إلى الناس كافة ورسالته إلى يوم القيامة سارية وقائمة فقد ختم الله بمقامه المقامات وبرسالته الرسالات بقوله سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ أى ختم الله به مقام النبوة لأن مقام النبوة فى الأمم السابقة من آل إبراهيم كان قاعدة الترقى لمقام رسولٍ فلا رسولَ إلا وكان من قبلُ نبياً (وليس كل نبىٍّ رسول ، ولكن كلُّ رسولٍ نبى) وقد قال الحبيب المصطفى ﷺ فى حديثه الشريف

(علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل) أى العلماء العاملين مصابيح الهدى فى كل زمان وهم آل بيت النبى الأطهار رضى الله عنهم . فإذا ختم الله بالذِّكر فى قرآنه مقام النبوة بقوله سبحانه : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ فقد بيَّنه رسول الله ﷺ بقوله كأنبياء بنى إسرائيل واللفظ هنا مُطلق التشبيه أى كأنبياء بنى إسرائيل فى كُلِّيَّةِ العطاء الإلهى لهم من النبوة والرسالة والعلم والحكمة والمعجزات والبرهان لخدمة الرسالة ونُصرة الدين بهم إلى يوم القيامة ونحن إذا قلنا فى صلاتنا وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على آل سيدنا إبراهيم فالتشبيه جمالى بمطلب امتداد عطاء النبوة والرسالة فى آل سيدنا محمدٍ إلى يوم القيامة كما جعلتهُ بفضلك يا رب العالمين ممدوداً فى آل إبراهيم إلى أن ختمته بالمقام الكامل مقام حبيبك ومصطفاك سيد الوجود محمدٌ ﷺ فعطاءُ النبوة والرسالة لم يزل قائماً وممدوداً فى أمة محمدٍ ﷺ فى آل بيته أولياء الله فهم رُسل من رسول الله فى كل زمان إلى يوم القيامة بالذِّكر الذى اختاره الله لأهل المقامات من أمة محمدٍ وهو ذكرُ (ولىٌّ) ليحل محلَّ ذكرِ (نبى) والعطاء واحد بقوله سبحانه ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ والبشرى : عطاء اليقين بالأمن والسلام من الله لهم بالكرامات والبراهين الساطعة بالحُجة معهم لنُصرة الرسالة ونُصرة دين الله بالتأييد لهم من الله بالكرامة كما أيد المرسلين بالمعجزات لكل منهم

عطاءه لهدى أهل زمانه والأخذ بيدهم للنجاة من فتن زمانهم إن حلَّت بهم الفتن فهم مصابيح الهدى وهم أيضاً أصحاب مقام القلَّة فى الذِّكر لأهل السَّبق إلى الله بقوله سبحانه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ أى ثلة من الأولين أى جماعة بكثرة عدد من السابقين فى الزمن الأول فى صدر الإسلام وهم صحابة النبى الأعلام وقليلٌ من الآخرين فى الأزمنة المتأخرة فى الدنيا إلى يوم القيامة لكل زمان حظَّه ورزقهُ من هذه المصابيح ليستنيربها وهم آل بيت النبى الأطهار أهل المحبة والقرب أولياء الله رضوان الله عليهم أجمعين . كذلك حبُ صحابة النبى أهل الصدق واليقين لِزاماً على كل مسلم ومسلمة أن يُجلَّهُم عند ذكرهم بإظهار المحبة والولاء لهم بقوله بشوقٍ وهيامٍ لهم قائلاً رضى الله عنهم وجزاهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فهم أهل الأمانة وهم أهل الصدق وهم أهل الفضل اختارهم الله لحمل أمانة دينه من يد رسوله واصطفاهم لمجالسته والنظر إلى وجهه الجامع لأنوار الجمال كله وتربوا على يده وأخذوا عنه ومنه العلوم مشافهة بالمجالسة والسمع والرؤية والاقتداء به بالفعل مبنىً ومعنىً حتى قال فيهم حبيبهم ومُربيهم رسول الله ﷺ (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) . هذه شهادة وإجازة منحها لهم سيدنا رسول الله ﷺ بل منحها لكل منهم على حدَة أنه نجمٌ لا يُدرك لأنه تسلم أنواره من البدر التام بنور الله فى الوجود كله على المدى فمن اقتدى بنجمٍ واحدٍ نجا وأصبح من أهل النجاة بالذِّكر والعطاء فى الدنيا وفى الآخرة ويُظَلَّلُ تحت ظلال هذه

الآية : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وكفى الصحابة شرفاً أن الله اصطفاهم واجتباهم وطهرهم وكمَّلهُم لمجالسة حبيبه ونبيه ورسوله أكمل خلقه وأشرفهم وأزكاهم صاحبُ مقام الشفاعة بين يديه فى خَلْقِهِ ، وصاحب اللواء المحمود فى القيامة ، وصاحب الحوض المورُود سيد ولدِ آدم ، وسيد الوجود (صلى الله عليه وسلم) روحاً وجسداً فإن مجلس النبى ﷺ تَتُوقُ إليه ملائكة الرحمن أما صحابة النبى ﷺ فقد اختارهم الله لمجالسة النبى ﷺ وصُحبتهِ (صلى الله عليه وسلم) والتحدث معه والأخذ منه العلم مُشافهةً وتَسلُّم العطاء منه يداً بيد الروح والجسم معاً فمن دقق النظر بالتأمل فى صحابة النبى الأجلاَّء رضى الله عنهم رأى فيهم ونقل عنهم أنهم بتمام القول وجمال النُّصحِ ويشاهدُ فيهم ومنهم علامات الحب لسيدنا رسول الله ﷺ وعلامات الحب هى كثرةُ الشوق إلى لقائه ومجالسته أى أنك إن صدقت فى محبتك لسيدنا رسول الله ﷺ فإنك تعيش بكل أنفاسك فى شوقٍ دائمٍ إلى لقاء سيدنا رسول الله ﷺ ورؤيته ومجالسته . فهذا كان حالُ صحابته رضوان الله عليهم كانوا دائماً على شوقٍ للقاء المحبوب فكانت الصحابة رضوان الله عليهم إذا اشتد بهم الشوق وأزعجتهم لَوعَة المحبة قصدوا رسول الله ﷺ واستشفوا بمشاهدته فإذا مرض أحدهم يقول الشفاء لى أن أشاهد محبوبى فبمجرد أن المريض منهم والسقيم منهم يدخل على سيدنا رسول الله ﷺ يكون الشفاءُ فى الحال والوقت أى استشفوا بمشاهدته والنظر إليه والاستماع منه والتلذذ بمجالسته للنبى ﷺ فقد روى عن بعض الصحابة وهو سيدنا

عبد الله بن الزبير ﷺ أنه كان إذا ذُكرَ اسم رسول الله ﷺ فى مجلسه يبكى ويبكى بُكاءاً شديداً حتى تنقطع الدموع من عينيه ﷺ وكان سيدنا قتادة وهو صحابىٌ جليل من صحابة سيدنا رسول الله ﷺ كان إذا سمع حديثاً نبوياً شريفاً يأخذه البكاء والعويل والصراخ ويغيب عن نفسه ويُرى أنه فى تيهٍ (ليه) لأن الحديث حين سمعه ذكَّرهُ بمجلسه مع سيدنا رسول الله ﷺ والاستماع منه فإنه يتذكر صوت النبى الذى كان يُطَهِّرُ له مسامعه ويُنوِّر له بصيرته فهذا هو صنيع الحب بأهل الصدق فى المحبة فهؤلاء هم سادتنا الصحابة رضوان الله عليهم كان حُبهم وشوقهم وحنينهم إلى سيدنا رسول الله ﷺ صنع بهم هذا الصنيع العظيم الذى جعلهم إذا ذُكر فيهم المحبوب صنع بهم الشوق والأدب والشوق إلى لقاء المحبوب ورؤيته . ويصنع بهم الرجوع إلى تعاليمه وأخلاقه وآدابه وسُنَّته ونحن مع حب آل بيت النبى الأطهار تحيا به قلوبنا وتصفوا به أرواحنا وتزكوا به نُفوسنا وتَسْلَمُ به عقولنا وتَطْهُرُ به أبداننا وتُشْرَحُ به صدورنا وتصْلُحُ به أحوالنا وتُيَسَّرُ لنا أمورنا ؛ فآل بيت النبى فروع من نور من شجرة نورانية ومن أصلٍ عظيمٍ هو أصل الأصول كلها فى المُلك والملكوت فهم من سيدنا رسول الله ﷺ خَلْقاً وخُلُقاً ومبنىً ومعنىً وروحاً وجسداً ونوراً وسراً وحالاً ومقاماً فهم فروع شجرة النبوة وأصول شجرة مُحبيهم مصابيح الهدى والحكمة ، وموالى النعمة ، ومعادن العصمة . ولذلك رُوى فى حديث سيدنا أبو سعيد الخُدْرى ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : (إنى أُوشكُ أن أُدعى فأجيب وإنى تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعِتْرَتِى . كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من

السماء إلى الأرض وعِتْرَتِى أهل بيتى ، وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا على الحوض . فانظروا بماذا تخلُفونى فيهما ؟) ومعنى الحديث الشريف : أنه (صلى الله عليه وسلم) يقول يوشك أن أُدعى فأجيب (يعنى) أن يأتينى مَلَكُ الموت بدعوةٍ لى من الله فأُفارقكم فإن فارقتكم فإنى خلَّفتُ لكم تَرِكَةَ فيكم (وهذا معنى تاركُ) وإنى تاركٌ فيكم الثقلين ومعنى الثقلين : أى الشئ الثقيل العظيم فى مبناهُ ومعناهُ النفيس المصُون والذى لا يوجد له مثليةٌ فى المُلك والملكوت فهو ثقيل فى مبناه وفى معناه وفى قدْرِه وفى ذِكرِه بالقول ، وأثرِه وتمكينه وتأثيره فى الكون كله . كما وصفه الحق لحبيبه بقوله : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ والنبى ﷺ يقول إنى تاركٌ فيكم الثقلين أى لم يكن ثِقَلاً واحداً بل له ثانٍ بالمعِّية عظمٌ نفيسٌ ذى قدرٍ مثلُهُ ومرتبط برفقته لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة ويبينهُما سيدنا رسول الله ﷺ فيقول الثقلين (كتاب الله وعِتْرَتِى) كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض أى : الثقل الأول حبلٌ ممدود نهايته فى أعلى فى يد الرحمن من تعلق بهذا الحبل عرج به إلى مقام القرب إلى الرحمن كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض ليتعلق به أهل الأرض جميعاً للنجاة فمن تعلق به نجا ، وعترتى أهل بيتى هذا هو الثقل الثانى وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا على الحوض أى أن هذين الثقلين القرآن وآل البيت مقرونان ببعضهما إلى أن تقوم الساعة وإلى أن يرد أهل بيت النبى مع القرآن على الحوض المورود فانظروا بماذا تخلُفونى فيهما ؟ أى كل منكم يا أتباعى ويا أحبابى يختار لنفسه

بماذا يخلُفنى فى هذين الثقلين . إذن فقد بيَّن لنا سيدنا رسول الله ﷺ أن النجاة كلها فى حب القرآن وحبُ آل بيت النبى رضوان الله عليهم ؛ لذلك فقد روى البخارى فى صحيحه عن سيدنا أبى بكرٍ الصدِّيق ﷺ أنه قال : (أيها الناس ارقُبُوا محمداً فى أهل بيته) ومعنى ذلك : أى احفظوهُم ولا تؤذوهم ، وفى حديثٍ آخر قال فيه الحبيب المصطفى ﷺ (أدِّبوا أولادكم على محبة نبيِّكُم ، ومحبة آل بيت نبيِّكُم ، وتلاوة القرآن) وهذه إشارة لطيفة محمدية فى تربية النشأ : أى كيف تُربى الطفل المسلم فى بيت الأسرة المسلمة ؟ أى أول ما تغرس فى الطفل اغرس فيه محبة النبى ﷺ ؛ لأن النبى ﷺ هو المُبَلِّغُ عن الله للناس جميعاً فإذا أحبَّهُ الطفل فى سنِّ الفطرة أخذ عنه التبليغ بالتصديق وحُسْنِ الظن به وحُبِّ الاقتداء به واتِّباعِه فى كل ما أمر وما نهى كذلك إذا أحبَّ الطفل فى بدء نشأته آل بيت النبى وهم ورثةُ النبى والمبلِّغين عنه أحسن الظن بهم واقتدى بهم وصدَّقهم فى كل ما جاء عن الله وعن سيدنا رسول الله على ألسنتهم وصدَّق بالقرآن على أنه كلام الله حقاً فأحب تلاوته وذاق حلاوته وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن سيدنا زيد بن أرقَم ﷺ قال : (قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : ــ أما بعد أيها الناس إنما أنا بشرٌ مثلُكُم يوشك أن يأتينى رسول ربى عز وجل فأُجيبُه ، وإنى تاركٌ فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ﷻ فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله ﷻ وخذوا به ، وحث فيه ورغَّب فيه . ثم قال : ــ وأهل بيتى أُذكِّركم الله فى أهل بيتى أُذكِّركم الله فى أهل بيتى أُذكِّركم الله فى أهل بيتى فقيل لسيدنا زيد ومن هم أهل بيته

(صلى الله عليه وسلم) أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة . قيل من ؟ قال : آل علىٌّ ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل العباس . قيل : كل هؤلاء حُرم الصدقة ! قال : نعم . وفى هذا الحديث الشريف تبيانٌ نبويٌ شريفٌ أن آل بيت النبى ورثوا الكمال النبوى المحمدى أنهم حُرِّمَتْ عليهم الصدقة . كما حُرِّمَتْ على سيدنا رسول الله ﷺ وأُحلَّت لهم الهدية كما أُحلَّت لسيدنا رسول الله ﷺ فإنهم قبلوا الهدية أهدوها لمن أحبهم وأحبوه كما كان يصنع سيدنا رسول الله ﷺ إذا جاءته هدية فرآها نفيسة عظيمة أرسلها إلى أهل الصُّفَّة أهل محبته وقال لسيدنا على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه و ﷺ يا علىَّ اذهب بهذه الهدية إلى أهل الصُّفَّة فإنهم ضيوفٌ على الإسلام . وقال (صلى الله عليه وسلم) فى حديثه الشريف : (تهادوا تحابُّوا .) أى أن الهدية دالَّة على المحبة أما الصدقة دالَّة على أنها عطاءٌ لأهل الحاجة ، وآل بيت النبى أغنياءٌ بالله عن الناس . الناس فى حاجة إليهم وهم فى حاجة إلى الله منحهم الله العزَّة والعفَّة أمناء الله على خلقه أمناء على حقِّ الفقير من الغنى فإنهم يأخذون من الغنى يُعطوهُ للفقير ذى الحاجة يعملون بأجرٍ من الله وعدهم به فى الآخرة تحت راية التكريم ﴿ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وفى حديث رواه الإمام الترمذى ﷺ قال : قال (صلى الله عليه وسلم) لعمِّه العباس ﷺ : (والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجلٍ الإيمان حتى يُحبُّكم لله ولرسوله . ثم قال (صلى الله عليه وسلم) : أيها الناس من آذى عَمِّى فقد آذانى فإنما عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه) والصِّنوُ معناه : أى عِرقٌ

واحد وأصلُ أبى أصل عمِّى . فى هذا الحديث الشريف يُبين فيه سيدنا رسول الله ﷺ أن شرط الإيمان بالله وبرسوله حبُّ آل بيت النبى ﷺ فلا يحلُّ نور الإيمان فى قلب عبدٍ إلا بصدق محبته لآل بيت النبى ﷺ ولا يرتقى المؤمن إلى درجات الإيمان الكامل إلا بمحبته لآل بيت النبى لله ولرسوله . وعن أبى سعيد الخُدرىِّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (نزلت هذه الآية فى خمسة فىَّ ، وفى علىٍّ ، وحسنٍ ، وحُسينٍ ، وفاطمة) ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ عن السيدة أم سَلَمَة رضى الله عنها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان فى بيته إذ جاءت فاطمة ببُرْمَةٍ فيها خَزِيرةٌ فدخلت عليه بها . فقال (صلى الله عليه وسلم) : إدعى زوجك وابْنَيْك . قالت : فجاء علىٌّ ، وحَسَنٌ ، وحُسَيْنٌ فدخلوا عليه فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة ، وتحته كساءٌ . قالت : وأنا فى الحجرة أُصلى فأنزل الله عز وجلَّ هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت : فأخذ (صلى الله عليه وسلم) فضْل الكساء وغشَّاهم به ثم أخرج يدهُ فألوى بها إلى السماء ثم قال : (اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامَّتى فأذهبْ عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) قالت : فأدخلتُ رأسى من البيت فقلت : وأنا معكم يا رسول الله . فقال : إنك إلى خيرٍ إنك إلى خيرٍ (رواه الإمام أحمد) . وفى هذا الحديث الشريف يُبيِّن الحبيب المصطفى ﷺ أن أهل بيته هم فاطمة ، وعلىٌّ ، وحسنٍ ، وحُسينٍ) الذين أكلوا معه من الخزيرة أى : العصيدة باللحم وهم الذين

غطاهم بكسائه أى ثوبه الغير مُخيط والذى كان يفترشُه وقال فيهم أهل بيتى وحامَّتى : أى وخاصَّتى ولذلك لُقِّبوا بأصحاب العباءة الخمسة رضى الله عنهم ونفعنا بمحبتهم وفى محبة آل البيت قال النبى ﷺ فى دعوةٍ له : (اللهم أحب من أحبنى ، وأحب هذين [أشار إلى الحَسَن والحُسَيْن] وأباهما وأمهما) . هذه دعوة النبى لمن أحب آل البيت . وقال (صلى الله عليه وسلم) : (من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأُمَّهما كان معى فى درجتى يوم القيامة) [وليس المراد هنا فى المعية بالمقام بل فى رفع الحجاب ورؤية النبى ﷺ فهذه إشارة عُظمى . وروى الإمام الترمذى عن أسامة بن زيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : فى حسنٍ وحُسَيْنٍ اللهم إنى أُحِبُّهُما فأَحِبَّهُما وأَحِبَّ من يُحِبُّهُما) . وروى البخارى فى صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال : (إن فاطمة بَضْعَةٌ منِّى فمن أغضبها أغضبنى) والبَضْعَةُ : قطعة اللحم ، واستدل بهذا الحديث الإمام السُّهَيْلِى فى فتواهُ (أن من سَبَّهَا يَكْفُرْ) . وقالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها (كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وزوجها أحبَّ الرجال إليه) [رواه الإمام الترمذى رضى الله عنه] . وعن أبى هريرة ﷺ قال : ما رأيت الحسنِ بن علىٍّ إلا فاضت عيناى دموعاً وذلك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً وأنا فى المسجد فأخذ بيدى واتكأ علىَّ حتى جئنا سوقُ قينُقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس فى المسجد ثم قال : ادعُ ابنى . قال : فأتى الحسن بن علىٍّ يشتدُّ حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله ﷺ يفتحُ فمهُ ثم يُدخلُ فمهُ فى فمهِ ويقول : (اللهم إنى أُحِبُّهُ فأَحِبَّهُ وأَحِبَّ من يُحِبَّهُ (ثلاث مرات) . روى البخارى فى صحيحه

عن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ قال لسيدنا علىٍّ أنت منِّى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبىَّ بعدى .. وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : (من كنت مولاه فعلِىٌّ مولاهُ) . قال الإمام الشافعى ﷺ : يعنى بذلك ولاء الإسلام كقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ وأخرج الإمام أحمد أن النبى ﷺ قال : (من آذى علِيًّا فقد آذانى) . وقال النَّقَّاشُ فى الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ . نزلت فى علىٍّ ﷺ . وقال سيدنا محمد بن الحنفية : (لا تجد مؤمناً إلا وهو يُحبُ علِيًّاً وأهل بيته) . وعن سيدنا عقبة بن الحارث ﷺ قال : (رأيت أبا بكرٍ حَمَلَ الحسنَ ، وهو يقول بأبى : شَبيهٌ بالنبى ليس شبيها بعَلِىٍّ وعلِىٌّ يضحك) . نسأل الله أن يرزقنا محبة النبى ﷺ ومحبة آل بيت النبى وأن يحفظ قلوبنا على الأدب الجَمِّ مع آل بيت النبى ، وحديثنا فى هذه الليلة المباركة موضوعه عن جمال الرسالة والرسول .

جمال الرسالة والرسول : ▪

أى جمال الرسالة فى ذاتها ، وجمال الرسول فى ذاته (صلى الله عليه وسلم) لأنك حين تشاهد الجمال فإنك تشاهد جمال الرسالة إن صدقت فى بيعتك بالتصديق بها وفى اتِّباعك للرسول ﷺ بحسن يقين شاهدت الجمال فى الرسالة والرسول ، وإن صدقت أيضاً فى محبتك لسيدنا رسول الله ﷺ شاهدت الجمال المحمدى إذن هناك جمالٌ مشهودٌ مُشاهدٌ فى سيدنا رسول الله ﷺ وهناك جمالٌ مشهودٌ مُشاهدٌ فى الرسالة فإن

شُوهد الجمال فى سيدنا رسول الله ﷺ فبالرسالة ولذلك مَنْ لم يصدُق فى الرسالة لم يشاهد فى جمال الرسول شيئاً ولذلك لمَّا سيدنا أبى يزيد البِسطامىِّ سلطان العارفين ﷺ وهو يجلس بين تلامذته ومُريديهِ قال لهم كلمة كانت كبيرة على أن يفهمها الكثير لأنها لم يرتقى إلى مقام فهمها إلا القليل . يقول : (من رآنى دخل الجنة) فقام مُريدٌ وقال كيف ذلك يا سيدى ؟ من رآك دخل الجنة وقد رأى أبو جهل رسول الله ﷺ ودخل النار ؟ فقال له سيدى أبو اليزيد ﷺ إن الرؤية رؤية المقام بعين البصيرة ورؤية المقام لا تكون إلا للمقرَّبين إليه دُنُوًّا وقرباً بحسن اليقين به والتصديق برسالته وعطاء الله له فإن أبا جهل لم ير سيدنا رسول الله ﷺ رسولاً ولكن رآه يتيم أبا طالب فلو رآه رسولاً دخل الجنة . إذن يُشاهَد الجمال فى سيدنا رسول الله ﷺ بالرسالة ويُشاهَد الجمال فى الرسالة فى رسول الله ﷺ إذن يُشاهَدُ فى الرسول بالرسالة ، ويُشاهَدُ بالرسالة فى الرسول . ففى مشاهدة الرسول تُشاهدُ جمال الرسالة لأن جمال الرسالة جلىٌّ واضحٌ فى سيدنا رسول الله ﷺ فقد كان (صلى الله عليه وسلم) قرآناً يمشى على الأرض . فقد سُئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت : كان خُلُقُه القرآن . يبقى جمال الرسالة يشاهد فى سيدنا رسول الله ﷺ ولذلك قُلنا فى الحديث السابق فى الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ لماذا أمر الرسول أُمَّتَهُ بأن يُصلُّوا عليه وعلى آله فى الصلاة المفروضة ؟ ويرجون الله فى صلاتهم أن يجعل الله صلاته على آل محمد ﷺ كما صلَّى من قبل على آل إبراهيم ؟ لماذا اختار النبى ﷺ أن تكون الصلاة

على آله كما كانت على آل إبراهيم ؟ لا أقول من أجل التسوية بالمقام ولكن المراد من ذلك لجنس التجلِّى الذى تجلَّى به الله على إبراهيم وآل إبراهيم ولم يطلب الحبيب المصطفى أن يكون المراد كموسى فإن التجلِّى لموسى عليه السلام تجلٍّ بالجلال أى جلالياً له هيبة الجلال ، ولكن التجلِّى للخليل إبراهيم وآله كان بالجمال إذن المراد فى المطلب أن يكون بالجمال ليشاهد الجمال ولذلك على قدر حُبِّ المُحب لسيدنا رسول الله ﷺ يُصلِّى عليه صلاةً يُحلِّيها بأوصاف جمالية كثيرة يطلب من خلالها مطالب جمالية كثيرة من التجلى لأن ما دام المطلب والمراد تحقيقه جنس الجمال فاطلب من الجمال ما شئت فى صلاتك على النبى وآله . لذلك كان سيدنا على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه ﷺ كان يقول فى بعض صلواته على النبى صلى الله عليه وسلم .

صلوات سيدنا على كرَّم الله وجهه ورضى الله عنه : ▪

اللهم داحِىَ المدحُوّاتِ ، وبارئ المسمُوكاتِ اجعل شرائف صلواتك ، ونَوَامِىَ بركاتك ، ورأفة تحنُّنك على سيدنا محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أُغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق والدَّامِغ لجيشَاتِ الأباطيل كما حُمِّل فاضطلع بأمرك بطاعتك مُستَوْفِزاً فى مرضاتك واعياً لوحيك حافظاً لعهدك ماضياً على نفاذ أمرك حتى أورى قبساً لقابس آلاء الله تصلُ بأهله أسبابه به هُدِيَت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم ، وأبهج مُوضحاتِ الأعلام ، ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون ، وخازنُ علمك المخزون ، وشهيدُك يوم الدين ، وبعيثُك نعمَةً ، ورسولك بالحق رحمةً اللهم افسح له فى عَدْنِك ، واجزِه مُضاعفاتِ

الخير من فضلك . مُهنَّئَاتٍ لهُ غير مُكَدَّراتٍ من فوز ثوابك المحلول وجزاء عطائك المعْلُولِ . اللهم أعلِ على بناء الناس بناءهُ ، وأكرمْ مثواهُ لديك ونُزُلَهُ ، وأتمم له نورهُ ، واجزِه من ابتعاثِكَ له مقبولَ الشهادةِ مرضِىَّ المقالةِ ذا منطقٍ عدلٍ ، وخُطَّةِ فضلٍ ، وبرهانٍ عظيمٍ ... ، ومعنى هذه الصلوات : ففى قوله اللهم داحى المدحوات : أى باسط المدحوات (الأرضون) ، وبارئ المسموكات : أى خالق السماوات ذات السُّمك العظيم . اجعل شرائف صلواتك (مش أى صلاة بقى) فالله يُصلى على النبى بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ولكن سيدنا على يختار صلوات ذات خصوصية فى العطاء فيقول : اجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك : أى زوائد البركات كلها فكلما زادت البركات منك فى الوجود اجعلها لحبيبك ومصطفاك محمد ﷺ ورأفة تحنُّنك لم يقُل الحنان بل طلب الرأفة ومن عمق الرأفة الحنان ، ومن عمق الحنان التحنُّنِ مطلبٌ عظيم . يقول ورأفة تحننك على سيدنا محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أُغلق : أى الفاتح على أهل الأرض أبواب السماء بنزول القرآن حيث كانت أبواب نزول الكتب أُغلقت بعد سيدنا عيسى عليه السلام فلم يرسل رسول ولم ينزل كتاب حتى فتحها سيدنا رسول الله ببعثته ، والخاتم لما سبق : يعنى الخاتم للنبيين الذين سبقوه بقوله ﷻ ﴿ وخاتم النبيين ﴾ والمعلن الحق بالحق : أى معلناً للحق لا من هوى نفسه ولكن من هوى الحق وبقول الحق وصوْتِ الحق بإنزال من الحق فى قرآنه بقوله : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ والدامغ

لجيشات الأباطيل ، وجيشات الأباطيل : أى ارتفاعات الأباطيل وكثرتها فدمَغَها سيدنا رسول الله ﷺ أى أزالها بإعلانه الحق بقوله ﷻ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ كما حُمِّلَ فاضطلع بأمرك بطاعتك : أى كما حمَّلتَهُ يا رب العالمين الأمانة وأمرتَهُ بأدائها وطاعتك فاضطلعَ بأمرك على مُرادك : أى قَوِىَ بأمرك فأدى الأمانة وبلَّغ الرسالة . مُستوْفِزاً فى مرضاتك : أى مستعجلاً فى مرضاتك واعياً لوحيك : أى بلَّغ على مرادك كما بلغهُ وحيُكَ على نُزُول أمينك ورسولك إليه سيدنا جبريل عليه السلام حافظاً لعهدك أى حَفِظَ الأمر منك كما أمرته وكان به وفيًّا على مرضاتك فلم ينس عهدك ولا يُهمله بل كانت له صلى الله عليه وسلم عزْمةُ قوية ترافقُ عهدك يا الله فإن عهد أبيه آدم من قبل كان نقضُهُ النسيان وانفصال العزيمة منه بقوله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ ماضياً على نفاذ أمرك حتى أوْرَى قبساً لقابسٍ : أى قام بتنفيذ أمر الله فى الرسالة بصدقٍ وقوة وحزم حتى أوْرَى : أى أنار قبساً والقبسُ أصل الشُعلة من النار والقابسُ هو طالبُ الاقتباس من نور الحق والهداية . آلاء الله : أى نِعَمُ الله تصلُ بأهله أسبابهُ به هُدِيَت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم : يعنى هداية قلوب أهل الإيمان الذين صدقوا فى اتباعه ﷺ لم يتجلَّى الله على هذه القلوب بنور الإيمان إلا بسيدنا رسول الله ﷺ وأبهج موضحات الأعلام : أى أنار العلامات التى يُهتدى بها فأنار للناس طريقهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور ونائرات الأحكام : أى مُضيئات الأحكام

فما من حركةٍ أو عملٍ أو قولٍ للإنسان فى الدنيا إلا جاء فيها بعلمٍ وحُكْمٍ ، ومُنيراتِ الإسلام فهو أمينُك المأمون سيدنا علىَّ يقول : أمينُك المأمون : أى استأمنتُه على أسرار خلقك فى المُلك والملكوت واستأمنتُه على علوم ذاتك وصفاتك وجعلته داعياً إلى معرفة ذاتك شاهداً على خلقك عارفاً بجلالك فما من عارفٍ من العارفين إلا وشرب من بحار معرفة سيد المرسلين لأن عطائُهُ جمالى ، وما دام عطاءُ الجمال كله مع سيدنا رسول الله ﷺ فخذْ منه ما شئت لما شئت وقل فيه ما شئت من مدحٍ ووصفٍ جميل .

جمال المقام المحمدى وكماله : ■

ولذلك الحق ﷻ حين يوضح الجمال فى الرسالة وفى الرسول ليشاهد الجميع من الخلق والمؤمن بصفة خاصة فيقول سبحانه فى قرآنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ صدق الله العظيم فلا وربك هذا قسمٌ عظيمٌ أقسم به الله العظيم وأقسم بالربوبية وخصوصية النبى ﷺ بأن ضمير القسم عائدٌ عليه ﷺ ومعنى هذه الآية الكريم : أن الحق ﷻ يقول للنبى ﷺ أن الله لا يتجلَّى على قلوبهم بنور الإيمان من عنده ، ولا يدخل الإيمان ، ولا يحلُّ فى قلوبهم إلا إذا أخلصوا فى محبتك وقدَّموك على أنفسهم بالمحبة حتى تكون محبتهم لك أكثر من محبتهم لأنفسهم ويحكموك فى مرضاة أنفسهم فى كل اختيارٍ لهم أو تدبيرٍ أو حكمٍ فإذا حكمت فيهم لا يكون أحدٌ منهم فى

صدره حرجٌ من حُكمك وقضائك فيه ويُسلِّم لك بالرِّضا عن حُكمك فيه تسليماً يشاهد من خلاله رحمتك به عن نفسه بنفسه ويثبت ذلك فى قلبه أنك الأمين المأمون عليه من الله سبحانه وحُكمك فيه من حكم الله ، وطاعتُك فيه هى طاعةُ الله لأن الحق سبحانه قوله : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فقد سلب الله اسم الإيمان عمَّن وجد فى صدره حرجاً من قضائه ولم يُسلِّم له ﷺ وقال سيدى تاج الدين بن عطاء الله ﷺ (أذاقنا الله حلاوة مشربه فى هذه الآية) . دلالة على أن الإيمان الحقيقى لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله ﷺ على نفسه قولاً وفعلاً وأخذاً وتركاً وحُباً وبُغضاً . ثم إنه سبحانه لم يكتف بنفى الإيمان عمَّن لم يُحكِّم أو حكَّم ووجد الحرج فى نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله ﷺ رأفةً وعنايةً وتخصيصاً ورعايةً لأنه لم يقُل فلا والرَّب إنما قال : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ ففى ذلك تأكيدٌ بالقسم ، وفى ذلك إظهارٌ لعنايته برسوله ﷺ إذ جعل حُكْمَهُ حُكْمُهُ وقَضَاءَهُ قَضَاءَهُ . فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لأمره ، ولم يقبل منهم الإيمان بإلهيته حتى يُذعنُوا لأحكام رسوله ﷺ وجعل طاعة الرسول هى طاعة الله بقوله : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ ولذلك يقول سيدى ابن عطاء فى كلمته هذه مبتدئاً بقوله : أذاقنا الله حلاوة مشربه فى هذه الآية لأن للعارفين مشارب ومشاهد فنظرتُهُم مُكاشفةٌ ومُشاهدةٌ لحقائق

الحق فاستدلُّوا على أن الإيمان الحقيقى الكامل لا يحصُل للعبد إلا إذا حكَّم الله ورسوله ﷺ على نفسه قولاً . فلا يقول إلا ما يُرضى الله ورسوله ، وفعلاً فلا يفعل إلا ما يُرضى الله ورسوله ، وأخذاً وتركاً لقوله سبحانه :﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ فيكون الرضا عن الله ورسوله فى حال المنع هو نفس الرضا فى حال العطاء ويقين العبد بربه أنه لا يصنع به إلا الرحمات فعطاؤهُ عطاءٌ ومنعهُ عطاءٌ لأنك لا تدرى الخير من الشر . وحُباً وبُغضاً : أى أن تحب بالله ورسوله وأن تبغض بالله ورسوله فاجعل حُبُّك لطاعته ولأهل طاعته ، وبُغضُك لمعصيته ولأهل معصيته . وقد أراد الله ﷻ أن يُمتعنا بمشاهدة الجمال للمقام المحمدى فى هذه الآية الكريمة ، وهناك مشهدٌ مشهودٌ لجمال الرسالة والرسول بيَّنهُ لنا سيدنا كعب الأحبار ﷺ فعن كعب الأحبار ﷺ أنه دخل على السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب : مامن فجرٍ يطلُع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحُفُّون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويُصلون على النبى ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملَك يحفون بالقبر ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى ﷺ سبعون ألفاً بالليل و سبعون ألفاً بالنهار حتى إذا انشقت الأرض خرج فى سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه . ومن خلال رواية كعب الأحبار نشاهد جمال الرسول فى عظمة مقامه وعناية الله له ثم نشاهد أن جمال الرسول والرسالة يحظى به عطاءاً وجمالاً من صدق فى اتباعه من أمته ﷺ . فعن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : خرج رسول الله ﷺ ويمينُهُ

على أبى بكر وشمالهُ على عمر فقال هكذا نُبعثُ يوم القيامة فهذا مشهدٌ جمالى نشاهد فيه أن رسول الله ﷺ يكشف الله ستائر الغيب فيُحدث أمته بعلمٍ ورؤيةٍ فيُريهم مظهراً سوف يكون مُستقبلاً وزمانُهُ يوم البعث وأن وزيريه أبا بكرٍ وعمرٍ سيكونان معى كذلك . وفى حديث آخر فعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : (أنا أول من تنشقُ عنه الأرض فأُكسَى حُلَّةً من حُلَلِ الجنة ثم أقُوم عن يمين العرش ليس أحدٌ من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى .. أى أن جمال الرسالة حظِىَ به أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ أول من تنشق عنه الأرض يوم البعث فيشاهد قضية الفناء لكل شئ فى الخلق وحده ويحظى بهذه المشاهدة معه جيرانه أبو بكر وعمر وقوله ﷺ ثم أقوم عن يمين العرش فهذا أمرٌ مشهودٌ فى الدنيا للوجود كله فى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) أى : الله . محمد : أى جمل الله بذكر اسمه كلمة التوحيد فالتماس الجلال بالهيبة فى (لا إله إلا الله) والتماس الجمال بالسكينة فى (محمدٌ رسول الله) وكما أن اسمه ﷺ عن يمين اسم الجلالة لله فمقامه فى القيامة يكون عن يمين عرش الله ثم ننتقل إلى عطاء الأمة فى الجمال . فقد روى الطبرانى عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (تُبعث الأنبياء على الدَّوابِّ وأُبعث على البراق ويُبعث بلال على ناقة من نُوق الجنة يُنادى بالأذان محضاً بالشهادة حقاً حتى إذا قال أشهدُ أن محمداً رسولُ الله شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين . وفى رواية . فإذا سمعت الأنبياء أشهد أن محمداً رسول الله قالوا : ونحن نشهد على ذلك ، ويُحشر صالح على ناقتِهِ ، ويُحشر ابنا فاطمة

على ناقتَىَ العضباءَ والقَصواء . وأنه ﷺ قال : والله إنى لا أعلم إلا ما علمنى ربى ومن هذا المشهد العظيم نشاهد أن يوم البعث له مشاهد علِمها سيدنا رسول الله ﷺ وأخبر بها وهى من الغَيوبِ نقلاً بالعلم والإثبات بالرؤية من عطاء الله الجمالى لمقامه المحمدى ، ويفخر ﷺ بعطاء الله له فيقول ﷺ والله لا أعلم إلا ما علمنى ربى ــ ومن هذه المشاهد رؤية تكريم الله لأهل الصدق من أمة محمد ﷺ فيوم البعث معلومٌ أن الناس يُبعثون حُفاةً عُراةً فيقول الحبيب ﷺ تُبعث الأنبياء على الدواب : فهذا عطاؤهم لمقامهم أما سيدنا رسول الله ﷺ يُبعث على البراقِ وهو دابةٌ معنوية ليست حِسِّية اختُص بها رسول الله فهذا عطاؤه لمقامه صلى الله عليه وسلم ثم ينتقل العطاء للأمة فنشاهد جمالاً وعطاءاً يانعاً فهذا سيدنا بلالٌ الحبشى تحت راية التكريم الرَّبَّانىِّ المحمدى يظهرُ مقامهُ فى البعث مع النبيين والمرسلين بل أرقى من النبيين فى العطاء وفى الحال الجلىِّ فإن كل نبى بُعث على دابَّتِه ولكن بلالاً ﷺ يبعث على ناقةٍ من نوق الجنة ، ثم يُؤْذَنُ له بأن ينادى بالأذان محضاً أى يؤذِّنْ كما كان يُؤَذِّنُ فىالدنيا بين يدى سيد المرسلين ليسمعه أهل الموقف جميعاً فإنه ﷺ مؤذن الإسلام ، ومؤذن سيد المرسلين ، ومؤذن القيامة ، ومؤذن الجنة ثم يشهد أهل الموقف جميعاً الأنبياء والمرسلون والناس جميعاً إذا قال أشهدُ أن محمداً رسولُ الله قالوا : نحن نشهد بذلك : أى الكل يشهد للنبى ﷺ أنه صاحب لواء الحمد فى القيامة ويتحقق له يقيناً قول الحق سبحانه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا ﴾ وقد بين الحبيب المصطفى

عظمة مقام آل بيته الكرام الإمام الحسن والإمام الحُسين رضى الله عنهما أنهما يُبعثا فى مقامات النبيين والمرسلين بل أرقى من ذلك فإن كل نبى يُبعث على دابته أما الحسن والحُسَين فيبعثا على ناقتَىْ جدِّهما سيد المرسلين العضباء ، والقصواء لأن النبى ﷺ يُبعث على البراق فهذا مشهدٌ لجمال الرسالة وصنيعها من التكريم لأهل الصدق . ثم ننتقل إلى مشهدٍ جمالىٍّ للرسالة والرسول فقد اشتهر أمره عليه الصلاة والسلام بالاطلاع على الغُيُوبِ حتى كان بعضهم يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عندنا من يُخبرُهُ لأخبرتهُ حجارة البطحاء . ويشهد له قول عبد الله بن رواحة ﷺ :

وفينا رسول الله يتلو كتابَهُ ... إذا انْشَقَ معروفٌ من الصُبحِ ساطعُ
أرانا الهُدَى بعد العَمَى فقلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِناتٌ أنَّ ما قال واقعُ

وقول حسان بن ثابت ﷺ :

نبىٌّ يَرى ما لا يَرى الناسُ حولهُ ... ويتلو كتابَ اللهِ فى كُلِّ مشهدِ
فإنْ قال فى يومٍ مقالةً غائبٍ ... فتصديقُها فى ضحْوةِ اليوم أوْ غَدِ

إخباره ﷺ بالغيُوبِ إلى يوم القيامة :

ففى إخباره ﷺ عن الغيوب قسمين :

القسم الأول : هو ما نطق به القرآن الكريم وكان ﷺ يقرأ القرآن ويُخبرُ القرآن عن أمورٍ لم تحدث ولكنها ستحدث فى زمن المستقبل القريب منها أمور وسوف يحدث منها فى المستقبل البعيد أمور أخرى .. وعلى سبيل المثال قول الله ﷻ (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى

الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ **وكان هذا الوعد من الله بنزول هذه الآية قبل غزوة بدرٍ الكبرى وقبل لقاء العدو وقوله سبحانه** : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ **وقد حدث ذلك فى غزوة بدرٍ الكبرى وانتصار المسلمين على الكافرين . وكان عدد المسلمين ثلث عدد الكافرين وقوله سبحانه** : ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ **يعنى : سيغلبون بعد سنين ذكرها القرآن بضع والبضع بين عدد سبعة أو تسعة أو من ثلاثة إلى عشرة وسبب نزول هذه الآية أن كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك وأحزنهم لأن الروم أهل كتاب والفرس مشركين ولتعظيم قيصر كتاب النبى ﷺ الذى أرسله إليه يدعوه فيه إلى الإسلام ، وتمزيق كسرى كتابهُ وفرح المشركون بهزيمة الروم فأخبر الله تعالى بأن الروم بعد أن غُلبوا سيغلبون فى بضع سنين والبضع كما ذكرنا ما بين الثلاثة إلى العشرة . فغلبت الروم أهل فارس يوم الحديبية وأخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين وفى سورة النور قوله سبحانه** : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ

مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ **هذا وعدٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ ولأمته بأنه سيجعل أمَّتهُ خُلفاء الأرض أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلُحُ البلاد وتخضع لهم العباد وقد تمت نعمة الله على رسوله وعلى المؤمنين وتحقق وعدُ الله لهم فى حياة النبى ﷺ ففتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هَجَر ومن بعض أطراف الشام وهاداهُ هِرَقل ملك الروم ، وصاحب مصر والإسكندرية وهو المقوقس وملوك عُمان ، والنجاشى ملك الحبشة الذى أسلم وذلك فى حياته ﷺ .**

فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه : ▪

وفى خلافة سيدنا أبى بكر ﷺ تمت فتوحات البلاد ومَهَّد الجزيرة العربية وأرسل الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس ففتحوا طرفاً منها ، وجيشاً آخر إلى بلاد الشام ففتح بُصرى ودمشق ونواحيها من بلاد حوران وما والاها .

وفى عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ▪

تم فتح جميع بلاد الشام ومصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس .

وفى عهد ذى النورين عُثمان بن عفان رضى الله عنه : ▪

امتدت الفتوحات الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، وتم وعدُ الله فى أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم بصدقهم .

القسم الثانى من إخباره بالغيوب صلى الله عليه وسلم : ▪

القسم الثانى من إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيوب فى أحاديثه الشريفة بما يحدث فى حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى إلى يوم القيامة . فقد أخرج الطبرانى عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : (قال رسول الله ﷺ : (إن الله رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر فى كفِّى هذه .) معنى رفع لى الدنيا : أن العقل يلتزم مع الله ورسوله الأدب ويستقبل الأمر أنه من صنع إرادة الله سبحانه والعقل المحدود فهو جندىٌ الأسباب بطاقتهِ المحدودة فقوله صلى الله عليه وسلم إن الله رفع لى الدنيا كقول الحق سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ وهذا عطاءٌ وعلمٌ اختُص به سيدنا رسول الله ﷺ ففى مقام المعراج تجلَّى عليه مولاه وعلَّمهُ علم الأولين والآخرين بقوله سبحانه : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ وهذا العلم يتعلق بالمقادير والمقادير كتبها الله عنده من الأزل بزمان ومكانٍ يبديها فيه لخلقه فإذا جاء زمن إبداء قدرٍ وظهوره كشف الله عنه لخلقه فلم تكن المقادير غيباً ولا حدثاً لأن ملائكة الرحمن تعمل مع المقادير باستئمانِ الله لهم على أسراره فى خلقه لأنهم عبادٌ مكرمون فإذا كان الله استأمن ملائكته على مقادير خلقه فإن مقام سيدنا رسول الله ﷺ أرقى من الملائكة فإنه صلى الله عليه وسلم الأمين المأمون لله على رحمته فى خلقه وأسرار مملكته فعطاؤه صلى الله عليه وسلم يكون أعظم من ذلك إذن فمعنى قوله : إن الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها

وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة فمعنى كائن فيها يعنى أنظر إلى ما كان وإلى ما يكون وإلى ما سيكون وإلى ما سوف يكون من الأزل إلى الأبد . وفى ذلك يُحدثنا الصحابىُّ الجليل سيدنا حُذيفَة ﷺ ؛ فعن حُذَيفة ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئاً فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به حفظه من حفظهُ ونَسِيَهُ من نسيه ثم قال حُذيفة : قد عَلِمَهُ أصحابى هؤلاء وإنه ليكون منه الشئ قد نسيته فأراه فأعرفُه . ثم قال حذيفة : ما أدرى أنَسِىَ أصحابى أم تناسَوْهُ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلُغُ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سمَّاه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته . ويقول الصحابىُّ الجليل سيدنا أبى ذر الغفارى ﷺ لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يُحَرِّكُ طائرٌ جناحيه فى السماء إلا ذكَّرنا منه علْماً .

إخباره ﷺ عن أويس القَرَنِى : ■

وقد أخبر النبى ﷺ عن سيدنا أويس القُرَنى وهو من التابعين من اليمن . فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أُسَيْرِ بن عمرو قال : كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم أفيكم أُويسُ بن عامر ؟ حتى أتى أُويس ﷺ فقال له : أنت أُويسُ بن عامر ؟ قال : نعم . قال : من مُرادٍ ثم من قَرَن ؟ قال : نعم . قال : فكان بك برصٌ فبرأت منه إلا موضع درهمٍ ؟ قال : نعم . قال : لك والدةٌ ؟ قال : نعم . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتى عليكم أُويسُ بن عامر مع أمدادِ أهل اليمن من مُرادٍ ثم من قَرَن كان به برصٌ فبرأ منه إلا موضع درهم له والدةٌ وهو بها بَرٌ لو أقسم على الله لأبَرَّهُ . فإن استطعت أن

يستغفر لك فافعل . فاستغفر لى . فاستغفرَ لهُ . فقال له عمر : أين تُريد ؟ قال : إلى الكوفة . قال : ألا أكتب إلى عاملها ؟ قال : أكون فى غبراء الناس أحبُّ إلىَّ . (يعنى أكون فى فقراء الناس وصعاليكهم ومن لا يُعرف عينُهُ من أخلاطهم) . فلما كان من العام المقبل حج رجلٌ من أشرافهم فوافى عُمر فسأله عن أُويس . فقال تركتُهُ رَثَّ البيت قليل المتاع . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتى عليكم أُويسُ بن عامر مع أمدادِ أهل اليمن من مُرادٍ ثم من قَرَن كان به برصٌ فبرأ منه إلا موضع درهم له والدةٌ وهو بها بَرٌ لو أقسم على الله لأبَرَّهُ . فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أُويساً فقال : استغفر لى . قال : أنت أحدث عهداً بسفرٍ صالح فاستغفر لى . قال : لقيت عمر ؟ قال : نعم . فاستغفر له . ففطِن له الناس فانطلق على وجهه . وفى رواية عن عمر ﷺ قال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن خير التابعين رجلٌ يقال له أويس وله والدة وكان به بياضٌ فمُرُوه فليستغفر لكم (كلمة الأمداد جمع مدد وهم الأعوان والناصرون الذين كانوا يمُدون المسلمين فى الجهاد) .

إخباره ﷺ عن الدجال : ■

روى الإمام مسلم فى صحيحه من حديث ابن مسعود ﷺ فى الدجال فيبعثُون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله ﷺ إنى لأعرفُ أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خُيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ فوضح أنه ﷺ عرَّفهم بما يقعُ فى حياتهِ وبعد موتهِ ...

إخباره ﷺ عن موت النجاشى : ■

روى الإمامين البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة ﷺ أن

النبى ﷺ نعى النجاشى ملك الحبشة للناس فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم إلى المُصلَّى فصَفَّ بهم وصلىَّ عليه وكبَّر أربع تكبيرات وكان موت النجاشى فى بلاده بالحبشة والنبى ﷺ بالمدينة فعَلِم النبى ﷺ ساعة موته وجمع صحابته الكرام وصلَّى عليه صلاة الجنازة قبل أن يُدفن فكان ذلك إعجازاً حيث لم يكن هناك فى زمانهم وسائل اتصالات فى الأسباب كالتليفون ، والتليفزيون واللاسلكى والإنترنت مثل اليوم ولكن كان من مدد نور الله ومعجزاته لحبيبه صلى الله عليه وسلم .

إخباره صلى الله عليه وسلم عن زوال مُلك كسرى وقيصر : ■

روى الإمامين البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفسى بيده لتُنفقُنَّ كُنوزهما فى سبيل الله : أى ينقطع مُلكهما بالعراق والشام بموتهما وتكون السيادة لدين الله الإسلام والعزَّة للمسلمين فإن كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم وقد أخبر وبشَّر سيدنا رسول الله ﷺ بموتهما ولا يخْلُفُ بعدهما فى دولتيهما إلا الإسلام والمسلمين وقد كان كما قال الحبيب المصطفى ﷺ .

إخباره صلى الله عليه وسلم وتبْشرته لسراقة بسوارى كسرى : ■

ففى يوم الهجرة : أى هجرة النبى ﷺ من مكة المكرَّمة إلى المدينة المنوَّرة أزعج هذا الأمر كفار قريش ورغَّبوُا فى البحث عنه صلى الله عليه وسلم بجوائز مادِّية وصلت إلى مائة ناقة لمن يأتى برسول الله ﷺ ويُسْلِمُهُ لهم فرغب فى ذلك سُراقة بن مالك وظلَّ يجرى بفرسِهِ فى الصحراء يبحث عن سيدنا رسول الله ﷺ حتى كان بالقرب منه فغاصت

فرسُهُ فى الرمل وانكفأت فاستغاث بسيدنا رسول الله ﷺ فأغاثهُ النبى ووعده أن يرجع ولا يدل على طريقه أحداً فانصرف سُراقة وعاد ولكن حدثتْهُ نفسهُ بعِظَم الجائزة فنسى العهد مع رسول الله ﷺ وعاد يلحق بالنبى مرة أخرى فلمَّا قرُب من رسول الله ﷺ غاصت فرسُه فى الأرض حتى بطنها وقبضَتْ الأرض على أرجُلها فاستغاث سراقة بسيدنا رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال له النبى عليه الصلاة والسلام : يا سراقة نقضت العهد من أجل مائة ناقة من قريش . فقال سراقة : نعم . فقال له رسول الله ﷺ : كيف بك إذا لبستَ سِوارى كسرى فهذا وعدٌ لك منى وأنت تعلمُ صِدقى فى قولى ووعدى فطمع سراقة فى هذا العطاء ورجع يرُدُّ الناس عن رسول الله ﷺ ويُضلِّلُهم عن طريق سيره وسوارى كسرى هذه كان إذا جلس كسرى على كرسىٍّ عرشهِ لأنه كان مستعبداً لأهل فارس فإذا جلس على كُرسيِّه الذهبى ولبس الأساور فى عُنقه ويديه يُنادى مُنادٍ فى المدينة (أى مدينته) أن الملك كسرى استوى على عرشه وجلس على كُرسىٍّ مملكته ولبس أساوره الذهبية فيسجد كل من يسمع هذا النداء من فوره فى الشارع وفى المنازل فكانت هذه الأساور لا يستطيع أحدٌ أن يمسَّها وقد وعد النبى بها سراقة أنها تكون له مِلكيَّةً خالصةً لهُ . وقد تحقق ذلك . لمَّا فتح المسلمون بلاد الفرس فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أتى بهما أمير المؤمنين عمر وألبسهُما سُراقة بن مالك وقال : صدق رسول الله فيك بوعدِه لك يا سراقة يوم الهجرة ؟ قال : نعم . فقال عمر ﷺ : الحمد لله الذى سلبهُما كسرى وألبسهُما سراقة بن مالك وهو أعرابى بدوى من بنى مُدْلَج . فهذا عطاءٌ من الله لمن صدق

مع الله ورسوله وحسُن يقينُه .

غـــزوة مُؤتـــة : ـــ

بعث سيدنا رسول الله ﷺ جيشاً إلى مُؤتة ، ومُؤتة مكانها قرب دمـــشق بأرضٍ تُسمى البلقاء بسوريا وأمَّرَ على الجيش زيدُ بن حارثة ثم قال : فإن أُصيب فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب فعبد الله بن رواحـــة فلمـــا التقى المسلمون بمُؤتة جلس النبى ﷺ على مِنبره الـــشريف بالمـــسجد النبوى بالمدينة المنورة فكُشِف له حتى نظر إلـــى المعركـــة يُـــشاهدها ويتابع المعركة خطوة خُطوة وصحابته الأجلاَّء يجلسون بالمسجد والنبى ﷺ ينقل إليهم أحداث المعركة أولاً بأوَّل فقال ﷺ : أخذ الرَّاية زيـــدُ بـــن حارثة حتى استُشهد فصلَّى النبى ﷺ عليه ثم قال استغفروا له ثم أخـــذ الرَّاية جعفر بن أبى طالب ﷺ حتى استُشهِدَ فصلى النبى ﷺ عليه ثم قال استغفروا لأخيكم جعفر ثم أخذ الرَّاية عبد الله بن رواحة فاستُشهِدَ فصلى النبى ﷺ عليه ثم قال اســـتغفروا لأخـــيكم فـــأخبر النبـــى ﷺ أصـــحابه باستشهادهم فى الساعة التى استشهدوا فيها فى مكان المعركة بمُؤتـــة بالقرب من دمشق بسوريا وهو جالس على مِنبَـــرِهِ بالمدينـــة بـــالحرم النبوى الشريف (ولذلك سُمِّيتْ مؤتة غـــزوة لأن رســـول الله ﷺ كـــان يشاهد المعركة بنفسه . وعن أسماء بنت عُمَيس قالت : دخل رسول الله ﷺ صبيحة اليوم الذى استُشهِدَ فيه جعفر وأصحابه فقال : يـــا أســـماء أين بنوا جعفر فجئت بهم فضمَّهم وشمَّهم ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم بالدموع فبكى فقلت يا رسول الله : أبلغك عن جعفر شئ . قال : نعم استُشهِدَ اليوم .

إخباره صلى الله عليه وسلم عن مدى مُلك أمَّتِه : ـ

قال صلى الله عليه وسلم : زُويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغربهـــا وسيبلُغ أُمَّتِى ما زُوِىَ لىمنها فكان كذلك امتدت فى المشارق والمغارب ما بين أقصى الهند إلى أقصى المشرق إلى بحر طنجة .

إخباره صلى الله عليه وسلم واثلة بما فى صدره : ـ

عن واثلة بن الأسقع قال : أتيتُ رسول الله ﷺ وهو فى نفرٍ من أصحابه يُحدثُهم فجلست وسط الحلقة فقال بعضهم : يا واثلة قُمْ عن هذا المجلس فقد نُهينا عنه . فقال رسول الله ﷺ : دعونى وإياهُ فإنى أعلم ما الـــذى أخرجهُ من منزله . قلت يا رسول الله : ما الـــذى أخرجنـــى ؟ قـــال : أخرجك من منزلك لتسألنى عن البِرَّ والشَّكِّ . قال : قلتُ والـــذى بعثـــك بالحق ما أخرجنى غيره . فقال ﷺ : (البِرُّ ما استقرّ فى الصدر واطمأن إليه القلب والشك ما لم يستقرُّ فى الصدر فدع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك وإن أفتاك المُفتون .

إخباره صلى الله عليه وسلم لأهله بأقدارهم : ـ

قوله صلى الله عليه وسلم للسيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها فـــى مرضه (إنك أول أهلى لحُوقاً بى فعاشت بعدهُ ﷺ ستة أشهر) . وقوله ﷺ لنسائه (أسرعكُنَّ بى لحُوقاً أطولُكُنَّ يداً فكانت السيدة زينـــب بنـــت جحش رضى الله عنها لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدّق ... وقولـــه ﷺ لسيدنا علىٍّ بن أبى طالب كرم الله وجهه و (أتـــدرى مـــن أشـــقى الآخرين . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : قاتِلُك) أخرجه الإمام أحمـــد . وقد كان ذلك كما أخبر النبى ﷺ قُتِل ومات شهيداً . وروى الإمام مـــسلم

فى صحيحه عن أسامة بن زيد ﷺ أن رسول الله ﷺ أشرف على أُطُمٍ من آطام المدينة (أى حصن من حصونها) ثم قال : هل ترون ما أرى ؟ إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطْرِ ــ فوقعت فتنة عثمان بن عفان وتتابعت الفتن .. وروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة فمَرَّ رجلٌ فقال : يُقتلُ فيها هذا يومئذٍ ظُلماً . قال : فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان ﷺ .. وقد كان ذلك كما أخبر رسول الله ﷺ وقوله ﷺ فى الإمام الحسن بن علىٍّ ﷺ إن ابنى هذا سيدٌ وسيُصلِحُ الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كما قال صلى الله عليه وسلم بصُلحِه لمعاوية رضى الله عنهما . رواه الإمام البخارى ﷺ . وروى الإمام البغوى عن أنسٍ ﷺ أنه قال : أن رسول الله ﷺ وقف بالطَّفِّ وأخرج بيده تُربَةً وقال فيها يُقتل الحُسَين وفيها مضجعُه وقد كان ذلك ﷺ . وقوله ﷺ للصحابى الجليل قيسُ بن شماس : (تعيش حميداً وتُقتل شهيداً) فقُتل يوم مُسيلمة الكذاب باليمامة . وقوله فى حديث عن أبى هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن هذا الدين بدأ نُبُوةً ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون مُلكاً عضُوداً ، ثم يكون سلطاناً وجبرية) . ومعنى مُلكاً عضُوداً : أى تُصيب الرعية فيه عسْفٌ وظُلْمٌ كأنه يعُضُها عضَّاً ، ومعنى سُلطاناً وجبرياً : هو ما نحن فيه الآن فى زماننا الحكم بقرار جبرىٍّ من السلطان فى الرَّعية . وروى الإمام الترمذى : قال رسول الله ﷺ : (الخلافة بعدى فى أمّتى ثلاثون سنة ثم مُلكٌ بعد ذلك) . فكان الأمر

كذلك وتَتَّمةِ الثلاثين سنة الستة أشهر التى وَلِيَها الإمام الحُسين بن علىٍّ رضى الله عنهما .

بُشرى النبى صلى الله عليه وسلم بابن عباسٍ ﷺ : ـ

أخرج أبونعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن أم الفضل أنها قالت : مررتُ برسول الله ﷺ فقال لى : أنك حاملٌ بغُلامٍ فإذا ولدْتيه فأتنى به . فقالت : فلمَّا ولدتُه أتيتُهُ به فأذَّن فى أُذُنِه اليُمنى وأقام فى اليُسرى وألبأهُ من ريقِه وسمَّاهُ عبدُ اللهِ وقال : إذهبى بأبى الخُلفاء . قالت : فأخبرت العباس ، فأتاهُ صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك . فقال هى أخبرتك هو أبو الخُلفاء حتى يكون منهم السَّفَّاحُ حتى يكُون منهُم المهدىِّ وقد تحققت بُشرى النبى ﷺ وكان سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ من ورثة النبى ﷺ ودعا له النبى ﷺ دعوتُه المقبولة (اللهم فقِّههُ فى الدين وعَلِّمْهُ التأويل) .

إخبار النبى صلى الله عليه وسلم بعالم المدينة : ـ

عن أبى هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يوشكُ الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالِم المدينة) فكان هذا العالِم الإمام مالك ﷺ صاحبُ المذهب والموطَّأ وقد شهد له أهل المدينة فى زمانه بقولهم (لا يُفتَى وَمَالِكٌ فى المدينة) ولهذا القول مشهدٌ شهِدُوهُ فقد روى أنه فى عصر الإمام مالِك ﷺ وفى المدينة أن امرأة تُغَسِّلُ امرأةً ميِّتةً وهى تُغسِّلُها ضربت بيدها أى بكفِّها على فرجِها قائلةً : هذا الفرج كم عصى ربه فكانت غِيرَةُ الله عليها شديدة لأنها فى ذِمَّة الله وقبضتِه وفى أمانة المرأة المُغسِّلة التى لم تكن أهلاً لهذه

الأمانة فاغتابتها ورمتها بالزِّنا وهى ميِّتة ورجعت إلى ربها فأجاب الله على هذه المرأة المُغسِّلة بقدرته فألصق كَفَّها على فرج المرأة الميِّتة لصْقاً خَلْقياً بيد الخالق وقُدرته وستر بكفِّها عورة الميِّتة وكأن البشرة الجلدية واحدة فحاولت المرأة التخلص بيدها فلم تقدر ورأت يدها أصبحت تابعةً فى الخلقِ لجسم الميِّتة ورابطةً بين الجسمين وجلست فى حسرتها وطالت جلستها فلمَّا أطالت وتأخرت أصاب الناس القلق فاقتحمُوا عليها الباب فوجدوا أن يد المرأة ملصوقة ستراً لفَرْجِ المرأة الميِّتة لصقاً خلقياً تُغطِّيهما بشرةٌ جلدية واحدة فصاحوا يذيعون هذا الخبر العظيم الذى حيَّرهُم أمرهُ واختلفوا فى هذا الأمر فقال بعضهم : نقطع ذراع المرأة المُغسِّلة وندفنه مع الميِّتة . وقال البعض الآخر : ندفن المرأة المُغسِّلة مع الميِّتة ونترك رأسها خارج القبر للتنفس حتى يأتيها الموت . فصاح رجلٌ وقال اذهبوا إلى الإمام مَالِك واسْتَفْتُوهُ فى ذلك فذهب جماعة منهم للإمام مالك ﷺ وقصُّوا عليه ما شاهدوه فقال لهم الإمام مالك ﷺ : ارجعوا إلى المرأة المُغسِّلة واسألوها عن كلمات قالتها وهى تُغَسِّل المرأة ثم عودوا إِلَىَّ بالكلمات . فلما رجعُوا إلى المرأة وسألوها رأت أنها لا تكتُم حقيقة ما قالت رغْبَةً منها فى النجاة من هذا العذاب الأليم التى تتعرض له . فقالت لهم : إنى ضربتُ بكفِّى هذا على فَرْجِها وقلتُ : هذا الفَرْجِ كم عصى ربَّهُ فالتصق كَفِّى كما تَرَوْنَ ولم يُرفع معى فأخذوا هذه الكلمات وعادوا بها إلى الإمام مالك فلما سمع الإمام إليهم بإلهامات الله ونوره ومن نور العلم فيه ونور بصيرته عَلِمَ أنها ارتكبت جريمة رمىْ المْحصناتِ المؤمنات ويقام عليها

الحدِّ بالجلدِ فنظر إليهم وقال لهم إذهبوا فاجلدوها ثمانين جلدة ثم ارجعوا إلىَّ بخبركم فذهبوا وقاموا بجلدها ثمانين جلدة ثم عادوا إلى الإمام مالك ﷺ فقالوا : قمنا بما أمرتنا وبقيت يدها كما هى . فقال الإمام : هل نطقت بالتوبة إلى الله وعدم الرجوع إلى الذنب ؟ قالوا : لا . فقرأ عليهم قول الحق سبحانه فى سورة النور بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ثم قال لهم ارجعوا إليها ولقِّنُوها كلمات التوبة وتنطق بالتوبة إلى الله والإقرار بعدم العود إلى هذا الذنب فرجعوا إليها ونطقت بالتوبة إلى الله بعد إقامة الحدِّ بالجَلْدِ نظروا فرأوْ عجباً رأوا يدها رُفعت وحدها بإذن الله وكأنها لم تكن ملصوقة فعلموا أن الرُّجوع إلى عِلْم الله عند أهل العِلْم فيه السلامة والخير فصاحوا جميعاً فرحين يقولون : (لا نُفْتِىَ ومالك فى المدينة) وأصبحت كلمة وجُملةً مشهورة .

إخباره صلى الله عليه وسلم عن عالِم قريش : ■

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تسبُّوا قُريشاً فإن عالِمها يملأ طِبَاقَ الأرض عِلْماً) . قال الإمام أحمد وغيرهُ هذا العالِم هو الإمام الشافعِىِّ ﷺ لأنه لم ينتشر فى طِباقِ الأرض من عِلْمِ عالِمٍ قُرَشِىٍّ من الصحابة وغيرهم ما انتشر من عِلم الشافعىِّ ﷺ .

إخباره صلى الله عليه وسلم أصحابه بأشياءَ بين موته وبين السَّاعة : ■

قد أخبر النبى ﷺ أصحابه بأشياء بين موته وبين الساعة وحذَّر من مُفاجأتِها وأن الساعة لا تقوم حتى تظهرُ جُمْلةً من الأمارات فى العالم . فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى تخرُج نارٌ من أرضِ الحجاز تُضيئ لنا أعناق الإبل ببُصرى وقد خرجت نارٌ عظيمة على قُرب مرْحَلةٍ من المدينة وكان بدؤها زلزلةٌ عظيمة فى ليلة الأربعاء بعد العشاء ثالث جُمادى الآخرة سنة أربعٍ وخمسين وستمائة ، وفى يوم الثلاثاء اشتدت حركتها وعظُمت رجفتُها وتتابعت حِطمَتُها وارتجَّت الأرض بمن عليها حتى أيقن أهل المدينة بوُقوع الهَلَكةِ وزُلزِلوا زلزالاً شديداً من وقوع ثمانى عشرة حركة فى يوم واحدٍ دون ليلتهُ : يعنى فى نهار الثلاثاء . قال القرطبى : وكان يأتى المدينة بِبَركته صلى الله عليه وسلم نسيمٌ باردٌ وشُوهدَ من هذه النار غليانٌ كغليانِ البحر وانتهت إلى قرية من قُرى اليمن فأحرقتها . قال : وقال لى بعض أصحابنا لقد رأيتُها صاعدةً فى الهواء من مسيرة خمسةِ أيامٍ ، وسمعتُ أنها رُؤيت من مكة ومن جبال قُصرى ، وقال القُطْبُ القَسْطلانىِّ : أقامت اثنين وخمسين يوماً وكان انطفاؤها فى السابع والعشرين من رجب ليلة الإسراء والمعراج . وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ تكُون بينهُما مَقتلةٌ عظيمة دعواها واحدة وحتى يُبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كُلُّهم يزعُم أنه رسول الله . وحتى يُقبض العلم وتكثُر الزلازل ويتقارب الزمانُ وتظهرُ الفِتَنُ ، ويكثُر الهرج (وهو القتل) ، وحتى يكثُر فيكم المالُ

فيفيض حتى يُهِمَّ الرجل من يَقْبَلُ صدقتَهُ ، وحتى يعرضَهُ فيقول الذى يعرضه عليه لا أربَ لى فيه ، وحتى يتطاول الناس فى البُنيان ، وحتى يَمُرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه ، وحتى تطلُع الشمسُ من مَغْرِبِهَا فإذا طلعتْ ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكُن آمنت من قبلُ أو كسَبتْ فى إيمانها خيراً ، ولتَقُومَنَّ الساعةُ وقد نشر الرَّجُلانِ ثوبَهُما فلا يَتبايعانه ولا يطويَانه ، ولتَقُومَنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبَنِ لِقْحَتِه فلا يطْعَمُهُ ، ولتَقُومَنَّ الساعةُ وهو يُليطُ حَوْضَهُ : أى يُصلحَهُ بالطِّين فلا يسقى فيه ، ولتَقُومَنَّ الساعةُ وقد رفع أكْلَتَهُ إلى فِيهِ فلا يطعمُها) فهذه ثلاث عشرة علامة جمعها أبو هريرة ﷺ فى حديثٍ واحدٍ وقد ظهر أكثر هذه العلامات

قسم الله بحياته صلى الله عليه وسلم : ■

قال تعالى مخاطباً حبيبه ونبيهُ محمداً ﷺ فى قرآنه الكريم : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ فهذا تشريفٌ عظيمٌ ومقامٌ رفيعٌ وجاهٌ عريضٌ . قال بن عباس رضى الله عنهما : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحدٍ غيرهُ بقوله سبحانه : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون ﴾ (وحياتك ، وعُمرِك ، وبقائك فى الدنيا إنهم لفى سكرتهم يعمهون) رواه ابن جرير . وقال الإمام البَغَوىُّ فى تفسيره (وما أقسم الله بحياة أحدٍ إلا بحياته صلى الله عليه وسلم ، وما أقسم بحياة أحدٍ غيرهُ وذلك يدل على أنه أكرم خلق الله على الله .

قسم الله ببلد النبى صلى الله عليه وسلم وعصره : ■

قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لا أُقسِمُ بهذا البلد * وأنت حِلٌ بهذا البلد * ووالدٍ وما ولدَ * ﴾ أقسم الله تعالى بالبلد الأمين وهو مكة أم القرى وهو بلدُهُ عليه الصلاة والسلام ، وقيَّدهُ بحُلُولِهِ فيه إظهاراً لمزيدِ فضلِه وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله . قال الإمام البيضاوى : ثم أقسم بالوالد وما ولد وهو إبراهيم وإسماعيل وما ولد محمد ﷺ وقوله وأنت حِلٌ بهذا البلد : هو من الحُلُول فيتضمن إقسامه تعالى ببلده المُشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هُدىً للناس ونبيِّهُ إماماً وهادياً لهم وذلك من أعظم نعمهِ وإحسانه إلى خلقِه ولا يخفى ما فى قسمهِ تعالى ببلد رسول الله ﷺ من زيادة التعظيم . وقد روىَ أن عمر بن الخطاب ﷺ قال للنبى ﷺ بأبى أنت وأمى يا رسول الله . لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن أقسم بحياتك دون سائر الأنبياء ، و لقد بلغ من فضيلتك عندهُ أن أقسم ببلدك فقال : ﴿ لا أُقسِمُ بهذا البلد ﴾ وقال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خُسْرٍ ﴾ قال الإمام الفخر الرازى فى تفسيره : إن الله أقسم بزمان النبى ﷺ . فقد روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : إنما مَثَلُكُم ومَثَلُ من كان قَبْلَكُمْ مَثَلُ رجُلٍ استأجر أُجَرَاءَ فقال من يعملُ من الفجر إلى الظُهر بقيراطٍ فعملت اليهود ثم قال من يعملُ من الظُهر إلى العصر بقيراطٍ فعملَتْ النصارى ثم قال من يعملُ من العصر إلى المغرب بقيراطين فعملتُم . فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن

أكثر عملاً وأقلُ أجراً فقال الله تعالى : وهل نقصْتُكُمْ من أجرِكُمْ شيئاً . قالوا : لا . قال : فذلك فضْلى أُوتيهِ من أشاءُ . فكنتُم أقل عملاً وأكثرُ أجراً . فهذا حديث دلَّ على أن العصر هو عصرُهُ عليه الصلاة والسلام الذى هو فيه فيكون على هذا أقسم الله تعالى بزمانه فى هذه الآية ، وبمكانه فى قوله تعالى : ﴿ وأنت حِلٌ بهذا البلد ﴾ وبعمره فى قوله : ﴿ لعَمْرُكَ ﴾ وذلك كله كالظرف فكيف يكون حال المظروف ، قال ووجَّهَ القَسَمْ كأنه تعالى قال ما أعظم خُسرانهم إذا أعرضوا عنك . فهذه شدةُ اعتناءِ الحق ﷻ فى شأن نبيِّهِ ﷺ مبيِّنا بذلك أنه أحبُّ خلق الله إلى الله .

غَيرَةُ الله على مقام حبيبه والأمر بالأدب بين يديه : ■

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بين يَدىِ الله ورسوله ﴾ أى من الأدب أن لا يتقدم أحدُ بأمرٍ أو نَهىٍ ولا إذنٍ ، ولا تَصرُّف حتى يأمُرَ هو ، ويأذن هو كما أمر الله ، وانظروا أدب الصِّدِّيق أبا بكر ﷺ مع النبى ﷺ حين أمرهُ النبى أن يُصلِّى بالناس إماماً وهو فى مرضه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكرٍ فى أدبٍ جَمٍّ ما كان لابن أبى قُحافةَ أن يتقدم بين يدى رسول الله ﷺ فبقدر الأدب أورثهُ الله مقامهُ والإمامة بعدَهُ فى أُمَّتِه ...

غَيرَةُ الله على حبيبه تتضمن ردَّه بنفسه على أعدائه : ■

إن غَيرَةَ الله سبحانه على حبيبه ونبيِّهِ المصطفى والمجتبى من خلقه وتتضمَّن ردَّهُ تعالى بنفسه المقدسة على عدُوِّه صلى الله عليه وسلم ترفيعاً لشأنِهِ بآياتٍ قُرآنيةٍ فهذه سُنَّةُ الأحباب فإن الحبيب إذا سمع من

يسُبُّ حبيبه تولى بنفسهِ جوابَهُ بنفسهِ من غير واسطةٍ وهنا نرى أن الحق سبحانه تولى جوابهم بنفسه منتصراً لحبيبه ونبيه لأن نُصرتَهُ تعالى له أتمُّ من نُصرتهِ وأرفع لمنزلتهِ فأقسم تعالى بما أقسم به من عِظَم آياته على تنزيه رسوله مما افترت به عليه أعداؤه من أهل الكُفر بدعوته وتكذيبهم له ... فلما قال المشركون : (يا أيها الذى نُزِّل عليه الذِّكرُ إنك لمجنُون) أجاب الله عليهم بقوله : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ ولما رأى العاص بن وائل السَّهْمِىُّ النبى ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بنى سهمٍ وتحدثا وأُناسٌ من صناديد قريش جُلُوسٌ فى المسجد فلما دخل العاص قالوا : من ذا الذى كنت تتحدث معه . قال : ذلك الابْتَرْ يعنى النبى ﷺ . وكان قد تُوُفِّىَ ابنٌ لرسول الله ﷺ من السيدة خديجة رضى الله عنها فرد الله تعالى عليه جوابهُ بقوله : ﴿ إن شانئكَ هو الأبْتَرْ ﴾ أى عدُوك ومُبغضُك هو الذليل الحقير . ولما قالوا (أفترى على الله كذباً) أجابهم الله بقوله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ ولما قالوا (لست مرسلاً) أجاب الله تعالى عنه فقال : ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ولما قالوا : (إنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون) ردَّ الله تعالى عليهم فقال : ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فصدَّقه ثم ذكر وعيد خُصمائهِ فقال : ﴿ إنكم لذائقوا العذاب

الأليم ﴾ ، ولما قالوا : (شاعرٌ نتربصُ به ريبَ المنونِ) ردَّ الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ ولما قالوا : (إن هذا إلا إفكٌ افتراهُ وأعانهُ عليه قومٌ آخرون) كذَّبهم الله تعالى بقوله : ﴿ فقد جاءُوا ظُلماً وزُوراً ﴾ وقال سبحانه ردَّاً لقولهم (أساطير الأولين) ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ولما قالوا (يُلقيه إليه الشيطان) قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ ولما تلا عليهم نبأ الأولين قال النضْرُ بن الحارث : ﴿ لو نشاءُ لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطيرُ الأولين ﴾ . قال الله تعالى تكذيباً لهم : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهيراً ﴾ ، لما قال الوليد بن المُغيرة : (إن هذا إلا سحرٌ يُؤْثر * إن هذا إلا قول البشر) قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ تسليةً له عليه الصلاة والسلام . ولما قالوا : (محمدٌ قلاهُ ربهُ) ردَّ الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ ما ودَّعك ربُّك وما قَلَى ﴾ ، ولما قالوا : (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق) . قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ ، ولما استبعدوا أن يبعث الله رسولاً من البشر

بقولهم الذى حكاه الله تعالى عنهم : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهُم الهدى إلا أن قالوا أبَعَث الله بشراً رسولاً ﴾ **وجهلوا أن التجانس يُورِثُ التآنُس وأن التخالُف يُورِثُ التباين . قال الله تعالى :** ﴿ قل لو كان فى الأرض ملائكةٌ يمشون مطمئنين لنزَّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رسُولاً ﴾ **أى لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان أهل الأرض من البشر وجب أن يكون رسولهم من البشر وقد كانت الأنبياء إنما يدافعون عن أنفسهم ويردون على أعدائهم كقول نوح عليه السلام (يا قومُ ليس بى ضلالةٌ) ، وقول هود عليه السلام (يا قومُ ليس بى سفاهةٌ) ولكن نبينا محمداً ﷺ تولَّى الله الدفاع عنه بنفسه وتولَّى الدفاع عن المؤمنين من أُمَّتِهِ بقوله :** ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ **. وفى هذا القدر كفاية وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم ، وكل عامٍ وأنتم بخير .**

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثامنة

وموضوعها

النور المحمدى وسِرّه فى الوجود أزلياً

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الثلاثاء

١١ من ربيع أول سنة ١٤١٦هـ

الموافق ٨ من أغسطس عام ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذى بَطَنَ خَفِيَّاتِ الأمور ، ودلَّتْ عليه أعلامُ الظُّهورِ ، وامتنع على عين البصير فلا عينُ من لم يرهُ تُنكِرُهُ ، ولا قلب من أثبتَهُ يُبصرُهُ سبق فى العُلُوِّ فلا شئَ أعلى منه ، وقرُبَ فى الدنُوِّ فلا شئَ أقربُ منه فلا استعلاؤهُ باعَدَهُ عن شئٍ من خَلْقِهِ ولا قُرْبُهُ ساواهُمْ فى المكان به ، لم يُطْلِع العقول على تحديد صِفَتِهِ ، ولم يحجُبْهَا عن واجبِ معرفَتِهِ فهو الذى تشهدُ له أعلام الوجود على إقرارِ قلب ذى الجُحودِ . تعالى الله عمَّا يقولُ المُتشبِّهونَ به والجاحدون له عُلُوًّا كبيراً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له شهادةً مُمْتَحَناً إخلاصُها مُعتَقداً مُصَاصُهَا نتمسك بها أبداً ما أبقانا وندَّخرُها لأهاويل ما يلقَانا فإنها عزيمةُ الإيمان وفاتحةُ الإحسان ، ومَرضاةُ الرحمنِ ومَدْحَرَةُ الشيطان . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بالدِّين المشهورِ ، والعلم المأثُورِ ، والكتاب المسطورِ ، والنور الساطعِ ، والضياء اللامعِ ، والأمر الصادع إراحةً للشُّبُهات ، واحتجاجاً بالبيِّنَاتِ ، وتحذيراً بالآيات ، وتخويفاً بالمَثُلاتِ ، والناسُ فى فِتَنٍ انجذَمَ فيها حبْلُ الدِّين فهم فيها تائهُون ، حائرُون ، جاهلُون ، مَفْتُونونَ فى خيرِ دارٍ (مكة المكرمة) وشَرِّ جيرانٍ (عبدةُ الأوثانِ) نومُهُم سُهُودٌ وكُحْلُهُمْ دموعٌ بأرضٍ عالِمُها مُلْجَمٌ ، وجاهلُها مُكَرَّمٌ فأخرجهُم من الظلُمات إلى النور بإذن ربهم ، وهداهُم إلى صراط الله المستقيم فصلوات الله وسلامه ورحمتُهُ وبركاتُهُ عليك سيدى يا رسول الله ، وعلى آلك وصحبِكَ الميامين الأطهار والتابعين وتابعى التابعين والتابعين لهم

بإحسانٍ إلى يوم الدِّين .

أما بعد

فنحن فى هذا الجمع المبارك هذا الجمع المحمدى ، وفى هذه الليلة المحمدية وفى هذه الساحة المحمدية نستظلَّ بظلال الأنوار المحمدية ونسأل الله ﷻ أن يمُدَّنا جميعاً نحن وسائر الأمة المحمدية بمددٍ من الأسرار المحمدية ، وأن يُطَّهِرَ قُلُوبَنا بالأنوار المحمدية وأن يجعلنا تحت اللواء المحمدى مُحمَّدِيُّونَ بالعطاء المحمدى الرَّبَّانى ربانيون بعلْمٍ من الله دراسةً ووِراثَةً وأن يجعل قلوبنا أوانى ووعاءاً تَعِى علوم وأسرار الحقائق والمعانى فإن جمال العطاء فى الأمَّةِ المحمدية أن اسم النبى محمدُ وبمدده ﷺ تكُونُ الأمَّة محمدية فكُل من صدق فى حُبِّه للنبى وصدق فى الاتِّباع فهو محمدىٌّ تشملُهُ المحامد والكمالات فإن أعظم الأسماء فى المخلوقات اسم محمد ؛ لذلك جعل الله هذا الاسم باختيارهِ الأزلىِّ عنواناً للمحامد ومقرُوناً باسم الجلالة فى الذِّكر من الأزل عند أهل المُلك والملكوت ، وما سكنت فطرةُ المخلوقات بمعرفة التوحيد لله وكمال الطاعة وثُبوتِ الخضُوعِ إلا بذِّكر اسم محمد عليها بمدد من الله بالتجلِّى الأعظم فما من مخلُوق خلقهُ الله إلا وفِطرةُ الخالق بطابعٍ بيد القُدْرة مكتوبٌ يُقرأُ بعينِ البصيرة عند أهل المعانى ومنها ما أبرزَهُ الخالق عند أهل الحِسِّ والمبانى بعين البصر ليكون آيةً مشهودَة (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) ﷺ وقد جعل الله وسيلة القرب إليه ومنْحَةَ مقام التوحيد لأهل الرِّضوانِ والوَصلِ والوِصالِ إليه فى ذكْر الله بكلمة التوحيد المأثُورةِ بقول (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) فقد قَرَنَ الله

ذِكْر النبى بذِكرِه من الأزل إلى الأبد ، وقَرَنَ اسم النبى محمد باسم الجلالة (الله) ليُعلِنَ للخلقِ جمعاً أن هذا الاسم أعظمُ الأسماء ؛ لذلك قُرِنَ باسم الله الأعظم بكلمة التوحيد التى تحملُ كل أسرار المعانى ومنها مددُ الحق فى المُلكِ والمَلكُوتِ ويُبين الحق فى ذلك أن أعظم الأسماء بعد اسم الله اسم محمد فلو كان هناك ما هو أعظم لاصطفاه الله لكلمة التوحيد بالذِّكر ولكانت له الأسبقية فى القِدَمِ بأن يُقْرَنَ باسم الجلالة فما قال موحِّدٌ من الأزل من أهل الحقائق فى المُلك والملكوت (لا إله إلا الله) إلا ومقرونٌ بها (محمدٌ رسول الله) إذن فلفظُ الجلالة (الله) فيه الجلال والهَيْبَةِ ويلحقُهُ لفظُ الجمال (محمدٌ) فيه الجمال والكمال والسَّكينةُ فإذا كان هذا الشرف العظيم مَنَحَهُ الله لاسم محمدٌ فما الذى نقولُهُ فى صاحبِ هذا الاسمِ وما حَظِىَ به من جمال وكمال وشرف ؟ لا نستطيع بجمعنا أهل المُلك والملكُوت عُقولاً وقُلوباً وأرواحاً أن نصِفَ جمال الذَّات المحمدية فلا يعلمُ قدْرَ الحبيب إلا من أحبَّهُ وقَرَنَ ذاتهُ بذاتِهِ بالاسم والذِّكر والاصطفاء فهو ﷺ أعظم الخلق وهو أشرف الخلق وهو أكرم الخلق على الله وهو سيد الخلق ولاسم النبى ﷺ خصائص ومزايا جعلها الله ﷻ سراً للجمال الذى أودَعَهُ فى خلقِهِ واختص بهذا العطاء الإنسان خَلقاً وخُلُقاً .

جمال اسم محمد : ▪

إن من جمال اسم النبى وخصائصه العظمى (محمد) كونه على أربعة أحْرُفٍ ليوافق اسم الله تعالى (الله) فإنه مقرُونٌ به فى الذِّكر فى كلمة التوحيد فإذا كان عدد حروف اسم الجلالة (الله) أربعة أحرُف ، واسم

رسول الله ﷺ مقروناً باسم الله ويوافق عدد حروف اسم الله . إذن حروف اسم الله الأربعة إشارة إلى أن الله هو الحامد والحمدُ والمحمودُ ، وحروف اسم محمد الأربعة إشارة إلى المحامدُ كُلها بجمالها وتمامها وكمالها مجموعة فى الذات المحمدية فلا يتحلَّى أحدٌ من الخلق بصفةٍ محمودةٍ وخُلُقٍ حميدٍ إلا بمحبته لرسول الله والتأسىِّ بأخلاقه والتأدب بآدابه واتِّباعِهِ فى أفعاله لقوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ومن جمال العطاء الإلهى الممنوح من الذات الإلهية إلى الذات المحمدية أن جعل الله لنَبِيِّهِ ذِكراً معُهُ يُذكرُ به فى كلمة التوحيد وذكراً اختُص به رسول الله ﷺ يذكرُه الله به وتذكُرُه به الملائكة ويذكُرُه به أهل الإيمان بالله ورسوله بقوله سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

ومن جمال اسم محمد : ▪

ومن جمال اسم محمد أن الله تبارك وتعالى حين شاءت إرادته أن يخلُق الإنسان تجلَّى فى خلقه بالتكريم ، وفى خُلُقه بالتعظيم ليرفعَهُ على جميع خلقه بقوله سبحانه ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أى فى أحسن تقويم خَلقى وفى أحسن تقويم خُلُقى فتكريم الله للإنسان فى خَلقه أن تجلى عليه بالمحاسن التامة فى صورته فخلقه الله على شكل صورة لفظ محمد ، وفى ذلك يقول الإمام النَّبهَانىَّ ﷺ (إن من خصائص اسم

النبى الشريف (محمد) كونُه على أربعة أحرُف ليوافق اسم الله تعالى (الله) وأنه على شكل صورة الآدميِّ فالميمُ الأولى : (رأسُهُ) ـــ والحاءُ : (جناحاهُ) أذرُعَيْهِ) ـ والميم الثانية : (سُرَّتُهُ) ـ والدَّالُ : (رِجْلاَهُ) أى أن الميم الأولى من كتابة اسم محمد تبدأ مع صورة الإنسان فتكون رأسُهُ ثم تُمَدُّ أيضاً فتكُونُ الميم الثانية سُرَّتُهُ ثم تُمَدُّ أيضاً فتكُونُ الدَّال رِجلاهُ وهذا يُرى واضحاً فى كتابة اسم محمد بالخط الكوفى ثم يقول الإمام النَّبهَانىَّ ﷺ (ولا يدخل النار من يستحق دخولها أعاذنا الله منها إلا ممسُوخَ الصورة إكراماً لصورة لفظ محمد ﷺ فإذا كان الله ﷻ تجلَّى بالجمال والمحاسن فى خلق صورة الإنسان ومنحهُ بذلك التكريم على جميع مخلوقاته من مدد محاسن اسم محمد فأين كل الوجود بمحاسنه من جمال صاحب الاسم نبينا محمداً ﷺ ؟ وقد رُوىَ أن سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب قال : إذا رُزِقَ أحدُكُم بمولودٍ هِبَةً من الله وسُمِّىَ محمداً فليكرم هذا الاسم . فقالوا : وكيف نُكرِمُ الاسم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أحسنوا تربيتَهُ ، وأدِّبوه على محبة رسول الله ومحبة آل بيت رسول الله ، وتلاوة القرآن ، وخَلِّقوهُ بخُلُقِ رسول الله ﷺ حتى لا تصدُرُ منه النقائص فى أقواله أو أفعاله فيُعيبونَهُ الناس ويَسُبُّونَهُ فإنه قد مُنحَ اسماً هو أجمل الأسماء وأعظمها فجمِّلوهُ خُلقاً حتى لا يُقَبِّحَ الاسم بسوءِ أدبه فإن الله يوم القيامة لا يُدخلُ أحداً النار باسم محمدٍ . فقالوا : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ حتى ولو كان لله عاصياً ؟ قال : لا فليست هذه هى المعنى فإنه إذا كان يوم القيامة يقضى الله

فى خلقه بعدلِهِ وفضلِهِ فإذا كان من بينهم من يُسَمَّى باسم محمد وهو عاصٍ لله ولرسوله ويستحق بمعصيته دخول النار يسلُبُ الله منه هذا الاسم المعظم بجماله فلا ينادى به بين الخلائق ويُعلِنُ الله تسميتَهُ باسم قبيح يليق بقُبْحِهِ ثم يُنادى به بين الخلائق فيعرفونه به ثم يدخل النار به ممسوخُ الصورة أى على صورة قبيحة ليست على صورة الإنسان حتى لا تكون على شكل لفظ محمد قبيح الاسم حتى لا يُنادى فى النَّار باسم محمد ، وهذه دلالة على عِظَمِ محبة الله لحبيبه ومصطفاهُ وغيرَةُ الله على حبيبه محمداً اسماً ورسماً وكرامة الله له ﷺ ، وقد رُوى أن رجلاً ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وشكا إليه رجلاً سَبَّهُ ولعنهُ . فقال أمير المؤمنين ﷺ : ما اسم هذا الرجل الذى سبَّكَ ولعنك ؟ قال : اسمه محمد بن فلان . فقال أمير المؤمنين : عجباً أيكون من بين المسلمين من يُسَمَّى محمداً ويكون سبَّاباً لعَّاناً ويتركهُ عمر يحمل هذه الاسم الكريم ! والله يوم القيامة يغارُ على اسم محمد فلا يُدخلُ به عاصٍ النار حتى لا يُقبِّحهُ بالنداء فى جهنم محلَّ عذابه وسُخْطِهِ وغضبِهِ فيسلُبُ هذا الاسم المعظم من العصاه ويسميهم بغيره فوالله لا يترك عمراً أحدٌ من المسلمين يُسمى محمداً تثبُتُ عليه شهادةٌ بمعصية من قول أو فعلٍ عمداً أو خطئاً إلا وسلبه اسم محمدٍ ، وأعلن بين الناس بتسميته باسم غيرهُ ثم قال أمير المؤمنين عمر ﷺ ويظهر فى وجهه الغضب غيرةً على محبته لرسول الله ﷺ إئتونى بهذا الرجُل فجئ به فسأله أمير المؤمنين عمر ﷺ إنه لا يليق بك وبقبحك أن تحمل هذا الاسم المعظم فإن كان والدُك قد اختار لك هذا الاسم فسُميت به فقد

اختاره لك وأنت مولودٌ سليم الفطرة صافى السريرة طاهر الجوارح حَسنَ الخُلق نقياً من الإثم بجمال فطرة الله أما الآن فقد يراك عمر أنك بسوء خُلقك وسوء أدبك وقُبح قولك وفعلك لا تليق بحمل هذا الاسم المعظم فتُسمى به فإنى أسلب منك هذا الاسم محمد ، وأعلن أمير المؤمنين عمر ﷺ وأصدر قراراً بتسميته (عبد الرحمن) وتغير اسمه فى الديوان فى دفتر المواليد ونادى المنادى بين الناس معلناً أن محمداً بن فلان سُمى باسم جديد وهو عبد الرحمن بحكم قضائى وقرار تنفيذى من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ولعل الحكمة فى تسمية عبد الرحمن باختيار من أمير المؤمنين لتحُفهُ رحمانيةٌ الله بالتجلى فإن حالهُ من المعصية يستوجب الحاجة إلى مدد من رحمانية ربه فيرتقى بتوبته إلى الله إلى مقام الوصف الجميل لأهل القُرب والرضوان : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .

شهادة الله لذاته بالوحدانية ولرسوله بالرسالة :

إن الله تبارك وتعالى حين شاءت إرادته فخلق الخلق جعل كل شئ بقدرٍ أى بحكمة وعلمٍ قدرهُ تقديراً بأقدار ومقادير يبدأ سِرُها من بداية الخلق يبديه الخالق جلَّ وعلا سَيْرَاً لطيفاً مع الزمان والمكان إلى يوم القيامة ومن جميل ما يبديه الله سبحانه لخلقه من علوم إلهية حقيقية فى كتبه المُنَزَّلة على أنبيائه ورسُله علم التوحيد الذى يُظهر جمال الذات المحمدية ومقام حبيبه ومصطفاهُ محمداً ﷺ أنه سيد الوجود كله

والسابق الأقدم قَدْراً وقَدَراً وذكراً جعل اسمه جمالاً فى كلمة التوحيد فطرة طبع بها على كل مخلوقاته بالرؤية الجلية واليقين التام لأهل المعانى مشاهدهُم بعلوم الله فيهم ولأهل الحِسِّ والمبانى مشاهدهم بعلوم الله فيهم فذكر اسم النبى فى كلمة التوحيد لأهل التوحيد أماناً لهم بالإيمان وعصمة لهم من الشرك فإذا قال المؤمن (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) فقد أثبت أن الألوهية لله بعد نفى كل ما سواه ، وأنه سبحانه إلهٌ واحدٌ بالإثبات بالوحدانية ونفى الشريك له بقول المؤمن (محمدٌ رسول الله) أى أن أعظم الخلق وسيد الخلق وأقرب الخلق إلى الله وأكرمهم مقامُهُ عبدٌ لله ورسول من الله أرسله الله إلى خلقه بعلم من الله ليدعوهم إلى الله بإذنه ويدُلهم على معرفة الله ومن مشاهد التجلى لأهل العلم بالإلهام والكشف الحقيقى المعنوى والحِسِّى أن الله جعل بين حبيبه ومصطفاه محمداً ذكراً أزلياً ورباطاً يربط بين أزليات الأمور إلى أبديتها بالعلم بإشارات وبشارات خَلقاً وخُلقاً وبملحمةٍ علمية إلهية أزلية مشهودة بين القرآن الكريم والتوحيد والرسول والرسالة والاسماء الحسنى لله رب العالمين وخلق الإنسان . ونحن فى هذا الزمان سمعنا وقرأنا أن طبيباً فى دولة شرقية أعلن تصريحاً أنه رأى بواسطة جهاز الأشعة الدقيقة بأنه مكتوب بيد قدرة الخالق وبنسيج الشريان على الرِّئة اليمنى للإنسان (لا إله إلا الله) ومكتوب أيضاً على الرِّئة اليُسرى (محمدٌ رسول الله) فهذه شهادة عينية يقينية حديثة العهد فى الرؤيا والمشاهدة بواسطة العلم الحديث ، وطبيب آخر يُعلن أن لولبية الحنجرة رآها على شكل (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) كتابة

ورسماً بلولبيتها وعلى ساق وأوراق الأشجار وعلى جلد الأسماك والأنعام نشاهد الآيات الناطقة كتابة بذكر اسم محمد مقروناً بالتوحيد .

سرُّ الجمال فى الإنسان والقرآن بالشهادتين : ■

فكما ذكرنا أن لله فى خلقه أسرار وتجليات حسِّية ومعنوية فمنها ما يُرى بعين البصر ومنها ما يُرى بعين البصيرة ومنها ما لا يُدركه الإنسان فمن جمال ما شُوهد من رباطٍ أزلىٍّ فى خلق الإنسان أن الله ﷻ خلق للإنسان ذراعيه وجعلهما إشارة لإرادة الإنسان بالقوة والبطش ، وخلق بهما الكفَّين وجعلهما أشارة للقدرة على العمل وخلق بهما الأصابع فهما اليدين اليُمنى واليُسرى بهما وصفُ القدرة لذلك لهما مكانة العرض الدائم أمام بصر الإنسان لحاجة الإنسان لهما عند كل حركة وفعلٍ ولما كان نظر الإنسان وبصره شاخصٌ لكفَّيه فى كل لمحة ونفسٍ جعل الله فى كفَّيه آيةً بها رؤية جمال الوصل بين أزليات الحقائق بين القرآن والإنسان وبين الشهادتين وبين مقام سيدنا رسول الله وبين أسماء الله الحُسنى وعُمر النبى الذى عمَّرهُ فى الأسباب بأعداد وأرقامٍ حسابية بنظام إلهى أزلى أبدى مُحكم . فإذا نظرنا ودققنا فى كفَّى يدى الإنسان اليُمنى واليُسرى لقرأنا مكتوباً بيد الخالق الأعظم وبيد القدرة الإلهية خلقاً فى كَفَّ اليد اليمنى العدد (١٨) وفى كَفِّ اليد اليُسرى العدد (٨١) وهذا السر الجلىُّ بوضوح الآية وظهور رؤية هذين الرقمين فى يدىْ وكفَّىْ كل إنسان آدميٍّ وكل يدقق ويُحقق حسب رؤيته العلمية فبعض أطباء العصر الحديث يقول إن وجود هذين الرقمين على رسم واحد فى كفَّى كل إنسان وجود خَلقياً مُوَحَّدٍ له سرٌّ عظيم فى قوة

تماسك الكفِّ ظاهره بباطنه وخاصة بطنُ الكف الجلدية الناعمة والمُميزة بالشرايين الرقيقة فهذين العددين لهما خصوصية بقوة التحكم مثل قوة خيوط التنجيد القوية فى الأشياء ولله المثلُ الأعلى فهذه نظرةٌ علمية لعلماء الطب فى تخصصهم ودائرتهم التخصصية أما الجانب الحقيقى فيُبين السر الأعظم وهو مُرادُ الخالق سبحانه فى خلقه وهو رؤية الإنسان الدائمة لإشارات التوحيد فى كفَّيه فوجود الرقم (١٨) فى كفِّ الإنسان اليُمنى إشارة التوحيد بوحدانية الله بشهادة الله والملائكة وأولوا العلم فإذا قرأنا القرآن ودققنا البحث عن ذلك فيه لوجدنا أن الآية رقم (١٨) فى سورة آل عمران تُبدى لنا هذا السر الأعظم بقوله سبحانه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فهذا مشهدٌ جميلٌ لرؤية حقيقة إلهية تربط رباطاً أزلياً بين الإنسان خلقاً وبين القرآن خُلُقاً ، وعلمنا علم اليقين أنه لا إله إلا الله بشهادة الذات الإلهية بوحدانية ذاتها أى بشهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو ، وشهادة الملائكة أهل القرب وأهل المعرفة بجلال الله الواحد وشهادة أولو العلم أى أهل العلم عن الله ومعرفة جلاله وواحديته ثم ندقق فى القرآن فنتحقق أن الرقم (٨١) مكتوب القدرة الإلهية فى يد الإنسان اليُسرى يُثبت شهادة الله والنبيين بالرسالة الشاملة وأنه هو صاحبُ المقام المُعلن الكامل بالرسالة والذى يستظُل بمقامه النبيين وكما شهد الله لنفسه بالوحدانية فى آية آل عمران رقم (١٨) وهذه شهادة من شهادتى التوحيد وقد بقيت الشهادة الثانية فبالتدقيق يكون التحقيق ففى الآية رقم (٨١) من سورة آل

عمران قوله سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ **فكما شهد الله لنفسه بالوحدانية وشهدت الملائكة وشهد أولوا العلم فى الآية (١٨) شهد الله وشهد النبيون بشهادة وميثاق أخذه الله عليهم للنبى ﷺ بالرسالة العلمية والفردية والوترية التى تليق بالذكر بمقام الواحدية المقرون بشهادة التوحيد فى الآية (٨١) فى نفس السورة آل عمران . ومن هذا المشهد الجلىِّ يتبين لنا أن القرآن خُلُقٌ هو كلام الله السابق لخلق الإنسان من أجل ذلك جعل الله فى خلقه للإنسان علامات وإشارات فى كفَّيه تتعلق بالقرآن لأنه الروح المعنوية من أمر الله وأسراره فى خلقه بقوله سبحانه :** ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ **وأن هذا القرآن سابق لخلق الإنسان لأنه علمٌ لحركة الإنسان بقوله سبحانه :** ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ **ثم نرتقى إلى مشهد فيه سرائر برباطٍ وعلاقةٍ بنظام إلهىٍّ دقيق بين العددين وأسماء الله الحسنى ، وعُمْرِ النبى ﷺ الذى عَمَّرَهُ فى الأسباب .**

أسماء الله الحسنى ، وعمر النبى وعلاقتهما بالرقمين : ـ

إنه من جمال صنع الله فى الإنسان أن منحهُ سراً ربط فى ظواهر الحسِّ رباطاً يرتقى به إلى مقام المعنى التام ، وهو إيضاح الرقمين فى كفَّيه اليُمنى واليُسرى (١٨ ، ٨١) فكما ذكرنا أن سرائر التوحيد فى سورة آل عمران بالشهادتين فى الآيتين (١٨ ، ٨١) ثم يتكشفُ لنا سرَّاً بجماله فى جمع الرقمين ، وطرحهما بالتحقيق . إذا جمعنا العددين (١٨ + ٨١ = ٩٩) وهذا العدد يساوى عدد أسماء الله الحسنى لقوله ﷺ (إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) صدق رسول الله ﷺ . وإذا طرحنا بالطرح العدد الأصغر من العدد الأكبر كالآتى : (٨١ - ١٨ = ٦٣) وهذا العدد ٦٣ هو العُمر الذى عمَّرهُ رسول الله ﷺ فى الدنيا ثلاثاً وستون سنة : أى أن الشهادتين والقرآن وأسماء الله الحسنى ، والنبى ، وعمر النبى ، والإنسان جعل الله بينهم السر الجامع لعطاء الله لأهل المُلك والملكوت فى كل رِفعةٍ وقُربٍ ، وقد جعل الله عمر رسول الله : أى السنوات التى قضاها النبى ﷺ ببشريته فى الدنيا مع الرسالة والإنسانية . عَظَّم الله قدْر هذه السنوات بل وأقسم الله بعُمر النبى فى القرآن بقوله : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِم يَعْمَهُونَ ﴾ **فإن عمر النبى مباركٌ فقد أتم الله فيه نعمته على الناس وأكمل فيه شرائعه ودينه فمن أول أبينا آدم عليه السلام تتنزل الشرائع على النبيين والمرسلين شيئاً فشيئاً فلم تكمُل لدين الله شرائعه إلا على يد سيد المرسلين محمدٌ ﷺ إذن فعُمر النبى أفضل وأعظم من كل ما مضى من أول آدم عليه السلام إلى يوم ميلاده ﷺ بل إلى يوم القيامة لأن كمال الدين وتمام النعمة خيرٌ وعطاءٌ لمن سبق بالميثاق والتصديق ، وخيرٌ وعطاءٌ**

لمن اتَّبع سيد المرسلين تحت ظلال دين الله الكامل ونعمته التامة بقوله سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ إذن نشاهد فى ما ذكرنا الجمال المحمدى والكمال النبوى أن عُمر النبى فى الدنيا أعظم فى بركته من مجموع عُمر كل الأنبياء والمرسلين ومن عظمته أن أقسم الله به فى القرآن فلا يقسم الله العظيم إلا بما هو عنده مُعظَّمٌ لذاته وعظيم بعطائه وهو صلى الله عليه وسلم صاحب الذكر الفريد فى شهادة التوحيد وهذا مقام لا يدنو منه مقام فى الوجود كله وهذا المقام إذا وقف عنده أهل العقول وأهل الفكر والذكر يدققوا ليتحققوا من معرفة سرٍّ من أسرار مقام رسول الله تحت لواء ذكر اسم النبى الحبيب مع ذكر الله فى شهادة التوحيد لحارت العقول فى مشاهدة عظمة الاصطفاء الإلهى والإرتقاء المحمدى ، ولو سبحت الأرواح ورسخت فى غيب الغيب وفى سر السر لكى تحظى بمعرفة كُنْهِ هذا السر لعجزت عن أن تدرك شُعاع نور أستاره بل كل أهل المُلك والملكوت بما فى ذلك العرشُ والكُرسىِّ يعجزون عن وصف عظمة مقامه ﷺ لأنه المقام الرفيع الجامع للمقامات والكمالات الإلهية باطناً وشهد له بذلك الحق سبحانه فى قرآنه بقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أى رفعنا ذكرك فوق كل الكائنات فما من موجود إلا ويذكُر عليه اسمك بصنع منَّا حتى العرش والكرسىِّ والكل بذكرك يرتقى عندنا ويُرفعُ ثم نرتقى إلى مقام فيه مُشاهدةً لعطاء نورانى محمدى .

السراج المنير صلى الله عليه وسلم : ـ

إن من حقائق النبى ﷺ فى ذاته الخلقية والخُلُقية اسماً وخلقاً ووصفاً مبنىً ومعنىً أنه نورٌ من نور الله سبحانه أرسله الله إلى العالمين ليستنير بنوره كل كائن فى الملك والملكوت بقوله سبحانه : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ ومعنى السراج : أى شمس الحقيقة التى يستمد منها أهل المعانى حيويتهم كما يستمد أهل الحسِّ والمبانى حيويتهم من شمس دنياهم حرارة ، وضياءً ، وأشعة ، ونوراً وتتعلق أسرار حياة كل كائن فى الأرض وعلى ظهر الأرض ، وما بين السماء والأرض بمدد الشمس فيه وله . فقد قال سبحانه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ فالسراج الشمس والقمر يأخذ عطاءه من الشمس فى وقت الضحى من الأشعة البنفسجية شُحنتَهُ كاملة فيتلوها فى الليل نوراً فذلك فى قوله سبحانه ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ أى أن نور القمر مدده من السراج إذن السراج خَلْقٌ بذاته والقمر خَلْقٌ بذاته يمد الكون بالنور بمدد من الشمس والوصف فى ذات النبى أنه هو السراج وهو المنير وقد رُوى أن سيدنا موسى كليم الله عليه السلام لما قرأ فى التوراة من صفات النبى وأسمائه وذكره فمن بين ما قرأ محمدٌ أحمدٌ الحبيب الخاتم السراج المنير . سأل المولى تبارك وتعالى : (إلهى لم سميت حبيبك بالسراج المنير ؟) فقال له الحق

تبارك وتعالى : (يا موسى بن عمران أوقد لك سراجاً ، وأمر الإسرائيلين أن يوقدوا سُرُجهُم من ذلك السراج ففعل ، وفعلوا كلهم ثم رجع بالسؤال إلى ربه مرةً أُخرى فقال : يا رب إنى فعلت ما أمرتنى به ، ولم أفهم شيئاً ، ولم أعلم حكمة الأمر . فقال : له جلَّ وعلا : يا موسى لما أسرج كل الإسرائيلين سُرُجهُم من سراجك . هل نقُص من نور سراجك شئٌ ؟ قال : لا . فقال تعالى : فلذلك سميت حبيبى بالسراج المنير . أى أنه هو الكمال المطلق الذى لا يعتريه نقص فكلُّ عاشق للكمال يقتبسُ منه كماله على قدْر استعداده بالطلب والمحبة يكون التلقِّى وكل عاشق للنور يستمد منه صلى الله عليه وسلم النور الهادى من صفة المنير . فمعنى سراجاً منيراً أن كل نائرٍ فى الكون يستنيرُ من نور رسول الله وله من رسول الله مدداً وله من رسول الله عطاءاً وله من رسول الله قبساً من النور ، وقد قال ﷻ فى هذا المقام : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ فكل من أحب أن يتحلَّى بالخلق العظيم وأن يحظى بالتجلِّى الأعظم والمحامد التى تكون له حصناً حصيناً يتحصن فيه فى الدنيا وسفينة للنجاة يوم القيامة فليصدُق فى محبته لرسول الله ﷺ والاقتداء به واتِّباعه فى سُنَّتِه قولاً وفعلاً وعملاً وحالاً يحظى بالعطاء فهذا يُسمى مقام العَطِيَّة .

النور الأزلى المحمدى : ـ

إن مقام الأزلية النورانية المحمدية أنه نور له أزليتُهُ قبل بدء الخلق ﷺ وله عظمته ؛ لذلك كان مدد النور فى الوجود لأهل المُلك والملكوت من نور رسول الله ﷺ و نور رسول الله من نور الله فقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ معنى ذلك أن كل شئ خلقه الله وأوجده فى السموات والأرض حقيقتهُ نورٌ ، والسموات والأرض نورٌ فكل مظاهر الأشياء فى الكون ما هى إلا ليراها أهل الحِسِّ رسماً ويتعرف عليها اسماً فإذا كان العبدُ ذاكراً لله مُتفكراً فى عظمة الخالق ينظر إلى الأشياء على أنها ستائر صنعها الله وتوَّجها بالمحاسن لتحجب الأنوار الإلهية فإذا ارتقى العبدُ بالتفكر فى العظمة ارتقى بالرؤية للأنوار حتى تخترق له الحُجُب فيشاهد الكون نوراً وهذه هى حقيقة أصل المخلوقات جميعاً وما كانت المكونات إلا مظاهر سواطع نور الحق سبحانه وما كانت المُسميات إلا طلائع ليرتقى بها الإنسان فى الاستدلال على عظمة الخالق جلَّ وعلا . فبمشاهدة الأكوان ظُهور حُسنها وجمالها وظهور آثار الصفات وظهور مطالب الأسماء وتنوعت الأكوان على أجناس كثيرة بتنوع الأسماء (فالماء واحد والزهر ألوان) ، وقد قال ابن عطاء فى حكمه (لولا ظهوره فى المكونات ما وقع عليها وجود الصفات ، ولو ظهرت صفاته اضمحلَّت مكوناتُهُ) وفى ذلك يقول سلطان العاشقين سيدنا عمر بن الفارض ﷺ : ـ

وكُلَّ الورَى طُرَّاً مَظَاهِرُ طَلعَتِى ... مَرَاءٌ بها من حُسنِ وجهىَ لامعُ

ظهرت بأوصافِ البَرِيَّةِ كُلِّهَا ... أجلْ لى ذواتِ الكلِّ نُورى ساطعُ

وقال أيضاً : ـــ

تَجلَّى حبيبى فى مَرائى جَمَالِه ففى كُـلِّ مَـرْءٍ للحبيـبِ طَلائِـعُ
فلما تَجلَّـى حُـسنُهُ مُتنوِّعـاً تَـسمَّى بأسـماءٍ فهُـنَّ مطـالِعُ

أى أن العبد إذا نظر إلى شئ رأى فيه طلائع جديدة باسم جديد يذكر به ووجه جديد يُعرف به وشاهد محاسن وجمـالاً إذن ظهـوره سـبحانه وتعالى بواسطة تجليات الأكوان فيه لطفٌ كبيـر إذ لا يُمكـن شـهودُهُ ومعرفته إلا بواسطة هذه التجليات ، ولو ظهر بالأوصـاف التـى كـان عليها فى الأزل بلا واسطة لتلاشت الكائنات واضمحلَّت ؛ لذلك جاء فـى الحديث الشريف قوله ﷺ : (حجابُهُ النور لـو كُـشفَ عنـه لأحرقـت سُبُحاتُ وجهه كل شئٍ أدركه بصره) فالكائنات كلها تكثيـفٌ للأسـرار اللطيفة التى هى نعوتٌ للذات الأزلية ، وقد أشار إليها ابـن الفـارض بقوله : ــ

صفاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هوىً ونورٌ ولا نـارٌ وروحٌ ولا جـسمُ
تَقَدَّمَ كُلَّ الكَائِنَاتِ حَـديثُـهَا قديمٌ ولا شكلٌ هنـاك ولا رسـمُ

إذن فلو ظهرت الأسرار اللطيفة لتلاشت الكائنات الكثيفـة إذ لا ظهـور للكثيف إذا رجع لطيفاً وما مثال الكون إلا كالثلجة ظاهرها جامد وباطنها مائع فإذا ذُوبَت الثلجة رجعت إلى أصلها ماء ولم يبق للثلجة أثر فكذلك المكونات الحسية إذا ظهرت أسرارها اللطيفة التى قامـت بهـا ذابـت ذواتها الكثيفة وتلاشت ، ورجعت لأصلها وفى ذلك قال سلطان العاشقين سيدنا عمر بن الفارض ﷺ : ــ

وما الكونُ فى التِّمثالِ إلا كثلجةٍ وأنت لها الماءُ الـذى هـو نَـابعُ
فما الثلجُ فى تحقيقنا غيرُ مائهِ وغيرانِ فى حُكْمٍ دَعَتْـهُ الـشرائعُ

ولكن بذوب الثلجِ يُرفع حُكمُهُ ويوضَعُ حُكمُ الماء والأمـرُ واقـعُ

ومعنى ذلك أنه من وقف مع ظاهر الثلجة أنكر الماء الذى فى باطنهـا وكان جاهلاً بحقيقتها ومن نفذ إلى باطنها عرف أصلها وفرعُها وكـذلك الأكوان ظاهرُها غِرَّةٌ لمن وقف مع كثافتها ، وباطنها عِبْرَةٌ لمن نفذ إلى أصلها ، وعلى سبيل المثال الكون بصورة جبريل عليه السلام حين كان يتصور فى صورة دِحْيَة فمن رآه كثيفاً قال دِحْيَة وأنكر أن يكون مَلَكاً ، ومـن عرف أصله لم ينكرُه ولم يقف مع ظاهرة فإذا تلطَّف ورجع إلى أصـله ذهبت تلك الصورة واضمحلَّت فكذلك الكون إنمـا هـو خيـال فمـا دام موجوداً فى الحس رأى وظهر فإذا رجع إلى أصله بظهور أسراره التى قام بها اضمحلَّ ولم يبق له أثر . وقد أشار إلى هذا سلطان العاشقين بن الفارض ﷺ : ــ

تجلَّيتُ بالتحقيق فى كل صورةٍ ففى كل شئٍ مـن جمـالى لوامـعُ
فما الكونُ فى التِّمثال إلا كدِحْيَةٍ تصوَّر رُوحى فيه شـكلٌ مُخـادعُ

وتسمى هذه الأسرار التى قامت بها الأكوان معانى ، وتـسمى الأكـوان أوانى حاملة للمعانى فلو ظهرت المعانى لاضمحلت الأوانى ومن وقـف مع حسِّ الأوانى حُجب عن أسرار المعانى وفـى ذلـك يقـول الإمـام التُشْتُرِىَّ ﷺ : ــ

لا تنـظُـر إلى الأوانى وخُضْ بحرَ المعانى علَّك أن ترانى

وقال بن الفارض ﷺ : ــ

ولُطفُ الأوانى فى الحقيقةِ تابعٌ لِلُطفِ المعانى والمعانى بها تـسْمُو

أى أن الأوانى كلها لطيفة فى الحقيقة تابعة للطف المعانى لأنها منها ،

وقال أيضاً بن الفارض ﷺ : ـــ

تَجَلَّيْتَ فى الأشياء حين خَلَقْتَهَا فها هى مِيطَتْ عنك فيها البراقِعُ

فأهل السَّبق من عباد الله العارفين الذين استنارت قلوبهم بنور المعرفة ، ونور الفهم ، ونور العلم الذى هو بطلوع قمر الفهم فى أفق التوحيد بمشاهدة قُرب الحق ، وبطلوع شمس المعرفة فى أفق التفريد الذى قوى به يقينهم ولاح لهم وجه المشاهدة وبهذا النور الذى انقذف فى قلوبهم وسع القلب معرفة الحق ، وقد أشار الحق فى حديثه القدسىِّ : { لن يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن } . فمن سبق منهم فى الحب وسبق فى العشق ، وسبق فى الشوق ، وسبق فى الذوق ، سبق إلى العطاء ، وكُشفت له الستائر وتُحجب عنه الصور ولا يرى فى الكون صورة وتكون رؤيته الأنوار وغايته رؤية الذات جمالاً ، ووصلاً ، ووِصالاً فهم أهل الذكر ذكروا الله كثيراً كما أمرهم بلسان المقال وبلسان الحال بالحب والعشق والشوق والتفانى فكانت ثمرة ذلك هو النور الذى يُشرق فى القلوب فيضمحل به كل باطل ، والناس فى هذا النور قسمين : قسمٌ سكن النور قلوبهم فهم ذاكرون على الدوام ، وقسمٌ يطلبون وجود النور بأذكارهم ، وفى ذلك قال ابن عطاء الله (قومٌ تسبقُ أنوارهم أذكارهم ، وقومٌ تسبق أذكارهم أنوارهم) أما القوم الذين تسبق أنوراهم أذكارهم فهم الواصلون ولهم أنوار المواجهة لا تُفارقهم فهم ذاكرون على الدوام ، وأما الآخرون : فهم قومٌ سبقت أذكارهم أنوارهم فهم السائرون فلهم أنوار التوجُّه وهم طالبون لها محتاجون إليها فهم يجاهدون أنفسهم فى طلب تلك الأنوار ، وقال ابن عطاء

أيضاً : (ذاكرٌ ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكراً) فالذى ذكر ليستنير قلبه هو الذى يسبق ذكره نوره ، والذى استنار قلبه فكان ذاكراً هو الذى يسبق نوره ذكره ، وهو من العارفين لا تجدهم إلا فى حضرة الله بين ذكر أو فكرٍ أو نظر أو إرشادٍ إلى الحضرة قلوبهم ممتلئةٌ بالأنوار وأرواحهم دائمة فى حضرة الأسرار ووجود الذكر فى الظاهر عنوان وجود الشهود فى الباطن ولذلك قال ابن عطاء { ما كان ظاهرٌ فى ذكرٍ إلا عن باطنٍ فى شهودٍ أو فكرٍ } ومعنى ذلك أنه إذا كان الظاهر مشتغلاً بذكر الله فهو علامة وجود محبة الله فى الباطن فمن أحب الله أكثر من ذكره وقد أطيل الحديث فى توضيح جمال النور الإلهى فى قلب المؤمن وفى الكائنات حتى لا يستعظم أحدٌ جمال النور المحمدى السراج المنير الذى منه مدد كل الأنوار فى أزليته فى القِدَمِ صلى الله عليه وسلم فقد روى أن رسول الله ﷺ سأل حبريل عليه السلام فقال : ـ يا جبريل كم عمرت من السنين ؟ فقال جبريل عليه السلام : ـ يا رسول الله لست أعلم غير أنه فى الحجاب الرابع نجماً يطلُع فى كل سبعين ألف سنة مرة ، ورايته سبعين ألف مرة . فقال صلى الله عليه وسلم : ـ (وعزة ربى أنا ذلك الكوكب) . ومعنى ذلك أن رسول الله ﷺ كان يتنزل عليه الوحى فكان إذا انتهى أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام من رسالته مع النبى قبل انتهاء الزمن (أى الوقت المحدد له) يظل آمين الوحى مع النبى ﷺ حتى ينتهى من النزول فى مسامرةٍ حديثٍ يبدأه معه النبى باختياره صلى الله عليه وسلم فيقول النبى سائلاً : يا جبريل كم عمَّرت من السنين ؟ يعنى كم عمرك من يوم أن خلقك الله فيقول سيدنا جبريل مجيباً على

السؤال : ــ يا رسول الله لست أعلم غير أنه فى الحجاب الرابع نجماً يطلع فى كل سبعين ألف سنة مرة ورأيته سبعين ألف مرة ، ومعنى ذلك أن أمين الوحى جبريل عليه السلام لا يعلم كم عمره من السنين من يوم أن خلقه الله بقوله لست أعلم ولكن علمه بعدد السنين التى بدأ بعدها من بداية رؤيته لهذا النجم النورانى الأعظم والذىيطلع فى الحجاب الرابع النورانى من الحجب العلوية فوق فوق السموات السبع (أى فوق سدرة المنتهى) وأنه يطلع فى كل سبعين ألف سنة مرة ، ومعنى ذلك أنه يطلع فى كل سبعين ألفِ سنة مرة ومعنى ذلك أنه يطلع بطلعته بكمال جمال نوره مرة فيعطى عطاء النور بقذف من أنواره إلى أهل الملكوت وينتقل إلى أهل الملك كذلك عطاءاً نورانياً بقبسٍ كافٍ لهم من النور يستظلون بمدده ومنه تكون شُحْنَةُ النور فيهم مددها قائمٌ ودائمٌ لأجلِ سبعين ألف سنة ثم يُجدد لهم عطاءه بالنور بطلعته بعد سبعين ألف سنة أخرى ثم يقول جبريل عليه السلام ورأيته يطلع سبعين ألف مرة إذن يكون عُمْرُ هذا النجم بعدِّ أمين الوحى له ومقروناً به عمر جبريل عليه السلام ولم يكن هو العمر الكامل لهما ولكنه عمرُ التعارف بينهما باللقاء بالرؤية فيكون عمر ذلك بالسنين سبعين ألف سنة طلعهُ مرة فى سبعين ألف سنة عدد المرات فى الطلوع فيكون العدد يساوى أربعة آلاف وتسعمائة : مليون سنة = ٧٠٠٠٠ × ٧٠٠٠٠ = ٤٩٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة فيقول سيدنا رسول الله ﷺ : (وعزة ربى أنا ذلك الكوكب) ولا عجب فى قوله صلى الله عليه وسلم وقسمه بعزة ربه فقد قال فيه سبحانه﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ إذن نشاهد من هذا الحديث أن سيدنا رسول الله ﷺ هو سر الأسرار لله

فى الوجود ومنه كان المدد والعدد فى الخلق أى منه كان كل مدد فى الإيجاد فى الوجود ، ومنه كان كل مدد للعدد والكثرة ثم ننتقل إلى مشهد أرقى وهو مقام بدء الخلق وعلاقته الأزلية والأبدية بالنور المحمدى .

أول ما خلق الله : ــ

إن من جمال العطاء فى الأمة المحمدية الإسلامية محبةُ النبى ﷺ وعشق الجمال فيه فكل صادقٍ فى اتِّباعه صادقٌ فى محبتهِ ، وكل صادقٍ فى محبتهِ يدقق النظر فى رؤية الحقائق فيه على قدر طاقته واستعداده لتلَقِّى الحقائق من أنوارٍ وأسرارٍ فهذا صحابِىٌّ جليلٌ من عشاق مشاهدة الأنوار فى سيدنا رسول الله ﷺ وما دام العبدُ فى عشقٍ صادقٍ وأدبٍ راقٍ فى الطلب لرؤية النور يُعطَى مطلبه هذا الصحابِىُّ الجليلُ صاحب الذكر الجميل هو سيدنا جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه حين قرأ قول الحق سبحانه فى حقيقة النبى ﷺ خلقاً وخُلُقاً أنه نورٌ من الله بقوله سبحانه : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتابٌ مبين ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ شغله ذلك وهَمَّ بالبحث والتدقيق للتحقيق يقيناً برؤية ذلك النور أوبالعلم التام به فبدأ إذا مشى مع النبى فى وقت الظهيرة ينظُر من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله صلى الله عليه وسلم ليرى لجسمه وبشريته ظلاً وخيالاً من حوله على الأرض كما يرى لجميع الأجسام من البشر فلم يرَ شيئاً من ذلك فتحقق وتيقن سيدنا جابر أن رسول الله خلْقاً نورانياً بجسمه لأن النور ليس له ظِلٌّ ولا

خيال . فالظل والخيال للأجسام المُعتِمة فهذه حقيقةٌ أثبتها سيدنا جابر بالرؤية ثم يكون له بعد ذلك بحثاً بعشقِه بالتدقيق آخر ليُثبت حقيقة أخرى فيجلس مع رسول الله ﷺ فى ليلة مُقمرة البدر فيها مكتمل ثم ينظر سيدنا جابر فى وجه القمر ويتحقق من نور القمر ثم ينتقل بالنظر فى وجه سيدنا رسول الله الذى وصفه ربُه بأنه السراج المنير أى : الجامع بأنواره نور الشمس والقمر . فيرى أن رسول الله أعظم من نور القمر البدر وثبت له ذلك يقيناً بالتحقيق أن القمر بدرٌ للمبانى فنوره محدودٌ على قدر حجمها المحسوس لأهل الحسِّ أما نور رسول الله ﷺ وحقيقته فهو بدرٌ للمعانى لأهل الحسِّ والمعنى لأهل المُلك والملكوت ؛ ولذلك عَلِمَ يقيناً أن رسول الله ﷺ يعلمُ ما هو فيه من الحيرة فى هذه المُقارنة النورانية فمن أدبه مع النبى الأعظم يستحى أن يسأله صلى الله عليه وسلم باللفظ المباشر قائلاً : يا رسول الله نورُك أعظم أم القمر ؟ ولكن يقينه بعِلْمِ رسول الله بحاله جعله يسأل بكل حرصٍ وأدبٍ مع المقام المحمدى المُنَزَّه قائلاً : يا رسول الله ما أول ما خلق الله ؟ فقال النبى الكريم : (نور نبيُّك يا جابر .) فكان هذا إلهامٌ من الله لسيدنا جابر أن يختار السؤال الذى يتعلق بالنور سواءٌ بالمقارنة أو بالأزلية الخلقية لهذا النور ، وحين يأتى الجواب على هذا السؤال من سيدنا رسول الله يكون إثباتاً للمقارنة أن نور نبيُّك أعظم من نور القمر يا جابر فأنت مُنْصِفٌ بمقارنتك ويكون الجواب على السؤال المباشر لفظاً (ما أول ما خلق الله ؟) يقول له : نور نبيُّك يا جابر فهذه حقائق يقينية يكشفُها العاشق للأنوار المحمدية من جمال صدقهِ مع الله

ورسوله والتصديق بالإخبار عنها بالقرآن جعله يبحث عن رؤيتها بعين البصر وبعين البصيرة وقد تحقق له ذلك ثم بعد أن يتحقق سيدنا جابر من رؤية النور المحمدى بعين البصر ، وبعين البصيرة أيضاً من إخبار رسول الله له أنه أول ما خلق الله نور النبى ﷺ . فمن جمال تصديقه التام باليقين الكامل لحديث سيدنا رسول الله ﷺ له شغله عشقه لمعرفة هذا السر بوضوحٍ وتفصيلٍ حتى يقف على شاطئ بحار العلوم بالتحقيق التام والمعرفة الكاملة فيحرص على أن يسأل رسول الله ﷺ فى هذا الشأن مرةً أخرى فيقول سيدنا جابر بن عبد الله الأنصارى ﷺ : قُلت : (يا رسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شئٍ خلقه الله تعالى قبل الأشياء . قال : يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نورُ نبيِّك من نورِهِ فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوحٌ ، ولا قلمٌ ، ولا جنةٌ ، ولا نارٌ ، ولا مَلَكٌ ، ولا سماءٌ ، ولا أرضٌ ، ولا شمسٌ ، ولا قمرٌ ، ولا جنٌ ، ولا إنسٌ . فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور إلى أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الجزء الثانى اللَّوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حمَلَةَ العرش ، ومن الجزء الثانى الكُرسِيِّ ، ومن الثالث باقى الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول السماوات ، ومن الجزء الثانى الأراضين ، ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول نورُ أبصار المؤمنين ، ومن الثانى نورُ قُلُوبِهِم وهى المعرفة بالله ، ومن الثالث نورُ أُنْسِهِمْ وهو التوحيد (لا إله إلا الله

محمدٌ رسول الله) ثم نظر إليه فترشَّح النور عرَقاً فتقطرتُ منه مائةَ ألفِ قطْرةٍ وعشرين ألفاً وأربعة آلاف قطرة فخلق الله من كل قطرة روحُ نبيٍّ ورسولٍ ثُم تنفَّستْ أرواحُ الأنبياء فخلق الله من انفاسِهم أرواحُ الأولياءِ ، والسعداء ، والشهداء ، والمُطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة) فالعرش والكرسى من نورى ، والكُرُوبِيُّون من نورى ، والرُّحانيُّون من نورى ،والجنة وما فيها من النعيم من نورى والشمس والكواكب من نورى والعقل والعلم والتوفيق من نورى ، وأرواح الأنبياء والرُسل من نورى ، والسعداء والصالحون من نتائج نورى ثم خلق الله آدم من الأرض وركَّب فيه النور وهو الجزء الرابع ثم انتقل منه إلى شيث وكان يتنقلُ من طاهرٍ إلى طيِّبٍ إلى أن وصل إلى صُلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى وجه أمى آمنة ثم أخرجتْنِى إلى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وقائد الغُرِّ المُحجلين . (هكذا بدأ خلقُ نَبِيَّكَ يا جابر) . ومن هذا الحديث الشريف نشاهد جمال القدرة فى عظيم الصنع أنه سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يخلق الخلق بكلمة فى لمحةٍ وكلٌّ يأخذ كماله الخلقى والخُلُقى بنظام واتقانٍ فى الصنع ، ولكنه سبحانه جعل يُقَسِّمُ النور الذى هو مادة التجلى فى الخلق أربعة ثم أربعة ثم أربعة ليُبيِّن للإنسان الذى ستكون له منحة العلم والتصنيع أن يكون فى صُنعه للأشياء فى تريُّثٍ وتأنٍّ وإتقان دون عَجَل وهذا عطاءٌ من الله ليُعَلِّمَ به الإنسان كيفية الصُنع فإن الناس إذا رأوْا شيئاً أو صنعةَ لا يسألون فى كم فرغ هذا ؟ ولكن يسألون عن جودته فمشاهدُ الجمال فى الصنعة تدُلُّ على جمال الصانع وعظمته والكون كُلُّه صُنع الله الذى أتقن

كُل شئٍ ﴿ فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين ﴾ وحين يُحدثنا رسول الله ﷺ بقوله الشريف أن بدأ بخلق نُورى من نوره سبحانه ومن نورى المحمدى خُلقت الأشياء نقول لا عجب فى ذلك فقد قال سبحانه فى قرآنه : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إذن نشاهد من جمال هذه الآية القرآنية أن النور كله الأصل له وفيه الله ثم نُشاهد جمال المقام المحمدى أنه يذكرُ اسم محمد مقروناً فى شهادة التوحيد باسم الجلالة (الله * محمد) وهذا الذِّكر أزلى قبل وجود الوجود إذن يكون الأمر واضحٌ وجَلىٌّ أنه ما دام اسم محمدٍ مقروناً باسم الله ذكراً من الأزل إذن يخلق صاحب الاسم من نور الله أولاً ومن مدد نوره تُخلق الأشياء لتكون موصولة بوصل النور بك فتسكن بفطرتها على محبتك وذكرك مع ذكر الله فهذا هو مراد الله وأنت المراد يا رسول الله وحين يذكُر رسول الله ﷺ فى حديثه أن الله بدأ الخلق من نوره صلى الله عليه وسلم بأن قسم النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ، وهذا أول ما خلق سبحانه فالقلم مخلوقٌ عظيمٌ فيه أسرار الحق بل فيه سرُّ القدرة الإلهية لأن الله يقول له : يا قلم اكتب فى اللوح بإذنى وعِلْمى وسِرِّى السارى فيك كل مقادير خلقى فيكتُب ثم يخلق بعد القلم اللوح ، ويأمر الله سبحانه بأمره القلم ويقول له : يا قلم اكتب فى اللوح بعِلْمى وحكمتى وقدرتى كل مقادير خلقى وأقوالهم ، وأفعالهم ، وآثارهم ، وآجالهم ، وأرزاقهم ، وأحوالهم ، ومقاماتهم فى حياتهم إلى يوم القيامة ، وفى القيامة ، وما بعد القيامة من حياةٍ خالدة فى الجنة والنار فكتب القلم فى اللوح بإرادة الله ومشيئته وأول ما كتب القلم فى اللوح كلمة التوحيد

التى هى منها مدد كل قدرٍ يُكتب مقروناً بها ويستظلُ بظـلال أسـرارها بالعطايا والرضوان وهى بكمالها (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) ثـم خلق الله سبحانه من الجزء الثالث (العرش) وحين تجلى الحق علـى العرش بأنواره الجلالية رجف العرش وارتعد من عَظيم الهَيبة فأمر الله سبحانه القلم أن يكتب على ساق العرش كلمة التوحيد فكتب القلـم (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) فسكن العرش . إذن من جمال هذا المشهد العظيم نرى أنه لابد وأن تكتب كلمة التوحيد بقلم القدرة الإلهية على كل مخلوق يتجلى الخالق بخلقه بعد خلق العرش ليسكُن بفطرته كما سـكن بها العرش الذى هو من عظيم المخلوقات لأننا إذا دققنا النظر لنتحقـق بالمشاهدة فى عِظَمِ مخلوقات الله نرى يقيناً من هذا الحديث الشريف أن الله سبحانه خلق القلم ، واللوح ، والعرش من الجزء الأول من النـور المحمدى الإلهى وهذا الجزء هو الأصل فخلقهم من ثلاثة أرباع الجـزء وبقِىَ رُبعُ الجزء ، ومنه كانت بقية المخلوقـات جمعـاً إذن فـالقلم ، واللوح ، والعرش أعظم المخلوقات خلقاً وأسـبقهم لأن الله اختـصهم بأسرار ذاته العَلِيَّة . ثم يُبيِّن سيدنا رسول الله ﷺ فى الحديث الـشريف المرتبة الثانية فى خصوصية عظمة المخلوقات أن تكون من ثلاثة أرباع الربع المتبقى من الأصل فيقول : (ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجـزاء فخلق من الجزء الأول حمَلةَ العرش ، ومن الجزء الثانى الكُرسِىِّ ، ومن الثالث باقى الملائكة) إذن خلق الله من أصل بـدء الأنـوار مخلوقاتـه العظيمة التى تكون أهلاً ومحلاً لتجليات أسرار جبروت عظمته ونشاهد عدالة الخلق بالتجلى النورانى بنسبةٍ عادلةٍ فى السبق وقِسمةِ الأنـوار

بنظام مُحكم دقيق وهى ٤ : ١ يعنى كل سابق فى الخلق له مـن حـظ التجلى النورانى أربعة أضعاف ما يليه فى الخلق ، ونشاهد أيضاً أن كل مخلوق أصله فى الخلق نورٌ وكل الموجودات حقيقتها نورٌ ومـا كانـت الصُّورُ إلا ستائر ثم يقول الحبيب ﷺ ثم قسم الله سبحانه الجزء الرابـع الذى هو ربع الربع من الأصل الأول أربعة أجزاء . فخلق مـن الجـزء الأول السموات ، ومن الجزء الثانى الأراضين ، ومـن الثالـث الجنـة والنار) ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول نـورُ أبصار المؤمنين ، ومن الثانى نورُ قُلُوبِهِم وهى المعرفة بـالله ، ومـن الثالث نورُ أُنْسِهِمْ وهو التوحيد (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) وهذا مشهدٌ جميل أى أن نور بصر المؤمن النور الحِسِّىِّ خُلق من جزء مـن النور يلى خلق السموات والأرض والجنة والنار لأنه خارقٌ للـسموات بنور بصره بالنظر والتفكر ، وبنور قلبه بالمعرفة بالله لقوله صـلى الله عليه وسلم (احذروا فَراسَةَ المؤمن فإنه ينظر بنور الله ﷻ) وبنور الله فى البصر يكون تحقيق العِبَرْ التى بها يقوى الإيمان ولذلك قال الحبيـب المصطفى ﷺ (أوصانى حبيبى أن يكون نظرى عِبَرَاً ، وصمتى فِكْـراً ، ونُطقى ذِكْراً) ، وخلق سبحانه نور أُنْسِ قلوب المـؤمنين ليحِـلَّ هـذا النور فى قلب المؤمن إحلال سكينةٍ وتمكين وهو كلمة التوحيد (لا إلـه إلا الله محمدٌ رسول الله) ولذلك إذا تجلى الله على عبـدٍ مـن عبـاده الصالحين وكشف له حجاب الغفلة لشاهد بعين بصيرته حقائق الكـون وتجليات الحق فيه أن الكون كله نوراً ، ولا يتحقق هذا العطاء إلا لعبـدٍ عَشِق العطاء وسلَّمَ بعقله وصدَّق بقلبه وزُكَّتْ نفسُهُ ودُكَّتْ جبالُها : أى

قُتلت شهواتها وارتقت من نفسٍ أمارة إلى مقام النفس الكاملة فحينئذٍ يتوَهمْ الحقائق ثم يرتقى فيتخيَّل الحقائق ثم يرتقى فيتصور الحقائق ثم يتحقق فيشاهد النور هو كل شئ وكل شئ هو النور ثم يقول مُبيِّناً سيد الخلق صلى الله عليه وسلم أن هناك من خلقهُ الله من النور الذاتى المحمدى الذى هو الأصل الذى كان منه هذا الجزء الذى منه كانت هذه المخلوقات العظيمة ، ومن رَشَحَاتِ النور المحمدى خلق الله الأنبياء والمرسلين ، ومن تنفُسِ أرواح الأنبياء والمرسلين خلق الله أرواح الأولياء ، والسعداء ، والشهداء ، والمؤمنين إلى يوم القيامة بقوله الشريف صلى الله عليه وسلم (ثم نظر إليه فترَشَّح النور عرقاً فتقطرَتُ منه مائةَ ألفِ قطْرةٍ وعشرين ألفاً وأربعة آلاف قطرة فخلق الله من كل قطرة روحُ نبىٍّ ورسولٍ ثُم تنفَّستْ أرواحُ الأنبياء فخلق الله من انفاسِهِم أرواحُ الأولياءِ ، والسعداء ، والشهداء ، والمُطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة) ثم يكشف الحبيب عن جمال مقامه الكمالى أن مدد المخلوقات من نوره التام السراج المنير فيقول صلى الله عليه وسلم ولا فخر (فالعرش والكرسى من نورى ، والكُرُوبِيُّون من نورى ، والرُّحانيُّون من نورى ،والجنة وما فيها من النعيم من نورى والشمس والكواكب من نورى والعقل والعلم والتوفيق من نورى ، وأرواح الأنبياء والرُسل من نورى ، والسعداء والصالحون من نتائج نورى) ثم يُبيِّن الحبيب صلى الله عليه وسلم جمال الخلق فى الإنسان الكامل آدم عليه السلام فيقول صلى الله عليه وسلم (ثم خلق الله آدم من الأرض) أى : خلق الله آدم بصورته البشرية من الأرض فنقول إن خَلق آدم بقدرة الله

من الأرض فأصل الأرض فى الخلق نورٌ إذن فصورة الإنسان فيها مددٌ نورانى . ثم يقول النبى الكريم ﷺ (وركَّب فيه النور) أى : النور المحمدى الذى يسرى لِتُشْرق أنواره فى الأصلاب والأرحام لتجلىِّ الحق فى خلق الأطهار والأشراف والطيبين من الأنبياء والمرسلين والأولياء إلى يوم القيامة ثم يقول صلى الله عليه وسلم : (ثم انتقل منه) أى : النور ، إلى شيث (أى ولد آدم وهو نبىَّ) وكان ينتقل من طاهر إلى طيِّبٍ إلى أن وصل إلى صُلب عبد الله بن عبد المطلب (والد رسول الله ﷺ) ومنه إلى وجه أمى آمنة ثم أخرجَتْنِى إلى الدنيا فجعلنى (أى ربى) سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وقائد الغُرِّ المحجلين هكذا بدأ خلقُ نبيِّكَ يا جابر) فهذه مشاهد الحقائق الإعجازية التى من جمال تجلى الخالق جلَّ وعلا وليس فى ذلك عجباً فقدرةُ الله مُطلقَةٌ وأسرار الله عظيمة لا تدركها العقول إلا بالتسليم بالخضوع والعجز فالعجز عن الإدراك إدراك أى أن العقل إذا تأدب مع ربه والتزم لرأى عجزهُ وأقرَّ أن عظمة السر أعظم من أن يدركها عاقل بعقله فإقراره بعجزه هو إقراره بعظمة ربه وهذا هو جمال الإدراك وفى هذا قال سيدنا ومولانا القطب الربَّانىُّ الولىِّ التُّقى سيدى أحمد البدوى ﷺ لسيدنا ابن دقيق العيد حين ذهب إليه ليتحقق من أمر ولايته حيث كان مُتهماً بالجنون من أهل الملامة على ما يشاهدون له من عِظيم الكرامات والعطايا الربانية التى قلَّ أن يُسلِم لها العقل الجاحد بل يعجز أمام عظمتها العقل الكامل مُتهماً بوصف صاحبها بالجنون والنقائص ومن بين هؤلاء ابن دقيق العيد الذى كان عالماً وقاضياً يجلس بين يدى قطب الأقطاب وهو فى حيرة فى

أمر الناس وأمر هذا الولى أهو مجنون كما يقول الناس أم هو ولـــىٌّ لله فيُجيبهُ سيدى أحمد البدوى قائلاً : .

مجانينٌ إلا أنَّ سرَّ جُنونِهم *** عزيزٌ على أعتابِه يـــسجُدُ العقـــلُ

أى أن عظمة السِّرِّ يُحجبُ العقل عن مشاهدتها لأنه محـــدودٌ بالعطـــاء بالأسباب وجُندىُّ التكليف بشرائع الحِسِّ والمبنـــى ، وعليـــه أن يُـــسلِّم بالخضوع لحقائق المعنى . .

النور المحمدى فى خلـق آدم عليه السلام : ■ .

فكما ذكرنا أن النور المحمدى أزلىٌّ سابقٌ ومنهُ كان المدد لكلِّ موجـــود فهذا مشهدٌ للنور بالتجلى الأعظم من الله الخالق البارئ المصور فى آدم عليه السلام عن علىِّ بن الحُسين عن أبيه عن جده ﷺ عن النبـــى ﷺ قـــال : (كنت نُوراً بين يَدَىْ ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام) أى أن النور الذى جعله الله لخصوصية النبوة فى خلق آدم استحضرهُ الخـــالق جَلَّ وعلا وأعدَّهُ بين يديهِ قبل أن يخلُق آدم ويدعه فيه سِـــرَّاً مكنونـــاً بأربعة عشر ألف عام ليحظى هذا النور بين يدى رب الأربـــاب بـــأنوار وأسرار الرُّبوبية زمناً بفطرة التجلى والعناية والعطف فى حِجْر الرحمن ليكون هذا النور جامع لرحمانية الله ورَحمتهِ فقد جاء فى الخبر (لمـــا خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور فى ظهره فكان يلمع فى جبينهِ فيغلب على سائر نُورهِ ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكتـــه وحملـــه علـــى أكتاف ملائكتهِ وأمرهُمْ فطافوا به فى السموات ليرى عجائب ملكُوتهِ) .

أى أن الله سبحانه حين جعل النور المحمدى فى ظهـــر آدم عليه السلام فكـــان النور يلمع فى جبهته فيغلِبُ بعظمته وظهور نورانيته على النور الـــذى

هو فى خلق صورته لأن صورته البشرية من الأرض وأصل الخلق فى الأرض نورُ . ثم يُبيِّن الحق سبحانه مقام خليفته فـــى الأرض بالرِّفقـــة والسيادة فيرفعه إلى مقام القُرب على أهل المقامات فى مملكتـــه وهـــم الملائكة فيأمرُهُم بالسجود له وهذا معنى (ثُم رفعـــهُ الله تعـــالى علـــى سرير مملكته وحملَهُ على أكتاف ملائكته تكريماً لمقامهِ الخلقى والخُلقى ، وأسرار الله فيه بنفخةٍ من الذات الإلهية من روح الله فى آدم فـــسرى فيه السِّرُّ الإلهى الأعظم وحملهُ على أكتاف ملائكته ليُعلن الحق مقامـــه الرفيع فوق مقام الملائكة بقوله سبحانه : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيـــهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ثم أمرهم الحق سبحانه فطافوا به فى السموات طوافَ السيد المعظم والمكرَّم ليرى عجائب ملكوتِ الله فما من سرٍّ فى السموات إلا وقف عليه آدم عليه السلام بالرؤية اليقينية والمعرفة بـــه وهذا عطاءٌ دائمٌ فى المؤمنين الصادقين الكاملين بالمشاهدة والمعرفـــة من ذُريَّة آدم ومن أمَّة محمـــدٍ إلـــى يـــوم القيامـــة بقولـــه ســـبحانه ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُـــمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وفى هذا القدر كفاية . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وأصـــلى وأســـلم علـــى ســـيدنا رســـول الله ﷺ . وكـــل عـــامٍ وأنـــتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة التاسعة

وموضوعها

حياة النبى فى زمن الرَّضاع وشق صدره الشريف إلى وفاة أمه فى سن ست سنوات له صلى اللّه عليه وسلم

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم السبت

١١ من ربيع أول سنة ١٤١٧ هـ

الموافق ٢٧ من يوليو عام ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لمن قام بحقِّ حمده اسمُ اللهِ ؛ فتجلَّى فى كل كمالٍ استَحَقَهُ واقْتَضَاهُ . سمع حمدَ نفسه بما أثنى عليه المعبود فهو الحامدُ والحمدُ والمحمودُ . حقيقة الوجود المُطْلَقِ . الموجودُ بكماله من غير حُلولٍ فى كل ذرةٍ . اللائحُ جمالَ وجهه فى كل غرَّةٍ . ذى الجلال المُستوجَبِ . حائزُ الكمال المُسْتَوْعَبِ . ذاتُ حقيقة الجواهر والأعراض صورة المعانى والأغراض . أُلوهيتُهُ الجمع بين ذُلِّ العابدِ وعزِّ المعبود . وتفرَّد بالوصف المحيط وتوَحَّدَ فلا والدَ ولا ولدَ ولا خليط . تردَّى بالعظمة والكبرياء وتَسَرْبَلَ بالمجد والبهاء ؛ فتحرك فى كل متحرِّكٍ بكل حركةٍ ، وسكن فى كل ساكنٍ بكل سكونٍ بلا حُلولٍ كما يشاء . لا أول لأوليته ، ولا آخر لآخريته . قيومٌ أزلىٌّ . باقٍ أبدىٌّ . لا تتحرك فى الوجود ذرةٌ إلا بقوته وقُدرته وإرادته . يعلمُ ما كان ، وما هو كائن من أمر بدء الوجود ونهايته . وأشهد أن لا إله إلا الله . المُتَعَالى عن كل هذه العبارات . المُتَقَدِّس عن أن تُعلم ذاتُهُ بالتَّصْرِيحِ والإشَارات . كل إشارة دلَّتْ عليه فقد أضْرَعَتْ عن حقيقته صفْحاً . وكل عبارة أهدت إليه فقد ضلَّت عنه جَمْحَاً .هو كما عَلِمَ نَفْسَهُ حسَبَ ما اقتضاهُ ، وبذاته حازَ الكمال واستوفاهُ . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المُعَظمُ ونبيِّه المُكرَّم ، ورِدَاؤُهُ المُعَلِّم ، وطِرازُهُ الأفْخَمِ ، وسابقه الأقدم ، وصِراطُهُ الأقوَم . عرشُ رحمانية الذات ، كُرسىِّ الأسماءِ والصفاتِ ، منتهى السِّدرات ، رَفْرَفُ سَرِيرَ الأسرَّات ، شمسُ العِلْمِ والدِّرَايةِ ، بدرُ الكمال والنهاية ، نجم الاجْتِبَاءِ والهداية ، نارُ

حرارةِ الإرادة ، ماءُ حياة الغيب والشهادة ، ريحُ صَبَا نَفْسِ الرحمة والربُوبية ، طينةُ أرض الذِّلة والعبودية ، ذو السبع المثانى ، صاحب المفاتيحِ والثوانى ، مظهرُ الكمالِ ، ومُقتضى الجمالِ والجلالِ ، مَجْلَى مرآةِ الذات ، مُنتهى الأسماءِ والصفاتِ ، مَهْبِطُ أنوار الجبروت ، مَنْزِلِ أسْرَارِ المَلَكُوتِ ، سيِّدُ كلِّ سيِّدٍ ، وإمامُ كل إمامٍ فى المُلك والملكوت . فصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليك سيدى يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك الأطهار ، وأتباعك وأحبابك ، ومن اقتدى بسُنَّتِكَ وهديكَ ، واقتفى أثرك إلى يوم الدين .

أما بعد

نحن فى هذه الليلة المباركة . ليلة هى سيدة الليالى بل سيدة الدهر كله ، الزمان كله ، وقد أحاطتْ بسيادتها وأنوارها وأسرارها الزمان والمكان . ليلة مولد سيد الوجود صلى الله عليه وسلم امتَنَّ الله فيها على الوجود كله بأن أبرز فيها سر أسراره ، مولد حبيبه ومصطفاه قَدَراً اصطفاهُ واجتباهُ وأخفاهُ ومع أنه سبحانه أخفاه فقد أخبر عنه لأهل الملكوت من القِدم ومن الأزل ، وقد أخبر عنه لأهل المُلك أيضاً فى الكتب السماوية على لسان أنبيائه ورُسُله السادة فى الأمم . فى كل كتاب مُنَزَّل ذكر الله فيه صفات حبيبه محمد ﷺ ، واخبر سبحانه عن مقامه وكماله فى كل كتاب مُبيِّناً جمال النبى بصفاتٍ حميدة تُذكر على كل لسان طاهر مُطَهَّرٍ بأن خاتم النبيين هو السيد صاحب السيادة المطلقة على أهل المُلك والملكوت ؛ لذلك كان استقبال مولده صلى الله عليه وسلم استقبالاً كاملاً واضحاً جليَّاً بكل المعرفة التامة عند أهل

المُلك والملكوت عند أهل الملكوت من الملائكة وأرواح ، وعرش ، وكُرسىِّ ، وسدرة المنتهى ، والملأ الأعلى ، واللوح والقلم ، وحُجُبٍ وأنوارٍ ، وأستارٍ ، وأسرارٍ ، والبيت المعمور ، وغيبٍ ، وغيوبٍ ، وشهادةٍ ، وسمواتٍ ، وعند أهل المُلك من الإنس ، والجن ، والطير ، والجبال ، والرياح ، والبحار ، والسحاب ، والنجوم ، والشمس ، والقمر ، والأفلاك ، والكواكب وكل ما هو لله فى المُلك والملكوت استقبل مولد سيد الوجود استقبال المُنتظر لمحبُوبه بالشوق والهيام والتأهب لقدومه المُبشر بالرحمات والبركات والعطايا الشاملة بالقسط والعدل لكل من الخلق له حظٌّ العطاء منها على قدَمه المبارك بإعلان من الله الرحمن الرحيم بقوله سبحانه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فكان مولد سيد المرسلين مولد النور ومولد السراج المنير ، ومولد الهدى ، ومولد الرحمة المهداة ، ومولد الحبيب الذى أخبر عنه الحق سبحانه من الأزل . قد سبق أن تحدثنا فى أول حديثٍ لنا وفى المحاضرة الأولى بدأنا عن فضائل النبى ﷺ ومولده الشريف وبعد هذه المحاضرة تحدثنا فى محاضراتٍ عديدة تدور حول الأوصاف الكمالية الجمالية المحمدية فى فضائل النبى ﷺ ومعجزاته العظيمة ، وجمال الذات المحمدية خَلْقاً وخُلُقاً ، والمقام المحمدى الأعظم فى المُلك والملكوت ولو كنا بمجموعنا نحن المسلمون جميعاً فى كل زمانٍ ومكانٍ على عقلٍ واحدٍ جامع للعلوم والفصاحة والبلاغة وقُلُوبنا على قلبٍ واحدٍ جامع للمحبة والشوق والعشق والتفانى فى محبة سيد المرسلين وبكل عطاء العقول والقلوب والأرواح اجتمعنا لِنَصِفَ جمال سيد المرسلين بإنصافٍ

يليق بكماله صلى الله عليه وسلم فلم نفى لسيد المرسلين حقه فى جانبٍ من جوانب وصف كماله وجماله الخَلقى والخُلُقى والتى يزيد عددها إن تعرَّضنا لعدٍّ يزيدُ على نجوم السماء وأقطار البحار ، وحبات الرمال فإنه لا يعلم قَدْرَهُ إلا الله جلَّ وعلا . فإنه لا يستطيع أحدٌ من الخلق وصف الجمال المحمدى ، ولكن نقول بقدر ما تحدثنا عن جمال الذات المحمدية خَلْقاً وخُلُقاً ، وعن جمال الرسالة والرسول فهذه خواطر وإلهامات من مدد أنوار المحبة فى القلوب كُلاًّ على قدر محبته وطاقته واستعداده يكون وصفُه للجمال المحمدى نابعٌ من ينابيع عطاء المحبة فى قلبه للنبى الحبيب صلى الله عليه وسلم . ونسأل الله سبحانه أن يُوفقنا بتوفيقِهِ وأن يمُدَّنا بمدده وأن يتجلَّى علينا فى هذا الجمع المبارك ونعود إلى الحديث الشريف الأول عن فضائل النبى ﷺ ومولده الشريف لنعيش مع سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فى موكب البشرية مبنىً ومعنىً ونلتزم الأدب مع سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ بأن تصدُر من اللسان هفوةً بأن نذكُرَ صفةَ البشرية فى ذاته فإن بشريته صلى الله عليه وسلم لم تكن لذاته ولم تكن لخدمة ذاته بل كانت بشريته لأُنسِ البشرية جمعاً رحمة من الله للعطاء للتشريح والتحقيق والتجلى فسبحان من ستر فيه سر الخصوصية بظهور وصف البشرية صلى الله عليه وسلم إن الله جعل وصف البشرية فى حبيبه ومصطفاه ستاراً وستراً يستُرُ الكمال والجمال المحمدى ، ويستر السر المحمدى المكنون كَسِتْرِ الكنز بضدهِ فهو صلى الله عليه وسلم ولدته أمه السيدة آمنة بنت وهب فى موكب البشرية فكانت له إشارات وبشارات أخبر عنها الحق سبحانه

فى الكتب السماوية ، إشارات وبشارات أزلية سبق تحقيقها فى الخلق بيد الخلاَّق العليم حين تجلى بعظمتهِ فخلق المخلوقات وفطرها بفطرة الجمال بالتوحيد وختم المحاسن الخلقية والخُلُقية فكتب كلمة التوحيد على كل مخلوق وأتمَّها جمالاً باسم محمد فما سكن مخلوق على فطرة ثابتة بكمال معرفة جلال الله الملك الجليل إلا بطابع طُبع على المخلوق بيد قُدرة الخالق فيه (لا إله إلا الله . محمدٌ رسول الله) صلى الله عليه وسلم فكل ما قرأناه فى الكتب السماوية بلسانِ الحق المبين عن وصف جمال سيدنا رسول الله ﷺ وما سمعناه من أهل العلم والمعرفة والمحبة وما رآيناه وشاهدناه من معجزات حسِّيَّة ومعنوية ليس ذلك إلا إشارات وبشارات الحق ﷻ يُرخى بها أستاراً على العقول لتتَّجه إلى الجمال المحمدى بوجهة المحبة والتسليم وكذلك القلوب والأرواح فإذا اتجهت العقول والقلوب والأرواح بإخبار الملك الجليل لها إلى جمال المخلوق المنفرد بالكمال والجمال بالذِّكر بذاته مع ذكر الذات الإلهية بالتنزيه عن ما سواه فى الوجود تعيش العقول والقلوب والأرواح تلتمس المحبة والشوق لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم قبل مولده وقبل بعثته . ولذلك تهيأت العقول والقلوب والأرواح لمحبته صلى الله عليه وسلم قبل مولده وقبل بعثته تهيئةً كاملةً بصنع الله فيها وبيده وبإخبار الله عن الحقيقة المحمدية فى كُتبه المُنَزَّلة ، وإذا كانت العقول والقلوب والأرواح قد تهيأت لاستقبال مولده صلى الله عليه وسلم (إذن هم يستعدون بعلمٍ ومعرفة لاستقبال قدراً معلوماً قدَّرهُ الله من الأزل ولكن لا يعلمون موعده فهم يترقبون موعده فإنهم على موعد من الله معه

يلتمسون منه العطاء لأنه صاحبُ الرسالة الكاملة فى الإنسانية ، وصاحب العطاء الكامل والرَّحمات الشاملة لأهل المُلك والملكوت جمعاً . إذن تكون كل ساعةٍ من الزمان فى حياة النبى ﷺ من أول ساعة مولده إلى أن ارتقى الأسباب إلى الرفيق الأعلى كل لحظةٍ ولمحةٍ حظِيَتْ بعطاءٍ محمدىٍّ بل الأمر يكون أعظم من ذلك نقول إنَّ كل لحظةٍ من أول بدء الخلق إلى مولده إلى أن تقوم الساعة كل ساعة وكل ولمحةٍ حظِيَتْ بعطاءٍ نورانىٍّ محمدىٍّ بالإشارات والبشارات المُعلن عنها بعلمِ الله سبحانه فى الحقائق الأزلية والكتب السماوية فهو صلى الله عليه وسلم السابق لله فى خلقه الأقدم ونحن مع السيرة النبوية العطرة وفى ركب الأسباب ومشاهد الإشارات والبشارات النورانية المحمدية من مولده صلى الله عليه وسلم إشاراتٌ وبشاراتٌ ثم يرتقى الأمر فى السيرة النبوية إلى الرَّضاع بمراتب الرُّقى فى العطاء البشرى ، وفى المسيرة فى السيرة النبوية العطرة من أول ساعةٍ لمولده وإبراز النور المحمدى فى الوجود فإن كل لحظةٍ حظيت بعطاء فمولده صلى الله عليه وسلم حَظِيَ بعطاء فى الإشارات والبشارات ، رضاعُه صلى الله عليه وسلم حَظِيَ بعطاءٍ ، فطامُهُ صلى الله عليه وسلم حَظِيَ بعطاءٍ ، وحياتهُ فى الصِّبا حظيت بعطاء ، فى شبابه الحظ الأوفر بالعطاء ، إلى بعثته يظهرُ جمالُ العطيَّة جلياً واضحاً فى جمال الرسالة به صلى الله عليه وسلم ففى مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا من قبل فى كلماتٍ وجيزةٍ شواهد البشارات

وفى يومِ ميلادِه أُمُورٌ عَجِيبَـــــةٌ تنكَّسَتِ الأصْنَام واللاتِ مع هُبَلْ
وإيوانُ كِسْرَى كان مُحكمُ فى البِنَا تصدَّع ذا الإيوانُ ليلاً وقدْ نــزلُ
ونيرانُ فارس أُخمِدَتْ لِقدُومِــــهِ وقالوا سيعرُونا مُلِمٌّ وقدْ حــصلُ

(أى نارُ فارس كانوا يعبدونها من دون الله ما خُمدت هذه النار منذ ألف سنة بشهادة أهلها ولكنها ساعةَ أن شاهدت نور النبى ﷺ ساعةَ مولده وشاهدت من خلال جماله أنوار التوحيد أُخمِدَتْ من فرحتها وهيامها بنور التوحيد لأنها عبدٌ من عباد الله المُسبحين والمُبشّرين ببعثة النبى الهادى ومولده فشاهدت جمال الحق قد ظهر . ثم ننتقل من مولده ﷺ بالرُّقى بالذكر إلى رضاعه وهو موضوعُ المحاضرة هذه .

رَضَاعُ النبى ﷺ وحياتهُ عند حليمة السعديَّة : ▪

بعد مولده صلى الله عليه وسلم لم تُرضعه أمه السيدة آمنة إلا أياماً قليلة وتأتى المرضعات إلى مكة ليلتقطْنَ حظَّهُنَّ من العطايا والرِّزق المأثورِ والفضل الممنوحِ من الله لخلقه كلٌّ على قدر ما قُدِّرَ له ولكن الحظَّ لمن تلتقط وتحظى بالجمال المحمدى على صدرها وينهلُ من ثديها بفمه الشريف فتحظى هى بالعطاء والبركة والشرف ألا وهى السيدة حليمة السعدية من بنى سعدٍ رضى الله عنها .

حديث السيدة حليمة عن رضاع النبى صلى الله عليه وسلم : ▪

قالت السيدة حليمة رضى الله عنها قدِمتُ مكة فى نسوةٍ من بنى سعد بن بكرٍ نلتمسُ الرُّضَعَاء فى سنةٍ شهباء فقدمْتُ على أتانٍ ومعى صبىٌّ لنا وشارفٌ لنا والله ما تبِضُّ بقطرة وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبيِّنا ولا نجد فى ثديىَّ ما يُغذِّيه ولا فى شارفنا ما يُغذِّيه فقَدِمنا مكة فوالله ما

علمتُ منَّا امرأةً وقد عُرِض عليها رسول الله ﷺ فتأباهُ إذ قيل إنه يتيم من الأب فوالله ما بقىَ من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعاً غيرَهُ فلم أجد غيْرَهُ قُلتُ لزوجى : إنى لأكرهُ أن أرجع من بين صواحباتى وليس معى رضيعٌ لأنْطَلِقَنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخذَنَّهُ فذهبتُ فإذا به مُدْرجٌ فى ثوبِ صُوفٍ أبيض من اللبن يفوحُ منه المسك وتحته حريرةٌ خضراء راقداً على قفاهُ يغُطُّ فأشفقتُ أن أُوقِظَهُ من نومه لِحُسنِهِ وجماله فدنوتُ رُويداً فوضعتُ يدى على صدره فتبسم ضاحكاً ففتح عينيه ينظر إلىَّ فخرج من عينيه نورٌ حتى دخل حِلاَلَ السماء وأنا أنظر فقبَّلتُه بين عينيه وأعطيتُهُ ثديى الأيمن فأقبل عليه بما شاء من لبنٍ فحَوَّلتُهُ إلى الأيسر فأبىَ . وكانت تلك حالُهُ بعدُ قالت : فروَى وروَىَ أخُوهُ ثم أخذتُهُ فما هو إلا أن جئتُ به إلى رَحْلِى فأقبل عليه ثدياىَ بما شاء الله من لبنٍ فشرب حتى رَوِىَ وشرب أخُوهُ حتى رَوِى فقام صاحبى تعنى زوجها إلى شارفنا تلك فإذا بها لحافِلٌ فحلَبَ ما شرِبَ وشربتُ حتى رَوِينَا وبِتْنَا بخير ليلةٍ فقال صاحبى : يا حليمة والله إنى لأراك قد أخذت نَسَمَةً مُباركةً ألم ترىْ ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله يُزيدُنا خيراً . قالت حليمة : (فودَّعْتُ أم النبى ﷺ ثم ركبتُ أتانى وأخذتهُ بين يدىَّ فسبقت دوابَّ الناس الذين كانوا معى وهم يتعجبون منها ثم قَدِمْنَا منازلَ بنى سعدٍ ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجدبَ منها وكانت غنمى ترُوح علىَّ حين قدِمنا به شِباعاً لبناً فنحلب ونشرب ، ومايحلبُ إنسانٌ قطرة لبن ولا يجدُها فى ضرْعٍ حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرُعيانِهِمْ إسرحوا حيثُ يسرحُ راعى غنم بنت أبى ذُؤيْبٍ

فترُوح أغنامهُم جياعاً ما تبِضُّ بقطرةِ لبن ، وترُوحُ أغنامى شِباعاً لَبَناً . الله . الله . اللهم صل على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فهذه مشاهد عُظمى من العطايا والبشارات النبوية تتحقق يقيناً لأم النبى فى الرَّضاع السيدة حليمة وقد كانت تظُن أنها حين أقبلت على النبى ستأخُذُ يتيماً من الأب ليس من ورائه عطاءُ وتظُن أنها صاحبة منٍّ وعطفٍ حين أقبلت على أخذهِ لِترُضعَهُ وترى أن العطاء فى المال الذى لا يُرجى من وراء اليتيم ولكنها فى حديثها تُبرزُ لنا حقائق أن العطاء المحمدى كان لها أعظم من كل عطاء التمسَتْهُ من قبل أو كانت ترجو التماسَهُ حين ذهبت إلى مكة تلتمس رضيعاً فتيَقنتْ أن هذا الرضيع يُعطيها العطاء الذى هو أصلٌ فى العطايا ، والذى ليس له وصفٌ فى العظمة فإنه نعيمٌ ليس له حدٌّ فينفد وليس له عدٌّ فيُحصى وقد شهد عظمته كل من كان برِفقَتها ومن حولها فإنها بركاتٌ وبركاتٌ عطاءٌ من الذات المحمدية للمكان والزمان ، ولأهل المكان والزمان . وبعد ما كانت السيدة حليمة تتوَهَّمُ أنها مُرضعةٌ ستُعطى النبى لبناً من جهدها رأت ولمستْ أن النبى ﷺ ببركاته أعطاها اللبن له ولأخيه ولها ولزوجها ولأغنامهم فهذا عطاءُ الحسِّ والمبنى ، وأعظم من ذلك عطاءُ الروح والمعنى . فقد شاهدت النور المحمدى فى وجهه صلى الله عليه وسلم ووصفته بالوصف الجميل حتى دخل حِلاَلَ السماء فهذه السيدة حليمة تصفُ لنا جمال العطاء المحمدى حين قَدِمتْ مكة فتقول : قدمنا على أتانٍ (يعنى مَطِيةٌ تركبها) ومعى صبىٌّ لنا وشارفٌ لنا وتصف حال الشارف تقول : (والله ما تبِضُّ بقطرة) يعنى الضَّرْع ناشف ليس فيه

قطرة لبن والطفل الرضيع لنا لا ننام طوال ليلتنا هذه من الجوع والعطش لصبيِّنا وبكائه ولا نجد لبناً فى ضرعٍ ولا فى ثديىَّ . ثم تُقسمُ وتقول : (فو الله ما علمتُ منَّا امرأةً وقد عُرِض عليها رسول الله ﷺ فتأباهُ إذ قيل إنه يتيم من الأب) إذن عُرض النبى الحبيب على كل المُرضعات والكلُّ يأبى أن يأخذهُ ولا يدرى أن العطاء كل العطاء فى أخذهِ حتى السيدة حليمة تقول : (فلم أجد غيْرَهُ قُلتُ لزوجى : إنى لأكرهُ أن أرجع من بين صواحباتى وليس معى رضيعٌ لأنْطَلِقَنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخذَنَّهُ) لفظٌ فيه مَنٌّ على أنها صاحبة عطاءٍ وفضلٍ ولكن سرعان ما شاهدت الحقيقة المحمدية فتقول : (فذهبتُ فإذا به مُدْرجٌ فى ثوبِ صُوفٍ أبيض من اللبن يفوحُ منه المسك وتحته حريرةٌ خضراء . يعنى الثوب الذى يُلَفُّ فيه أبيض ، والفرشةُ تحته سُندُسيَّةٌ خضراء . وتقول : (رأيته راقداً على قفاهُ يغُطُّ) . والنوم على الظهر عند أهل العلم والمعرفة هو نوم أُولى الألباب بعبادة الله بالتفكر فى عظمة الكون وعظمة المُكوِّنِ وآياته . وقد كان الإمام الشافعى ينام طُوال الليل على ظهره وعينُهُ فى السماء وعقله فى التفكر فى آيات القرآن وأحكامه حتى أنه سُئلَ فى ليلةٍ فقال : أعددتُ من القرآن فى هذه الليلة مائةَ مسألةٍ فقهيَّةٍ ينتفعُ بها المُسلمون . إذن كان حال رسول الله ﷺ فى صغرهِ فى نومه يليقُ بمقامه ثم تقول : (راقداً على قفاهُ يغُطُّ) معنى يغُطُّ أى له صوتٌ عالٍ يدُل على أنهُ مُستغرقٌ فى نومه . (فأشفقتُ أن أُوقظَهُ من نومه لحُسنهِ وجماله) أى أنها ساعة أن شاهدت المحاسن والجمال المحمدى أشفقت أدباً ورأفةً به أن توقظهُ من النوم . فتقول :

(فدنوتُ رُويداً فوضعتُ يدى على صدره فتبسم ضاحكاً ففتح عينيه ينظر إلىَّ فخرج من عينيه نورٌ حتى دخل حلاَلَ السماء وأنا أنظر فقبَّلتُه بين عينيه) فهذه إشارةٌ يتلُوها بشارة فالتَّبَسُّمُ من النبى بالضحك لأمهِ فى الرَّضاع إشارة لها لِتتنَّبهَ لعظمة العطاء ثم يفتح عينيه ﷺ لينظر إليها فتنظُر إليه لتتحقق بالرؤيا اليقينية فى جمال العطيَّةِ لها وتُدَقِّق بعد ذلك فى كل إشاراته صلى الله عليه وسلم فترتقى بالمشاهدات وزيادة فى العطايا ولذلك تصفُ العطاء فى البشارة فتقول : (فخرج من عينيه نورٌ حتى دخل حلاَلَ السماء) شهدتَهُ بعينيها عياناً وهى تنظر إلى هذا النور من بدايته وخُروجه من عينيه صلى الله عليه وسلم حتى فى سيره إلى السماء وبصرُها مُعَلَّقٌ به إلى أن وصل إلى مُنتهى بصرِها ودخل فى حلِّ السماء . أى أن النور لم ينته بعد ولكنَّ حدَّ بصرِها قد انتهى والنور ممدُود يراهُ أهلَ الحلِّ فى السماء . ثم تَذْكر لنا السيدة حليمة مشهداً نبوياً عظيماً ومُعجزةً تتعلَّق بالذات المحمدية كمالاً وجمالاً بالعلم والمعرفة من مدد الحق فيه صلى الله عليه وسلم فتقول : (فأعطيتُهُ ثديى الأيمن فأقبل عليه بما شاء من لبنٍ فحَوَّلتُهُ إلى الأيسر فأبىَ . وكانت تلك حالُهُ بعدُ) فهذه معجزةٌ تشاهدها وعطيَّةٌ تتسلَّمُها فالمعجزة علمُه صلى الله عليه وسلم بأفضلية الأيمن على الأيسر فأقبل على الثدى الأيمن ، وأبَى أن يُقبل على الثدى الأيسر والعطيَّة أنها حدَّثت أن ثديها ليس فيه لبناً لِصَبِّيها ولكن حين أقبل النبى ﷺ على ثديها الأيمن والتقمَهُ فى فمهِ الشريف أقبل على الثدى بما شاء من لبنٍ طيِّب مبارك أى غزير ليست له نهاية من باب الغُيُوب ببركة سيدنا رسول الله ﷺ ولم يكن هذا

العطاء بخصوصيته لرضاعهِ وحدَه صلى الله عليه وسلم بل تقول : (فروَى ورَوِىَ أخُوهُ) أى عطاءٌ يشمل الجميع . فهذا مشهدٌ للجمال المحمدى بأن الله تجلَّى عليه فى الخلق فهو صلى الله عليه وسلم مُنَزَّهٌ من أن تكون له مِثليةٌ فى الخلق بالتكريم فمقامه فردىٌّ وترى جمالى فى الخَلْقِ والخُلُق فهو كاملٌ بذاته من بدايته فيه العلم التام والمعرفة الكاملة فهو على علمٍ بأن العطاء أعظمُهُ بأفضليَّةِ الوعاء والثدى اليمين يشربُ منه والثدى الشمال يمتنع من أن يشرب منه طوال مُدَّة الرضاع لأنها تقول : (وكانت تلك حالُهُ بعدُ) فلم يكن الإمتناع مرةً ثم يُقبل عليه و إلا كان ذلك ليس بعطاء ، وهذا أدبٌ فى الذات المحمدية إلهى من مدد الذات الإلهية بالتحقيق بقوله صلى الله عليه وسلم : (أدَّبَنى ربِّى فأحسن تأديبى) تأدَّب على المائدة العُليا أدباً أزلياً بين يدى العَلِىِّ الكبير . ثم نُشاهد مدد العطاء المحمدى الممدود إلى ثدى الشاة إلى إشباع أمِّهِ فى الرَّضاعِ وزوجها فتقول : (فما هو إلا أن جئتُ به إلى رَحْلِى فأقبل عليه ثدياىَ بما شاء الله من لبنٍ فشرب حتى رَوِىَ وشرب أخُوهُ حتى رَوِى فقام صاحبى تعنى زوجها إلى شارفنا تلك فإذا بها لحافِلٌ فحلَبَ ما شربَ وشربتُ حتى رَوِينَا وبِتْنا بخير ليلة فقال صاحبى (تعنى زوجها) : يا حليمة والله إنى لأراك قد أخذت نَسَمَةً مُباركةً ألم ترىْ ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أضجعناهُ فلم يزل الله يُزيدُنا خيراً) فهذا مشهدٌ للعطاء والنعيم يشهد له زوجها ويقول لزوجته مُهنِّئاً ومُبشِّراً بأننا فُزْنا بالعطاء كله فلقد أخذت نَسَمَةً مُباركةً يعنى أخذنا بركاتٍ ليس لها نهاية فى العطاء ويقارن بين ليلته الأولى والتى

قد فقد فيها العطاء والليلة التى هم فيها وبينهم سيد المرسلين ببركاته ، ورؤيته لجمال العطاء بأنَّهُ فى زيادة بالخير من الله وكأنه يقول لها : هذا اليتيم التى كُنتِ تظُنِّينَ أنك تُشفقين عليه فقد أشفقَ هو علينا بعطفهِ ورحماته وبركاته . ثم تنتقل أم النبى فى الرَّضاع إلى إيضاح مشهدٍ يشهدُهُ كل من برفقتها فتقول : (فودَّعْتُ أم النبى ﷺ ثم ركبتُ أتانى وأخذتهُ بين يدىَّ فسبقت دوابَّ الناس الذين كانوا معى وهم يتعجبون منها) أى أن الرَّكوبة التى تركبها كانت ضعيفة بطيئة السير فكل من كانوا معها وهم فى ذهابهم إلى مكة عاهدوا فيها أنها كانت متأخرة فى الركب وتبعد عنهم بمسافةٍ طويلة لسرعة ركائبهم وشِدَّتها وضعف ركُوبتها وبُطئ سيرها ولكنهم فى عودتهم رأوا عجباً أنها حين ركبت على ظهر ركوبتها ومعها سيدنا رسول الله ﷺ سبقت دوابَّ الناس جميعاً وكانت أمَامَهم فى ركبهم وسيرهم تسبقهُم بمسافة طويلة جعلتهم كلهم فى تعجب ! ويتساءلون ما الذى حدث إنها كانت كما رأيناها فى الذهاب مُتأخرة بسبب ضعف دابَّتها فما الذى حدث ؟ إنه لعجباً ! . ثم ننتقل إلى مشهدٍ لهم آخر ، وهو دوام العطاء بالمدد المحمدى . تقول السيدة حليمة : (ثم قَدِمْنَا منازلَ بنى سعدٍ ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجدبَ منها) يعنى دخلنا منازلنا وأرضنا وأنا أعلم أنها جدباء من المرعى للغنم (وكانت غنمى تنطلق مع أغنامهم فى الصحراء ترعى مع أغنامهم حين قَدِمنا بالنبى ﷺ فتروح علىَّ حين قدِمنا به شِباعاً لبناً فنحلب ونشرب ، وما يحلبُ إنسانٌ قطرة لبن ولا يجدُها فى ضرْعٍ حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرُعيانِهِمْ إسرحوا حيثُ يسرحُ راعى غنم

بنت أبى ذُؤيْبٍ) أى يظنون أن العطاء بالمكان الذى يسرحون فيه والمكان واحد ولكن سر العطاء بالمكين فى بيت حليمة وهو سيدنا رسول الله ﷺ فيفعلون (فترُوح أغنامهُم جياعاً ما تبِضُّ بقطرةِ لبن ، وترُوحُ أغنام حليمة شِباعاً لَبَناً) يعنى يسرحون سوياً وتختلط أغنامهم فى مكان الرَّعى بأغنام حليمة ثم يعودون بأغنامهم جياعاً ليس فى ضرْعِها لبن ، وأغنام حليمة شِباعاً والضَّرْعُ مُمتلئاً لبناً فيتعجبون ! ويقولون : إن وراء حليمة لَسِرّاً لا نُدركُهُ . فهذه مشاهد من عظيم الإشارات والبشارات المكنونة فى حشو القَدَرِ سرَّاً من أسراره و سِرَّاً فى الذات المحمدية لا نقول سراً تحظى به الذات المحمدية ولكن نقول إن السر نفسه قد حظىَ وشَرُفَ وبُورِكَ بالجمال المحمدى أن السر نفسه هو صاحب الحظ ثم ننتقل ونرتقى إلى مقام أرقى من مقامات الإشارات فى السَّيْرْ فى ركْبِ السيرة النبوية العطرة فنحن قُلنا إن لكل ساعة من حياته صلى الله عليه وسلم إشارات وبشارات . فننتقل إلى بشارات فِطامِه صلى الله عليه وسلم من الرَّضاع .

فِطام النبى صلى الله عليه وسلم وشق صدْرِه الشريف : ـ

من بشارات فطامِه صلى الله عليه وسلم من الرَّضاع أن تكلَّمَ بذكر الله ومعلومٌ أن الطفل إذا أرادت أمه فِطامُهُ من الرَّضاع تكون أمنيَّتُها فيه أن يتكلم وينطق بكلماتٍ تكون على رغبة أمِّه بل أُمُّهُ تُلقِّنُهُ كلمات ينطقُ بها ولكن عند سيد الخلق يكون الأمر أعظم من أن يُلقِّنهُ مخلوق فينطقُ بسرِّ الله فيه بذكر الله . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت حليمة تُحدِّثُ أنها أول ما فطمت رسول الله ﷺ تكلم فقال : (الله أكبرُ كبيراً ،

والحمد لله كثيراً ، وسُبحان الله بُكرةً وأصيلاً) فلما ترعرع كان يخرُج فينظر إلى الصبيَّان يلعبون فيتجنبهُم وعنه أيضاً : أن الشيماء أُخت النبى ﷺ من الرَّضاعة رأت غَمامةً تُظِلُهُ إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت أيام كان عند حليمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يشِبُّ شباباً لا يشِبُّهُ الغلمانُ . قالت السيدة حليمة : (فلما فصلْتُهُ قَدِمنا به على أمه ونحن أحرص شئٍ على مُكْثِه فينا لما نرى من بركتِه فكلمنا أمُّهُ وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلُظْ فإنَّا نخشى عليه وباء مكة ، ولم نزل حتى ردَّتْهُ معنا فرجعنَا به . فو الله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفى بهمٍ لنا خلفَ بيوتنا جاء أخُوهُ يشتدُّ فقال : ذاك أخى القُرَشِىِّ قد جاءه رجُلانِ عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعاهُ وشقَّا بطنهُ . قالت حليمة : فخرجتُ أنا وأبُوهُ نشتدُّ نحوَهُ فنجدُهُ قائماً مُنتقِعاً لونُهُ ؛ فاعتنقهُ أبُوهُ فقال له : أى بُنىَّ ما شأنُك . قال : جاءنى رجُلان عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاهُ ثم ردَّاهُ كما كان فرجعناهُ معنا . فقال أبوه : يا حليمة لقد خشيتُ أن يكون ابنى قد أُصيب فانطلقى بنا نرُدُّهُ إلى أهله . قبل أن يظهر به ما نتخوَّفُ . فاحتملناهُ حتى قدمنا مكة على أمِّه . فقالت : ما ردَّكُما به ؟ فقد كنتما حريصين عليه . قلنا : نخشى عليه الأتلاف والأحداث . فقالت : ما ذاك بكما ؟ فاصدُقانى شأنكُما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبرهُ . قالت : أخشيتُما عليه الشيطان ؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل . وإنه لكائنٌ لابنى هذا شأنٌ فدعاهُ عنكما . وفى هذا المشهد الأعظم من جمال نبوته صلى الله عليه وسلم والمرئيات اليقينية لأهل الأسباب بالعَيانِ والتِّبيانِ

أنه صلى الله عليه وسلم أول ما ينطق لسانه بعد فصاله (أى فطامهُ) ينطقُ بذكر الله ليُعلن للعالمين أنه سيد الذاكرين وسيد المكبرِّين لله ، وسيد الحامدين ، وسيد المُسبِّحين فمن الذى لقَّنهُ هذه الكلمات الطيبات من الذِّكر ؟ الله رب العالمين . فنحن قُلنا أن الطفل الرضيع لا يتكلم إلا بتلقين من الأبوين ، والسيدة حليمة ليس فى جوفها هذا العطاء من الذكر حتى تُلقنهُ . إذن لقَّنهُ ربُّه ومولاهُ فساعة أن يقول النبى ﷺ فى حديثه الشريف : (أدَّبَنى ربِّى فأحسن تأديبى) يكون هذا العطاء الرَّبانى أزلياً من قبل مولده صلى الله عليه وسلم وتظهر بشائر بعد مولده من أول ساعة له فى الحياة يُعلن الله للخليقة جمعاً على لسان حبيبه ومصطفاهُ الإعجاز العظيم بأنه صلى الله عليه وسلم مُرادُ الله فى خلقه وكأنه سبحانه يقول لحبيبه : هذه خصوصيةٌ لك يا مُرادى فى الوجود وللوجود . فإنى ما رضيتُ بالوجود أو للوجود أو فى الوجود إلا بك وفيك ولك . ومشهدٌ عظيمٌ أرقى . تقول السيدة حليمة : (فلما ترعرع كان يخرُج فينظر إلى الصبيَّان يلعبون فيتجنبهُم) ومعنى يتجنبهم عن اللعب فهذا عطاءٌ كاملٌ للنبىِّ الكامل ؛ ليظهر كمال العقل ونُضوجه من بدء خلقه فالله زيَّنهُ خلقاً وخُلُقاً فينظر ويتفكر فى عظمة خالقه ويفرُّ من اللعب وكأنه يقول بلسان حاله فما للَّعب خُلقنا ويتجنبهم مُتفكراً فى آيات الله سبحانه خضوع فِطرةٍ بمدد نور النبوة فيه صلى الله عليه وسلم مُستشهداً بأزلية القرآن المكنون فيه سرُّهُ بقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . **فما للَّعب خُلقنا قوله سبحانه :** ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ . **ويقول سبحانه :** ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا ﴾ . **إذن يكون القول الواضح بكماله ما للَّعب خُلقنا فإن الخالق سبحانه ساعة أن يتجلى فى خلقنا وإبراز إيجادنا فى الوجود كانت وراء ذلك حكمةٌ ومن حكمته أنه كرَّمَنا على خلقه فى التقويم خَلْقاً وخُلُقاً بقوله سبحانه :** ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ **وقوله سبحانه :** ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ . **إذن تحت ظلال هذا المقام والتكريم كلُّ نَفَسٍ نتنفسهُ فى الحياة يُحاسبنا الله عليه بأن يكون فى طاعته وعبادته ولكلِّ نَفَسٍ له عَطِيَّتُهُ من الله فإن كان فى غير ذكر الله فالعبد فى خُسران تضيع منه العطايا إذن كانت نظرةُ سيد الوجود نظرةُ حقٍ من أول ساعة فى الحياة . ثم تقول الشيماء أختُ النبى ﷺ من الرضاع : (أنها رأت غَمامةً تُظلُهُ إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت أيام كان عند حليمة) فهذه من بشائر خُصوصيته عند ربه وعناية الله به وإكرامه بالعطاء التام بسيادته المُعلنة بين خلقه من الأزل . (وكان صلى الله عليه وسلم يشبُّ شباباً لا يشبُّهُ الغلمانُ) يعنى كانت له نظرةٌ خاصة من الخالق سبحانه بدقة الرِّعاية والعناية فكان ينمو نمواً مُعتدلاً بميزان غير البشر جميعاً فيشبُّ شباباً يفوق رِفاقُ سنِّه وعُمره . وهذه خصوصية الصُنع** ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ . **ثم تقول**

السيدة حليمة : (فلما فصلْتُهُ قَدِمنا به على أمه ونحن أحرص شئٍ على مُكْثه فينا لما نرى من بركته صلى الله عليه وسلم) يعنى ذهبنا به لنُسَلِّمَهُ ل ونحن نطمع أن يعيش معنا طوال حياته ولا نقدر على مُفارقته لنا ولكن مدة رضاعه المحددة قد انتهت فقلنا نذهب به إلى أمِّه ونستأذنها بأن يعيش معنا مُدة أخرى ونلح عليها فى الطلب بالرجاء لعلها تحنُّ علينا ونعود به . (فكلمنا أمُّهُ وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلُظْ فإنَّا نخشى عليه وباء مكة ، ولم نَزَلْ حتى ردَّتْهُ معنا فرجعنَا به) أى أنهم اصطنعوا لأمه حديثاً هى ترضاه لولدها وهى المحافظة عليه من وباء مكة فهو يعيش معنا فى نقاء جوِّ الصحراء حتى يشبَّ ويغْلُظْ عودُهُ فإذا جاء مكة غليظ العود فلا يؤثر عليه وباء مكة ، ولم نَزَلْ بإلحاحٍ ورغبةٍ فىعودته معنا لما نرى من بركته حتى ردَّتْهُ معنا فرجعنَا به . ثم يكون بعد ذلك الانتقال إلى بشارة من بشائر النبوة التى تكشفُ سر العطاء المكنون ويحدث جَلِىٌّ فى الأسباب مشهوداً لأهل الحِسِّ والمبنى ألا وهو شَقُّ صَدْرِهِ الشريف صلى الله عليه وسلم .

شَقُّ صَدْرِهِ الشريف فى صِباهُ صلى الله عليه وسلم : ■

فبعد عودته صلى الله عليه وسلم مع أمه فى الرضاع السيدة حليمة تحقيقاً لمطلبها وأمنيتها أن يعيش معهم وبإلحاحٍ على أمه السيدة آمنة حتى أذنت فى عودته معهم لما رأت من محبتهم له . يكون المشهد الجلِىِّ للجميع لرُؤية جمال العطاء النبوى الجلىِّ لهم جميعاً . فتقول السيدة حليمة : (فو الله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفى بهمٍ لنا خلفَ بيوتنا جاء أخُوهُ يشتدُّ فقال : ذاك أخى

القُرَشِىِّ قد جاءه رجُلانِ عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعاهُ وشقَّا بطنهُ . قالت حليمة : فخرجتُ أنا وأبُوهُ نشتدُّ نحوَهُ فنجدُهُ قائماً مُنتقِعاً لونُهُ ؛ فاعتنقهُ أبُوهُ فقال له : أى بُنىَّ ما شأنُك . قال : جاءنى رجُلان عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاهُ ثم ردَّاهُ كما كان) فهذه حقائق ساعة أن يستقبلها العقل البشرى الذى ألِفَ الأسباب وخاصةً ساعة أن شاهدوا أثر العطاء فى وجهه صلى الله عليه وسلم بقولهما معاً (فنجدُهُ قائماً مُنتقِعاً لونُهُ) أى فى وجهه نورٌ ساطعٌ دلالة على صدق ما قيل وما يُقال . فالعقل هنا لا يستحضر إلا وهْمَ الأسباب فيتوهم صنيع السوء بأن قد أصابهُ جِنَّةٌ أى مسهُ مَسٌّ من الجن وإن ما حدث فهو من صنيع الجن به . (فقال أبوه : يا حليمة لقد خشيتُ أن يكون ابنى قد أُصيب فانطلقى بنا نرُدُّهُ إلى أهله . قبل أن يظهر به ما نتخوَّفُ) يعنى قبل أن تظهر عليه بوادر الأذى من مسٍّ الجن به فتكون المسؤلية وخيمةً وكبيرة علينا ويتهمُنا أهله بالإهمال والتفريط فى مراعاته مما جعله قد تعرض لهذا الإيذاء فتقول السيدة حليمة : (فاحتملناهُ حتى قدمنا مكة على أمِّهِ . فقالت : ما ردَّكُما به ؟ فقد كنتما حريصين عليه) أى تعجبت أمه السيدة آمنة من ردِّهم إياهُ بعد إلحاحهما الشديد على بقائه بينهما إذن وراء ذلك سرٌّ عظيم . فتقول السيدة حليمة : (قلنا : نخشى عليه الأتلاف والأحداث) يعنى نخاف عليه من قسوة حياة البدو بالصحراء من جانب سوء التعايش والخُلُق والطِّباع إلى غير ذلك من مساوئ الأمور فقالت لهما أم النبى مما رأتْهُ بنور الله فيها : (ما ذاك بكما ؟ فاصدُقانى شأنكُما) يعنى ما الذى حدث

حقيقةً فى الأمر ؟ فليس ما تقولون هو الذى جاء بكما فإنه بالأمس جئتم به وكنتما حريصين عليه بأن يبقى بينكما خشيةً عليه من وباء مكة . وأن عندكم الحياة الأنقى لنشأته فما الذى حدث ؟ فليس ما تقولونه هو الصدق (فاصدُقانى شأنكُما) أى فحدِّثونى بالصدق فى عودتكم به وما السبب فى ذلك حقيقةً ؟ فإن ما قلتموه هذا ليس بصدقٍ . فتقول السيدة حليمة : (فلم تدعنا حتى أخبرناها خبرهُ) . أى أنها بحكمة الله فيها لم تَزَلْ تُحاورنا بالحديث الطيب وتُقَرِّرُنا بأن نقول لها عن حقيقة ما حدث حتى أقررنا وقُلنا لها ما حدث للنبى وما خشيناهُ عليه (قالت أم النبى السيدة آمنة) : (أخشيتُما عليه الشيطان ؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل . وإنه لكائنٌ لابنى هذا شأنٌ فدعاهُ عنكما) . أى أنها تقول لهما أتظنون أن هذا من الشيطان وخشيتُما عليه من الشيطان . كلا والله إنه من الرحمن ، وليس للشيطان عليه سبيلٌ ولا سلطانٌ ، وإنه لعطاءٌ من ربه له وسيكون لابنى مُحمداً هذا شانٌ عظيمٌ فى الوجود لا تدركونه أنتم الآن وما دُمْتُمْ لا تدركون عظمة العطاء وقدر ما شاهدتموه من صنع الرحمن به . وظننتم ظَنَّ السُّوءِ أنهُ من الشيطان (فدعاهُ عنكما) أى أُتركاهُ لى فإنى أعرف قدْرهُ عنكما ، وهذا الذى تقولهُ أم النبى بمعرفتها لمقام النبى وشأنه العظيم إنما هُو من مشاهد عظيمة شاهدتها فى حملهِ وفى مولده صلى الله عليه وسلم بإلهاماتٍ إيحائية ربانية ومن خلالها تُبشِّرُ بنبوته صلى الله عليه وسلم ثم نرتقى بالإشارات والبشارات إلى حديثٍ شريف لسيدنا رسول الله ﷺ فى هذا الشأن العظيم .

حديثُ النبى ﷺ عن رضاعِه وشقِّ صدره الشريف : ـ

من عطاء النبى ﷺ لأمتهِ أن يُبيِّن لهم حقائق الأمور فى كل شئ رحمة بالأمة من أن تضِلَّ أو تُضَلَّ فلم يترك النبى ﷺ شيئاً فى سُنَّتِه لأمته إلا وبيَّنهُ تعظيماً للحقائق ورحمة بخواطر المؤمنين وسلامةً لصدورهم من والرَّيب والشكِّ وسكينةً لقلوبهم فيتحدث النبى بلسانهِ الشريف وقولهِ الصدق عن حياته فى الرضاع وشق صدره الشريف . (ففى حديث شدَّاد بن أوسٍ أن رسول الله ﷺ قال : (كُنت مُسترضِعاً فى بنى سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم فى بطن وادٍ مع أترابٍ لى من الصِّبْيانِ إذ أتانا برهطٍ ثلاثة معهم طَسْتٌ من ذهب مُلِئَ ثلجاً ؛ فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هِراباً مُسرعين إلى الحىِّ فعمدَ أحدُهم فأضجعنى على الأرض إضجاعاً لطيفاً ثم شقَّ ما بين مَفْرِقِ صدرى إلى مُنتَهَى عانتى ، وأنا أنظُرُ إليه لم أجد لذلكَ مَسًّا ثم أخرج أحشاءَ بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غَسلهَا ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تَنَحَّ ثم أدخل يدهُ فى جَوفى ، وأخرج قلبى ، وأنا أنظر إليه وصدَعَهُ ثم أخرج منه مُضغةً سوداءً فرمى بها ثم قال : بيده يمنَةً ويسْرَةً كأنه يتناول شيئاً فإذا بخاتم فى يده من نورٍ يحارُ الناظر دونه فختم به قلبى فامتلأ نوراً وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانهُ فوجدتُ بردَ ذلك الخاتم فى قلبى دهراً ثم قال الثالث لصاحبه تَنَحَّ فأمَرَّ يدهُ بين مَفْرِقِ صدرى إلى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشِّقُّ بإذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى إنهاضاً لطيفاً ثم قال للأول : زِنْهُ بعشرة من أُمته . فوزننى بهم فرَجحتُهُم . ثم قال : زِنْهُ بمائة من أمته فرَجحتُهُم . ثم قال زنهُ

بألف من أُمَّتِه فرجحتهم . فقال : دعوُهُ فلو وزنتمُوهُ بأمته كُلها لرجحهم . ثم ضمُّونى إلى صدورهم ، وقبَّلُوا رأسى ، وما بين عينىَّ ثم قالوا : يا حبيبُ لم تُرَعْ إنك لو تدرى ما يُرادُ بك من الخير لقَرَّتْ عيناك . وفى هذا الحديث الشريف نشاهد جمالاً للحقائق وتبْياناً وتفضيلاً للعطاء النبوى المحمدى فيقول سيد الوجود : (كُنت مُسترضِعاً فى بنى سعد بن بكر) أى كنت رضيعاً عند حليمة من بين عددٍ من الصبيان المُسترضعين فى قبيلة بنى سعد بن بكر (فبينما أنا ذات يوم فى بطن وادٍ مع أترابٍ لى من الصِّبْيانِ) يعنى كنت ذات يوم فى وسط وادٍ أى مكانٍ فسيحٍ يجرى فيه الصبيان والنبى معهم وهُم فى سِنِّه صلى الله عليه وسلم (إذ أنا برهطٍ ثلاثة) أى رأيت بعينى ثلاثة يُقبلون علىَّ لم أر مثلهم من قبل وكلمة رَهْطٍ فى وصف النبى لهم دلالةٌ على مشهدِ العظمة والهيبة والنور والجمال والقوة فيهم والعطاء الرَّبَّانى يُميِّزُهم عن غيرهم بالتفضيل الخلقى والخُلُقى . (معهم طَسْتٌ من ذهب) أى معهم فى أيديهم وعاءٌ يدلُّ على أنهم رُسُلٌ برسالةٍ من الحق للقيام بعملٍ فعْلِىٍّ ولأداء أمانة . (مُلِئَ ثلجاً) يعنى مُلِئَ الطَسْتُ الذى فى أيديهم ثلجاً دلالة على أنهم يغسلون بهذا الثلج شيئاً . (فأخذونى من بين أصحابى) أى دخلوا بجمعهم الثلاثة واخترقوا الجمع الذى أنا فيه من الصبيان وأخذونى من يدى بعيداً عنهم . إذن فَهُمْ على عِلمٍ برسالتهم وعلى معرفة بالنبى المختار والمصطفى والمجتبى ﷺ . (وانطلق الصبيان هِراباً مُسرعين إلى الحىِّ) أى فَرَّ بَقِيَّةَ أصحاب النبى من الصبيان مُسرعين هرباً إلى الحى : أى منطقة السكن والبيوت خوفاً من عظيم ما

شاهدوهُ وهنا يُبيِّن لنا النبى ﷺ أن الرُؤيا كانت واضحة فى الأسباب لأهلِ الأسباب يقيناً مما جعل الصبيان فَرُّوا هرباً وخوفاً مُسرعين من خلال رُؤيتهم لهؤلاء الرَّهط الثلاثة . (فعمدَ أحدُهم فأضجعنى على الأرض إضجاعاً لطيفاً) أى تقدم أحدهم : أى واحداً من الثلاثة فأخذ بيد النبى ﷺ وأضجعهُ على الأرض بلطفٍ وتحَنُّنٍ وعطفِ محبةٍ من حبيبٍ بمحبوبه وبكل شفقةٍ دون أن يشعر الحبيب باضطرابٍ أو خوفٍ . (ثم شقَّ ما بين مَفْرِقِ صدرى إلى مُنتَهَى عانتى ، وأنا أنظُرُ إليه لم أجد لذلكَ مَسًّا) يعنى فتح بطن النبى ﷺ شقاً من أعلى صدره إلى أسفل بطنه والنبى ﷺ ينظر إليه ويرى ذلك بعينهِ ولم يشعر بشئٍ من ألمٍ أو من مَسِّ يد الملَكْ بجسم النبى وكأن النبى ﷺ ينظر ويشاهد هذا الفِعالَ فى جسم غيره من دِقَّةِ التلَطُّف بالحبيب المحبوب . (ثم أخرج أحشاءَ بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غَسلهَا ثم أعادها مكانها) أى ثم أخرج الملَكُ بيده كل ما بداخل بطن النبى ﷺ من أول صدره إلى أسفل بطنه ثم غسلها بالثلج الذى كان معهم مُمتلئاً به الطستُ فأنعم غسلها : أى أتقن غسلها بدقةٍ وحنانٍ ثم أعاد الأحشاء كل جزءٍ مكانه بإحكامٍ وإتقانٍ ولُطفٍ وتمكينٍ فهذه أمُورٌ كان العقل يستعظمها قديماً فى عصر الرسالة وفى صدر الإسلام وفى القرون ما قبل القرن العشرين الميلادى لأن العقل لم يُدرك فيها علماً ، ولكن بعد أن امْتَنَّ الله على الإنسانية بالعلم حتى أصبح الطبيب الآن يشق بطن المريض ويُخرج أحشاءهُ ويغسلها بل ويستأصل بعضها ويُغيِّرُ بديلاً ، ويُحْقن المريض بالتخدير والإبرة فلا يشعر المريض بشئٍ بل وينظر المريض إلى الطبيب وهو يشق بطنه

ويُخرج أحشاءهُ فلا يشعر بشئٍ ولا يجدْ لذلك مَسَّاً . إذن ما أدركهُ العقل اليوم وكان بالأمس عليه غيباً يُعظِّمْهُ بالتعجُّب لعدم بُلوغِ العلم فيه فما أدركه اليوم يُلزمُه بالتصديق بهذا الإخبار عن النبى فى هذا الحديث فإن ذلك بقدرة الله المُسبب أما عملُ الطبيب هذا بواسطة الأسباب بالوسيلة العلمية بكسْبِ العقل الذى هو جُندىٌّ لله ووسيلةُ العلم فى الأسباب . أما ما كان مع النبى ﷺ فهو الحق ، ويدُ الحق ، وصُنع الحق الذى إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون . بلا وسيلة أو تخدير فنقول للعقل الجاحد : تأدب مع الله . أفتُثبتُ لنفسك فِعلاً بمدد الله فيك ولك وتستعظمهُ على الله سبحانه أن يصنعُه بحبيبه ومصطفاه ؟ فهذا تخصصُ الطبيب الأول . (ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنَحَّ) أى قام الملك الثانى وقال للأول تنَحَّ : يعنى قد انتهت مُهمتَك التى تتعلق بتخصُصك كما أن علم الأسباب قائمٌ على تخصُصات فى الطب ؛ فالطبيب الباطنى تخصصُهُ البطن والأحشاء ، والطبيب المتخصص فى القلب كذلك تخصصه علاج القلب ومعرفة عِلله وصحَّتِه وكذلك الطبيب الجرَّاح تخصصه معرفة التئام الجلد وكيفية إعادته كما كان عليه قبل شقه ، وكلٌّ منهم يلتزم الأدب مع العلم فلا يزيد أحدٌ على حد عِلْمِه وتخصصِه ، ويتنَحَّ للآخر بالتسليم له كاملاً ليقوم بأداء عمله من دائرة تخصصه هذا فى دائرة علم الأسباب ، ولا يُقِرُّ ذلك إلا أهل العلم الحقيقى والذى صنع فيهم العلم الأدب فإنهم يعلمون أن الكلمة أمانة يُسأل عنها العبد يوم القيامة ويُحاسبُ عليها ونشاهد هذا العطاء بكماله فى هذا المشهد العظيم عند أهل العلم من أهل الملكوت أن كُلاً من الملائكة الثلاثة له تخصصه وله عملٌ يُؤديه فى

دائرة تخصصه لا يزيد عليه فإذا انتهى من أدائه بكمال إتقانٍ يتقدم الآخر ويُطالبُهُ بأدبٍ جمٍّ قائلاً له : تنَحَّ يعنى سلِّمْ إلىَّ الأمر فقد انتهت مُهِمَّتُكَ ، وتبدأ مُهمتى للعمل بتخصصى ونشاهد أيضاً من خلال الحديث أنهم بمثابة أطباء كل طبيب بتخصصه ولكنهم أطباء معنىً لمعالجة الباطن بعلم الله فيهم وبإذنه أما أطباء البشر من البشر فى الأسباب فهم أطباء مبنىً لمعالجة الظاهر أى أعضاء الحس فيقول النبى ﷺ بعد أن وصف الطبيب الأول أنه تخصصه البطن فقام بعمله التخصصى كاملاً فشق البطن ثم أخرج الأحشاء ثم غسلها بإتقانٍ ثم أعادها مكانها ثم يُقبل الطبيب الثانى فيطلب منه أن يتنَحَّ : أى يبتعد عن العمل ليبدأ هو عمله : (ثم أدخل يدهُ فى جَوفى ، وأخرج قلبى ، وأنا أنظر إليه وصدَعَهُ ثم أخرج منه مُضغةً سوداءً فرمى بها ثم قال : بيده يمنَةً ويسْرَةً كأنه يتناول شيئاً فإذا بخاتم فى يده من نورٍ يحارُ الناظر دونه فختم به قلبى فامتلأ نوراً وذلك نور النبوة والحكمة) أى أنه أدخل يده فى جَوف النبى ﷺ وأخرج قلبه ، والقلب هنا القلب المعنوى الباطن لأن عمل الملائكة معنويٌّ نورانىٌّ كما ذكرنا أما قلب الظاهر فمعلومٌ أنه القلب الحسى الذى يتعلق بالأعضاء الحسية والشرايين والدورة الدموية فى الجسم وهذا يكون عمل أطباء الظاهر من البشر ثم بعد أن أخرج القلب صدعه : أى فتحه وأظهر ما به خَفِىٌّ ، وأخرج من داخله مُضغةٌ سوداء وهى غِلُّ الصدر ، والذى يُحدثُ الرَّانَ فى القلوب فرماها ثم رفع يدهُ اليُمنى وقال بها : أى أشار بها إلى أعلى جهة اليمين وجهة الشمال كأنهُ يلتقط شيئاً يُقذفُ إليه من أعلى فإذا بخاتمٍ يقع فى يده من نورٍ

عظيمٍ تحارُ عيون الناظرين فيه من شدة النور ؛ فختم بهذا الخاتم قلب النبى ﷺ فامتلأ قلب النبى بنور النبوة ونور الحكمة . ثم يقول النبى ﷺ فى حديثه : (ثم أعاده مكانهُ فوجدتُ بردَ ذلك الخاتم فى قلبى دهراً) أى ثم أعاد قلب النبى ﷺ مكانه كما أخرجه بعد أن ختمهُ بخاتم النور ؛ فوجد النبى برداً : أى ثِقَلَ عظمة الأثر النورانى بالوجد فى قلبه دهراً : أى زمناً طويلاً . ثم يصف النبى ﷺ الطبيب الثالث الملائكى بتخصصه الرحمانىِّ فيقول : (ثم قال الثالث لصاحبه تَنَحَّ) أى اترك الأمر لى فقد أديتَ ما عليك من عملٍ يخضع لتخصصك فيُسلِّم له الأمر . (فأمَرَّ يدهُ بين مَفْرِقِ صدرى إلى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشِّقُّ بإذن الله) أى هذا جانبٌ من تخصصه أبرزه بأن مدَّ يده إلى صدر النبى ومسح بها على بطنه الشريفة من أول الشق الذى صنعه الملَك الأول حين شق بطن النبى ﷺ إلى آخر الشق المبارك فالتأم الشق ولم يبق لذلك أثراً مشهوداً يدل على شق بطن النبى ﷺ أو حدوث فعلٍ وقع بها . (أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى إنهاضاً لطيفاً) أى أخذ بيد النبى ﷺ وأوقفه على قدميه بلُطفٍ وتعَطُّفٍ وتحنُّنٍ أخْذَ يَدِ حبيبٍ بمحبوبٍ يفخر به وبمقامه . (ثم قال للأول : زِنْهُ بعشرةٍ من أُمته . فوزننى بهم فرَجحتُهُم . ثم قال : زِنْهُ بمائة من أمته فرَجحتُهُم . ثم قال زنهُ بألفٍ من أُمَّتِه فرجحتهم . فقال : دعوُهُ فلو وزنتمُوهُ بأمته كُلها لرجحهم) أى أن الجانب الآخر من تخصص الملك الثانى هو الكشف والإبداءُ لأهل المُلك والملكوت عن جمال مقام النبى ﷺ المعنوى فالمراد بالوزن فى قوله : زِنْهُ بعشرةٍ إلى آخره . الوزن الاعتبارى ؛ فيكون المراد بالرُّجحان فى

الفضل كما يقال فلان بين الرجال أعظم من ألف رجل لمروءته وشجاعته وحُسن خُلقه ، وحكمته ، وحلمه ، وعلْمه وفطانته ؛ ولذلك ساعة أن يقول زِنْهُ بعشرةٍ فيرجح وزن النبى العشرة من أهل الفضل من أُمَّته . ثم يُقال : زِنْهُ بمائة فيرجحهم فى الفضل . ثم يقال : زنهُ بألفٍ من أهل الفضل من أُمَّته ومجموع الفضل والعطاء لهم من مدد مقامه وفضله صلى الله عليه وسلم صاحبُ الفضل على الأمة كلها إذن فلو وزنتمُوهُ بأمته كُلها لرجحهم لأن عطاء أهل الفضل من أمته كلها رشفةٌ من بحر من الجمال المحمدى ثم يقول النبى ﷺ فى حديثه مُبَيِّناً جمال العطاء بأنه الحبيب : (ثم ضمُّونى إلى صدورهم ، وقبَّلُوا رأسى ، وما بين عينىَّ ثم قالوا : يا حبيبُ لم تُرَعْ إنك لو تدرى ما يُرادُ بك من الخير لقَرَّتْ عيناك) أى كُلاً من الملائكة الثلاثة ضَمَّ النبى ﷺ بفخارٍ واعتزازٍ وحُبٍّ لما رَأوْهُ من عظمة مقامه عند ربه ، وهذه الخصوصية من بين خلق الله جميعاً وهذا الشرف الذى نالهُ كُلاً منهم من العطاء النورانى المحمدى واختيار الله لهم لهذا الفضل العظيم . وقبَّلَ كُلاً منهم رأس النبى الشريف والتقبيل دالٌّ على المحبة وأيضاً قبَّلَ كُلاً منهم ما بين عينيه ﷺ وهم يُعلنون بقولهم له يا حبيب إعلاناً للمقام بأنه هو الحبيب الذى انفرد بمقام المحبة للرحمن من بين خلقه أجمعين ، ويعلنون أيضاً البُشرى بأن الخير كل الخير لك وفيك وبك فيقولون له بلسانٍ واحدٍ لم تُرَعْ : يعنى لا تخف ولا تضطرب مما حدث فإنك لو تدرى ما يُريدُه الله وبكَ من الخير من وراء ذلك لقَرَّتْ عيناك : يعنى لامتلأ قلبك سروراً وأقامت به الأفراح وارتحل منه كل الهَمِّ وحلَّتْ به

السكينة . والحكمة فى شق صدره الشريف ﷺ فى حال صباهُ واستخراج العلقة منه تطهيرهُ عن حالات الصِّبا حتى يتصف فى سِنِّ الصِّبا بأوصافِ الرُّجولية ؛ ولذلك نشأ على أكمل الأحوال من العِصْمةِ صلى الله عليه وسلم . قد وقع شق صدره الشريف مَرَّةً أخرى عند مجيئ أمين الوحى جبريل عليه السلام له بالوحى فى غار حراء ، ومرة أخرى عند الإسراء والمعراج وبَدءِ الحركة أمام الكعبة المشرفة ليلة الإسراء والمعراج . ولكلٍّ مقامٍ فى هاتين المرتين أوصافهُ فى حال شرح صدره صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الحق سبحانه مُبيِّناً عظمة هذا العطاء بقوله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ثم نرتقى إلى مشهد من الإشارات النبوية وهو خروج النبى ﷺ إلى يثرب (المدينة المنورة) والتى ستكون بعد ذلك مأوى الإيمان وموطن رسالته صلى الله عليه وسلم وبها نُصرتهُ ونُصرةُ الحق به .

خروج النبى ﷺ إلى المدينة وهو ابن ست سنوات : ـ

كان خروج النبى ﷺ إلى المدينة مع أمه لزيارة أخوالِه بها أمراً طبيعياً . عن ابن عباس رضى الله عنهما (أن رسول الله ﷺ لمَّا بلغ ستِّ سنين خرجت به أمه إلى أخواله بنى عَدِىِّ بن النجار بالمدينة تزورهم ، ومعه أم أيمن ؛ فنزلت به دار التابعة فأقامت به عندهم شهراً فكان صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت فى مُقامه ذلك ، ونظر إلى الدار ، وقال : (هاهُنا نزلت بى أمى وأحسنتُ العَوْمَ فى بئر بنى عَدِىِّ بن النجار ،

وكان قومٌ من اليهود يختلفون ينظرون إلَىَّ . قالت أمُ أيمن : فسمعتُ أحدُهم يقول هو نبىُّ هذه الأمة وهذه دار هجرتِه فوعيتُ ذلك كله من كلامهم ، ثم رجعتْ به أُمُهُ إلى مكة فلما كانت بالأبواءِ تُوفِّيَتْ) . فى هذا الحديث تبْيانٌ وبشاراتٌ سابقة بأنَّ النبى ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة وقف بين صحابتِه ينظُرُ إلى دار التابعة ، ويذكُرُ لهم أنه نزلت به أمه فى هذه الدار وهو ابن ست سنين ، وأنه تعلَّمَ العوم هنا فى المدينة وكانت معهم أمُ أيمن دايتُهُ وحاضنتُهُ بعد أمِه ، وأن أمُ أيمن ذكرت أنها سمعت من جماعةٍ من اليهود بالمدينة حين رَأَوْهُ مع أمه صلى الله عليه وسلم وقفوا ينظرون إلى النبى ويُشيرون إليه ويختلفون بالحديث فى أمر فسمعتُ أحدُهم يقول هو نبىُّ هذه الأمة ، وهذه المدينة (يثرب) دار هجرته فسمعت أمُ أيمن ذلك ووعيتْهُ وحدَّثَتْ به بعد ذلك فهذه من بشارات الحقائق عند أهل الكتاب فى الكتب السماوية ثم تتوفى أمُّ النبى وهى فى طريقها خارجةٌ من المدينة لترجع به إلى مكة فى (الأبواء) وهى فى مدخل المدينة من طريق مكة وتُدفنُ بالأبواء وفى نفس المكان من قبلُ يتوفَّى أباهُ ويُدفنُ به ، والنبى بن شهرين فى بطن أمه . فهذه أمورٌ ومقادير يُقدرُها الحق سبحانه أزلياً بعلمه وحكمتِه حتى إذا هاجر النبى وأخرجوه قومهُ من مكة . نقول له لا تحزن فإن هجرتك إلى بلدٍ يسكُنُهُ أبويكَ من قبلُ بتدبيرٍ من الله سابقٌ لك بالعناية والرعاية . ثم نرتقى بالمشاهد مع إشارات وبشارات النبوة بالعطاء إلى مقام وفاةِ أمِه صلى الله عليه وسلم .

وفاةُ أمِ النبى صلى الله عليه وسلم : ـ

لمَّا حضرتها الوفاةُ السيدة آمنة أمُّ النبى ﷺ كانت لهـا عـن النبـى بشارات أبرزتها بقولها وبيانها . فقد روى الإمام الزُّهْـرِىِّ ﷺ عـن أسماء بنت رَهْمٍ عن أمها قالت : شهدتُ آمنة أُمُّ النبى ﷺ فى علَّتِها التى ماتت بها ومحمدٌ ﷺ يقع له خمسُ سنين عند رأسها أو سـتِّ سـنين ؛ فنظرَتْ إلى وجهه وقالت أبياتَ شعرٍ . ثم قالت :

(كُلَّ حَىٍّ مَيِّتٌ *** وكل جديـدٍ بـالِ *** وكـل كثيـرٍ يفـنى وأنا ميِّتَـةٌ *** وذكرى بـاقٍ *** وقـد تركتُ خيراً وولدْتُ طُهراً) ثم ماتت فكنا نسمع نَوْحَ الجن عليها . فى هذا الحديث للسيدة أسماء بيانٌ من أم النبى بلسانِ حقٍّ تُعلنهُ بـأن كـل مخلوق يفنى ويموت وأنا مَيِّتة ولكن ذكرى باقٍ ببقاء الـدنيا والآخـرة ولى تَرِكةٌ عظيمة تركتها للعاملين لأن قولها : (وقد تركتُ خيراً) فإن فِعْلَ ترك يُنْسَبُ إليه كلمة (تركة) فالناس يقولون مـا تـرك فُـلانٌ ؟ فيُقال : تَرِكَتُهُ كذا ، كذا فالسيدة أم النبى تقول تركتُ تَرِكةٌ هى الخير كُلهُ للعالمين جميعاً لأهل المُلك والملكوت كُلاً يأخذ حظهُ منها أسرارٌ وأنوارٌ ورحماتٌ وبركاتٌ وخيرٌ . وولدتُ طُهراً منهُ مددُ الطُّهرِ والطهارة لأهـل الكمال والجمال فهو الطاهر المُطَّهرِ سيد الطاهرين ثم تقـول : (فكنـا نسمع نَوْحَ الجن عليها) وقد خصت الجن لأنهم من عالم الحقيقة وهـم الذين يرون الحقائق ويشاهدون الجمال المحمدى بأسرار النبـوة فـى النبى بإشاراتٍ وبشاراتِ الحق سبحانه ثم نرتقى إلـى مـشهد جمـالىٍّ جمالى محمدى وهو تحقيق أمنيته للنبى ﷺ وإحياء أبويه له بـإذن الله

فآمنا به وبرسالتهِ كرامةً له صلى الله عليه وسلم إحياء أبويه له صلى الله عليه وسلم فآمَنَا به ثم رَدِهما بإذن الله : ــ

إنه من جمال العطاء الإيمانى فى قلب المؤمن الصادق أن يكـون بـاراً بوالديه ومن برِّهِ بهما أن يتمنى لهما كل خير منحهُ الله له أن يكون لها منْهُ حظَّاً فى الدنيا والآخرة مثل حظهِ أو يزيد فهذه كانت أُمنيةُ النبى ﷺ لأبويه وكان الشاغل الذى يشغل خواطرهُ صلى الله عليه وسلم أن أبويه قد توفاهُما الله قبل بعثته ورسالتى الرحمة والنجاة من عذاب الله والفوز بالجنة لكل من صدق وآمن بى أفأكونُ رحمة للنـاس جميعـاً ولا أدرى عن والدىَّ شيئاً أهُما فى رحمة الله أم فى عذابه ؟ وكيف وأنا أكنُّ لهما الحبُّ والولاء والدعاء بالرحمة ورجائى من الله أن يكونا معى فى الجنة ولا يتحقق ذلك إلا أن يُؤمنا بى وبرسالتى ، وقدرةُ الله لا تعجـز علـى إحياءهم لى كما أحيا الله من قبل الموتى لنبيه موسى وعيسى ثم ردَّهما وهذه معجزة من معجزات رسول الله ﷺ أظهرها له ربُهُ ليحقق فيه وبه وله صِدْقَ ربهُ معه بقوله سبحانـه : ﴿ وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَـةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وقد روى أن السيدة آمنة أم النبى ﷺ آمنت به بعد موتهـا وكذا أباهُ فقد روى الإمام الطبرانى بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ نزل الحجُونْ كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله ثـم رجع مسروراً . قال : سألت ربى ﷻ فأحيى لى أمى فآمنـت بـى ثـم ردَّها . وكذا روى من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أيـضاً إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به . أورده الإمامين السُّهلِىِّ والخطيب فقـول السيدة عائشة رضى الله عنها : (نزل النبى ﷺ الحجُونْ كئيباً حزينـاً)

فالحجُونْ المقابر التى بها والديه وكون النبى ينزل بها حزيناً إذن يشغلُهُ شاغلُ الرحمة بالوالدين وجاء يدعو الله ويسأله مسألةً على مرضاته وكله يتحرك ظاهرهٌ وباطنهُ بالاستغاثة بأن يُحقق الله له أمنيته ويُرضيه بها فإن الحزن لا يفارقه حتى يطمئن قلبهُ على أبويه بالرحمة والرضوان إذن فالنبى له مسألة ومطلبٌ ومرضاةٌ جاء من أجل تحقيق مرضاته والله لا يردُّ لحبيبه يدهُ إن مدَّها إليه مملوءة بالعطاء بقوله سبحانه : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ فالحُبُّ عند الله كله يُصَبُّ على حبيبه ومصطفاه محمداً ﷺ ثم لمن أحب حبيبه ومصطفاه محمداً ﷺ إذن مرضاة الله ﷻ على مرضاة حبيبه ومصطفاه محمداً ﷺ يعنى كلُّ ما يخطر على خواطر النبى من مطلبٍ يُحققهُ له ربه فإن كل مطلبٍ للنبى من الكمال وللخير لأن أدب النبوة فيه من الله بقوله صلى الله عليه وسلم (أدَّبَنى ربى فأحسن تأديبى) وقول الحق سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ ثم تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : (فأقام به ما شاء الله ثم رجع مسروراً) أى دخل كئيباً حزيناً يُرى ذلك فى وجهه . ثم خرج مسروراً بعد أن أقام مُدة بداخل الحجُون ما شاء الله . إذن كانت إقامته صلى الله عليه وسلم كلها دعاءٌ ورجاءٌ لتحقيق رغبةٍ له لتُذهِبَ عنه حزنه هذا . فلما أجاب الله واستجاب له ؛ خرج على عكس ما كان عليه قبل أن يدخل . خرج والبِشْرُ فيه ناطقٌ فى وجهه مسروراً ، وقد ذهبت عنه آثار الكآبة والحزن وهو يقول : يا عائشة (سألت ربى ﷻ فأحيى لى

أمى فآمنت بى ثم ردَّها . وفى رواية فأحيى لى أبوىَّ فآمنا بى ثم ردَّهُما .) وقال القرطبى فى التذكرة : (إن فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى ، وتتتابع إلى مماته ؛ فيكون هذا مما فَضَّلَهُ الله به وأكرمهُ) قال وليس إحياؤهما وإيمانُهما ممتنعاً عقلاً ولا شرعاً فقد ورد فى الكتاب العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل وأخبر بقاتله . وكان عيسى عليه السلام يُحيى الموتى بإذن الله ، وكذلك نبينا ﷺ أحيى الله على يديه جماعةً من الموتى وإذا ثبت هذا فما يمتنع إيمانهما بعد إحياءهما ويكون ذلك زيادةً فى كرامته وفضيلته صلى الله عليه وسلم وقال الإمام فخر الدين الرَّازى رضي الله عنه : (إن جميع آباء النبى محمد ﷺ كانوا مسلمين ، ومما يدُل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (لم أزل أُنقلُ من أصلاب الطاهرين إلى أرحامِ الطاهرات) . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ فوجب أن لا يكون أحدٌ من أجداده مُشركاً . وقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدِّمشقى حيث قال : ــــ

حَبَا اللهُ النبىَّ مزيدَ فضلٍ ... على فضلٍ وكان به رؤوفاً

فأحْيَا أُمَّهُ وكَذَا أَبَاهُ ... لإيمَانٍ بِهِ فَضْلاً لَطِيفاً

فسَلِّمْ فالقديمُ بذا قديرٌ ... وإن كان الحديثُ به ضعيفاً

فهذه معجزةٌ من معجزات النبى ولا نقول من فعل النبى ﷺ ولكنها مرضاةٌ للنبى بفعل يد القدرة الإلهية فإن صفة الله أن يُحيى ويُميت فهو الذى أوجد من العدم الحياة فأحيا . ثم يُميتُ ، ثم يُحيى بأى أجلٍ شاء ولأى سببٍ شاء فصفةُ يُحيى ويميت صفة الخالق وحده وليس لأحدٍ من المخلوقات له حظٌ منها إلا بإذن الله بالاصطفاء ولذلك خليل الرحمن

سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو فى محجَّتِه مع النمرود حين سأله عن ربه فقال : (ربىَّ الذى يُحيى ويُميتُ) فجاء له بالصفة التى لا يزعُمُها مخلوقٌ ولا يقدر على زعمها فالنبى ﷺ لم يقل أحييتُ ولكنه قال سألت ربى ﷻ فأحيى لى إذن هذه مرضاةٌ للنبى ﷺ وسأل الله أن يُرضيه بها . وقد ورد فى القرآن الكريم فى آيات تحويل القبلة أنها كانت على مرضاتِه صلى الله عليه وسلم ولم يطلبها بمسألةٍ باللسان بالقول ، ولكن الطلب كان بلسان حالِه فأعطاهُ الله مسألتهُ . فكيف إذا كان مطلبهُ لمرضاتِه باللسان قولِه بالدعاء والرجاء ؟ فهذا أبلغُ فى بيان حاجته ورغبته وإلحاحه صلى الله عليه وسلم ولذلك يقول الحق سبحانه مُبيِّناً أن مطلب النبى فى القبلة كان بلسان حاله بقوله سبحانه : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ وفى هذا القدر كفاية . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكل عامٍ وأنتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة العاشرة

وموضوعها

حياة النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع إلى البعثة رسولاً إلى الناس جميعاً

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الأربعاء

١١ ربيع أول سنة ١٤١٨هـ

الموافق ١٦ من يوليو عام ١٩٩٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى لاحت محاسنُه على صفحات خُدود الصفات ، واستقامت بقيُّوميَّةِ أحديَّتِه قُدُور الذات ؛ فنطقت ألسُن الصوامت أنه عينُها ، وشهدت عينُ المحاسن والمساوى أنه زَيْنُها . توحَّدَ فى التعداد ، وتفرَّد بالعظَةِ فى الآزال والآباد . تنزَّهَ عن الإحتياج إلى التنزيه ، وتقدَّس عن التمثيل والتشبيه ، وتعالى فى أحديَّتِه عن العدِّ ، وعزَّ فى عظمته أن يحصُرَهُ الحدُّ . لايقع الكَمُّ عليه ، ولا الكيفُ ، ولا الأيْنُ ، ولا يُحيُط به العلمُ ، ولا تُدركهُ العينُ . حياتُهُ نَفْسُ وجود الحياة . بصفاته جمَّل الجمال فَعَمَّ ، وبذاته كمَّلَ الكمال فَتَمَّ . جمع بذاته شمل الأضداد ، وشمل بواحديَّتِه جمع الأعداد فتعالى وتقدَّس فى فرديَّتِه عن الأزواج والأفراد . أحديَّتُه عينُ الكثرة المتنوعة ، وتْريَّتُهُ عينُ الازدواجات المُتشفعة . سبحانه وتعالى عمَّا يقولون عُلُواً كبيراً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . لا تحيطُ بعظمته العلوم ، ولا تدركُ كُنْهَ جلالِه الفُهُوم إعترف العالم بالعجز عن إدراكه ، ورجع العقلُ فى ربْقِه من رَتْقِه خائباً عن فتْقِه وفَكاكه . فسبحانه سبحانه . هو العزيز الحكيم . وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُهُ ورسولهُ . سرُّ أسرار الله فى الملكوت ، ومَجْمَعُ حقائق اللاهوت ، ومنبعُ رقائق الناسُوت . صاحب المقام الأسمى فى المُلك والملكوت . النافخُ برُوحِ الجبْرَلَةِ (أى بروح عَطيَّةِ أمين الوحى جبريل عليه السلام) ، والمانحُ بسرِّ الميْكَلَةِ (أى كل منحة من يد ميكائيل عليه السلام) والسَّابحُ بقهرِ العزْرلةِ (أى بكُلِّ سرٍّ تمكَّنَ به عزرائيل عليه السلام) والجانحُ بجَمْعِ السَّرْفَلَةِ (أى بكُلِّ تمكينٍ امتَّنَ الله به

على إسرافيل عليه السلام) . فلك أطلسِ الأُلُوهياتِ وسمواتُ فخرِ التسامى والتَّرَقِيَّاتِ . جعل الله محبَّتَهُ فى محبَّتِه ، وطاعَتَهُ فى طاعَتِه بقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ . فصلوات الله وسلامه ورحمتُهُ وبركاته عليك سيدى يا رسول الله ، وعلى آلك وصحبك ، ومن تَبِعَك بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد

فنحن فى هذا الجمع المبارك فى هذه الليلة المباركة ليلة مولد سيد المرسلين ﷺ . ليلةٌ هى أعظم الليالى ؛ لأن فيها أبرز الله القدر الجلىِّ الذى لم يكن بخفىٍّ فكُلُّ المقادير خفيَّةٌ ولكن هذا القدر لم يكن بخفىٍّ . كان قدراً معلناً عنه فى عالم الغيب من الأزل فى شهادة التوحيد عند أهل الحقائق الأزلية فى عالم المُلك والملكوت (أشهد أن لا إله إلا الله . وأشهد أن محمداً رسول الله) كان قدراً مُعلناً عنه فى الكتب السماوية بالأخبار الإلهية على لسان النبيِّين والمرسلين . كان قدراً مُترَقَّبٌ يترقبهُ أهل المُلك وأهل الملكوت أهل الحقيقة . بل كان يترقبه أهل الكتاب من البشر فى عالم الأسباب أهل العلم والمعرفة بالكتب السماوية التوراة ، والإنجيل فى هذه الليلة المباركة من العام الماضى كان الحديث فى السيرة النبوية فى زمن رضاع النبى ﷺ وإتماماً لهذا الحديث واستكمالاً يكون بعد ذلك بعد أن وقفنا عند وفاةِ أم النبى ﷺ كفلَهُ جدَّهُ عبد المطلب .

حياته صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أمه : ▪

توفَّتْ أم النبى ﷺ وهو ابن ستِّ سنوات وبعد وفاة أمِّه كانت أمُّ أيمن دايتُهُ وحاضنَتُهُ وكان ﷺ يقول لها أنت أُمى بعد أُمى .

كفالة جدِّهُ عبد المطلب له صلى الله عليه وسلم : ▪

فبعد وفاة أمه ﷺ كفلهُ جَدُّهُ عبد المطلب وبعد عامين توفى جدُّه عبد المطلب كافِلُهُ ﷺ عن عشرٍ ومائةِ سنة ، وقيل عن مائةٍ وأربعين سنة (أى عُمر جده) وله ﷺ ثمان سنين (أى عُمْرُ النبى ﷺ) .

كفالة عمهُ أبو طالب له صلى الله عليه وسلم : ▪

بعد وفاة جده عبد المطلب كفله عمه أبو طالب . واسمه عبد مناف وكان جدُّه عبد المطلب قد أوصاهُ بذلك لكونه شقيق عبد الله نقول إن هذه إشاراتٌ فى الأسباب . الكفالةُ لفظ كفلهُ ما هو إلا لفظٌ يسير مع سير الأسباب . أما الحق تبارك وتعالى أعلن فى قرآنه بقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ إذن كان إيواء النبى والكفالة الحقيقية للنبى ﷺ بكل التربية الكاملة والأدب الجمِّ التام والمزايا الكاملة كانت فى قبضة الحق سبحانه ، ولكن فى دائرة الأسباب تكون إشارات للعقول لأهل الأسباب . ولما كفلهُ عمُّه أبو طالب وهو ابن ثمانِ سنين . بدأ يأخذهُ معه فى رِفقتِهِ وصُحبتِهِ ، ومن أول ساعة فى كفالته للنبى ﷺ بدأ يُدقق النظر فيه ويصطحبُهُ معهُ فى كل خُطواتِهِ ولم تكُن الصُّحبة أو اختياره له فى صحبتِهِ إلا أن عمُّهُ أبو طالب تحقق بالرؤية الصادقة اليقينية لنورِ النبوة الناطق فى وجه النبى ﷺ بِعظمِ مكنونِ أسرارِ الله فى ذاته

ظاهراً وباطناً وعندما رأى عمه أبو طالب فى وجهه نور النبوة بدأ يُدقق النظر فى حركاتهِ وسكناتهِ وأقوالهِ وأفعالهِ وأحوالهِ حتى أنهُ شاهد فى النبى ﷺ من أسرار النبوة ما شاهد . فبدى لعمهِ الكثير والكثير من المعجزات المشهودة الدَّالة على نبوتهِ صلى الله عليه وسلم . ومن هذه المشاهد المحمدية العليَّة ما أخرجه ابنُ عساكر عن جَلْهَمَةَ بن عُرْطُفَةَ قال : قدِمتُ مكة وهُم فى قحطٍ فقالت قُريشٌ يا أبا طالب أقحطَ الوادى ، وأجدبَ العِيالُ فهَلُمَّ فاستسْقِ فخرج أبو طالب ومعه غُلامٌ كأنهُ شمسٌ تجلَّتْ عنها سحابةٌ وحولهُ أُغَيْلِمَةٌ فأخذه أبو طالب فألصق ظهرهُ بالكعبة ، ولاذ الغلام بإصبعهِ وما فى السماء قَزَعَةٌ فأقبل السحاب من هاهُنا ، وهاهُنا ، أغدَقَ واغدَودَقَ وانفجر له الوادى ، وأخصبَ النَّادى والبادى ، وفى ذلك يقول عمهُ أبو طالب :

وأبيضَ يُستَسْقَى الغمَامُ بوجْهِهِ *** ثِمَالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامِلِ

(ووصفٌ دقيقٌ لمشاهد الأنوار المحمدية فى وجه النبى ﷺ وهو فى سن الثامنة من عُمره (كأنه شمسٌ تجلَّت عنها سحابة) يعنى محاسنه صلى الله عليه وسلم تُشبهُ الشمس إذا كانت هناك سحابةٌ تُغطيها وتحجبُ عنَّا رؤيتها ومدد العطاء منها من النور والضياء والحرارة ومن كل عطاياها وساعة أن تنجلى السحابة فجأة يظهرُ النور بكمالهِ فجأة على الأبصار . ثم يقول وحولهُ أُغيلمةٌ (يعنى جاء به عمُّهُ ومعه جمعٌ من رِفاقهِ وفى سنِّهِ وعُمرِهِ ــ أُغيلمةٌ صغارٌ ــ وهو بينهم وفى وسطهم . لكن الأبصار ما ضلَّتْ وما وقعت على غيره منهم فقد كان من الممكن مع كثرة عددهم من حوله يكون مستوراً بينهم لكنه ﷺ بمحاسنه جذب

العقول والأبصار ولذلك حين قالوا لعمِّه هَلُمَّ يا أبا طالب فاستسقى جاء لهم بالنبى الذى هو عند الله صاحب جاهٍ ومطلبُهُ يُجابُ وبه يُجاب (يعنى إن سأل الله بنفسه له ولغيره يُستجابُ له) ، وإذا سُئل الله به توسُّلاً بمحبتهِ أجاب الله ولذلك كان عمه أبو طالب يتوسل به من ذلك اليوم فى كل دعائه ، ومن أراد أن يتقبل الله له دُعائهُ ورجاءهُ وتُقضى له حاجتَهُ فليتوسل بسيد المرسلين (ولاذ الغلام بإصبعهِ ومُستنداً ظهرُهُ إلى الكعبة إشارة بأن النبى ﷺ يتعامل مع الآيات الكونية بإصبعهِ بإشارةٍ فيها الأمر من السيد على المسودِ فتكونُ الطاعة والإجابة بالغوث والعطاء وما فى السماء قَزعَة (أى قطعة سحابٍ تدل على أن هنا غوثٌ بالمطر) ولكنه صلى الله عليه وسلم ساعة أن أشار بإصبعهِ أتى السحاب مُسرعاً من المشرق ومن المغرب ، وأغدَقَ الماء غَدَقاً ، واغدودق أى زاد عن الحاجة ، وانفجر له الوادى : أى تفجرت ينابيع الأرض للتَّحفُّظ بالماء تدَّخِرُهُ . فهذه إشارةٌ من الذات المحمدية لأهل المُلك والملكوت بأن هُنا مقامُ قُربٍ وَدُنُوٍّ وسرٍّ ووصْلٍ وعطاءٍ وقد شاهدتُهم جمال النبوة بالعطاء ولذلك ساعة أن رأى عمه أبو طالب هذه المعجزة العظمى صاح بين الناس هائماً فَرِحاً يصفُهُ صلى الله عليه وسلم بالوصف الجميل بقوله : ــ

وأبيضَ يُستَسْقَى الغمَامُ بوجْهِهِ *** ثِمَالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامِلِ

يعنى بنور وجهه استجاب له الكون طائعاً وجاء الغوث (يعنى لم يسأل بلسانهِ ولكن ساعة أن هَلَّ بوجهه أقبل السحاب من هاهُنا وهاهُنا ليشاهد الجمال المحمدى والنور الرَّبَّانىِّ الساطع فى وجه النبى فعصم

الله به الأرامل من الهلاك من شدة الظمأ ، وكان ملجئاً لليتامى يُستغاثُ به (ومعنى الثِمَالُ : الملجأ) (وعصمة للأرامل : يمنعهم من الضياع والهلاك) (الأرامل : المساكين من الرجال والنساء) .

رحلة النبى ﷺ وخروجه إلى الشام مع عمه أبو طالب : ـ

حياة النبى ﷺ كُلها بشارات وإشاراتٌ فقبل مولده ﷺ إشارات وبشاراتٌ وفى مولده إشاراتٌ وبشاراتٌ . حياته من مولده إلى بعثته إشاراتٌ وبشاراتٌ مع الزمان ومع المكان وأهله بالعيان . حياته بعد بعثته ورسالته إلى يوم القيامة إشارات وبشاراتٌ ، وعطيَّاتٌ وتجلياتٌ ومِنحٌ يمنحها الله لأهل المُلك والملكوت ببشارات سيد المرسلين من مدد الرحمة المهداة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فكما ذكرنا أن عمه أبو طالب عشق صُحبة النبى ﷺ فكان لا يحب أن يفارقه النبى لحظةً ولا يصرفُ بصره عن التدقيق فى النبى لحظةً حتى فى ساعات النوم كان يحب أن ينام بالقرب من النبى ﷺ ليرى فيه مشاهد النبوة فى نومه وكان ينظر فى وجه النبى ﷺ وهو نائم ، ويخاطبُهُ ويقول : (يا ابن أخى فارقت نفسى وأهلى ودنياى بك وأسأل الله أن لا يجعل بينى وبين جمعك فرقاً فى الدنيا والآخرة) هذه كلماتُ صدقٍ بالمحبة قالها عمهُ أبو طالب له فى صغره ولما بلغ رسول الله ﷺ ثنتى عشرة سنة خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام حتى بلغ بُصرى . فرآهُ بحيرا الراهب وهو فى صومعته (واسمه جرجيس) فعرفهُ بصفته . فقال وهو آخذٌ بيده : هذا سيد العالمين . هذا يبعثه الله رحمة للعالمين . فقيل له وما علْمُكَ بذلك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبقَ شجرٌ

ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً ولا يسجُدانِ إلا لنبيٍّ ، وإنى أعرفهُ بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وإنا نجده فى كُتبنا . وسأل أبا طالب أن يردَّهُ خوفاً عليه من اليهود . (وكان هذا الراهب يتعبد فى صومعته لا يخرج لأحدٍ حتى إذا ذهب إليه أحدٌ من الناس كان يقف على باب صومعته ويخاطبه فيردَّ عليه من الدَّاخل دون أن يخرج إليه ، ولكنه حين كشف الله له عن بصيرته فرأى نور النبى قد أقبل ودخل الحمى فى البلاد خرج ليستقبل جمال سيد المرسلين ليحظى بقبسٍ من الكمال والجمال المحمدى والذى على معرفة بوصفه فى الكتب السماوية التى تدارسها ومن خلالها يترقب هذا اللقاء بشوقٍ ورجاءٍ من الله أن يحظى برؤية هذا النبى الخاتم صاحب الوصف الكامل فى حياته فصفةُ النبى ﷺ عنده فى الكتب وعند أهل الكتاب جليَّةٌ واضحة بذكر بعثته وخُلقه وهيئتهِ وصُحبتهِ وحركتهِ فى الزمان والمكان (أى أنه سيخرج فى الزمان كذا إلى المكان كذا وهو فى سن كذا) ؛ ولذلك خرج الراهب ليشاهد الجمال المعروف عنده ويأخذ بيد النبى ويرفعها إلى أعلى ويعلنُ شهادتهُ دون كتمانِ هذا سيد العالمين . فهذا مكتوبٌ عنده فى التوراة والإنجيل بهذا النص . وكفى بالله شهيداً : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فلما قال الراهب لأبى طالب ارجع بابن أخيك خوفاً عليه من اليهود . الراهب على علمٍ بأن أهل الكتاب يترقبون دخول النبى هذه البلاد من خلال علمهم بالزمان والمكان . فأبو طالب عم النبى فى نفسه قال لن ولم أصدِّق قول هذا الراهب وأرجعُ إلى مكة بابن أخى وهُم فى مجلسهم لم ينتهوا منه إلا وأقبل سبعةٌ من الروم يقصدون قتلهُ ﷺ فاستقبلهم بَحيرا فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : إن هذا النبى خارجٌ فى هذا الشهر فلم يبقَ طريقٌ إلا بُعثَ إليها بأُناسٍ . فقال لهم بحيرا : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحدٌ من الناس رَدَّهُ ؟ قالوا : لا . قال : فبايعوه . فأقاموا معه وردَّهُ أبو طالب . (فهذه مشاهد حقيقية لما هو مكتوب ومُعلنٌ عنه فى الكتب السماوية عن ذكر النبى الخاتم ﷺ وينطقُ بالتصديق به لسانُ أهل الكتاب بالقول بالتحقيق برؤية إثبات الحقائق بظهور البشارات المتدارسة عندهم فى زمان بعثته ومُتابعة آثار حركته من يوم مولده الشريف ﷺ ثم يُنبِّئْ بذلك بحيرا الراهب بالخوف عليه من اليهود ؛ لأنهم يكتمون الحق إذا لم يكن خاضعاً لأهوائهم . ثم يأتى بعد ذلك الخبر بالتصديق لما قاله بحيرا الراهب ليكشف هذه الحقائق فيدخلون جماعةٌ من اليهود على الراهب وعمه أبو طالب فى نفس الساعة وهو ما زال يجلس ومعه النبى ﷺ وعمه أبو طالب . فنظر إليهم الراهب فرأى فى وجوههم نوايا السُوء وظُلمةَ الشر . فقال لهم : ما الذى جاء بكم فى هذه الساعة ؟ فإنى لا أرى فى وجوهكم ما يُشرُ بخير . فقالوا : ما جئنا إلا لقتل هذا النبى . فإنه مكتوبٌ عندنا فى كُتبنا أنه خارجٌ فى هذا الشهر

بإشاراتٍ مدلُولةٍ ببشاراتٍ أنه موجودٌ فى هذا المكان فى هذا الزمان وقد عاهدنا كل الطرق ونحن فى طريقنا إليكم وشاهدنا ما بها فما من طريق إلا وعليه أناسٌ جاءوا لمثل ما جئنا . فإن قدِرْتْ علينا ورجعنا فإنك لا تقدر على ما جاء من بعدنا . وهذه حقائق جليَّة يتضح لنا من خلالها بأن الكتب السماوية ذكر الله فيها وصف النبى ﷺ ونعتهِ بالوصف الكامل بأنه النبى الكامل فى الخَلق والخُلُق فأهل الكتاب يعرفونه تمام المعرفة وفى ذلك يقول سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ ﴾ لذلك عندما شاهدوا الإشارات بظهور بُشرى قدوم النبى ﷺ ووضحت لهم الرؤيا بالحقائق انطلقوا بأحقادهم وظُلمةِ صدورهم وسُوء نواياهم يبحثون ويتجسسون أثر النبى العظيم الذى كرَّمَهُ ربه وعظَّمهُ يريدون قتله . وهذا بالنسبة لليهود ليس بجديد عليهم من سوء فعلٍ وعظيم جُرمٍ وارتكاب خطيئةٍ فإن من شيم اليهود الرَّذيلة قتل الأنبياء ومن بعدهم العلماء ؛ لقوله سبحانه : ﴿ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ فقال لهم بحيرا الراهب : أنتم أقررتم بأنفسكم بأن هذا النبى مكتوبٌ عندكم فى كتبكم ببعثته ورسالته الخاتمة بإخبارٍ من الله الملك الجليل ، وهذه مقادير كتبها الله من الأزل قدَّرها ولكل قدرٍ زمانٌ ومكانٌ يُبديه الحق بيده وقُدرته وإرادته ومشيئته وتحت عينه . أفرأيتم أمراً كتبه الله عندكم بأن يُتمَّهُ هل يستطيع أحدٌ منكم رَدَّهُ أو أن يرُدَّهُ ؟ فقالوا : لا . فقال : بايعونى على أن ترجعوا من حيث جئتم ولا تتعرضوا لهذا النبى بالإيذاء

فإن الله مُتِمٌّ به نُورهُ . فبايعوه . ورجع به عمه أبو طالب إلى مكة بعد أن سمع العلمَ من أهل الكتاب والرهبان عن النبى والمعرفة الكاملة عن بعثته إخباراً من الله فى كُتُبه على رسله ورأى من قبل فى وجهه نور النبوة ومعجزة النبى يوم الغيث والمطر فهذه أسرارٌ تجلَّتْ . وبشاراتٌ بإخبارٍ على ألسنة أهل الكتاب تبدَّتْ فيحفظُها عمه فى جوانحه حتى يأتى وقت الإعلان بها حين يبعثه الله بالرسالة فيكون بها جندياً للدفاع عن النبى ورسالته وحمايته من أذى قريش له .

رحلة النبى ﷺ إلى الشام مع أبى بكر الصديق : ▪

سيدنا أبو بكر ﷺ كانت له صُحبة ورِفقة مع النبى ﷺ من النشأة والصِّغرِ من الطفولة فرغب فى صُحبة النبى معه فى تجارةٍ إلى الشام . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (أنَّ أبا بكرٍ الصدِّيق ﷺ صَحِبَ النبى ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام فى تجارةٍ حتى نزلا مَنزِلاً فيه سِدْرَةَ قعد فى ظلها ومضى أبو بكرٍ إلى راهب يقالُ له بحيرا . يسأله عن شئ فقال له الراهب : من الرجل الذى فى ظل الشجرة ؟ قال : هذا محمدٌ بن عبد الله بن عبد المطلب . قال : هذا والله نبىٌّ . ما استظل تحت ظلها بعد عيسى إلا محمدٌ ﷺ ووقع فى قلب أبى بكر التصديق فلمَّا بُعِثَ النبى ﷺ صدَّقهُ وآمن به واتَّبعهُ ﷺ (إذن رآهُ بحيرا الراهب وشهد له بالنبوة والرسالة مرتين مرة فى سنِّ الثانية عشر من عُمره مع عمه أبى طالب . والمرة الثانية فى سنِّ العشرين من عُمرِه .

رحلة النبى ﷺ إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة : ▪

ثم خرج ﷺ أيضاً ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خويلد بن أسد فى تجارة لها حتى بلغ سُوقُ بُصرى وله إذْ ذاكَ خمسٌ وعشرون سنة لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة ؛ فنزل تحت ظل شجرة فقال ميسرة : فرأيت راهباً خرج من صومعته ينادى بالإشارة وأنا على مسافة بعيدة منه فذهبت إليه فإذا به نَسْطُور الراهب فسألنى : من هذا الرجل الذى يستظل بظل هذه الشجرة ؟ فقلتُ له : صاحبى فى التجارة . فقال له : ما اسمه ؟ فقلتُ : اسمه محمدٌ بن عبد الله بن عبد المطلب . فقال : والله ما نزل تحت ظل هذه الشجرة بعد عيسى إلا نَبِىٌّ . وإنى أشهد أنه النبى الخاتم . فبعدما سمع ميسرة هذا الإخبار العظيم من الراهب عن النبى ﷺ . بدأ يُدقق النظر فى النبى ليُشاهد بالتحقيق صِدْق ما سمعه من الراهب ودخل فى حياة جديدة مع النبى ﷺ فى صُحبتهِ . فيقول ميسرة : (كُنت أرى فى الهاجرة ــ أى فى وقت الحرِّ الشديد فى القيلولة ــ ملكين يُظلاَّنه من الشمس) ولمَّا رجعوا إلى مكة فى وقت الظهيرة وخديجة فى عِلِّيَّةٍ لها فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره وملكان يُظلانِ عليه من الشمس ؛ فحين شاهدت ذلك فى النبى ﷺ حقائق عُظمى : أى أنه سيدٌ للوجود كله وهذه روضةٌ يتحرك وتتحرك معه لخِدمتهِ من العناية الإلهية به ثم شاهدتْ بعد ذلك أمانة النبى فى تجارتها وأموالها وما سيق إليها على يد النبى عِظَمِ الرِّبح والكسب والبركات ، وما سمعته من ميسرة غُلامها عن عظمة الصُحبة وعِظَمِ خُلُق النبى وعن أمانته الدقيقة التى لم يوصف بها أحدٌ من البشر فمن خلال هذه المشاهد العظيمة لها فى شخصية النبى الكريم عرضتْ نفسها

على النبى للزواج منها لأنها قالت فى نفسها لم أجد من أختارهُ أميناً على نفسى ومالى مثل هذا الأمين ، وتزوجها ﷺ بعد ذلك بشهرين وخمسةٍ وعشرينَ يوماً .

زواجه صلى الله عليه وسلم بأمِّ المؤمنين خديجة رضى الله عنها :

كانت السيدة خديجة رضى الله عنها . تُدعى فى الجاهلية بالطاهرة وكانت تحت أبى هالة بن زرارة التميمىِّ ؛ فولدت له هنداً وهالة وهما ذكران . ثم تزوجها عَتيقِ بن عائذ المخزومىِّ فولدت له هنداً وكان لها حين تزوجها النبى ﷺ من العمر أربعون سنة ولمَّا عرضت نفسها على النبى ﷺ . النبى ﷺ صاحبُ مقام الأدب الجمِّ الأدب العالى الذى هو من الصُنع الإلاهى فيه والذى أدَّبهُ ربه بقوله صلى الله عليه وسلم : (أدَّبَنى ربى فأحسن تأديبى) . عرض هذا الأمر وذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم عمه الحمزة حتى دخل على خويلد بن أسدٍ فخطبها إليه ؛ فتزوجها عليه الصلاة والسلام ، وحضر أبو طالب ورؤساء مُضَر فعمه أبو طالب أراد أن يبيِّن لهم حقائق وأسرار عن مقام ابن أخيه ويُعلن كرامته وأنه صاحبُ عِزَّةٍ وصاحب مقامٍ فى الرجال فى أمانته وشجاعته وقدْرِه ، وشرفهِ (يعنى لا تظنون أنكم أخذتم فقيراً يتيماً ، وإنى أُعلنُ لكم مقام ابن أخى لتكون الحقائق واضحة أمام الجميع ؛ فاستأذن عمه أبو طالب أن يقوم ويخطُب فيهم خُطبة الخُطوبة (أى الزواج) .

خُطبة عمه أبو طالب لزواج النبى صلى الله عليه وسلم : ■

فخطب أبو طالب فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذُرية إبـراهيم وزرع إسماعيل ، وَضِئْضِئِ مَعَدٍّ ، وعنصر مُضَرٍ ، وجعلنـا حـضَنَةَ بيتـه ، وسُوَّاسَ حرَمِه ، وجعل لنا بيتاً محجُوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس . ثم إنَّ ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يُوزنُ برجـلٍ إلا رجح به فإن كان فى المال قُلٌّ فإنَّ المال ظِلٌّ زائلٌ ، وأمْرٌ حائلٌ . محمدٌ من عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجِلُهُ وعاجِلُهُ من مالى (ثِنْتَىْ عشرة أوقية ذهباً ونَشّاً) وهـو والله بعد هذا له نبأٌ عظيمٌ وخطرٌ جليلٌ ؛ فزوَّجَهُ إياها أبوها خويلد فهذه خُطبةُ عمة أبى طالب لزواجه صلى الله عليه وسلم وكان المـراد مـن هـذه الخطبة تعزيز مقام النبى ﷺ وتعظيمهُ فأعلن فى خُطبتهِ أن الله جعلنا من ذُرية أبو الأنبياء إبراهيم ومن سُلالة أبو العرب إسماعيل ، ومن عُنصرٍ وأصلٍ كريم ، واصطفانا على الناس بأنْ جعلنا أُمناء على بيتـه فهـذا فخارٌ بنعمةِ الله ثم يُبيِّن لهم عظمة النبى بأنه يُـوزنُ بالرجـال كلهـا والمراد هنا الوزن الإعتبارى فى حُسنِ الخُلُق وفى الشجاعة والرجولـة (زىِّ ما نقول فُلانٌ يساوى ألف رجل) وليس المراد الـوزن المـادِّى فالوزن المادى للجسم والحواس على قدْرِ ثِقَلِ المـادة) أمـا الـوزن الإعتبارى فالمراد به وزن المعنى والمعـانى أسـرار وأنـوار وخُلُـق وصفاتٌ حميدة يتصف بها أهل الكمال والعِزَّة والكرامة ثم يبـين لهـم قرابة النبى أى أصل نَسَبِه الشريف . ثم يبين لهم قدْر العطاء فيه فـإن كان فقيراً بالمال فالمال ظِلٌّ زائل أما عطاء النبى قائم ودائم مـن مـدد الغِنَىَ التام من الغَنِىِّ الحميد ثم يشير إلى النبأ العظـيم فـى المـستقبل

بنبوَّته من خلال ما سمعه وشاهده من الرهُبان فى الشام . ثم يُعلـن أن الصداق لزواج ابن أخى رمْزِيًّا يليق بالأسباب أما حقيقة الأمر فإن الدنيا إن كانت جبال الأرض فيها كلها ذهباً فهى طوعَ أمر النبى فهـو سـيد العالمين . وكان الصداق كما ذكرنا (ثِنْتَىْ عشرة أوقية ذهباً ونَـشّاً) . (النَّشُّ : نصف أوقية ــ والأوقية : أربعون درهمـاً) (والضِّيـضئ : الأصل وكذا العنصر) .

بناء قريش الكعبة بمشاركة النبى صلى الله عليه وسلم :

ولمّا بلغ ﷺ خمساً وثلاثين سنة . بَنَتْ قريش الكعبة ، وكان صـلى الله عليه وسلم ينقُل معهم الحجارة وكانوا يضعون أُزُرَهُمْ علـى عـواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم فـسقط مـن قِيـامٍ ، ونُودى عورتَكَ فكان ذلك أول ما نودى . فقال له أبو طالب أو العباس : يا ابن أخى إجعل إزارك على رأسك . فقال ما أصابنى ما أصابنى إلا من التَّعَرِّى . فهذه من بشارات النبوة قبل البعثة وهو صلى الله عليه وسلم فى سِنِّ الخامسة والثلاثين من عُمرِه أى قبل البعثة بخمس سـنوات . فكان الرجال وهم فى بناء الكعبة حين يرفع أحدهم الحجر ليحمله يرفـع إزارهُ على كتفهِ حتى لا يلتفُّ الإزار على رجْلِهِ فيقع ساقطاً على الأرض فيُصابُ . فكان إذا رفع الإزار من أسفل إلى أعلى الكتف تكشف عـورة الرجل وهذه أمورٌ بالنسبة لهم كانت طبيعية ، ولكنـه ﷺ حـين أراد أن يفعل مثلهُم ويرفع إزارهُ فسقط من قيامه علـى الأرض بقـوة جاذبيـة بإرادة الله سبحانه دون أن تكون له فى ذلك إرادة ونُودىَ من الـسماء بصوتٍ سمعه النبى أُستر عوْرَتَكَ يا محمد عوْرَتَكَ . عوْرَتَكَ فكان ذلـك

أول ما نودىَ النبى . لماذا اختص النبى ﷺ بهذه الخصوصية دون غيره من الرجال فى هذا الشأن ؟ نقول لأنه صلى الله عليه وسلم صاحبُ مقام الكمال بل هو الكمال المُطلق فى الوجود الذى لا يعتريه نقصٌ ، والعورة بظهورها نقصٌ فحين أراد النبى وهو فى زحمةِ الإنفعال بالعمل وصدق الخدمة بين أهل الأسباب أراد أن يتشبَّه بهم دون دراية منه بمزيَّتِه عليهم فعين الله عليه بالتحفُّظ على كماله فيجذبه الحق بقُدرته الإلهية بقوةٍ فيها سُرعة سقوط النبى من قيامه قبل أن تظهر له عورة ، ولا يُتركُ الأمر على السقوط وحده حتى لا يقوم النبى ﷺ من سقوطه ظانّاً منه أنه نتيجة ضعفٍ فى النهوض فيُكرر الفعل ويكشف العورة مرة أخرى فيناديه الحق ويُعلِمهُ أن هذا النداء من الله العلىِّ الكبير ، وأن ما صُنع بك وهو السقوط على الأرض فهو من صنع الله بك والمراد سترُ العورة فإنك الكمال ومُراد الله والأسوةُ الحسنة لخلق الله لكلِّ من عشق الكمال . فغيرةُ الله عليك أن لا يُشاهد فى عظمة جمالك قُبحُ ولا نقص ؛ فاعلم ذلك يا محمد حتى إذا حاجَّك أحدٌ فى ذلك وسألك عن سبب ذلك تجيبُهُ بعلمٍ من الله لك فى صُنعه بك ، ولذلك قام النبى ﷺ من سقوطه على الأرض يحمل الحجارة معهم وهو يُسبِلُ إزارهُ ويُرخيه على الأرض . فقال له عمُّه أبو طالب أو العباس : يا ابن أخى إجعل إزارك على رأسك . فقال النبى ﷺ : يا عمى ما أصابنى ما أصابنى إلا من التَّعرِّى . فأجاب بعلمٍ من الله . (يعنى الذى شاهدتموهُ من سقوطى على الأرض بسبب كشف عورتى) فكأنه يقول لهم أنا لستُ مِثلكُم فى الخلق

والخُلق . وهذه تكون لهم مشاهدة يقينية لهم بخصوصية النبى ﷺ ورؤية مقامه قبل بعثته يذكرونها له صلى الله عليه وسلم .

بَعْثَتُهُ بالرسالة صلى الله عليه وسلم وبدء الوحى : ـ

لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، ورسولاً إلى كافة الثقلين أجمعين ، وكان ذلك يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان فقد روى الإمام البخارى فى التعبير حديث السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : (أول ما بُدِئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرُّؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رُؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصبح . وكان صلى الله عليه وسلم يأتى حراء فيتحنثُ فيه ، وهو التعبُّدُ الليالى ذوات العدد ، ويزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتُزَوِّدُهُ لِمثلها حتى فَجَأَهُ الحق وهو فى غار حراء فجاءه المَلَك فيه فقال : اقرأ . فقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا بقارئ . وفى حديثه صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : فقال اقرأ فقُلت ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطَّنى حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى . فقال اقرأ . فقُلت ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطَّنى الثانية حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى . فقال اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ فنحن مع إشارات بدء الرسالة كما ذكرت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها . أنه

صلى الله عليه وسلم كان قبل البعثة يتحنث أى يتعبد فى غار حراء الليالى ذوات العدد ؛ ولذلك سادتنا الصالحون الذين ارتقوا إلى مقامات الولاية بالميراث من شراب الأحوال لسيدنا رسول الله ﷺ من الأسرار والأنوار والتجلى . حين يدخل أحدهم فى الخلوة العليا بالتخلِّى للتحلِّى والتجلِّى يكون إذنُ الدخول بالعدد إما أن تكون مُدَّتهُ عشرة أيام أو أكثر أو أقل يتحلَّى ويُؤهَّلُ فيها لعطِّية فيها رحماتٌ من الرحمن يُصَرِّفُها بعلمٍ لدُنِّىٍّ من الرحمن لخلقه . فالنبى ﷺ بدأ مع الرسالة بالرؤيا والتعبد فكان يتزود لعدد من الأيام ، وحين ينتهى الزَّاد يعود إلى السيدة خديجة فتُزَوِّدُهُ لعددٍ من الأيام جديد للتعبُد فيأتى إلى حراء مرة أخرى (يعنى مكث ستة أشهر يتعبد فى حراء ويأخذ معه الزاد الذى يكفيه شهراً فإذا انتهى الزاد يرجع إلى السيدة خديجة ويقصُّ لها ما شاهده من الرؤيا الملكوتية فتُسَرَّ السيدة خديجة وتقول له : ما دُمت فى عطاء وتجلٍّ من المعبود وأنا أرى ذلك النور والعطاء فى وجهك فارجع إلى عبادتك لربك ما دام العطاء فى الزيادة وتزوِّده بالزاد ويرجع إلى غار حراء للتعبُد . (إذن السيدة خديجة كانت مع النبى ﷺ فى بدء الرسالة واستلام العطايا بالمقام النبوى بالمشاهدة اليقينية رضى الله عنها) ففى ستة أشهر قبل الوحى وفى غار حراء كانت حياة النبى ﷺ مع الرؤيا المنامية بالترقِّى (يعنى كلما رأى رؤيا فى مشهدٍ من مشاهد الملكوت بالأسرار والتجلِّى تكون الرؤيا التى تأتى بعدها تعرُج بالنبى ﷺ إلى مقام أرْقى فى المشاهدة واليقين ولذلك صلى الله عليه وسلم احتسب مدة الستة أشهر قبل نزول الوحى من زمن الوحى . فى قوله صلى الله عليه وسلم :

(الرؤيا جُزءٌ من ستٍّ وأربعين جُزء من النبوة) وفى وصية النبى ﷺ قوله الشريف : (لم يبقَ من مبشرات النبوة للعبد المؤمن إلا الرؤيا الصادقة يراها العبد المؤمن أو تُرى له) أى يراها المؤمن لنفسه أو يراها له أخٌ له فى الإيمان . نقول وكيف يكون ذلك ؟ فنقول إن زمن نزول الوحى على النبى ﷺ بالقرآن والأحكام والتشريعات كان ثلاثاً وعشرون عاماً وهو زمن الرسالة من سِنِّ الأربعين لسيدنا رسول الله ﷺ إلى أن لحِقَ صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فى سِنِّ الثالثة والستين من عُمرِه صلى الله عليه وسلم فإذا قمنا بتحويل الثلاثة وعشرون سنة إلى جزءين ليكون الجزء ستة أشهر فيكون عدد الأجزاء ستٍّ وأربعين جزءاً (إذن تكون نسبة مدة التعبد فى الغار والقائمة على مدد من الرحمن بالرؤيا الصادقة وهى مبشرات بالترقى باليقين للوحى تكون جزءٌ من ستٍّ وأربعين جزء من زمن النبوة والرسالة ونشاهد مشهداً آخر من مشاهد العظمة للرسالة فكما ذكرنا أن القرآن الكريم بدأ نزول أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام به على سيدنا رسول الله ﷺ فى غار حراء كان يوم الاثنين فى السابع عشر من شهر رمضان . سادتنا الصالحون عليهم رضوان الله كانت لهم وقفة تدقيق وتحقيق فى يوم السابع عشر من شهر رمضان . قالوا إن غزوة بدر جعلها الله فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، وهى الغزوة الكبرى فى المشهد الأعظم لأهل المُلك والملكوت ، ويوم بدر سُمىَ بيوم الفرقان لقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ فإنه اليوم الذى فرَق الله به بين الحق والباطل بمشهدٍ عظيم يُقِرُّ عظمته

أهل الباطل ويشاهد حقائقه أهل الحق لأنها غزوةٌ فرق الله بها بين الحق والباطل بإذنه بقوله سبحانه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ فكان الإذن من الله للنبى وللمسلمين بالقتال للدفاع عن أنفسهم لأول مرة بعد أن تعرضوا لمساءات وإيذاءات من أول البعثة ظلَّت خمسة عشر عاماً ولم يؤذن لهم بالدفاع عن النفس حتى فى السنة الثانية من الهجرة كانت غزوة بدر رفع الله بها راية الإسلام وأعزَّ بها النبى وصحابته وارتقى بهم الحال من رؤية الضعف فيهم إلى رؤية القوة القاهرة المشهودة للناس جميعاً فكانت غزوة الفرقان . فرق الله بها بين الحق والباطل ، وبين الإيمان والكُفر ، وبين القوة والضعف ، وبين الكرامة والإستهانة ومنها بدأ صوت الحق يعلو بالعزة والكرامة والسيادة بما شوهد فيها من نصر الله للمسلمين فيه الإعجاز الجلىِّ الواضح فالمسلمون عددهم قِلَّة أى ثلث عدد أهل الكفر وليست لديهم العُدَّة والعتاد ، وأهل الكفر عددهم ثلاثة أضعاف عدد المسلمين وفى أيديهم أسباب القتال والنصر بالأسباب من العُدَّة والعتاد ولكن الله تجلَّى بالنصر لحزبه بمدد من المُسبِّب القاهر للأسباب وأهل الأسباب فهذا هو الفرقان ولقد كان حال النبى ﷺ وهو فى غار حراء فى أول ساعة لنزول الوحى عليه كان يعلم يقيناً أنه أُمِّى لا يقرأ ولا يكتب ، وفجأة يأتيه الملك وهو أمين الوحى جبريل عليه السلام يخاطبه بالرسالة مُعلناً أنه صاحب رسالة العلم والمعرفة بالتبليغ وبالتعليم للناس كافة وهو صاحب الأمانة العظمى ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم وحين يفْجأهُ الأمين جبريل بقوله : اقرأ . فالنبى ﷺ تكون له وقفةٌ مع

نفسه أمام هذا الأمر فهو يعلم يقيناً أنه أُمِىَّ ، وأنه يتعبد فى غار حراء عبادة تحية لجلال الله ما كان ينتظر من وراء عبادته لله عطاءاً لرسالة وفجأة يأتيه رسول من قِبَل الله المعبود يحمل إليه رسالة العلم التام لعبادة الله ويقول له : اقرأ . لتُقرِئ الناس جميعاً فليست القراءة لك لذاتك وحدك فيكون الجواب من النبى من واقع حقائق أمره : ما أنا بقارئ (يعنى أنا لا أعرف القراءة والكتابة لأنى ما جلست بين يدىْ معلم قَطُّ) فيتكرر الخطاب مرة ومرة من أمين الوحى جبريل عليه السلام ويتكرر بتكراره الجواب نفس الجواب ما أنا بقارئ ، وفى المرة الثالثة يكون إعلان الحقائق الإلهية بقوله سبحانه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وهنا يظهر جمال العطاء بأنه يقول له اقرأ باسم المسبب الذى إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون أما القراءة بالأسباب فمعلوم أنه بواسطة اللوح والقلم ولها مراحل كثيرة فى تحصيل العلم ، وعلوم الأسباب بمجموعها وكليتها بواسطة العقل والعقل محدود وفيه نواقص وهو الحجاب لكل ما فى الحقيقة . أما عطاء المسبب فيه علم الأولين والآخرين وفيه أسرار الحق وتجلِّياته بالحقائق الإلهية والتى يعجز العقل عن إدراكها وجمال العلم الإلهى الربانى لك يا حبيب الله أنه نورٌ من الذات الإلهية بالمخاطبة بكلام الله الجامع لأسرار الله يقذفه ربك بالخصوصية فى قلبك وهذا عطاءٌ لك بالفردية تفرَّدت به على الوجود كله بالكمال الجامع للمقامات والكمالات الإلهية باطناً ، وختم الله بك مقام الرسالة ظاهراً فالأُمِّيةُ فيك يا رسول الله جمال وكمال ، والأُمِّية فى غيرك من خلق الله قُبحٌ ونقصٌ إلا من صدق فى اتِّباعك من أُمَّتِك

بالمحبة والعشق والشوق والتفانى فى جمالك فله حظٌ الميراث من المقام المحمدى بعطاءٍ كريم من مشارب أحوالك يا سيد الوجود ؛ ولذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ أى أن قلب النبى ﷺ وِعاءٌ صنعه الله وأعدَّهُ لذاته تُصَبُ فيه أنوار الحق سبحانه الجمالية والجلالية ، ثم يُؤذنُ بعد ذلك لسيدنا رسول الله ﷺ أن ينضحَ من هذا النور بلسانه وينهل منه ليُخرج للناس علماً يكتبونه بأقلامهم سطوراً يقرأُها الجميع ويتدارسها ويعمل بعلمهَا على مُراد الله وعلى مُراد رسول الله ﷺ فتعرُج بهم إلى أصل العطاء نوراً وأسراراً بالتجلِّى ؛ ولذلك يُبيِّن الحق سبحانه فى قرآنه بقوله : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) ﴾ ؛ ولذلك كان قوله سبحانه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ معنى ذلك أن عطاؤك يا محمد ليس من الأسباب فعطاء الأسباب بواسطة اللوح والقلم وعلم الحروف والكلمات وجمعها أما عطاؤك فوق مقام اللوح والقلم فهو من المسبب ربك ولذلك يقول الحق مخاطباً النبى الكريم ﷺ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ فالضمير بالربوبية عائدٌ بالخصوصية على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ بالعطية لمقامه العطاء لجميع خلق الله من جمال العطية ؛ ولذلك حين يقول الحق اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . فعند الخصوصية بالمقام كان الضمير عائدٌ على الذات المحمدية ، وعند التجلِّى من جمال العطية

بمدد من الذات المحمدية كان قوله سبحانه : الَّذِي خَلَقَ ولم يقُل سبحانه الذى خلقك ، وإلا كان العطاء قاصراً على سيدنا رسول الله فإن العطية التى تجلَّى بها المولى سبحانه عليك لخلقه جميعاً لأهل المُلك منك عطاءُ ولأهل والملكوت منك عطاءُ . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ أى قارن بين ما كان عليه الإنسان وهو علقة فى الرَّحم فى بطن أمه ، وما صار إليه من تكريم فى الخلق والخُلُق والعلم والمعرفة والمنصب والتمكين فهذا عطاء الله له بواسطة اللوح والقلم ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ أما أنت يا سيد الخلق فقد أكرمك ربُك بأنه جعل عطاؤك من يده لك وعلَّمك ربُك من عُلومه الغيبية والمكنونة لتكون أنت المُعلِّم لكل طالبٍ للعلم النافع وأكرمك ربُك فأنت الأكرم ، ولم يجعل لأحدٍ من الناس له عليك فضلٌ بأن علَّمك حرفاً واحداً من العلم فجعلك أُمِّيًّا من عطاء خلقه لتنفرد بعطاء ربك بالعزة والكرامة والفَخَار بقوله سبحانه : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ وجعل الأُمِّيَّة لك شرفاً عظيماً ليكون حظُّ العطاء لك من الله بكماله علوماً وآداباً وأخلاقاً وأسراراً وأنواراً ومقاماً وليبيِّن الحق سبحانه أمام الناس جميعاً أنه ليس من الناس من له فضلٌ على رسول الله بأن علَّمهُ حرفاً حتى لا يكون هناك من يتفضَّل عليه فى جانب من جوانب العلم فهو صاحب العلم الجامع من الله سبحانه فالنبى ﷺ حين يفجأهُ الحق سبحانه بهذه العطايا العظيمة رجع بها ترجُفُ بوادرهُ حتى دخل على خديجة فقال : زمِّلونى . زمِّلونى . فزمَّلوه حتى ذهب عنه

الروعُ . فقال : يا خديجة ما لى وأخبرها الخبر ، وقال : قد خشيتُ على نفسى . فقالت له الزوجة الوفية الصدِّيقةُ كلا أبْشِرْ فو الله لا يخزيك الله أبداً إنك لَتَصِلُ الرَّحم وتصدُق الحديث ، وتحمل الكَلَّ ، وتُقْرى الضيف ، وتُعينُ على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة حتى أتتْ به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىٍّ وهو ابن عم خديجة أُخَىٍّ أبيها ، وكان امرأً تنصَّرَ فى الجاهلية ، وكان يكتُب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عَمِى . فقالت له خديجة : أى ابن عمِّ اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره النبى ﷺ ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أُنزل على موسى يا ليتنى فيها جَذَعاً ليتنى أكون حيَّاً حين يُخرجُك قومُك (يعنى ليتنى فيها جَذَعاً فالضمير للنبوة أى ليتنى كنتُ شاباً عند ظهورها وأكون حيَّاً حين يحاربُك قومك من أجلها ويخرجونك من وطنك حتى أبالغُ فى نُصرتها) فقال صلى الله عليه وسلم : أو مُخرجِىَّ هُمْ ! فقال ورقة : نعم . لم يَأْتِ رجلٌ قَطُّ بما جئت به إلا عُودىَ . وإن يُدركنى يومك أنصرك نصراً مُؤزَّراً وروى أبو نعيم أن ورقة قال له : أبْشِرْ فأنا أشهدُ أنَّك الذى بَشَّرَ به المسيح بنُ مريم وإنك على مِثْل ناموسِ موسى ، وإنك نبىٌّ مُرسَلٌ وهنا نشاهد مشهداً جميلاً من جمال الرسالة فى سيدنا رسول الله ﷺ أنه ساعة أن عاد إلى السيدة خديجة وقال وهو فى رجفته زمِّلونى . زمِّلونى ينزل عليه قُرآناً ينطقُ بهذا الحال الذى هو فيه وهذا الحدثُ الجللُ بقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ فكأن الحق أراد أن يبيِّن لحبيبه ومصطفاهُ تِبيَاناً يُثَبِتُ به يقينهُ بربهِ أن الذى أُرسل إليك إنما

هو من قِبَلِ الله السميع البصير الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وهو معك حيثُ كُنتُ يسمع ما تقول ويرى ما أنت عليه من حالٍ أو فعلٍ أو عملٍ ، وبذلك يطْمئنُّ قلبُ النبى ﷺ على معيَّة الله معه فى الرسالة فى كل مكان وفى كل زمانٍ ، وأن الذى تحركت به إلى عبادة ربك فى غار حراء دون تكليف من الله لك فى الأسباب إنما هو نورُ النبوة المكنون فيك من مدد ربك الأزلىِّ فكما كنت تقوم الليل فى حراء فداوم بتكليفٍ من الله لك ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) ﴾ (يعنى إحنا فى البداية وسنلقى إليك أمانةً عُظمى لها ثِقَلٌ عظيم لا يقدر على حملهِ أهلُ المُلك وأهل الملكوت سنلقى هذا الثقلُ كلُه عليك لأنك أنت المُرادُ لله فى خلقه ، وأنت المُجتبى ، والمختار ، والمصطفى ، والنبى الخاتم المرسلُ من الله إلى جميع خلقه تدعوهم إلى الله وتدُلُّهم على الله بإذنه فالقرآن ثِقَلٌ عظيمٌ بجوهره وأسراره فهو كلام الله . علمٌ يُعمَلُ به ، وتُبَلِّغهُ للناس وتُعلِّمهُم العمل به ويسألك الله عن ذلك بقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ وبقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ ويقول سبحانه فى جلال القرآن : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ .

شهادة الأشجار والحجارة له بالرسالة والسلام عليه ﷺ : ـ

وأخرج البيهقىُّ أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامتهُ وابتدأه بالنبوة كان لا يمُرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا سلَّمَ عليه وسمع منه فيلتفتُ رسول الله ﷺ خلفهُ وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة ، وهى تُحيِّيه بتحية النبوة (السلام عليك يا رسول الله) .

رؤيته صلى الله عليه وسلم لأمين الوحى جبريل عليه السلام : ■

روى البخارى فى صحيحه . عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : جاورتُ بحراءٍ شهراً فلما قضيتُ جوارى هبطتُ فنُوديتُ فنظرتُ عن يمينى فلم أرَ شيئاً ونظرتُ عن شمالى فلم أرَ شيئاً فلم أثْبُتْ له فأتيتُ خديجة فقلتُ : دثِّرُونى . دثِّرُونى . وصبُّوا علىَّ ماءاً بارداً فنزلتْ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) ﴾ الآيات وذلك قبل أن تُفرض الصلاة . وقد أنزل الله بعد ذلك قُرآناً يُبيِّن بوضوحٍ مقام أمين الوحى جبريل عليه السلام ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) ﴾ .

أول فرضية الصلاة على النبى لخصوصية مقامه : ■

كانت فرضية الصلاة ببدء الرسالة ويختصَّ بها النبى ﷺ وحدهُ لأنه هو الرسول الذى كمَّله ربُّه لحمل الرسالة إلى الناس جميعاً فيأخذ التشريعات كاملة لذاته ، ولكن حين تُفرض الفرائض بالتكليف على الأُمَّة تكون بالحكمة الإلهية من خلال علم الله بطاقة الناس فيبدأ التكليف اولاً بكلمة التوحيد لينتقل العبد ببيعةٍ بإعلانِ الوحدانية لله وبعد ذلك يَثبُتُ فيه

العطاء بنجاحه فى شهادة التوحيد فتبدأ معه العناية الإلهية ببقية التكاليف بدءاً بالصلاة التى هى صلةُ العبدِ بربه لِتعْرُج به إلى مقام اليقين بمعرفة الله ثم يكون الزكاة ثم يكون الصيام ثم يكون الجهاد ثم يكون الحج ، وهكذا حتى يرتقى العبدُ بالتكاليف الشرعية بالعمل بها والإخلاص والصدق مع الله فى عبادته وطاعته أمَّا سيدنا رسول الله ﷺ فهو صاحب مقام العطاء من الله إلى خلقه فهو النبى الكامل له تشريعاته الكاملة التى تختصُّ بمقامه السَّامى دون الناس جميعاً فهو صاحب تشريعٍ وصاحبُ السُنَّة والأسوة لأهل الكمال لقوله سبحانه ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ وقد روى أن جبريل عليه السلام تبدَّى له ﷺ فى أحسن صورة ، وأطيبُ رائحة فقال : يا محمد إن الله يُقرئك السلام ، ويقول لك أنت رسولى إلى الجنِّ والإنسِ (فادعُهُم إلى قولِ لا إله إلا الله) ثم ضرب برجله الأرض فنبعتْ عينُ ماءٍ فتوضأ منها جبريل عليه السلام ثم أمره أن يتوضأ ، وقام جبريل يُصلِّى وأمرهُ أن يُصلِّى معهُ ثم عرج إلى السماء ، ورجع رسول الله ﷺ لا يمُرُّ بحجرٍ ولا مدرٍ ولا شجرٍ إلا وهو يقول (السلام عليك يا رسول الله) حتى أتى خديجة فأخبرها فغُشِىَ عليها من الفرح ثم أمرها فتوضأت ، وصلَّى بها كما صلَّى به جبريل فكان ذلك أول فرضها ركعتين ، وكانت خاصة بالنبى ﷺ والسيدة أم المؤمنين خديجة عليها السلام ؛ فحظيَتْ وفازت بالصلاة مع النبى بالفرضية الخاصة لمقام النبوة ؛ ولأنها عليها السلام انتقلت إلى رحاب الله قبل فرضية الصلاة للأُمَّة فبذلك تكون فى مقام صدِّيقَة ؛ لأنها حظيت بالخصوصية بالعطاء الكامل لتشريعات النبوة والسابق بالتنزيل لعطاء

وتشريعات الله للأُمَّة .

نزول أمين الوحى جبريل على الأنبياء عليهم السلام : ▪

كان نزول أمين الوحى جبريل عليه السلام يليقُ بِثِقَلِ عطاء الكمال للتشريع لكمال دين الله وإتمام نعمته وهذا يتميز به النبى المرسل بالأفضلية على بقية المُرسلين بكثرة عدد نزول أمين الوحى جبريل عليه السلام على النبى ، كذلك أفضليةُ الكتاب المُنَزَّل على الرسول وأفضلية الأُمَّة من مدد أفضلية رسولها وكتابها فأفضل الرسل خاتم النبيين وسيد المرسلين نبينا محمد ﷺ ، وأفضل الكتب المُنَزَّلة القرآن الكريم ؛ لأنه نزل على أفضل النبيين والمرسلين ﷺ ، وأفضل الأمم أمَّة محمد بقول الحق سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وإيضاحاً وتبياناً لذلك ما ذكره ابن عادلٍ فى تفسيره أن جبريل عليه السلام نزل على النبى ﷺ (أربعة وعشرين ألف مرة) ، ونزل على آدم عليه السلام (اثنتى عشرة مرة) ، ونزل على إدريس عليه السلام (أربع مرات) ، ونزل على نوح عليه السلام (خمسين مرة) ، ونزل على موسى عليه السلام (أربعمائة مرة) ، ونزل على عيسى عليه السلام (عشر مرات) . على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام . نسأل الله أن يشرح صدورنا للإسلام ، وأن يهدى قلوبنا بأنوار الهدى على قلوب أنبيائه ورسله وأوليائه . وفى هذا القدر كفاية . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله ﷺ . وكل عامٍ وأنتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الحادية عشر

وموضوعها

مقام القرآن من مقامات الكتب السماوية ووصفه بجماله وكماله

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الأحد

١١ من ربيع أول سنة ١٤١٩هـ

الموافق ٥ من يوليو سنة ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى لايبلغُ مِدْحتَــهُ القــائلون ، ولا يُحصى نعمائهُ العادُّون ، ولا يُؤدى حقهُ المجتهدون الذى لا يُدركهُ بُعــدُ الهِمَمُ ، ولا ينالهُ غَوْصُ الفِطَن الذى ليس لِصفته حَدٌّ محدودٌ ، ولا نعتُ موجودٌ ، ولا وقتٌ معدودٌ ، ولا أجلٌ ممدودٌ . فطَرَ الخلائــق بقُدرتــه ، ونشر الرياح برحمته ، ووتَّدَ بالصخُورِ ميدان أرضه . أول الدِّين معرفتُهُ وكمالُ معرفتِهِ التصديقُ به ، وكمال التصديق بــه توحيــدهُ ، وكمــال توحيده الإخلاص له ، نَفْيُ الصفات عنه . لشهادة كُلِّ صفة أنهــا غيــرُ الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصِّفة . فمــن وصــف الله سبحانه فقد قرنهُ ، ومن قرنهُ فقد ثنَّاهُ ، ومن ثنَّاهُ فقد جــزَّأهُ ، ومــن جزَّأهُ فقد جهلهُ ، ومن جهلهُ فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حَدَّهُ . ومن حدَّهُ فقد عدَّهُ ، ومن قال فيم ؟ فقد ضَمَّنَهُ ، ومن قال علام ؟ فقــد أخْلَى منهُ سبحانه . سبحانه . كائنٌ لا عن حــدث ، وموجــودٌ لا عــن عدم . مع كل شئٍ لا بمقارنة ، وغير كل شــئٍ لا بمُزايلــة . فاعــلٌ لا بمعنى الحركات والآلة . بصيرٌ إذ لا منظورُ إليه من خلقه . مُتوحِّدٌ إذ لا سكنَ يستأنسُ به ، ولا يستوحشُ لفقده . أنشأ الخلق إنشاءً ، وابتــدأهُ ابتداءً بلا رَوِيَّة أجالها ، ولا تجربــة اســتفادها ، ولا حركــة أحــدثها فسبحانه . سبحانه . كَبُرَ شأناً ، وعظُمَ سُلطاناً ، وأشهد أن لا إلــه إلا الله وحده لا شريك له أحال الأشياء لأوقاتها ، ولأمَ بــين مختلفاتهــا ، وغرَّزَ غرائزها ، وألزمها أشباحها . عالماً بها قبل ابتــدائها . مَحيطــاً بحدودها وانتهائها . عارفاً بقرائنها وأحنائها . إرادته مركــزُ كلمتــهِ

الباهرة ، وكلمتُهُ مَنْشأُ صفته القادرة طامسُ ظلام الكفر والإشراك نــورُ بياض الإيمان والإدراك . صُبحُ جبين الهُدى . ليلُ دُجَى الغَيِّ والعمــى . مرآةُ الحديثُ والقَديم . مَجْلَى هَوِيَّةِ العذاب والنعيم . حيطتُهُ بالأشــياء . كَونُهُ ذاتُها ذاتُهُ . عجزتْ عن الحيطَةِ بِكُنْهِهَا صفاتُها . وأشهد أن سيدنا محمداً عبدهُ ورسوله . تفرَّد بالكمال فختم الكمالات والمقامات الإلهيــة باطناً . وشهد له بذلك ختْمُهُ لمقام الرسالة ظاهراً فهو صلى الله عليــه وسلم الحبيب الخاتم . صاحب مقام القُربةِ وهى الوسيلة ، وأول مرتبــةٍ من مراتبها مقام الخُلَّةِ وانتهاءُ مقام الخليل ابتداءُ مقامِ الحبيب ، وآخر مقام المحبة أول مقام الختام ، ومقام الختام هو التحقــق بحقيقــة ذى الجلال والإكرام . فهو صلى الله عليه وسلم صــاحب مقــام المحبــة ، وصاحب مقام الختام فصلوات الله وسلامه ، ورحمتُه وبركاتــه عليــك سيدى يا رسول الله وعلى آلك وصحْبِك ومن اهتدى بهــديك ، واقتفــى أثرك إلى يوم الدين .

أما بعـد

فضل ليلة المولد النبوى : ▪

فنحن فى هذه الليلة المباركة . وفى هذا الجمع المبارك فى ليلة المولــد النبوى الشريف . فى هذه الليلة . الليلة العظمى . فإن سادتنا الصالحون عليهم رضوان الله قالوا فى ليلة المولد النبوى الشريف ، وفى الاحتفال بذكرى مولد سيد الوجود ﷺ . قالوا : إن ليلة القدر شَرَّفها الله بالقرآن فعظَّمها (يعنى شرَّف الله ليلة القدر بالقرآن : أى بنزول القرآن فمــن أجل القرآن عظَّمها ، وجعل العبادة فيها خيرٌ من عبادة ألف شهر فيمــا

سواها) فسادتنا الصالحون عليهم رضوان الله . قالوا : إذا كان هذا التشريف والتعظيم ، والتفضيل لليلة القدر ليلةُ أُنزل فيها القرآن على سيد الوجود عظَّمها الله من أجل ذلك . فما نقولُ جميعاً فى مقام سيد الوجود ، وفى عِظَمِ ليلة مولدهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فلولا مولدُهُ صلى الله عليه وسلم ما كانت ليلة القدر . (إذن لولا ليلة مولد النبى ﷺ ما كانت ليلة القدر) . فإذا كان الله عظَّم ليلة القدر تعظيماً بالعطاء فإن ليلة مولد النبى ﷺ أعظم . ليلة مولد النبى ﷺ الذى أُنزل عليه القرآن صاحبُ العطاءِ والتجلِّى على ليلة القدر وأهلها (يبقى ليلة مولدهِ أعظمُ) ، وإذا كان الله سبحانه جعل ليلة القدر عطاؤُها دائمٌ وقائمٌ فى كل عام من كل شهر رمضان إلى يوم القيامة (إذن عطاءُ ليلة مولد النبى ﷺ قائمٌ ودائمٌ (إذن الاحتفال بمولد النبى من كل عام واجبٌ على المسلمين جميعاً ؛ لأن كل أُمَّة من الأمم تُكَرِّم عُظَمائها بالذِّكر والتمجيد ، ونحن لا نقولُ نُكَرِّم إننا تحت ظلال التكريم المحمدى نَشْرُفُ بالعطاء والتكريم ؛ لأن سيد الوجود مقامُهُ فى المُلك والملكوت عَطَّاءٌ للأنوار والأسرار بقول الحق سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (مُنيراً : يعنى عطَّاءً ، وسراجاً : يعنى عطاءً لحيوية أهل المعنى جميعاً) فنحن تحت ظلال هذا التكريم وهذا العطاء اجتمعنا بقلُوبنا وأرواحنا نرجو الله سبحانه أن يُظلل هذا الجمع فى هذه الليلة بظلال الرحمة والرضوان والعطاء والقُرب ، وأن لا يصرفنا من جمعنا هذا فى ليلتنا هذه إلا مغفوراً لنا وهو راضٍ عنَّا . ونحن مع السيرة النبوية من كل عام وقفنا

فى العام الماضى فى السيرة النبوية عند تنزُّل القرآن بالوحى على النبى ﷺ وهو يتعبد فى غار حراء . وساعة أن نقول تنزُّل القرآن هناك نزول وهناك تَنزُّل فالتنزُّل قائمٌ ودائمٌ لأن القرآن فيه عطاءٌ للترقىِّ لكل عبدٍ يعشقُهُ إلى يوم القيامة فالقرآن أفضل الكتب المُنزَّلة وأعلاها قدْراً .

أفضلية القرآن : ■

الكتب المُنزَّلة جعل الله العلم فيها على قدر ما أُوتِىَ النبى المرسل من مقام مع الحكمة الإلهية لئلا يجهل النبى ما أُوتِىَ به . فالكتب يتميزُ بعضها على بعضٍ فى الأفضلية بقدْرِ تميُّز المُرْسَلِ بها على غيره عند الله تعالى ؛ ولهذا كان القرآن أفضل كتب الله تعالى المُنزَّلة على أنبيائه لأن نبيُّنا محمداً ﷺ أفضل المرسلين ، ومن سُنَنِ الله التفضيل حتى فى كلامه فضَّل بعض الكلام على بعضٍ . فقد ورد فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ أنه قال : (سورة الفاتحة أفضلُ آىِ القرآن) ؛ لذلك جعلها الله منهاجاً للمناجاة للتجلِّى فى الصلاة فلا تصحُّ الصلاة بغيرها فإذا صحَّت الأفضلية فى القرآن بعضُه على بعضٍ فلا امتناع فى بقية الكتب من حيث الجملة والقرآن فيه رزقٌ وعطاءٌ لأهل كل زمانٍ إلى يوم القيامة بقوله سبحانه : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ وذكرُهُ فى الكتب السماوية السابقة بأنَّهُ فيه عطاءُ الختم للرسالات لأهل الدنيا إلى يوم القيامة . فقد روى عن وهب بن منبِّه قال : قرأتُ فى بعض الكتب القديمة . قال الله ﷻ فتحتُ الدنيا بإبراهيم ، ختمْتُها بمحمدٍ . (يعنى فتحتُ الدنيا بالكتب المنزَّلة من السماء إلى الأرض بالهداية بدأت بإبراهيم أى بصُحف إبراهيم) ، وختمتُها بمحمدٍ مثل كتابه الذى يجئُ به

فاعقلوه يا بنى إسرائيل (أى أن الحق سبحانه يخاطب الذين أُنزِلَ عليهم التوراة والكتب المُقطَّعة على الأنبياء من بنى إسرائيل (أى أن كل نبىٍّ ينزل عليه كتاباً بمدد التبيان للتوراة نصائح لقومه) كمثل السَّقاءِ المملوء لبناً يُمَخَّضُ فيُخرجُ زُبَداً) كمثل القربة المملوءة لبناً كلما ظننا أنها لم تخرج لنا زُبْدة نُمَخِّضها أى : نَرجُّها رجَّاً فتُخرج لنا الزبدة فلا نهاية لها فى العطاء كلما مخَّضنا) أى أن القرآن الكريم فيه عطاءٌ بالتَنَزُّلِ دائمٌ يعرُج بالعبد بالترقى فى كل زمانٍ بعطيةٍ بخصوصيةٍ يتجدد بها العطاء بالترقى إلى يوم القيامة لكل زمانٍ ولكل مكانٍ (يعنى إذا وقفتِ العقول فى زمانٍ عند حدٍّ فى وصف علم ومعرفةٍ فى عالمٍ عارفٍ وعجزت العقول من أن تُدركَ فَهْمَ وصف العطية فيه وقالوا إن هذا العارف قُطبُ زمانه فى العطايا علماً ومعرفةً ومقاماً وأنه حاز العطايا إلى يوم القيامة وبعد ذلك لا يكون هذا العطاء متكرِّراً لمن بعد زماننا . نقول إن لكل زمانٍ رزْقُهُ وحظُّهُ وعطيَّتُهُ من القرآن لأنه كلام الله الذى لا تنفدُ أسراره ولا ينتهى له حدٌّ إلى يوم القيامة ؛ ولذلك كان القول فيه من الله بالتنزل (أى تنزُّلُ القرآن على سيدنا رسول الله ﷺ كان تنزُّلٌ بشهادة الكمال للمُنزَّل وهو القرآن ، وشهادةٌ بالكمال للمُنزَّل عليه ، وشهادةٌ بالكمال لمن اتَّبع رسول الله بصدقٍ فى الطاعة والعمل بالقرآن على مُراد الله ومُراد رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة ؛ ولذلك ذكر الله أُمَّة محمد فى القرآن فزكَّاها بالاصطفاء بالقرآن بقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ أى الكتاب الكامل الذى كُملتْ به الشرائع وكُملتْ به الحقائق الإلهية ، وكُملتْ به

الخصوصية فى المقامات . ثم يقول الحق بعد ذلك بكتابه أختم الكتب ، وبشريعته أختم الشرائع . أى فإن علم القرآن يعرُج بالعبد الصادق إلى مقام التَّلَقِّى اللَّدنِّىِّ تحت ظلال التنزُّل بالأسرار والأنوار والمعرفة والعلم المكنون فى خزائن الله سبحانه ؛ لذلك وصف الحبيب النبى الكريم ﷺ جمال العلم عند أهل الكمال من أُمَّتِه بقوله ﷺ : (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمهُ إلا العلماء بالله تعالى فإذا نطقوا به لا يُنكرهُ إلا أهل الغِرَّةِ بالله) وهناك مقامات للكتب السماوية بالتجلِّى بالأسرار والعطايا .

مقام القرآن . من وصف مقامات الكتب السماوية : ▪

١ــ الزبور : ــ كتابٌ أنزله الله على نبيِّه داوود عليه السلام ، وهو فى الإشارة عبارة عن تجليات صفات الأفعال (أى أن العبد الذى يصدُق مع الله فى العبادة بالعمل بما جاء فى الزبور فى فترته وزمانه يرتقى به العطاء إلى مقام تجليات صفات الأفعال الملكوتية ، وهذا مُنتهى معراج العبد بالعلم والمعرفة تحت ظلال الزَّبُورِ بالعمل به) .

٢ــ التوراة : ــ أنزل الله التوراة على نبيِّه موسى عليه السلام والتوراة فى الإشارة عبارة عن تجليات جملة أسماء الصفات فقط (أى أن العبد الذى يصدُق مع الله فى العبادة بالعمل بما جاء فى التوراة فى الفترة والزمان لها يرتقى به العطاء إلى مقام تجليات أسماء الصفات ، وهذا يكون منتهى معراج العبد بالعلم والمعرفة تحت ظلال التوراة بالعمل) .

٣ــ الإنجيل : ــ أنزل الله الإنجيل على نبيِّه عيسى عليه السلام والإنجيل عبارة عن تجليات أسماء الذات فقط (أى أن العبد الذى يصدُق مع الله فى العبادة بالعمل بما جاء فى الإنجيل فى فترته وزمانه وقبل بعثة النبى ﷺ

يرتقى به العطاء إلى مقام تجليات أسماء الذات ، وهذا يكون منتهى معراج العبد بالعلم والمعرفة تحت ظلال الإنجيل بالعمل به) .

٤ــ الفرقان : ــ أنزله الله على حبيبه ونبيه محمداً ﷺ بقوله سبحانه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ والفرقان عبارة عن تجليات جملة الصفات والأسماء مُطلقاً . الذاتية والصِّفاتية .

مقام القرآن : ▪

القرآن عبارة عن الذات المحض (يعنى العبد الذى يعمل بالقرآن من أمة محمدٍ عاشقاً فيه المعانى والأسرار يرتقى بصدقه وحُبِّه وتفانيه بمعراجٍ يعرُج به القرآن إلى مقام معرفة الذات الجامع لكل مقامات الأفعال والأسماء والصفات ولا يزال فى ترقٍّ دائم وعطاءٍ مُتدفقٍ عليه بالتجلِّى من المَلِك الجليل فهذا هو مقام القرآن من مقامات الكتب السماوية وهناك وصف للقرآن العظيم مع ذكر أوصاف الكتب السماوية .

وصف جمال القرآن : ▪

القرآن الكريم كلام الله العظيم الجامع لعلوم الله وأسراره الأزلية والأبدية فهو المَجْلَى المُسمَّاة بالأحدية أنزله الحق تعالى على نبيِّه محمداً ﷺ ليكون مشهدهُ الأحدية من الأكوان (وهذا ما شوهد فى مقام النبى ﷺ عند أهل المُلك وأهل الملكوت . فلا يُذكر الله إلا ويُذكرُ رسول الله معه (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) وهذا هو مشهد الأحدية لسيد الخلق من الأكوان وهذا هو الكرم التام ؛ لأنه ما ادَّخر عن حبيبه ومصطفاهُ

شيئاً بل أفاض عليه الكل كرماً إلهياً ذاتياً . فالقرآن الكريم هو تنزُّلُ الحقائق الإلهية بعروج العبد إلى التحقق بها فى الذات شيئاً فشيئاً ، وقد أشار الحق سبحانه إلى بيان ذلك بقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ وهذا الحكم لا ينقطع ولا ينقضى بل لا يزال العبد فى ترقٍّ ولا يزال الحق فى تجلٍّ إذ لا سبيل إلى استيفاء ما لا يتناهى لأن الحق فى نفسه لا يتناهى ؛ لذلك كان قوله سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ إشارة إلى أن العبد إذا تجلَّى عليه الرحمن يجد فى نفسه لذَّةً رحمانيةً تُكسبُهُ تلك اللّذَّةِ معرفةُ الذَّات فيتحقق بحقائق الصفات فلا سبيل إلى الوصول إلى الذات بدون تجلى الرحمن ولذلك مدح الله عبادهُ الكُمَّلِ الأمجاد الذين هم موضعُ نظائر الله تعالى من عباده بقوله : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ فالقرآن عبارة عن الجملة الذاتية لا باعتبار النزول ولا باعتبار المكانة . بل مُطلق الأحدية الذاتية الجامعة لجميع المراتب والصفات مع جملة الكمالات ؛ ولذلك قُرِنَ بلفظ العظيم بقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ومن الحقائق الإلهية لمشهد العظمة فى القرآن قوله ﷺ (أُنزل القرآن دُفعةً واحدة إلى سماء الدنيا ثم أنزله الحق علىَّ آياتٍ مُقطَّعة بعد ذلك) فإنزال القرآن دُفعةً واحدة إلى سماء الدنيا إشارة إلى التحقيق الذاتى ، ونزول الآيات مُقَّطعة إشارة إلى ظهور آثار الأسماء والصفات مع ترقى العبد فى التحقيق بالذات شيئاً فشيئاً (يعنى إنزالهُ دُفعةً إشارة إلى الكمال وهذا يليق بمقام الكمال المطلق مقام سيد الوجود ﷺ فيعرُج به معراج الكمال بالكمال إلى

التحقيق بالتحقيق بحقيقة ذى الجلال والإكرام . ونزول الآيات مُقطَّعة لأن العبد الصالح التقىِّ من أمَّة محمدٍ يعرُجُ به القرآن إلى مقام الكمال بالمدد الرَّبانى بالترقى الدائم الذى يرفعه من أدنى مقامٍ إلى أعلى مقامٍ فكلما صفا العبد وطَهُرَ قلبُهُ وزُكَّتْ نفسُهُ ، وصفتْ رُوحُهُ مع الحق كانت التجليات ، وكان الترقى حتى يرتقى إلى مقام الكمال وهذا لم يسبق لأمَّةٍ من الأمم السابقة ؛ ولذلك كان هناك فارقٌ فى العطاء كبيرٌ بين أمَّة محمدٍ والأمم السابقة بميراث الكمال للأنبياء والمرسلين . فقد أنزل الله التوراة على نبيِّه موسى عليه السلام فى تسعة ألواحٍ وأمرهُ أن يُبلِّغَ قومَهُ سبعةً منها ويترك لوحين لأن العقول لا تكاد تقبل ما فى ذلك اللوحين فهُما مخصوصان لنبى الله موسى عليه السلام دون غيره من اهل ذلك الزمان ولهذا لم يكمُل أحدٌ من قوم موسى لأنه لم يُؤمر بإبراز التسعة ألواح ولم يرثه أحدٌ من قومه بكمال المقام والعطاء أما نبيُّنا محمداً ﷺ ما ترك شيئاً إلا وبلَّغَهُ إلينا قال تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ ، ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ لهذا كانت ملَّتُهُ خيرُ الملل ونسخ بدينه جميع الأديان لأنه يأتى بجميع ما أتَوا به وزاد عليهم ما لم يأتوا به فنُسخت أديانهم لنقصها وشهُرَ دينُه بكماله بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ أى نُسخت أديانهم لنقص العطاء فيها من التشريع ؛ لأن الكتب تتنزَّل على الأنبياء والمرسلين من أول أبينا آدم عليه السلام بالتشريعات فكُل نبىٍّ يأخذ قبَساً من العطاء لقومه على قدْر استعدادهم ومقامهم وأحوالهم شيئاً فشيئاً حتى

يكمل الدين ويُتِمُّ الله نعمتَهُ على يد خاتم النبيين ﷺ ؛ لذلك كان نبيُّنا خاتم النبيين ؛ لأنه جاء بالكمال ولم يجيئ أحدٌ بذلك فانقطع حُكمُ نبُوةِ التشريع بعدهُ ؛ لأنه لم يدع حِكمَةً ولا هُدىً ولا علماً ولا سِراً إلا وقد نبَّه عليه وأشار إليه على قدر ما يليق بالنبيين لذلك السر إما تلويحاً وإما تصريحاً ، وإما إشارةً ، وإما كِنايَةً ، وإما استعارةً ، وإما مُحكماً ، وإما مُفسَّراً ، وإما مُؤوَّلاً ، وإما مُتشابهاً إلى غير ذلك من أنواع كمال البيان فلم يُبْقِ لغيره مدخلاً فاستقل بالأمر وختم النبوة . (ومعنى انقطع حُكم نبوة التشريع بعده بقوله سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (يبقى انقطع حُكم نُبوةِ التشريع لأن فيه نبوة مقام ونبوة تشريع فنبوة التشريع تتعلق بنزول الوحى بكتابٍ من السماء فيه حُكمٌ وتشريعٌ وأحكامُ أما نبوة المقام بالميراث والاصطفاء قائمُ فى أمَّةِ محمدٍّ إلى يوم القيامة بقوله ﷺ : (علماءُ أمَّتى كأنبياء بنى إسرائيل) فالعالمُ العاملُ فى أمَّةِ محمدٍ الصادق له ميراثٌ بعطاء الكمال من مقام الحال لسيدنا رسول الله ﷺ من الحقائق التى هى من مقام النبوة بالكرامة فهذا قبسٌ من وصف جمال القرآن ثم ننتقل إلى وصف الكتب السماوية من حيث جُملة العطاء لا من حيثُ التفضيل .

وصف التوراة : ▪

التوراة كما ذكرنا عبارة عن تجليات جُملة أسماء الصفات . فقد أنزل الله التوراة على نبيِّه موسى عليه السلام فى تسعة ألواح وأمرهُ أن يُبلِّغ قومهُ

سبعة منها ، ويترك لوحين ؛ لأن العقول لا تكاد تقبل ما فى ذلك اللوحين فهما مخصوصان لنبىِّ الله موسى عليه السلام دون غيره من أهل ذلك الزمان . فأما **اللوح الأول من السبعة : ـ لوح النور** وفيه وصف الحق بالواحدية والإفراد على سبيل التنزيه المطلق وذِكْرُ رُبوبية الحق والقدرة ، وما هو للحق بطريق التعالى والتنزيه .

اللوح الثانى : ـ لوح الهُدى فيه الإخبارات الإلهية كعلم الذوق الإلهامى فى قلوب المؤمنين ونور الجذب الإلهى وعلم الملكوت وهو عالم الأرواح ، وعلم الجبروت ، وعلم البرزخ ، ذكر الساعة .

اللوح الثالث : ـ لوح الحكمة وهذا اللوح فيه علم الحكمة . أكثرهُ رموزٌ وأمثالٌ وإشاراتُ ، وهذا علم المذاق للخواص ، وكان من أتقن علم هذا اللوح صار راهباً .

اللوح الرابع : ـ لوح القُوى فيه علم التنزيلات الحكيمة فى القُوى البشرية والأمور الذوقية للخواص بالكرامات . وكان من أتقن علم هذا اللوح صار حبراً . أى من الأحبار فى الأمة .

اللوح الخامس : ـ لوح الحكْم فيه علم التشريع من أمور ونواهى فرضها الله على بنى إسرائيل .

اللوح السادس : ـ لوح العبودية فيه علم أسرار التوحيد والتسليم ، والتوكل ، والتفويض والرِّضا ، ومعرفة الأحكام اللازمة للعبد من الذِّلة والافتقار ، والخوف ، والخضوع .

اللوح السابع : ـ وهو اللوح الذى يذكر فيه الطريق إلى الله تعالى . مُبيِّناً فيه طريق السعادة من الشقاوة . ومن هذا اللوح ابتدع قوم موسى

ما ابتدعوه فى دينهم رغبةً ورهبانيةً ابتدعوها ، واستخرجوا ذلك بأفكارهم وعقولهم فما رعوها حق رعايتها فلو استخرجوا ذلك بطريق الأخبار الإلهية ، والكشف الإلهى لكان الله يُقدِّر لهم ذلك .

أما اللوحان المخصوصان بنبى الله موسى عليه السلام : ـ

فاللوح الأول : ـ لوح الربوبية . ، اللوح الثانى : ـ لوح القُدرة .

ولهذا لم يكمُل أحدٌ من قوم موسى ؛ لأنه لم يُؤمر بإبراز التسعة ألواح ولم يرثهُ أحدٌ من قومه .

وصف الزبور : ـ

الزبور كما ذكرنا عبارة عن تجليات صفات الأفعال ، والزبور لفظةٌ سِريانية هى بمعنى الكتاب ، وأنزل الله الزبور على نبيِّه داود عليه السلام آياتٍ مُفصلات ولكنه لم يُخرجه لقومه إلا جُملةً واحدة بعد أن أكمل الله تعالى نزوله عليه ، والزبور كتاب أكثرهُ مواعظ وباقيه ثناءٌ على الله بما هو له فيه ، وما فيه من الشرائع إلا آيات مخصوصة وقد تحتوى تلك المواعظ ، وذلك الثناء على علوم جمَّةٍ إلهية حقيقية ، وعلم الوجود المطلق ، وعلم تجلى الحق تعالى فى الخلق ، وعلم التسخير والتدبير ، وعلم مقتضيات حقائق الوجود ، وعلم الطبيعيات ، وعلم الرياضيات ، وعلم المنطق ، وعلم الخلافة ، وعلم الحكمة ، وكان داود عليه السلام ألطف الناس محاورة ، وأحسنهم شمائل ، وكان إذا تلا الزبور وقفت الحيوانات حوله من الوحوش والطيور ، وكان نحيف البدن قصير القامة ذا قُوَّةٍ شديدة كثير الإطلاع على العلوم المستعملة فى زمانه .

وصف الإنجيل : ـ

الإنجيل كما ذكرنا عبارة عن تجليات أسماء الذات وأنـزل الله الإنجيـل على نبيِّه عيسى عليه السلام باللغة السريانية وقُرئ على سبع عشرِ لُغة ومن التجليات المذكورة فى الإنجيل تجلى الحق ﷻ فى الواحدية التى ظهـر بها على قوم عيسى فى عيسى وفى مريم وفى رُوح القُـدُسِ فـشهدوا الحق فى كل مظهر من هذه المظاهر وَهْمٌ ولو كانوا مُحقين من حيـث هذا التجلى فقد أخطئوا فيه وضلُّوا . أما خطؤهم فكونهم ذهبوا فيه إلى حصر ذلك فى عيسى ، ومريم ، ورُوحُ القُدُسِ . وأما ضلالهم فكـونهم قالوا بالتجسيم المطلق والتشبيه المُقَيَّد فى هذه الواحدية ، وليس مـن حُكمِها ما قالوه على التقييد فهذا هو محلُّ خطئهِمْ وضلالتِهِمْ . وليس فى الإنجيل إلا ما يقوم به الناموس اللاهوتى فى الوجود الناسُوتى ، وهـو مُقتضى ظهور الحق فى الخلق . وما قام بما فى الإنجيل إلا المحمديون (أى أمَّةُ محمد) ؛ لأن الإنجيل بكماله فيه آيةٍ من آياتِ القرآن وهـو قوله : ــ ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ وليست رُوحُهُ غيرُهُ فهذا إخبارٌ من الله بظهوره فى آدم عليه السلام .

وصف الفرقان : ـ

الفرقان كما ذكرنا عبارة عن تجليات جُملة الصفات والأسماء مُطلقـاً . الذاتية والصفاتية فهو حقيقة الأسماء والصفات على إختلاف تنوعاتهـا فقد تتميز كل صفة واسم عن غيرها فيحصُل الفرق فى نفس الحق مـن حيث أسماؤه الحسنى وصفاته فإن اسمه الرحمن غير اسمه الـشديد ، واسمه المنعم غير اسمه المُنتقِم ، وصفة الرِّضا غير صفة الغـضب ، وقد أشار إليه فى الحديث النبوى عن الله تعالى أنه يقـول : (سـبقت

رحمتى غضبى) . لأن السابق أفضل من المسبوق ، وكذلك فى الأسماء المرتَّبةِ فالمرتَّبة الرحمانية أعلى من المرتَّبة الرَّبِّيَّةِ ، ومرتبة الألوهيـة أعلى من الجمع فتميزت الأسماء بعضُها عن بعضٍ فحصُل الفرق فيهـا فهذا هو الفرقان . فاسمه الله أفضل من اسمه الرحمن ، واسمه الرحمن أفضلُ من اسمه الرَّبِّ ، واسمه الرَّبُّ أفضل من اسمه الملـك ، وكـذلك بواقى الأسماء والصفات فإن الأفضلية ثابتة فى أعيانها لا باعتبـار أن فى شئ منها نقصاً ولا مفضولية . بل لِمَا اقتـضته أعيـانُ الأسـماء والصفات فى أفضليتها ؛ ولهذا حكمت بعضها على بعض . فقيل أعـوذ بمُعافاتك من عقوبتك ، وأعوذُ برضاك من سخطِكَ ، وأعوذُ بك منك ، لا أُحصى ثناءً أنت كما أثنيت على نفسك فهذا هـو الفرقـان فـى نفـس الذات . فأعاذت المُعافاةُ من العقوبة . فكان العفو أفضل من العقوبـة ، ولهذا أعاذهُ منه ، وأعاذ الرضا من السَّخط . فصفة الرضا أفضلُ مـن صفة الغضب ، وأعاذهُ بذاته من ذاته فكما أن الفرق حاصلٌ فى الأفعـال فكذلك فى الصفات . وكذلك فى نفس واحديَّة الذات التى لا فـرق فيهـا وهذه أسرارٌ يتجلَّى بها المولى ﷻ على عباده العارفين ، وهذا معنى ما قاله النبى ﷺ لحارثة عرفت فالزم . فالفرقان خصوصية بأسرارِ الـذات اختص بها سيدنا رسول الله ﷺ وأتقياءُ أمَّته بقـول الحـق سـبحانه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ ثـم ننتقل إلى مشهدٍ عظيم من مشاهد مُعجزات القرآن الكريم فـإن هنـاك معجزات حسِّيَّة ، ومعجزات معنوية ، ومعجزات سـرِّية ، ومعجـزات

غيبية ، وهذه أسرارٌ إذا تجلى الله بها على عبدٍ كُشفت له الحقائق وأصبح الغَيُوبُ له شهادة بمددٍ من عالم الغيب والشهادة فإن عطاء القرآن لقارئه وسامعه على كل حرفٍ حسنة والحسنة بعشر أمثالها بل النظر فى سطوره وكلماته وحروفه عبادة فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ فالقرآن كتابٌ للذِّكر ، وكتابٌ للعلم ، وكتابٌ للعبادة ، وكتابٌ للهُدى ، وكتابٌ للشفاء من جميع العلل ، وموعظةٌ ورحمةٌ للدنيا والآخرة فيه الفوزُ والنجاة .

معجزة القرآن (الحسِّيَّة) : ■

فى سورة المُدثر فى الآية رقم (٣٠) قول الحق سبحانه : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ وهذا الرقم عدد خزنة جهنم فى الآية (٢٥) ذكر الله قول السفيه (الوليد بن المغيرة) حين سئل عن القرآن فقال : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ فالحق ﷻ أراد أن يُبيِّن له البرهان الساطع فتوعَّدهُ بقوله : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴾ ثم يبيِّن الحق سبحانه فى الآية (٣١) من سورة المُدَّثِّر أسباب ذكر الرقم ١٩ فى القرآن ، وهو عدد خزنة النار . خمسة أبواب : ــ

١ــ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ (أى الرقم ١٩) إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (أى إزعاجاً لهم) .

٢ــ ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ (أى ليتيقَّنَ الذين آمنوا والذين

آوتوا الكتاب أن القرآن من عند الله .

٣ــ ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ (أى يزداد المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله إيماناً فإن اليهود كانوا قد سألوا صحابة النبى عن عدد خزنة النار فقالوا نسأل رسول الله فى ذلك فنزل قوله سبحانه : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ .

٤ــ ﴿ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (أى نُزيل من قلوبهم الرَّيب والشك .

٥ــ ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ . ثم يبيِّن الحق سبحانه فى نفس الآية (٣١) أن هذه المعجزة القرآنية المُبيَّنة على الرقم (١٩) ذكرى للبشر بقوله سبحانه : ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ و ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ الآية (٣٥) . وقد تبيَّن أن هذا الرقم الحسابى المذكور ١٩ والوارد فى سورة المُدَّثِّر معجزة القرآن الحسِّية ، وسره خفيٌّ لا يُدْرَكُ فإنه يتحدث عن عدد خزنة النار فى جهنم ، ويدور هذا الرقم مداراً سرِّيًا خفياً بالتعامل مع سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه بنظام حسابى دقيق بصُنع الخالق الأعظم الذى لا يقدرُ على وصفه البشر . (إذن القرآن الكريم فيه النجاة من النار وعذابها المجموع على ذكر خزنتها بهذا العدد فلكلِّ حرفٍ من القرآن سرٌّ بالعطاء للنجاة ما دام يتعامل مع الرقم ١٩ والذى يُشير إلى عدد خزنة العذاب لكل من اهتدى بالقرآن وعمل به تحت ظل طاعة الله ورسوله . ومن ظواهر هذه البشارات أن : ــ

١ــ بسم الله الرحمن الرحيم . تتركب من ١٩ حرفاً .

٢ــ القرآن الكريم : يتركب من ١١٤ سورة وهذا العدد يساوى (١٩×٦).

٣ــ أول ما نزل من القرآن (سورة العلق) هى السورة رقم ١٩ من آخر القرآن .

٤ــ أول ما نزل من القرآن (سورة العلق) : تتركب من ١٩ آية .

٥ــ عدد الحروف التى تتركب منهم (سورة العلق) ٢٨٥ حرف أى (١٩× ١٥) .

٦ــ عندما نزل أمين الوحى جبريل عليه السلام بالقرآن لأول مرة على سيدنا رسول الله ﷺ فى غار حراء نزل معه ١٩ كلمة هى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ (١٩ كلمة) .

٧ــ هذه الكلمات النورانية الـ١٩ أول ما نزل من القرآن الكريم تتركب من (٧٦) حرفاً وهذا العدد (٧٦) يساوى عدد حروف البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) مضروباً فى عدد كلماتها (٤) (١٩×٤) = ٧٦

٨ــ عندما نزل أمين الوحى جبريل عليه السلام بالوحى للمرة الثانية نزل معه الآيات الأولى من سورة القلم حتى قوله تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (٣٨ كلمة) (١٩×٢) (أى ضعف المرة الأولى) .

٩ــ عندما نزل جبريل للمرة الثالثة نزل معه الآيات الأولى من سورة المزمل حتى قوله تعالى : ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (أى ٥٧

كلمة) = (١٩× ٣) (أى ثلاثة أضعاف المرة الأولى وهذا ترتيب تصاعدى بالزيادة مع مضاعفات الرقم ١٩ فى عدد الكلمات .

١٠ــ عندما نزل جبريل بالوحى للمرة الرابعة نزل معه الآيات الأولى من سورة المُدَّثر حتى الرقم ١٩ نفسه حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ .

١١ــ عندما نزل أمين الوحى جبريل عليه السلام بالوحى للمرة الخامسة نزل معه سورة الفاتحة التى تبدأ بالتسعة عشر حرفاً (بسم الله الرحمن الرحيم) وكانت الفاتحة هى أول سورة كاملة ينزل بها الوحى الأمين عليه السلام وهكذا فإن الرقم ١٩ المذكور فى القرآن الكريم فى سورة المُدَّثر نزلت بعده مباشرةً (بسم الله الرحمن الرحيم) (الـ١٩حرف) مما يُثبت العلاقة الوثيقة بين البسملة والرقم ١٩ المذكور قبلها بعدد خزنة جهنم . فإن ذِكرُ الرحمة بعده أعظم دليل وأوضح برهان ساطع أن أسرار النجاة من النار (بسم الله الرحمن الرحيم) وأسرار الترقى فى القُرب فى جنة الرضوان فى العمل بالقرآن ، وإثبات بأن القرآن بهذا النظام الدقيق فى حساباته الترتيبية لا يُمكنُ أن يكون من قول البشر .

١٢ــ كل كلمة من كلمات البسملة تتكرر فى القرآن الكريم مُضاعفات الرقم (١٩) :

- كلمة (اسم) تتكرر فى القرآن كله بالضبط (١٩مرة) .
- كلمة (الله) تتكرر فى القرآن (٢٦٩٨ مرة) وهذا العدد = ١٩× ١٤٢

- كلمة (الرحمن) تتكرر فى القرآن (٥٧ مرة) وهذا العدد = ١٩ × ٣
- كلمة (الرحيم) تتكرر فى القرآن (١١٤ مرة) وهذا العدد = ١٩ × ٦ وهذا العدد يساوى عدد سور القرآن) .

١٣ــ القرآن الكريم عدد سوره ١١٤ سورة ، وكل سورة تُفتتح بالبسملة ما عدا سورة التوبة لا تفتتح بالبسملة وهذا يعنى أن القرآن يحتوى على ١١٣ بسملة ولمَّا كان العدد ليس من مُضاعفات الرقم ١٩ ، ولمَّا كان هذا النظام الحسابى الإعجازى لابد وأن يكون نظاماً مُحكماً فقد تم تعويض البسملة الناقصة من العدد فى سورة النمل (يبقى ساعة أن نقف عند التوبة ولا نجد البسملة نقول نبدأ نبحث عنها . نقول الذى فات من أول سورة البقرة فيه البسملة لكى نعثر على البسملة الغائبة من سورة التوبة نبدأ نبحث عنها بترقيم سور القرآن ابتداءً من سورة التوبة رقم (١) ثم سورة يونس رقم (٢) وهكذا حتى نصل إلى الرقم (١٩) فى العدد نجد سورة النمل التى تحتوى على بسملتين البسملة الافتتاحية والبسملة فى الآية رقم (٣٠) وبالملاحظة والتدقيق نتحقق بأن عدد الكلمات القرآنية بين البسملتين فى سورة النمل (٣٤٢) كلمة ، وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى (١٩ × ١٨) .

معجزة الحروف القرآنية (فواتح السور) : ▪

يتميز القرآن الكريم بوجود الحروف القرآنية فواتح السور مثل (ألم ، طسم ، حم ، كهيعص ، الخ) وهذه خصوصية يختص بها القرآن الكريم ، وهذه الحروف لها حظّها من الغيب والسر الأعظم يعجزُ أمام معرفة

أسرارها أهل الفصاحة من العرب أصحاب اللغة العربية ، ولا يُدركُ كُنْه أسرارها إلا عباد الله المقربين من أهل المقام العارفين بإلهامات ربانية تحت ظلال العطاء والميراث النبوى المحمدى ، وقد اتضح أن هذه الحروف القرآنية فواتح السور ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام الحسابى القرآنى المعجز بل إنها تشتمل على الجزء الأعظم من هذه المعجزة القرآنية فإذا علمنا أن هناك (٢٩) سورة تُفتتح بهذه الحروف وأن عدد الحروف التى تدخل فى تركيب الفواتح (١٤حرف) وأن عدد الفواتح أيضاً (١٤ فاتحة) فإذا جمعنا عدد السور + عدد الحروف + عدد الفواتح أى ٢٩ + ١٤ + ١٤ نجد أن المجموع (٥٧) وهذا العدد من مضاعفات الرقم ١٩ = ١٩ × ٣ .

[سورة الشورى و(ق)] : ▪

سورة (ق) افتتحها الحق سبحانه بالحرف (ق) وسورة الشورى افتتحها الحق سبحانه بالحرف (ق) بقوله : ﴿ حم * عسق ﴾ فإذا عددنا الحرف (ق) فى سورة (ق) نجد أنها تحتوى على (٥٧) حرف (ق) وهذا العدد يساوى = (١٩ × ٣) وإذا عددنا الحرف (ق) فى سورة الشورى نجد أنها تحتوى على نفس عدد الحروف (ق ــ ٥٧) أى (١٩ × ٣) علماً بأن سورة الشورى أطول بكثير عن سورة (ق) (سورة ق) تحتوى على (٥٧ حرف ق) وسورة الشورى تحتوى على (٥٧ حرف ق) فإذا جمعنا (٥٧ + ٥٧) نجد المجموع (١١٤) يساوى عدد سور القرآن الكريم . (سورة ق) تبدأ

بقوله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ فإذا كان الحرف (ق) يرمز للقرآن (إذن العدد ١١٤ حرف (ق) فى سورة الشورى ، وق إشارة إلى أن الـ١١٤ سورة هى القرآن كل القرآن بكماله لا نقص فى سورة ولا فى آياته ، ولا فى كلماته ، ولا فى حروفه) ، ونشاهد جمال العظمة القرآنية فى السورتين (الشورى ، وق) السورتين الوحيدتين فى القرآن اللتان تُفتتحان بالحرف (ق ٩ تحتويان على العدد (٥٧ ، ٥٧) حرف (ق) فكأن الحق سبحانه يُعطينا إشارة على أن عدد الحروف القرآنية قائمٌ على حسابٍ دقيقٍ وترتيبٍ إلهى بنظامٍ تحقيقىٍّ رفيعٍ رقيقٍ لا يعلمُ سرَّهُ إلا الله ﷻ .

ومن الإعجاز المحكم الدقيق أن الآية فى سورة (ق) قوله سبحانه : ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ يُلاحظُ هنا أن الناس الذين كذَّبوا لوطاً عليه السلام يُذكرون إخوانُ لوط فى حين أنهم يُذكرون دائماً قومُ لوط فى القرآن (١٢) مرة فى كل مرة قوم لوط ما عدا سورة (ق) فإنهم يُذكرون إخوان ، ويتضح لنا فى هذا الإحكام الإلهى فى اختيار الله لكلمة إخوان فى سورة (ق) بدلاً من كلمة قوم حتى لا يزيد عدد حروف (ق) فيكون العدد (٥٨) حرفاً بدلاً من (٥٧) فإن الرقم (٥٨) ليس من مُضاعفات الرقم (١٩) وأيضاً لا يزيد مجموع الحرف (ق) فى السورتين (سورة الشورى ، وق) فيكون العدد (٥٨) ، (٥٧) فيصبح العدد (١١٥) وهذا لا يساوى عدد سور القرآن الكريم . وهذا أعظم ما نُشاهده من إعجازٍ فى كلام الله أنه قائمٌ على حساباتٍ إلهيةٍ دقيقة بعلمٍ من الخالق الأعظم لا يُدرك كُنْهَ سرِّهِ المخلوق .

(سورة القلم) ن : ■

سورة القلم هى السورة الوحيدة فى القرآن التى تُفتتح بالحرف(ن) إذا عددنا الحرف (ن) فى هذه السورة نجد أنها تحتوى على عدد (١٣٣) حرف (ن) وهذا العدد يساوى (١٩ × ٧) وهذا برهانٌ جلىٌّ ساطعٌ بأن حروف الافتتاح للسور من أسرارها أن يقابلها عدد الحروف المثلية لها من السورة من مضاعفات الرقم (١٩) .

(سورة الأعراف ، وسورة مريم ، سورة (ص) : ■

هذه السور الثلاثة تُفتتح بالحرف (ص) إذا عددنا الحرف (ص) فى السور الثلاثة سورة الأعراف ﴿ المص ﴾ وسورة مريم ﴿ كهيعص ﴾ ، وسورة ﴿ ص ﴾ نجد أن مجوع الحرف (ص) فى السور الثلاثة (١٥٢) حرف (ص) وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى (١٩ × ٨) .

سورة طه : ■

تبدأ بالخطاب ﴿ طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ إذا عددنا الحرف (ط) والحرف (هـ) فى سورة طه نجد أن مجموع الحرفين (٣٤٢) وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى (١٩ × ١٨) وأيضاً يساوى عدد الكلمات فى سورة النمل ما بين البسملتين . (تبقى هذه علاقة أسرار بين سر اسم طه وبين سر البسملة فى سورة النمل المكنون بين البسملتين . اللهم صل على سيدنا رسول الله .

(سورة يس) : ■

سورة يس افتتحها الحق سبحانه بالحرفين الياء والسين إذا عددنا الحرفين الياء والسين فى سورة يس نجد أن عدد الحرفين (٢٨٥) حرف ى ، س = (١٩ × ١٥) يساوى عدد حروف سورة العلق (٢٨٥) حرفاً . (إذن فيه علاقة بين ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ ، وبين ﴿ اقرأ ﴾ فى أول نزول الوحى فالمعنى اقرأ يا محمد وهذا خطابٌ من الله لرسوله وفى سورة يس نفس الخطاب ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فالضمير هنا فى الخطاب إنك عائدٌ على المبتدأ والاسم يس . إذن يس هنا اسم من أسماء سيدنا رسول الله ﷺ العظمى التى يُذكرُ بها عند ربه .

(السور السبعة التى تُفتتح بقوله سبحانه حم) : ▪

السور السبعة التى تُفتتح بقوله سبحانه ﴿ حم ﴾ سورة غافر ، وسورة فُصلت ، وسورة الشورى ، وسورة الزخرف ، وسورة الدُّخان ، وسورة الجاثية ، وسورة الأحقاف . وتسمى هذه السور السبعة بالحواميم . إذا عددنا الحرف (ح) والحرف (م) فى هذه السور السبعة نجد المجموع للحرفين (ح) ، (م) (٨٩٨٧) وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى = (١٩ × ٤٧٣) .

(السور الثمانية التى تُفتتح بقوله سبحانه ﴿ ألم ﴾ : ▪

وهى سور البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة الأعراف ، وسورة الرعد ، وسورة العنكبوت ، وسورة الروم ، وسورة لقمان ، وسورة السجدة . هذه السور الثمانية افتتحها الحق سبحانه بقوله : ﴿ ألم ﴾ إذا

عددنا الحرف (أ) والحرف (ل) والحرف (م) فى هذه السور الثمانية نجد أن مجموع الحروف الثلاثة (٢٦٦٧٦) ويساوى = (١٩ × ١٤٠٤) ويتبين لنا أن الرقم (١٩) سرَّهُ مع حروف الفواتح بالربط والعلاقة مع حروف السورة نفسها . مصداقاً لحديث سيدنا رسول الله ﷺ (لقارئ القرآن على كل حرفٍ يقرأه حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، ولا أقول ألم حرف ولكن (ألفٌ حرف ، ولامٌ حرف ، وميمٌ حرف) وهذا الإعجاز الحسابى الذى أظهر سرَّه الرقم (١٩) وضح جمال هذا الحديث النبوى الشريف بأن كل حرفٍ قائمٌ بذاته بأسرار له خاصة فى العدد وفى العطاء .

(السور الخمسة التى تُفتتح بقوله سبحانه : ﴿ الر ﴾ : ــ

السور الخمسة التى افتتحها الحق سبحانه : ﴿ الر ﴾ وهى سورة يونس ، وسورة هود ، وسورة يوسف ، وسورة إبراهيم ، وسورة الحِجْر . إذا عددنا الحرف (أ ، ل ، ر) فى هذه السور الخمسة مضافاً إلى عددهم عدد الحرف (ر) من سورة الرعد لأن سورة الرعد تُفتتح بقوله سبحانه : ﴿ المر ﴾ فالحروف الثلاثة (أ ، ل ، م) من سورة الرعد دخلوا فى الحساب فى عدد (أ ، ل ، م) من السور الثمانية التى تُفتتح بقوله سبحانه : ﴿ ألم ﴾ وبقى الحرف (ر) لم يدخل فى الحساب فنضيفه إلى عدد الحرف (ر) مع السور الخمسة التى تُفتتح بقوله سبحانه : ﴿ الر ﴾ نجد أن المجموع للحروف (أ ، ل ، ر) (٩٧٠٩) وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى = (١٩ × ٥١١) .

السور الستة التى تُفتتح بالحرف (ط) ، (س) : ـ

السور الأربعة التى تُفتتح بالحرف (ط) سورة طه ، وسورة الشعراء ، وسورة النمل ، وسورة القصص . وكذلك السور التى تُفتتح بالحرف (س) سورة الشعراء ، وسورة النمل ، وسورة القصص ، وسورة يس ، وسورة الشورى . إذا عدنا الحرفين (ط ، س) فى هذه السور نجد أن مجموع الحرفين (٤٩٤) وهذا العدد يساوى = (١٩ × ٢٦) .

سورة الرعد افتتحها الحق سبحانه بقوله : ﴿ المر ﴾ : ـ

أى أن سورة الرعد تُفتتح بأربعة أحرف (أ ، ل ، م ، ر) فإذا عددنا الحروف الأربعة فى سورة الرعد (أ ، ل ، م ، ر) نجد أن مجموع الحروف الأربعة (١٥٠١) وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى = (١٩ × ٧٩) .

سورة الأعراف افتتحها الحق سبحانه بقوله : ﴿ ألمص ﴾ : ـ

أى أن سورة الأعراف تُفتتح بأربعة أحرف (أ ، ل ، م ، ص) إذا عددنا الحروف الأربعة فى سورة الأعراف نجد أن مجموع الحروف الأربعة (٥٣٥٨) وهذا العدد يساوى = (١٩ × ٢٨٢) .

سورة مريم افتتحها الحق سبحانه بقوله : ﴿ كهيعص ﴾ : ـ

أى أن سورة مريم تُفتتح بخمسة أحرف (ك ، هـ ، ي ، ع ، ص) وإذا عددنا الحروف الخمسة فى سورة مريم نجد أن مجموع الحروف الخمسة (٧٩٨) = (١٩ × ٤٢) .

سورة الشورى افتتحها الحق سبحانه بقوله : ﴿ حم * عسق ﴾ :

أى أن سورة الشورى تفتتح بخمسة أحرف (ح ، م ، ع ، س ، ق) إذا عددنا الحروف الخمسة فى سورة الشورى نجد أن مجموع الحروف الخمسة (٥٧٠) وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى = (١٩ × ٣٠) .

السور الـ١٣ التى تفتتح بقوله سبحانه : ﴿ ألم ، الر ﴾ : ـ

وهى سور البقرة ، سورة آل عمران ، سورة الأعراف ، سورة يونس ، سورة هود ، سورة يوسف ، سورة الرعد ، سورة إبراهيم ، سورة الحِجْر ، سورة العنكبوت ، سورة الروم ، سورة لقمان ، سورة السجدة إذا عددنا الحرف (أ) فى هذه السور الـ١٣ التى تُفتتح بهذا الحرف نجد أن مجموع الحرف (أ) (١٧٤٩٩) حرف (أ) وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى = (١٩ × ٩٢١) ، وإذا عددنا الحرف (ل) فى هذه السور الـ١٣ نجد أن مجموع الحرف (ل) (١١٧٨٠) وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى = (١٩ × ٦٢٠) .

الحرف (م) : ـ إذا عددنا الحرف م فى السور الـ١٧ التى تُفتتح بالحرف (م) وهى السور الثمانية التى تُفتتح بقوله سبحانه ألم ، وسور الميم بجمعها وهى سور البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة الأعراف ، وسورة الرعد ، وسورة الشعراء ، وسورة القصص ، وسورة العنكبوت ، وسورة الروم ، وسورة لقمان ، وسورة السجدة ، وسورة غافر ، وسورة فصلت ، وسورة الشورى ، وسورة الزخرف ، وسورة الدُّخان ، وسورة الجاثية ، وسورة الأحقاف (هذه الـ١٧ سورة) إذا عددنا

الحرف (م) فى هذه السور (الـ١٧) نجد أن المجموع (٨٦٨٣) وهذا العدد من مضاعفات الرقم (١٩) ويساوى = (١٩ × ٤٥٧) . فهذه أسرارٌ فى القرآن خفيَّةٌ سرِّيةٌ غيبيَّةٌ دقيقةٌ ، ولكنها حسِّيَّة لها ظاهرها فى السطور ولا نقول غيبية على الجميع فكل من فتح الله عليه وفتح بصيرته بنور القرآن منحه الله سراً من أسرار القرآن يرى به ويُبصرُ به جمال القرآن .

مدح الله القرآن بالكرامة : ■

فقد مدح الله القرآن بالقرآن فهو كلامه سبحانه وقد مدح كلامه بكلامه وتوَّجَهُ بالتنزيه فى كل موضعٍ نزهه بخصوصية بالعطايا والتعظيم . فى (سورة البقرة) قوله سبحانه : ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ **(أى أن الله سبحانه نزَّه القرآن من الرَّيب والشك ، وأثبت جمال العطاء فيه أنه هدى يهتدى بنوره أهل التقوى والفوز والنجاح ، وهو وسيلة القُرب للمتقين ، وفى (سورة آل عمران) قوله سبحانه :** ﴿ الم * اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ **، وفى سورة النساء قوله سبحانه :** ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ **فالبرهان سيد المرسلين ﷺ والنور المبين هو القرآن ، وفى (سورة المائدة) قوله سبحانه** ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ *

يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ **، وفى (سورة الأنعام) قوله سبحانه** ﴿ وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ **، وفى (سورة الأعراف) قوله سبحانه** ﴿ المص * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **، وفى (سورة يونس) قوله سبحانه** ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ **، وفى (سورة هود) قوله سبحانه** ﴿ الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ **، وفى (سورة يوسف) قوله سبحانه** ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ **، وفى (سورة الرعد) قوله سبحانه** ﴿ المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ **، وفى (سورة إبراهيم) قوله سبحانه** ﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ **، وفى (سورة الحجر) قوله سبحانه** ﴿ الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴾ **، وفى (سورة الإسراء) قوله سبحانه** ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ **وقوله سبحانه** ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **وقوله سبحانه** ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ ، **وفى (سورة الكهف) قوله سبحانه** ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ ، **وفى (سورة الكهف أيضاً) قوله سبحانه** ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ، **وفى (سورة طه) قوله سبحانه** ﴿ طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴾ ، **وفى (سورة الحج) قوله سبحانه** ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾ ، **وفى (سورة النور) قوله سبحانه** ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ **وقوله سبحانه** ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ، **وفى (سورة الفرقان) قوله سبحانه** ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ، **وفى (سورة الشعراء) قوله سبحانه** ﴿ طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ، **وفى (سورة النمل) قوله سبحانه** ﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، **وفى (سورة القصص) قوله سبحانه** ﴿ طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ، **وفى (سورة العنكبوت) قوله سبحانه** ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ **وقوله سبحانه** ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً

وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، **وفى (سورة الروم) قوله سبحانه** ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ، **وفى (سورة لقمان) قوله سبحانه** ﴿ الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، **وفى (سورة السجدة) قوله سبحانه** ﴿ الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، **وفى (سورة يس) قوله سبحانه** ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ، **وفى (سورة ص) قوله سبحانه** ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ، **وفى (سورة الزمر) قوله سبحانه** ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ، **وفى (سورة غافر) قوله سبحانه** ﴿ حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ، **وفى (سورة فُصلت) قوله سبحانه** ﴿ حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ، **وفى (سورة الشورى) قوله سبحانه** ﴿ حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ **وقوله سبحانه** ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ **وقوله سبحانه** ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ، **وفى (سورة الزخرف) قوله سبحانه** ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ ، **وفى (سورة الدخان) قوله سبحانه** ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ *فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ، **وفى (سورة الجاثية) قوله سبحانه** ﴿ حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ، **وفى (سورة الأحقاف) قوله سبحانه** ﴿ حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ، **وفى (سورة الأحقاف أيضاً) قوله سبحانه** ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ من بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ، **وفى (سورة ق) قوله سبحانه** ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيد ﴾ ، **وفى (سورة الطور) قوله سبحانه** ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ ، **وفى (سورة القمر) قوله سبحانه** ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ ، **وفى (سورة الرحمن) قوله سبحانه** ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، **وفى (سورة الواقعة) قوله سبحانه** ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ،

وفى (سورة الجن) قوله سبحانه ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ ، **وفى (سورة المزمل) قوله سبحانه** ﴿ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ ، **وفى (سورة البروج) قوله سبحانه :** ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ ، **وفى (سورة القدر) قوله سبحانه** ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ **وهذا ليس على سبيل الحصر فآيات القرآن فى هذا الغرض كثيرة لا تحصى ، ونشاهد عظمة التنزيه من الله سبحانه لقرآنه أن المدح فيه بالإشارة إليه مثل قوله تلك آيات القرآن ، وتلك آيات الكتاب ، وذلك الكتاب ، وتنزيل الكتاب ، وإنا أنزلنا إليك الكتاب . إشاراتٌ بالتعريف بالكتاب دلالة على أنه هو الكتاب الجامع للحقائق الإلهية والتى تتعلق بالذات وكل ما سواه قبسٌ منه فهو النور الجامع والهُدى التام والرحمة والشفاء . نسأل الله أن يتجلى علينا بأسرار القرآن وأنواره . وكل عام وأنتم بخير .**

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثانية عشر

وموضوعها

تنزل الوحى على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمال أُميَّته

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الجمعة

١١ من ربيع أول ١٤١٥ هـ

الموافق ١٩ من يونية عام ١٩٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى انْحَسَرتِ الأوصاف عن كُنْهِ معرفتهِ وردعتْ عظمتُهُ العقول . فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته . هو الله الحق المبين أحقُّ وأبيَنُ مما ترى العيونُ . لم تبلُغهُ العقولُ بتحديدٍ فيكونَ مُشَبَّهاً ، ولم تقع عليه الأوهامُ بتقديرٍ فيكونَ مُمَثَّلاً . خلق الخلق على غير تمثيل ، ولا مَشُورةِ مُشِيرٍ ، ولا معونةِ مُعينٍ ؛ فهو سبحانه وتعالى الأحد لا بتأويل عددٍ ، والخالقِ لا بمعنى حركةٍ ونَصَبٍ ، والسميع لا بأداةٍ ، والبصيرِ لا بتفريق آلةٍ ، والشاهدِ لا بمُمَاسَّةٍ ، والبائنِ لا بتراخى مسافةٍ ، والظاهر لا برؤيةٍ ، والباطنِ لا بلطافةٍ بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها ، وبانت الأشياء منهُ بالخضوع له ، والرجوع إليه . فمن قال فيه كيف ؟ فقد استوصفهُ ، ومن قال أين ؟ فقد حيَّزَهُ ، وعالمٌ إذ لا معلوم ، وربٌّ إذ لا مربُوب ، وقادرٌ إذ لا مقدورٌ . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . جعل الحمد مفتاحاً لذِكرهِ ، وسببا للمزيد من فضلهِ ، ودليلاً على آلائه وعظمتهِ ، وجعل التقوى دارُ حصْنٍ عزيزٍ ، والفجور دارُ حصنٍ ذليلٍ ، لا يمنع أهله ، ولا يُحْرِزُ من لجأ إليه . ألا وبالتقوى تُقطع حُمَّةُ الخطايا وباليقين تُدرك الغاية القُصوى . سبحانه . سبحانه . أمرُه قضاءٌ وحكمةٌ ورضاهُ أمانٌ ورحمةٌ ، يقضى بعلمٍ ويعفو بحلمٍ . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ونجيبهُ وصفوتهُ لا يُوَازَى فضلُهُ ، ولا يُجبَرُ فَقْدُهُ . أرسله الله على حين فترةٍ من الرسل ، وطُولِ هَجْمَةٍ من الأُمم ؛ فأضاءت به البلاد بعد الضلالة المُظلمة ، والجهالة الغالبة ، والجفوةِ

الجافية ، والناس يستحلُّونَ الحريم (يعنى الحرام) ويستذلُّون الحكيمُ . يُحيون على فترةٍ ، ويموتون على كَفرةٍ فجاءهم بتصديقِ الذى بين يديه والنور المُقتدَى به . ذلك القرآن العظيم . فيه علم ما يأتى ، والحديثُ عن الماضى ، والحاضر والمستقبل ، ودواء كل داءٍ ، وذكرٌ للنبى وقومِه بقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ لا تفنى غرائبهُ ، ولا تنقضى عجائبه . فيه مرابيعُ النعم ، ومصابيح الظُّلَمَ ، ولا تُفتحُ الخيراتُ إلا بمفاتيحه ، ولا تُكشف الظُلُماتُ إلا بمصابيحه . قد أحمى حماهُ ، وأرعى مرعاهُ . فيه شفاءُ المُشْتَفى ، وكفايةُ المُكتفى . اصطفاهُ الله تعالى منهجاً لدينه ، وبيَّنَ فيه حُجَجهُ من ظاهر علمٍ ، وباطن حِكَمٍ . فهو كلامهُ الجامع لأسراره ، وعلومه . خصَّ به أمَّةُ محمد ، واختصَّهُمْ له بقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فصلوات الله وسلامه ورحمتُهُ وبركاتهُ عليك سيدى يا رسول الله ، وعلى آلك وصحبك الأئمة . قُوَّامُ الله على خلقه ، وعُرفاؤُهُ على عباده . لا يدخلُ الجنة إلا من عرَفهُمْ وعَرَفُوهُ ، ولا يدخُل النار إلا من أنكرهُم وأنكرُوهُ . فهم أهل الخصوصية والكرامة رضى الله عنهم ورضوا عنه . ذلك الفوز العظيم .

أما بعد

فنحن فى هذا الجمع المبارك . لا نقول اجتمعنا أشباحاً ولكن الفَخَارُ كلَّ الفَخَارِ أن نعلنها بالقول باللسان والقلب اجتمعنا أرواحاً وأشباحاً وقلوباً صافية طاهرة عامرة بأنوار المحبة لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم .

فى ليلة ذكرى مولد سيد الوجود وصاحب كل فضلٍ تفضَّل الله به على جميع خلقه من أهل المُلك وأهل الملكوت . وولىٍّ كلِّ نعمةٍ أنعم الله بها على عباده فهو صلى الله عليه وسلم الرحمةُ المهداةُ بقول الحق سبحانه وإعلانه بحقيقةِ إرساله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فإنه إذا اجتمعت القلوبُ والأرواح والأشباحُ على محبة سيد المرسلين نالت كل نَيْلٍ من الرحمات المحمدية الربانية ، وكل عطاءٍ من التجليات الإلهية ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام فى حديثه الشريف : (ذِكرُ الأنبياء عبادة ، وذِكرُ الصالحين كفَّارةٌ) إذن فنحن فى جمعنا هذا ما اجتمعنا إلا لنعيش مع ذِكر سيرة سيد الأنبياء والمرسلين راجين الله سبحانه أن يتقبل منَّا أن يجعلها لنا من أجلِّ عبادة له سبحانه وأن يُوفقنا إلى حُسن اتِّباعه صلى الله عليه وسلم والأخذ بسُنَتِّه والنهج على مسلكه وسيرته بالقول والفعل ، والعمل ، وأن يجعلنا فى مَعيَّة سيدنا رسول الله ﷺ بكل أنفاسنا بالشوق والمحبة ، والذوق من حلاوة مشرَبِه صلى الله عليه وسلم . فإن ملائكة السماء كانت تتوقُ : أى تشتاقُ إلى أن تحظى بمجلسٍ مع سيدنا رسول الله ﷺ . فقد روى أن جماعة من الملائكة التقوْا بأمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام وهو يتنزَّل على سيد المرسلين فقالوا له : يا أمين وحى الله إلى حبيبه ومصطفاهُ إننا نتُوقُ إلى أن نجلس جِلسةٍ واحدةً مع سيد الوجود محمد رسول الله . فقال أمين الوحى جبريل عليه السلام من خلال ما أُوتِّى من علم من جانبٍ من مقام سيد الوجود الأعظم . أما إنِّى فأستأذن لكم من صاحب المقام سيد العالمين رسول الله محمد ﷺ فلمَّا فرغ أمين الوحى الأمين جبريل عليه السلام

من لِقائه برسول الله ، وهَمَّ بالانصراف . قال له سيدنا رسول الله ﷺ : يا أخى يا جبريل أمَا ذكرت لنا مسألة الملائكة ؟ فقال جبريل عليه السلام سبحان الله ! مُتعجباً من عظمة المقام المحمدى . وما أوتِىَ به من علم الله . فقال : شغلنى عن ذلك نورُك وبهاؤُك وعُلُّو شأنك ومقامك وعظيم سعادتى بلقائك . عن مطلبِ ملائكةِ الرحمن لمُجالستك . فقال الحبيب المصطفى ﷺ : ليس لى من الأمر شئ إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى . ومعنى ذلك أن إذن مُجالسة النبى عليه الصلاة والسلام لا يكون إلا من ربه لأنهُ وحدَهُ الذى يعلم قدْرهُ ويختارُ لهُ أهل مقامات معرفته بعلوم وآداب تليقُ بمُجالستهِ غيرةً من الله على حبيبه صلى الله عليه وسلم . فما الذى يكون عليه مقام صحابةِ النبى الكرامُ حيثُ جالسُوهُ وتمتعوا بالنظر فى وجهه المستنير المنير ، واصطحبوهُ وتعلموا على يدهِ والأخذِ عنه مُشافهةً ، وتسلَّمُوا من يدهِ الشريفة راية دين الله إذن مقامُ الصحابىِّ أرقى من مقام ملَكْ فى العطاء والذِّكر . ثم إن هناك مقامٍ فى الأمة يلحقُ بمقام الصحابة لقول الحق سبحانه ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) ﴾ ثُلةٌ من الأولين هُم صحابة النبى ﷺ ، وقليلٌ من الآخرين : هُم أولياء الله أهلُ المحبة والعشق ، والشوق ، والذوق ، والمعرفة فعددٌ منهم قليلٌ فى كل زمانٍ وكل عصرٍ وقرنٍ مُقبلٍ إلى يوم القيامة ؛ لقوله ﷺ : (خيرُ القرونِ قرنى ثُمَّ الذين يلُونَهُم ثُمَّ الذين يلُونَهُم فالقرنُ الأول هُم صحابةُ النبى لأنهم تربَّوْا على يد النبى ، وهم النجوم الذين اقتبسوا الأنوار

المحمدية من البدر الكامل التام بدر التمام ﷺ والقرن الثانى هو التابعون الذين تربَّوا على أيدى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والقرن الثالث هو تابعى التابعين الذين تربَّوْا على أيدى التابعين ، ونحن فى هذه الليلة المباركة نعيش مع السيرة العطرة سيرة سيد المرسلين ، وإمام المتقين سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ سيرةٌ شهد الحق سبحانه بأنها هى القرآن كله فالقرآن سيرةُ الحبيب بكلام ربه ، وذكره وقرآنه بقوله سبحانه ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ فقد تنزَّلت آيات القرآن بكل كلماته وحروفه بسبب أحداث انفعالية فعلها سيدنا رسول الله وصحابتهِ لخدمة دين الله . هل حين تنزَّلت الآيات كانت حدثاً مُحدثاً فى إيجاده ؟ لا : بل إن القرآن الكريم أزلىُّ الذكر . أزلىُّ العطاء . قديمٌ من القدمِ سابقٌ للخلقِ . بقوله سبحانه ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ فمن ذلك نعلم أن القرآن سابقٌ فى الوجود وجود الإنسان ، ومعنى علَّمَ القرآن : أى فطر كل مخلوقاتهِ بعلمٍ من القرآن ، وبنورٍ من القرآن ، وبسرٍ من القرآن ، وسُكونٍ على الطاعة لله بمددٍ سارٍ فيها من علوم وأسرار القرآن فطرِيًّا . ولكن الحق سبحانه تجلَّى على الإنسان بالتكريم فكرَّمهُ على الوجود كله فزادهُ على فطرةِ الوجود كله بأن علَّمهُ علم البيان وكلَّفهُ بالقرآن علماً وفَهماً وعملاً سُطوراً ونوراً ، وخيَّرهُ بين البديلات بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل ، وبين الطاعة والمعصية ، وبين العلم والجهل فهذه اختبارات وابتلاءات تعرَّض لها الإنسان فإن أحسن الاختيار كان له من

الله النجاح والفلاح والفوز العظيم ، وهذا ما سبق عرضُهُ على السموات والأرض قبل خلق الله للإنسان لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾ فهل أَبَيْنَ أن يحملنها إمتناعاً عن طاعته سبحانه ؟ لا . بل أَبَيْنَ إشفاقاً على أنفسهم من ثِقَلِها وعظمتها لمَّا استحضروا عظمة الله الآمر والمُكلِّف بحملها وأنه يُحاسبهم على تقصيرهم فى حملها بلقاءٍ يكون للمساءلة والحساب فكأنهم قالوا بلسان حالهم : لا نقدر على عصمة أنفسنا إن خيَّرتنا ونخشى أن نُقَصِّر فى طاعة جنابك الأعظم ؛ فيكون الحساب عسير والعذاب أليمٌ . ولكنك يا رب كل شئ ومليكه إن فطرتنا على طاعتك بفْطرَتِكَ التى ارتضيتها لخلقك عصمتنا برحمتك ، وهذا خيرٌ لنا ولذلك أهلُ الفطرة سكنوا بالثبوت على مقام فطرى بطاعة الله دون الترقى إلى مقامات إيمانية تُزيدهُم رِفعةً وقُرباً ، أو يجعل الله لهم على طاعتهم ثواباً وأجراً . أما أهل التكريم بالاختيار والتكليف بحمل أمانة الخير والشر والحق والباطل ، ومواجهة عدوٍّ لهم يُجاهدونهُ وهو النفس والشيطان . ثم يثبتُون بمُجاهدتهم نجاحاً مع الله فهم فى ترقٍّ دائمٍ مع الله حتى يرتقُوا إلى مقامٍ هم فيه أرقى من مقام أهل الفطرة فى المقام الكامل فوق مقام الملائكة ، ولهذا قال سيدنا أحمد بن عطاء الله ﷺ (إن الله خلق الملائكة بعقلٍ بلا شهوة ، وخلق الأنعام بشهوةٍ بلا عقلٍ ، وخلق الإنسان بعقلٍ وشهوةٍ فمن غلب عقلُهُ على شهوتهِ صار عند الله كالملائكة بل هو أفضل ، ومن غلب شهوتهُ على

عقلهِ صار عند الله كالأنعام بل هو أضلُّ .) ونحن مع السيرة النبوية العطرة قد وقفنا فى اللقاء السابق عند تنزُّل الوحى على سيدنا رسول الله ﷺ فى غار حراء ، وكان الحديث السابق موضوعُه جمال القرآن ومقام القرآن من مقامات الكتب السماوية السابقة ، وإن علوم السيرة النبوية وأسرارها لو اجتمعت عليها عقول أهل العلم والمعرفة فى المُلك والملكوت ، وجعلت لهم مرعى يشطحون بساحتها ليأخذ كلا منها رزقُهُ على وُسْع طاقتهِ وأخذوا جميعاً ما كان ذلك منها إلا ذرة من مُلكٍ أو فضاءٍ لا حد له ؛ لأنها سيرة أعظم الخلق صلى الله عليه وسلم ، وكل ما نستطيع أن نقوله فى هذه السيرة العطرة أنها منحت الوجود كله منحة العطاء التام الكامل لكل طالبٍ للكمال حظَّهُ ومطلبُهُ . حتى أهل الكفر كانت لهم مطالبَ قبل بعثة النبى ﷺ فتحققت لهم مطالبهم ببعثته صلى الله عليه وسلم .

انحلال الوثنية فى مكة قبل البعثة : ـ

قبل بعثة النبى ﷺ كان قد حدث فى مكة ما يُسمى بانحلال الوثنية ، وهو تقديس الأصنام فى نُفوس المكيِّين ، ذكروا أن قريشاً اجتمعت يوماً بنخلة تُحيِّي عبدَ العُزّى (ونخلة وهى ما بين مكة والطائف وعند صنم يعبدونه من دون الله يُسمى عبد العُزى) ويبعُد هذا الصنم عن مكة بما يقرُب من ٧٠ كم سبعين كيلو متراً ، وأقاموا حول هذا الصنم . مكة جُمعت برجالها ونساءها وأطفالها فخلُص منهم أربعةً نَجِيًّا : أى تخلصوا من هذا الحال السيئ بالفكر السيئ والاعتقاد السيئ ، ونجوْا بفكرهم وعقيدتهم ، وهم زيدُ بن عمرو ، وعثمانُ بن الحُويرث ، وعُبيد الله بن

جحش ، وورقة بن نوفل . فقال بعضهم لبعض : (تعلموا والله ما قومكم على شئٍ وإنهم لفى ضلالٍ فما حجرٌ نُطيفُ به لا يسمع ولا يُبصر ولا يضر ولا ينفع ، ومن فوقِهِ يجرى دمُ النُّحُور . يا قومِ التمسوا لكم ديناً غير هذا الدين الذى أنتم عليه . وتحيَّروا فى أمر قومهم ، وسوء صنيعهم ، وفكروا فى البحث عن دين الله الصحيح وعن التوجُّه بوجهتهم إلى الخالق الأعظم فارِّين من عبادة الأصنام مُنكرين على قومهم سُوء ما هُم عليه ، ولكن ماذا يصنعون إذ لم تكن لديهم الحُجة ؟ فليس لديهم إلا حيرةُ الحكماء فحيرةُ الحكيم أنه يُريد أن يواجه قومه بمُطالبتِهِ إياهُم بعبادة الله الحق ، ولكن ليس لديه الحُجة بالكتاب والعلم الذى يقودُهُم به إلى الهُدى والنور . إذن بالفطرة السليمة يكون مطْلَبُهُ من الله أن يُرسل رسولاً بكتابٍ من عندِهِ ليُخرج الناس به من ظُلمات الجهالةِ إلى نور العلم ، ومن ظُلمات الضلالة إلى نور الهداية .... أمَّا ورقة بن نَوْفَل فدخل النصرانية ، وقيل إنه نَقل إلى العربية بعض ما فى الأناجيل ، وأما عُبيد الله بن جحش فظل فيما هو فيه من التباسٍ حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، وهناك دخل فى النصرانية ومات عليها وأقامت امرأتهُ أم حبيبة بنت أبى سُفيان على الإسلام حتى صارت من أزواج النبى وأمهات المؤمنين ﷺ أجمعين . وأما زيد بن عمرو ففرَّ من وجه زوجهِ ومن عمِّهِ الخطاب ، وطُوِّفَ فى الشام وفى العراق ثم عاد ولم يدخل فى يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، واعتزل الأوثان ، وكان يقول وهو مستندٌ إلى الكعبة : (اللهم لو أنى أعلم أى الوجوهِ أحبُّ إليك لعَبدتُك به ، ولكنى لا أعلمُهُ) . إذن مطلبُهُ

هذا أن يرسل الله إليه رسولاً بعلمِ كيفيةِ العبادة لله حتى يعبد الله على علم من عنده ارتضاهُ لعبادته . فهذا يُبيِّن أن بعثة النبى ﷺ كانت مطلباً لأهل الضلالة المتحيرين فى عبادتهم لله دعوا الله راجين أن يبعث الله فيهم رسولاً من عنده ليُخرجهم من ظلمات الضلالة إلى أنوار الهداية . وأما عثمان بن الحُوَيْرِث ، وكان من ذوى قرابة السيدة خديجة رضى الله عنها . فذهب إلى بيزنطية وتنصَّر وحسُنتْ مكانته عند قيصر ملك الروم . ولقد كان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يعيش فى مكة بين قومه يتقلبُ فى حيرته أى متحيراً فى أمر قومه حيرةُ الحكيم أى : يُنكر عليهم ما هم فيه من عبادة الأوثان من دون الله . فإنه يُريد أن يصُدَّهم عن ما هم فيه من ضلال ، ولكنه يمنعه عن ذلك استحضار مطلبهم للحُجة على ذلك وهو كتابٌ من السماء بإرسال رسولٍ فكان هذا يجعله متحيراً تحيُّر الحكيم الذى ينكر القبيح وليس لديه حُجة المواجهة بعلمٍ من عند المعبود الحق وهو الله ﷻ فكان ذلك يجعله يفر من قومه (ويتحنثُ) أى : يتعبد فى غار حراء بفطرته العامرة بأنوار النبوة فيه ، ومن هذا نرى أن فرارهُ صلى الله عليه وسلم من قومه إلى خَلوةٍ على ذروة جبل حراء داخل غار حراء بعيداً عن كل أنسٍ من الخلق ومعزولاً عن سمع أصواتٍ فى الكون مُؤتنساً بخالقه وحدهُ فارَّاً إليه لائذاً بجنابهِ طالباً منه أن يُمدَّهُ بالحُجَّة البالغة ، والعلم النافع الذى يهتدى به ليرشد به قومهُ ويُخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهتدى به بعد حيرَتِهِ . ولذلك الحق سبحانه يُخاطب حبيبهُ صلى الله عليه وسلم يُذكِّرُهُ بهذا الحال فى سورة الضُّحَى فيقول سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى *

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ أى وجدك مُتحيراً فى أمر قومك فارًّا منهم بإنكارك ما هم فيه من ضلالة طالباً من الله هُدىً ونوراً فهداك : يعنى جعل كل أنوار الهداية لك ومعك وبك .

نزول الوحى فى غار حراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ

لمَّا نزل الأمين جبريل عليه السلام على سيدنا رسول الله ﷺ وهو فى غار حراء ولأول مرة فكان أول آىٍ نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وهذه نُبوَّتُهُ السابقة لإرساله وفى نزول سورة المدثر كان إرسالهُ بالنَّذارة والبشارة والتشريع ، وهذا قطعاً مُتأخراً عن الأول ، ودليلٌ على أنه صلى الله عليه وسلم نُبوَّتُهُ سابقةٌ لإرساله فهو نبىٌ من الأزل قبل مولده بشراً كان لقاء أمين الوحى مع سيدنا رسول الله لأول مرة وهو يتنزَّل عليه بالنور الهادى فى غار حراء جاءهُ وفى يده صحيفةٌ فقال له : إقرأ . فأجاب النبى (مأخوذاً !) : ما أنا بقارئٍ . فأحس كأن المَلك يُخنُقهُ ثم يُرسلُهُ ويقول له : إقرأ . فيقول النبى : ما أنا بقارئٍ . فأحس كأن المَلك يُخنُقهُ كرَّةً أخرى ثم يرسلهُ ويقول ما أقرأ وقد خاف أن يخنق مرةً أُخرى . قال الملكُ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فقرأها وانصرف الملكُ عنه وقد نُقشتْ فى قلبه ، ولكنه ما لبث أن قام فزعاً ! يسأل نفسه : أى شئٍ رأى ؟ وتلفَّتَ يَمْنَةً ويَسْرَةً فلم يرَ شيئاً ففرَّ وكُله حيرة لا يستطيع تفسير ما رأى ، وانطلق هائماً فى شعاب الجبل يُسائل نفسه عمَّن دفعهُ ليقرأ . لقد كان

إلى يومئذٍ يرى وهو فى تحنُّثه الرؤيا الصادقة تنبَلِجْ من خلال تأمُّلِه فى أسرار الكون فتملأ صدره ، وتضئ أمامهُ وتدُلُّهُ على الحق أين هو وتُنير له حُجب الظُلُمات التى زجَّتْ قُريشاً فى وثنيتهم إلى عبادة الأصنام . وهذا النور الذى أضاء أمامه ، وهذا الحق الذى هداه سبيله هو الواحدُ الأحدُ الذى خلق الأنسان وبأنه الأكرم الذى علم الإنسان بالقلم ما لم يعلم ، وتوسط الجبل وهو فى هذا الحال من فزعٍ وخشيةٍ ومُساءلةٍ فسمع صوتاً يُناديه فأخذهُ الرَّوَعُ ! ورفع رأسه إلى السماء فإذا الملك فى صورة رجلٍ هو المنادى وزاد به الفزع ووقَّفهُ الرُّعبُ مكانهُ وجعل يصرفُ وجههُ عمَّا يرى فإذا هو يراه فى آفاق السماء ، ويتقدم ويتأخر فلا تنصرف صورة الملك الجميل من أمامه ، ودخل على السيدة خديجة وهو يقول : زملونى . زملونى . وهو يرتعد كأن به الحمَّى فلما ذهب عنه الروع نظر إلى زوجته نظرة المستنجد وقال لها : يا خديجة ما لى وحدَّثها بالذى رأى . فلم تُبدِ له الزوجة الوفيَّة أى خوفٍ أوريبةٍ بل نظرت إليه بنظرة الإكبار وقالت : أبشر يا بن عم واثبُت فوا الذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة . ووالله لا يُخزيك الله أبداً . إنك لتصلُ الرحم ، وتصدُق الحديث ، وتحمل الكَلَّ ، وتقرِى الضَّيف وتُعين على نوائب الحق ، واطمأنَّ بذلك النبى وألقى على السيدة خديجة نظرة شكرٍ ومودة ، ونام النبى ﷺ وحدَّقت فيه السيدة خديجة وقد امتلأ قلبها إشفاقاً وأملاً بهذا الذى سمعت منه فلمَّا رأتهُ استغرق فى نومه مُطمئنٌ هادئٌ تركتهُ وخرجت تُقلِّبُ فى نفسها هذا الذى هزَّ قلبها وترجو أن يكون زوجها نبىُّ هذه الأُمَّة التى غرقت

فى الضلال وانطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان كما ذكرنا قد تنصَّر وعرف الإنجيل ونقل بعضه إلى العربية فلمَّا أخبرته بما رأى النبى ﷺ وسمع وقصَّت عليه كُلَّ ما حدَّثها به النبى ﷺ أطرق مَليًّا . ثم قال : قُدُّوسٌ . قُدُّوسٌ . والذى نفس ورقة بيدهِ لئن كُنتِ صدقتينى يا خديجة لقد جاءهُ الناموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبىُّ هذه الأمة فقولى له : فليَثبُتْ ، وعادت خديجة فوجدت النبى ما زال نائماً . فحدَّقت فيه ، وكلها الحب والإخلاص وكلها الإشفاقُ والأملُ .

السيدة خديجة تُهَوِّن على النبى أمر الرسالة : ـ

وفيما هو ﷺ فى هدأة نومه إذا به اهتز وثقُل تنفسُّهُ وبلل العرقُ جبينه يقوم ليستمع إلى الملك يُومئُ إليه ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ ومعنى ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ : أى شمِّر عن ساق العزم ، وأنذر الناس ، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة ، ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾:أى عظم ربك وأمره ، ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : أى عملك فأصلح فإنك لست بكاهنٍ ، ولا ساحرٍ فأعرض عمَّا يقولون ، وكان العرب تُسمىِّ الرجل إذا نكث عهدَهُ ولم يفِ بعهد الله إنه لمدنس الثياب ، وإذا وفَّى وأصلح إنه لمُطَهِّر الثياب . وكما قال الشاعر :

إذا المرءُ لمْ يَدنَسْ من اللومِ عرضُهُ فكُلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

وقال مجاهد ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى نفسك ، وقال ابن زيد : (كان المشركون لايتطهرون ولا يطهرون ثيابهم) فأمرهُ الله أن يتطهَّر ويُطَهِّر

ثيابَهُ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ أى اهجر الأصنام ومن يُعظِّمها بخُلقٍ وطباعٍ . ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ قال الإمام الحسن البصرى ﷺ لا تمنن بعملك على ربك تستكثرهُ أى كل أوقاتك وأنفاسك تبذُلها فى خدمة الرسالة ولم يبق عندك فراغُ وقْتٍ بعد اليوم . ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ أى اجعل صبرك على أذاهُم لوجه الله ﷻ فإن الصبر على الإيذاء فى الله من أعظم العبادات . فاصبر على عبادتك لله تعالى ورأت السيدة خديجة ذلك فازدادت إشفاقاً وتقدمت إليه فى رقةٍ وضراعةٍ أن يعود إلى فراشهِ وأن ينام ليستريح فكان جوابُهُ صلى الله عليه وسلم انقضى يا خديجة عهد النوم والراحة فقد أمرنى جبريل أن أُنذر الناس ، وأن أدعوهم إلى الله وإلى عبادته فمن ذا أدعو ؟ ومن ذا يستجيب لى ؟ فجهدت خديجة تُهَوِّن عليه الأمر وتُثَبِّتُهُ ، وسارعت فقصَّت عليه نبأ ورقة ثم أعلنت إليه .

إعلان السيدة خديجة إسلامها :ـ

ثم أعلنت إلى النبى السيدة خديجة فى شوقٍ ولهفٍ إسلامها له . وإيمانُها بنبوته ﷺ فكانت هى أول من آمنت به من النساء وكان طبيعياً أن تسارع إلى الإيمان به وقد جرَّبت عليه طُوالَ حياتهِ الأمانة والصِّدق ، وعُلُوِّ النفس ، وحُب البِّر والرحمة ، ورأته فى سنواتِ تحنُّثهِ بغار حراء كيف شُغلتْ نفسه بالحق وحدَهُ وهو فى أشدِّ الحيرة من أمر قومه الذين يعبدون الأصنام ويقربون لها القرابين ولقد طلبت إليه متى جاء الملك أن يُخبرهُا فلمَّا رآهُ أجلسته فى فخذها اليُسرى ثم على فخذها اليُمنى ثم فى حِجرها وهو ما يزال يراهُ فحسرتْ وألقتْ خِمارَهَا فإذا هو

لا يراهُ فلم يبقَ ريبٌ عندها فى أنهُ ملك وليس بشيطان .

أمِّيةُ النبى له كمالٌ وجمالٌ : ■

إن أُمِّية النبى ﷺ كمالٌ فيه ، وجمالٌ له أما فى غيرهِ من البشر فالأُمِّيـة نقصٌ وعيبٌ . والكمال التام فى سيدنا رسول الله ﷺ أنه لم يُعلِّمْهُ أحـدٌ من الناس حرفاً وجاء ﷺ بعلُومٍ تفيض أسرارُها على أهل الوجود كلـه إلى يوم القيامة . فهذا إن دل فإنما يدلُّ على أن علمـهُ كلـهُ مـن الله سبحانه ، وصدق الله إذ يقول لحبيبه ومصطفاهُ ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ وصدق القائل فيه بمدحهِ مادحـاً

جمال أميتّه صلى الله عليه وسلم : ■

لماذا كان أُميَّاً فلا صُحُفاً ولا قلما لتظهرَ آيةَ الإعجازِ حينَ يُعَلِّمُ الأُمَمَـا ويظهر للوجود هذا الجمال حين تنزَّل عليه أمين الوحى بالقرآن الكـريم وهو يتعبد فى غار حراء . يقول له أنا رسولٌ من قِبَلِ الحـق إليـك . إقرأ . كيف يقرأ وهو أُمِّى لا يكتب ولا يقرأ ؟ فهذا مشهد الجمـال فـى نبوته صلى الله عليه وسلم أى مشهد الجمال فـى النبـوة فـى سـيد المرسلين وخاتم النبيين أنه نبىٌ أُمِّىٌ ويُعلم أهل الملك وأهل الملكـوت ، ومشهد الكمال فيه أنه الكمال المطلق ، والكمال المطلق أنه ليس لأحـدٍ من الخلق فضلٌ عليه فى عطاءٍ فالفضل كله والعطاء كله يتنزَّل عليه من الخالق سبحانه ليكون لخلقهِ على يد حبيبه فإنه صلى الله عليه وسـلم ساعة أن نقول فى وصفه الجميل أنه لا يوازى فضلهُ أى أن فضل النبىّ خطٌّ ممدود فإذا أردنا أن أن نوازيه بخطٍّ ممدودٌ يُواجُهُه فإن كـل أهـل

الفضل فى الوجود كله مددهم فى الفضل عطاءً ومقاماً وفضلاً من فضل سيدنا رسول الله ﷺ قبساً كلٌّ على قدر مقامهِ وطاقتهِ فلا يوازى فـضل رسول الله فضلٌ لأن كلاً منهم إذا امتد فضلهُ فله من المدِّ حدٌّ ينتهى إليه أما سيد الوجود ﷺ فإن فضلهُ ممدودٌ على أهل الملك وأهـل الملكـوت فىالدنيا وفى الآخرة فى موقف القيامة وما بعد القيامة فإن أهل الجنـة إذا سكنوا فى قصورهم فى الجنة يتنعمون بنعيمها فإن مدد النعيم لهـم من سرِّ فضل رسول الله ﷺ ولذلك ساعة أن تنزَّل أمين الـوحى علـى سيدنا رسول الله ويقول له إقرأ . فالنبى ﷺ يكشف عن جمال العطية فيه فيقول ما أنا بقارئ . يعنى أنا لا أقرأ ولا أكتب ، وقد ذكرهُ الله فى الكتب السماوية فقال سبحانه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَـيْءٍ فَـسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُـونَ * الَّـذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ ومن خلال هذا الذكر الإلهى نشاهد أن الأُميَّة عنـد سـيدنا رسول الله ﷺ تكون شرفاً وعطاءً وفخَاراً ، واما فى غيرهِ تكون نقـصاً فى العطاء إذن مظهر الأُميَّة بذكرها فى رسـول الله ﷺ يكـسوهُ حُلَـلَ الشرف والعطاء الجامع لأن ساعة أن نقول إنه أُمِّى فهذا إثبـاتٌ بأنـه صلى الله عليه وسلم لم يعلمه أحد من الخلق حرفاً ، وساعة أن نشاهد فيه أنه حاز كل العلوم بحيازة تامة وكاملة علـى أهـل الملـك وأهـل الملكوت نقول من أين ذلك ؟ فلا جواب إلا أن نقول : إنه مـن الله رب العالمين . ساعة أن يقول له الأمين جبريل عليه السلام إقرأ . فيقول النبى ﷺ :

ما أنا بقارئ . فيضمه الأمين جبريل ضمَّةً إلى صدرهِ نقول وما المراد من الضَّمَّةُ ؟ فتكون الإجابة : لأن النبى ﷺ ذاته نورانية : أى ذاتهُ خلقاً نورانية وقد قال الله فيه﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ أى حقيقةُ خلقهِ صلى الله عليه وسلم سراجاً منيراً فلم يذكر الله أنها مثلية أى مثل السراج المنير ولكن قال : وسراجاً منيراً والسراج معلومٌ أنه الشمس منحها الله سر الحياة لكل كائن حىٍّ فهى تُمدُ أهل الوجود بالحيوية بأشعتها وحرارتها وضوئها وضياءها لأهل الحس والمبنى ، وأما المنير فهو القمر ؛ فالقمر فى وقت الضحى بمواجهته للشمس يكتسب من الشمس سطوعها فيه امتصاصاً ووقعاً عليه الأشعة البنفسجية الخالية من الحرارة ؛ لأنها فى وقت الضحى الهادى قبل دخول وقت الحرارة ثم يتلوها أى : يعطيها لنا نوراً فى الليل حتى تنتهى وهكذا كل يومٍ تكون شُحنتهُ على قدر ليلته ولذلك يقول الحق فى ذلك : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ أى أخذ منها أخذاً وعطاءً فى وقت الضحى ثم تلاهُ فى الليل : أى افتقدهُ عطاءً لأهل الأرض . إذن نشاهد من ذلك أن أهل الحس والمبنى مددُ حيويتهم من الشمس والقمر ، والشمس هى السراج والقمر هو المنير فكلٌ يذكر بذاته واسمه وصفتهِ بقوله سبحانه : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ إذن القمر المنير معطوفٌ على السراج لأن أخذهُ منهُ وقول الحق سبحانه فى ذكر خلق حبيبه ووصفهِ قال فيه : ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ أى أن الذات هنا واحدة جامعة بين السراج بمقامه وذكره وعطائه وبين المنير بمقامه وذكره

وعطائه وهما الشمس والقمر . إذن نعلم ونشهد ونشاهد يقيناً أن حقيقة الذات المحمدية أنه صلى الله عليه وسلم هو الشمس والقمر هو السراج لأهل المعنى يمدَّهُم بسرِّ حياتهم المعنوية كما تمد الشمس أهل الحس المبنى بسر حياتهم الحسية فهو صلى الله عليه وسلم شمس الحقيقة وهو المنير أى القمر لأهل المعانى ينير لهم حياتهم المعنوية كما ينير القمر لأهل الحس والمبنى حياتهم الحسية إذن كل من عشق الهدى والنور نقول له : إنه ليس حظٌّ من أخذٍ نورانى بتسليمٍ حقيقى تام إلا من سيد الوجود ولا يتحقق لك ذلك إلا بمحبته . فساعة أن يضم أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام النبى ﷺ إلى صدره يكون قد التقى نور أمين الوحى بنور سيد الوجود . نقول فمن الذى شرُفَ بالعطاءِ من الآخر ؟ نقول إن سيدنا رسول الله ﷺ هو السراج المنير لأهل المعنى جميعاً وسيدنا جبريل عليه السلام ملكٌ فهو من أهل المعنى اقتباسهُ ومددهُ من النور لا يحظى به إلا من سيدنا رسول الله ﷺ . إذن ساعة أن نقول أن ضمَّ سيدنا جبريل سيدنا رسول الله إلى صدره فهذه الضَّمة تُظهر لنا انفعالات سطحية فى الحس لتُبيِّنَ كمال العطاء . وهل هناك طاقة بشرية تقدر على أن تلتقى بطاقة معنوية نورانية بمثل هذه الضمة الإنفعالية المعنوية ؟ نقول : لا . إذن يتبين لنا من ذلك أن سيدنا رسول الله ﷺ نور الأنوار ، ومعنى المعانى . ثم بعد هذه الضَّمة يقول النبى ﷺ وهو مُكتمل القوة : ما أنا بقارئ . فيضُمَّهُ سيدنا جبريل الضمة الثانية . فساعة أن يضمه أمين الوحى الضمة الثانية . نقول : أنه شهد سراً عظيماً من جمال الذات المحمدية اختُصَّ به أمين الوحى عطاءً منهُ

وتشريفاً له ؛ لذلك أحبَّ أن يضمَّهُ ثانيةً ليحظى بالمزيد من العطاء المحمدى ؛ ولذلك قال بعض العارفين ﷺ : من وقف عند مقام سيد المرسلين خاضعاً متواضعاً لرَأَى أن هذه الضمة أفادت جبريل عليه السلام بنورانية محمدية فوقع فى قلبه محبة النبى أكثر من محبته لنفسه فأحبَّ جبريل عليه السلام أن يكون فى معية النبى ﷺ بإقامة دائمة ثم يتابع الأمين جبريل عليه السلام مع النبى ﷺ عطاء الرسالة بقوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ معنى فإنك إن كنت ترى أنك أُميٌّ لا تقرأ ولا تكتب وبذلك لا تستطيع أن تتلقى علماً إلا إذا تعلمت القراءة والكتابة لمحوِ أُميتِكَ فهذا من صنيع الأسباب وباسم الأسباب . أما أنت يا حبيب الله اصطفاك الله لتتلقى العلم منه بفضله العظيم عليك فهو سبحانه المسبب للأسباب فإن كنت تقول : ما أنا بقارئ : أى أمى لم أكتسب علماً من الأسباب بسبب أميتك فى القراءة والكتابة فهذا عجزُ الأسباب ، ومحو الأمية فى الأسباب لا تكون إلا بتعليم القراءة والكتابة أما أنت يا رسول الله فإن الله سبحانه هو الذى يُعلمك دون محو أميتك ، ويكون إثبات أميتك فيك دائمٌ وقائمٌ مع إثبات علم الله فيك ليشاهد الجميع من خلقه فيك الإعجاز الدَّال على عناية الله بك وفضله العظيم عليك . فيقول لك : إقرأ باسم المسبب ، لا باسم الأسباب ، ويظل ذكرك بالنبى الأمى فيه رؤية الجمال والكمال الذى خصَّك الله به . وإنك إن كنت تقول : ما أنا بقارئ . وترى أنك بقولك هذا قد حُرمت من علوم الأسباب فإن الله يعلمك ما لم تكن تعلم . ويكون عطاءك من يد المسبب ؛ لتُعطى أنت للأسباب وأهل الأسباب ؛ لأنك عطية الله للأسباب وهديته لأهل محبته ورحمته

للعالمين . وكأن الحق سبحانه يقول لحبيبه محمداً ﷺ : كيف تأخذ من الأسباب أنت ! وأنت عطَّاءُ الله للأسباب ! ومقامك فوق الأسباب ! ، وفوق الأسرار والحقائق ! ، وأنت سرُّ الله فى الوجود ! ولذلك يقول له الحق سبحانه فى أول لقاءٍ بالعطاء : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ليس باسم مخلوقٍ أو باسم الأسباب .لا﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ : أى من عطاء الربوبية ، وعطاء الربوبية من الحنان والعطف والاحتضان بالخصوصية والعناية والتكريم والإمتنان . وقوله سبحانه : ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ : أى أن الضمير عائدٌ على النبى ﷺ وحدهُ فهذه مُشاهدةٌ للجمال فى العطاء بالخصوصية الربانية المحمدية ثم قال سبحانه : ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾ . ولم يقل الذى خلقك كما قال ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ . لماذا ؟ لأن فى الأولى الضمير عائدٌ عليه ﷺ لخصوصيته بالعطاء من ربه ، وفى الثانية الضمير عائدٌ على الخلق جميعاً ؛ لأن الخلق جميعاً يتجملون من جمال عطائك لهم . وقوله سبحانه : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ فيكون هذا علمٌ . كأنه سبحانه يقول للنبى ﷺ : انظر إلى بدء خلق الإنسان كان علقة فهذا علمٌ يُعَلِّمَهُ الحق لحبيبه فى بدء الرسالة إليه بالوحى . فانظر إلى العلقة وتأمل فيها بإنصاف ترى أنها ليس لها ذكرٌ ولا قدرٌ ، ولا تستطيع أن تُثبت لها مَزيَّة ، ولكن ساعة أن تشاهد كمال الخلق فى الإنسان بعناية الخالق له بالتكريم وتسخير كل شئٍ له ، وتراهُ وهو عالمٌ يعلمُ فى جوفهِ علمٌ ، وهو صانعٌ يصنعُ ، وهو له فكرٌ وحركةٌ ، وتقارن بين حاله ومقامه الآن ، وبين بدايته (العلقة) ثم تتساءل : من الذى

عَلَّمَهُ ؟ ، وكملَّهُ ؟ وزيَّنهُ ؟ فى تمام هيئته هذه ؟ ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ أى أن الحق سبحانه يُبين لحبيبهُ ونبيَّهُ ولخلقه أجمعين أن كل علمٍ يُنالُ بواسطة الأسباب لا يكون إلا بالقلم : أى يتعلم بالقلم كتابة الحروف ثم يرتقى إلى كتابة الكلمات ثم كتابة الجمل والعبارات ثم إلى مراحل علمية متعددة حتى يصل إلى عالمٍ ومُعلمٍ يُعلمُ غيرهُ ومع ذلك لا يستطيع أن يصل إلى نهاية علمٍ واحدٍ وتخصصٍ واحدٍ مهما كانت قوتهُ العقلية ؛ لأن العلم ممدودٌ ليس له حدٌّ والعقل محدود وفيه نواقصٌ فإن مشهد النواقص فى العقل قائمٌ فمهما يصل إلى مقام علميٌّ نقول فيك مشهدٌ ناقصٌ ؛ لأنك وقفت عند حدٍّ بعجزك والعلم ممدودٌ لماذا ؟ لأن العقل بدايته لا علم له فهذه نواقصهُ بقول الحق سبحانه ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ فالعقلُ محدودٌ وفيه نواقصٌ وهو الحجابُ لِكُلِّ ما فى الحقيقةِ . إذن ما دام هو الحجاب للحقائق ، وهو الجندى يتسلم علوم الأسباب إذن فالقرآن وعلومه وكل ما يتنزَّل من علمٍ من الله على رسوله يكون تكليفٌ على العقل علماً وعملاً ولكن فى تنزُّلِه من الله على رسوله لا يتنزل على عقل النبى ؛ لأن تسلُّم العلوم بواسطة العقل لا تكون إلا بتعلم القراءة والكتابة بالقلم ، ولذلك قال الحق سبحانه : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ ولم يقل نزل على عقلك وإلا فالأمر يحتاج إلى محو أُميَّتِه بتعلُّمِ القراءة والكتابة وهذا ما يتنافى مع المقام المحمدى ، وساعة أن يقول الحق : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ

بِالْقَلَمِ ﴾ كأنه سبحانه يقول لحبيبه ونبيه عليه الصلاة والسلام : إقرأ فإن ربك أكرمك وحدك بإكرام لم يكن لغيرك ، وكل ما سواك من الناس جعل الله علمهم بواسطة القلم فيتعلمون فى الأسباب القراءة والكتابة وقوله سبحانه : ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ أى أن الإنسان وجده الله فى الدنيا لا علم له ، وامتن عليه الحق بفضله فعلَّمهُ ما لم يكن يعلمه من قبل وجعله كل يوم يكتسب علماً . إذن قوله سبحانه : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ من خلال ذلك نشاهد ان ضمَّة أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام لسيدنا رسول الله ﷺ أن القرآن جوهرهُ وحقيقتهُ نور وقع فى قلب الأمين جبريل لأن خلقه نورانىٍّ ، وفى ضمتهِ لرسول الله تنقل أو انتقل إلى قلب الحبيب النبى لأنه نورٌ ثم نقول ساعة أن يقول للنبى ﷺ إقرأ . فهذا إعلانٌ للنبوة ، والنبوة سابقة للرسالة فإن مقام الرسول لا يكون إلا بالترقى من قاعدة النبوة ليس كل نبىٍّ رسول ، ولكن كل رسولٍ نبىٍّ . من أجل أن نُعلن عنه رسولٌ نُعلن أولاً أنه نبىٌّ فإعلان النبوة : إقرأ . ففى ذلك إعلانُ النبوة ثم يأتى بعد ذلك إعلان الرسالة يعنى يسبق إعلان النبوة إعلان الرسالة ، وإذا كان ﷺ نبوته أزلية شهد بها الحق سبحانه ، وذكرها فى الكتب السماوية فليست نبوته من اليوم تبدأ ، ولكنه إعلانٌ بأجلٍ معلومٍ لأهل عصرهِ وزمانه وبدء العمل بنبوته ورسالته فى الأسباب ، وقد أخذ الله على النبيين الميثاق بنبوته ورسالته بقوله سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ

لَّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ **إذن نبوته أزلية ، وبالحديث الشريف قوله ﷺ (كنتُ نبياً وآدم منجدلٌ فى طينته) ، وقوله ﷺ كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) إذن قوله سبحانه : إقرأ فهذا إعلان النبوة أما إعلان الرسالة يكون بعد ذلك فى إنزال سورة المدثر بقوله سبحانه :** ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ .

مقام النبى عند تنزُّل الوحى بالرسالة : ■

ساعة أن يصطدم النبى ويفجأهُ التجلى الأعظم . لأن حقيقة القرآن نورٌ ، وحقيقة خلق النبى أنه نورٌ وحقيقة أمين الوحى أنه خلقٌ من نور فحقيقة القرآن قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ **فالنور المبين هنا هو القرآن فالقرآن نور** ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ **فالنور هنا هو رسول الله ﷺ وضمَّةُ جبريل عليه السلام للنبى نورٌ . وتجلى الحق فى ذات النبى ﷺ بأن اصطفاهُ ليُبيِّن للناس أسرار كلام الخالق سبحانه لأن كلام الله لا تقدر العقول أن تتلقاهُ بفهمٍ . إذن اصطفى الله النبى ﷺ ليبين للناس ما نُزِّل فهذا مقامٌ رفيعٌ تحيرُ فيه العقول . إذن فلا يدرك معرفة مقامهُ إلا الله سبحانه . ولذلك ساعة أن يتسلم النبى ﷺ العطية تقع عليه بثقلها لقوله سبحانه :** ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ **ثقيلاً بجوهرهِ الحقيقى النورانى ، وثقيلاً فى تكليفك بحمله والعمل به ؛ لأنك تُكلَّفُ من قِبَلِ الحق أن تدعو الناس جميعاً وحدك إلى عبادة الله . وهم يعبدون الأصنام**

ويقدسونها من دون الله ؛ ولذلك ساعة أن يخرج النبى ﷺ من الغار مُنصرفاً بالعطية سمع أصواتاً كأن الكون كله يناديه ؛ فتلفَّت يَمنةً ويسرةً وظل ينظر إلى الآفاق حتى رأى أمين الوحى جبريل عليه السلام على كمال هيئتهِ الخلقية فساعة أن شاهد جمال أمين الوحى يملأ ما بين السماء والأرض لم يقدر أحدٌ على رؤية جبريل عليه السلام من المخلوقات إنساً وجِنَّاً أوملك لأن كمالهُ الخلقى أن له ستمائة جناح ، ولو كُشف عن جناح واحد لأهل الملك لغشيت أبصارهم وما استطاعوا رؤيتهُ وهذا الحبيب المصطفى ﷺ ينظر إليه ويشاهده بكمالهِ وجمالهِ . إذن فمقام المُشَاهِدِ وهو رسول الله أكمل وأجمل من مقام المُشَاهَدُ وهو سيدنا جبريل عليه السلام . ولذلك ساعة أن انصرف من الغار وعاد إلى السيدة خديجة عليها السلام ، وصف لها وبيَّن أن العطاء الذى حظى به من الله فوق مظهر وصف البشرية . فسبحان من ستر سرَّ الخصوصية بظهور وصف البشرية . فسرُّ خصوصيته صلى الله عليه وسلم سترهُ بظهور وصف البشرية يعنى أنه بشرٌ لأن حقيقتهُ نورٌ ولكن بشريتُهُ صلى الله عليه وسلم لأنس البشرية ليُعلمهم ويدعوهم إلى الله فبشريته صلى الله عليه وسلم لخدمة غيره من البشر ؛ ولذلك ساعة أن دخل النبى ﷺ البيت على السيدة خديجة عليها السلام قال لها : زمِّلونى زمِّلونى ؛ لأن القول بحمله ثقيلٌ على مظهر وصف البشرية ، وكان يرتعد صلى الله عليه وسلم كما تصفُ حاله السيدة خديجة كأن به الحُمَّى . فلما رأته السيدة خديجة على هذا الحال وهى زوجهُ إذن لابد وأن يكون لها موقفٌ منه لنفسها كما نعلم ونشاهد من أمور النساء . فساعة أن النبى ﷺ

يهدأ ويُحدِّث السيدة خديجة ، ويقول لها : يا خديجة رأيت كذا وكـذا ، وسمعت كذا وكذا فيكون لها وقفةٌ مع النبى ﷺ ؛ لأنها أعلم الناس بِخُلُقِه ولذلك السيدة الطاهرة النقية الوفية السيدة خديجة لم تُبدِ للنبى أى خوفٍ أو رجفةٍ يعنى لو واحدة من النساء غيرها يحدث عندها خوفٌ ورجفةٌ ، وتقول عنده أمورٌ من الجن أو أمور من السحر نقول إن حدث منها مثل ذلك فإنه يُظهِرُ فيها مشهداً من النقص ، ولكن الموقف الذى شـاهدناهُ من السيدة خديجة يُظهر لنا مشهد الكمال فيها على أنها كاملة ؛ لأنها لم تُبدِ للنبى خوفاً أو رجفةً بل نظرت للنبى بنظرةِ الإكبار مُبيِّنةً له أنها لم يكن عندها خوفٌ من الذى حدث فما الذى يُخيفُكَ أنت فلم تضعُف كسائر النساء وتُفكر فى أمر نفسها وتُحَدِّثُ نفسها أنه سـوف يـشتغلُ بـأمر الرسالة ويُهملُهَا كزوجة إنها كاملة وعاشقةٌ للرسالة فيه ، وأكدت لـه أنه نبىٌّ من أول لحظةٍ ، وقالت له فى نفسِ الوقت : والذى نفسُ محمدٍ بيدهِ إنى لأرجو أن تكون نبىُّ هذه الأمة ، ولو أقسمت الـسيدة خديجـة بالله على أنه صلى الله عليه وسلم نبى هذه الأمَّة نقول إنَّ هذا القَسَمُ لا يكون إلا من حُسنِ يقينها أن أمورهُ هذه ليست من الجنِّ ، ولكنها ملكيَّةً ربانيةً إذن فهى أخذت المأخذ الكمالى إذن فهى صدِّيقةٌ كاملةٌ ؛ لأن أهل الكمال لا يشهدون إلا الكمال ، وأهل النقص لا يشهدون إلا النقص ثـم تُقسم وتقول : ووالله لا يُخزيك الله أبداً . إذن موقف الـسيدة خديجـة العلمىِّ أنها حكيمة ، وفيها إلهامات الحق تنبُعُ منها من ينابيع مكنونة ، وليس كلامٌ تقولهُ بلا وعىٍ وإدراك لأنها تقول للنبى والله لا يُخزيـك ، وكلمة يُخزيك وراءها قضيةٌ لأن قضية الإيمان من عدمهم بـالخزى أو

بعدم الخزى لأن اللقاء يوم القيامة . كل الفَخَارِ للنبى ﷺ ومن اتَّبَعهُ يوم لا يُخزى الله النى والذين آمنوا معه أما غيرهم يكونون فى خـزىٍ إذن تقول له أن العطاء الذى جاء لك من الله ليس فيه خزىٌ لك بل فيه نجاةٌ لمن صدَّق بك واتَّبعكَ من كلِّ خزى لأن الشيطان يكون فى خزىٍ إذا كان الإنسان يتخلَّقُ بخُلُقٍ حميدٌ ، وإذا كان الإنسان يتخلَّقُ بخُلُقٍ مذمومٍ فإنه يُرضى الشيطان ويُغضب الرحمن . فيقول الرحمن له : خلقتُـكَ بيـدى وكرَّمتُكَ على خلقى ، وتفضَّلتُ عليك بنعمى ، وتعبد وتشكر غيرى فإنى لا أفخرُ بك بين خلقى ولا أُباهى بك ملائكتى ، ولكنِّى أفخرُ بالعبدِ الطائع لى وأباهى به ملائكتى . إذن ساعة أن تُقسِمُ السيدة خديجة هذا القَـسَمُ ووالله لا يُخزيك الله أبداً . فإنها تُشاهدُ فيه أمورٌ تُؤهلهُ لعطـاء النبـوة فتكشف عن هذه الأمور مُبينةً لها فتقول : (إنك لَتَصلُ الـرَّحِم) فهـذا أول وصف فيك جميلٌ يُرضى الرحمن ، ويُخزى الـشيطان (وتَـصْدُقُ الحديثُ) فلم يشاهد أحدٌ من الناس مشهداً كذَّبت فيه طُوالَ حياتك بـك الكلُّ يشهدُ لك بالصادق الأمين : أى تصدقُ فـى الحـديث ، (وتحمـلُ الكَلَّ) يعنى كلما رأيتَ ضعيفاً لا يقدر على حملهِ رقَّ قلبُك فتحملُ عنـه حِمْلَهُ الثقيلُ عليه (وتَقرى الضيف) ، (وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ) إذن هذه الأوصافُ كلها جميلة تُرضى الرحمن ، وتُخزى الشيطان إذن الذى جاء لك هذا أنا على ثقةٍ ويقينٍ تامٍّ بأنهُ ملكٌ وليس بشيطانٍ فكأنهـا بكمالها تقول للنبى إن كان عندك ريبٌ مما أنت فيه فأنا ليس عندى ريبٌ من شئٍ لأنى أُشاهدُ فيك الكمال والجمال إذن ما أنت فيه من جمالٍ خُلُقىٍّ يُخزى الشيطان ؛ ولذلك السيدة خديجة فى هذا المشهد الكمالى يكون لها

شهادة بأنها صديِّقةٌ لأنها زوجةُ النبى ﷺ واستقبلت الرسالة استقبالاً تستأنسُ فرحاً لتحمل معهُ ثِقلاً منها فانظروا إلى هذا المشهد الجمالى فى أم المؤمنين السيدة خديجة ثم انظروا مشهداً عند زوجة نبىِّ الله سيدنا نوحٌ عليه السلام قولُ الحق سبحانه : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ فهذه زوجةُ نبىٍّ رسولٍ ، وأُخرى زوجةُ نبىٍّ رسولٍ وساعة أن يقول الحق سبحانه فخانتاهُما فليست الخيانة خيانةُ عِرضٍ فإن شرف النبى وعِرضُهُ مصونٌ بيد الحق القوية ، ولكنها خيانةٌ فى الرسالة فقد رأينا فى السيدة خديجة عليها السلام أنها استقبلت الرسالة بالتصديق أما زوجة نبى الله نوح فقد استقبلت الرسالة بالتكذيب فكان نبى الله نوحٌ عليه السلام يطُوفُ على الناس فى منازلهم يدعوهم إلى الله ، وتطوف وراءهُ زوجتهُ تصُدُّهُمْ عن الدعوة وتقول لهم إنه رجلٌ مجنونٌ فلا تُصدقوهُ فهذا زوجى وأعرفُ عنهُ ذلك وتُراقبُ عودتُهُ إلى بيته فتدخلُ البيت قبلهُ وتكونُ هادئة معه وكأنها لم تخرج ولم يصدُرُ منها أى شئٌ فهذه هى خيانتها ، ولذلك الحق توعدَهَا وقال إن كانت ستَرتْ أمرها على نوح فلم يلحظْ عليها خيانتها للرسالة فإنهُ مخلوقٌ أما أنا فأنا الله الخالق السميع البصير فلا يُستَرُ أمرُها إنى سأُعلنُ فيها إعلاناً أنها مَثلٌ للكُفْرِ والخيانة وأنها من أهل النار لا يشفع فيها زوجها . فانظروا إلى هذه ثم انظروا إلى السيدة خديجة تشاهدوا الكمال كل الكمال إنها تستقبلُ سيدنا رسول الله ﷺ

وترى أنه محزونٌ فيه مخاوف وأحزانٍ فتنتشلُهَا من قلبه بحُسنِ استقبالها للرسالة ولم تكتف بذلك بل أقسمت له صلى الله عليه وسلم وتقول ووالله لا يُخزيك الله أبداً ولذلك النبى ﷺ يشهدُ لها بأنها صِديِّقةٌ ويصفُ مقامها أنه مقامٌ كاملٌ أى تستقبلُ الكمال بالكمال .

السيدة خديجة فى مقام صِديِّقة : ـ

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن الإمام على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه ورضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو ينظر إلى السماء ويُشيرُ بيدهِ إلى ما بين السماء والأرض يقول خيرُ نساءها مريمُ بنتُ عمران ، وخير نساءها خديجةُ بنت خويلد إذن فمقامُها مقام صدِّيقةٌ لأن السيدة مريم ذُكرت فى القرآن بقول الحق ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ فمقام السيدة خديجة أنها صديِّقةٌ وهى صِديِّقةٌ فى حالها ومقامها وكمالها .

وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى جبريل النبى ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتتكَ معها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ فإذا هى أتتكَ فاقرأ عليها السلام من ربِّهَا ﷻ ومنِّى ، وبَشِّرها ببيتٍ فى الجنة من قصبٍ لا صخبَ فيه ولا نصب) . أى شرفٍ هذا ! وأى مقامٍ هذا ! وأى عطاءٍ هذا ! يتنزَّلُ أمين الوحى جبريل برسالة من الله ﷻ على نبيِّه وحبيبهِ بالسلام من الله إلى السيدة خديجة عليها السلام ، وسيدنا جبريل ينظر إليها ويُشيرُ للنبى عليها يقول له هذه خديجة قد أتتك يعنى أنا شايف خديجة جاية لك ومعها أكل . ومعها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ فإذا هى أتتك إذن سيدنا جبريل لم يتكلم معها لأنه أمين الوحى إلى رسول الله فهو يُبلِّغ لها الرسالة إلى رسول

الله ﷻ والرسول الكريم يُبلغها فيقول فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربِّهَا ﷻ . إذن سيدنا جبريل ينزلُ من أجلِ أن يُبلِّغها السلام عن الله فالحق سبحانه يقول لها السلام عليك يا خديجة لأن مقام السلام مقامٌ رفيعٌ لم يحظ به من الله أحدٌ فى الدنيا إلا سيدنا رسول الله ﷺ فى معراجهِ بقول الله له : ﴿ السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ﴾ لأنه ﷺ صاحبُ المقام الكامل فى الوجود فيأخذُ بمقامهِ السلام بالقول من ربه فى الدنيا قبل الآخرة لماذا ؟ لأن أتباعَهُ الصادقين فى اتِّباعهم له وفى محبتهم له ساعة أن يدخلوا الجنة يُلقى عليهم السلام بالقول من ربهم ، ويسمعونه سمعاً واضحاً ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ فأتباعهُ يأخذونهُ فى الجنة أما الحبيب المصطفى ﷺ فيأخذه فى الدنيا لأنه صاحبُ مقامُ اليقين التام الكامل فيأخذُ عطيَّتُهُ كاملةً فى الدنيا قبل الآخرة . فقد قال الحق سبحانه مُبيِّناً عطاءهُ لأوليائه فى الدنيا . فقال سبحانه : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ والبُشرى فى الدنيا هى أخذُ مقام العطاء باليقين إذن ساعة أن يأتى إلى السيدة خديجة السلام من ربِّهَا وفى بدء الرسالة فكأن الحق سبحانه بهذا العطاء وهذا السلام يُقدِّمُ لها الشكر على هذا الجميل لأنها أول من استقبل رسالته ورسوله بعقلٍ فيه تسليمٌ تامٌ وقلبٍ فيه تصديقٌ كاملٌ ، وأول من آمن برسول الله بالبيعة هى السيدة خديجة فيقول سيدنا جبريل ﷺ لسيدنا رسول الله ﷺ فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربِّهَا ﷻ ومنِّى ، فالسلام من الرَّبِّ ﷻ إلى خديجة والأمين جبريل يُسلِّمُ عليها كأنه يقول بلسان حالهِ إذا كان الحق سبحانه أرسل السلام إليها وأنا الذى أحملهُ أفلا أكونُ فخوراً

أن أحظى بأن أكون أول من يُسلِّمُ على خديجة من خلق الله بعد الله إذن نُشاهد بأن هذا لم يكنْ عطاءً من أمين الوحى جبريل ﷺ هو الذى طلب العطاء من مقام خديجة لأن السلام آتٍ إليها من ربِّها ﷻ إذن الحظُّ الأوفرُ أن أحظى بعطاءٍ من هذا السلام فيقول : فاقرأ عليها السلام من ربِّها ﷻ والضمير عائدٌ عليها بالربوبية الخاصة بها ولها وهذا يدل على أن هذا العطاء لم يحظ به أحدٌ إلا خديجة ، وبَشَّرها ببيتٍ فى الجنة من قصبٍ إذن فالأمر ليس سلامٌ فى الدنيا وكفى إنه سلامٌ من الله فى الدنيا وبهذا السلام وتحت ظلاله تعيش وتحيا حياةً سعيدةً فى أمنٍ بمقامِ الصدِّيقة . لا زلل ولا ذنوب ولا خطايا بعد ذلك فإنها بسلامِ الله قد عصمها الله وهى فى رِفعةٍ وترَقٍّ إيمانىٍّ دائمٌ طوال حياتها حتى تلقى الله الملك السلام به ، وأن تدخل الجنة دار السلام إذن تكون هى وحدها بفرديتها هى التى تدخل الجنة دار السلام ومعها لواء السلام وتحية السلام من الله فى الدنيا قبل الآخرة إذن ساعة أن تدخل الجنة لا تنتظر السلام من الله فى الجنة كما وعد بقوله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ بل تطلب الرؤية لتحظى برؤية الجمال فإنها قد حظيت بالسلام من الله فى الدنيا فلم يبقَ لها من الحظ إلا الزيادة لقوله سبحانه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ فالحُسنى هى الجنة بنعيمها بسلامٍ من الله والزيادة التمتع بالنظر إلى وجهه الكريم ؛ ولذلك يقول الأمين جبريل ﷺ للنبى ﷺ وبَشِّرْها ببيتٍ فى الجنة من قصبٍ ومعنى قصبٍ : أنه جامعٌ لكل جوامع الرضوان من الله وفيه من المحاسن مُكمَلُ المكامل من

السعادة يعنى نقول فُلانُ سعيدٌ فى حياته وإذا زدنا فى الوصف بالمبالغة نقول يحيا حياة سعيدة مُقَصَّبةً إذن صاحبُ مقام السعادة المُقَصَّبة من ينظر فى وجهه يحظى بعطاءٍ من السعادة فساعة أن يقول بيتٌ فى الجنة من قصبٍ يصف جمال الحياة به فيقول لا صخبَ فيه ولا نصبٌ فالصخبُ فى الدنيا هو ما نراهُ من إيذاءٍ ومساءاتٍ ومُحاربةٍ واعتداءات ونَيْلٍ ومواجهة أعداء الرسالة لها والنصب : هو العمل الدائم على خدمة الرسالة الذى يؤدى إلى العناء والتعب والمشقة التى لا راحة معها فى الدنيا فَتُساقُ البُشرى بجمالها من الله إلى السيدة خديجة عليها السلام أن الله أعدَّ لها بيتاً فى الجنة بالخصوصية لمقامها الرفيع عند الله يليق بمحبة الله لها ، وتقديرهُ سبحانه لحُسنِ ما قدَّمتهُ من صنيعٍ جميلٍ فى استقبال رسالته ورسوله بيتٌ تحلُّ به وفيه السعادة التى لو استظل بظلالها أهل المُلك والملكوت لوسعتهم جميعاً بقول بعض العارفين فى ذلك إذا كان السلامُ من المَلِكِ الجَلِيلِ يسبقُ

فكيف بِسَاعةِ اللقَاءِ عندَ أولِ سَاعَةٍ فى المَنْزِلِ

يعنى إذا كان الحق سبحانه منحها السلام منه قولاً فى الدنيا فكيف يكون عليه الحال من تكريم الله لها عند لقاءها بالله ورجوعها إليه وعطاء الله لها فى استقباله لها فى أول ساعة القدوم والنُزُل عندهُ وهو نُزُلُ الضيف على الكريم وخاصةً إذا كان الكريم المُضيف له يُحبهُ وقد قال الحق سبحانه فى نُزل عباده الصالحين : ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ والنُزل هو المكان والزمان الذى ينزل به الضيف فيكون استقبالهُ فيه بمشروبٍ حتى يلحق بعد راحته بالمكان ببقية العطاء من طعامٍ وغير ذلك فكذلك

عند الحق سبحانه ساعة النُزُلِ يقول : ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ أى يكون واجبُ الضيف عند استقبال الله له أن يغفر له وأن يدخله فى رحمته ثم بعد ذلك يُكرمُهم الله ويرفعهم إلى مقامات المُكْرمين كما حدَّثَ بذلك مؤمنُ يس بقوله على لسان الحق سبحانه : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ فغفر لى هذه من عطاء النُزُل أما قوله وجعلنى من المكرمين أى بعد أن استقر مقامى فى الجنة تَكَرَّمَ الكريم وتفضَّل صاحب الفضل بفضله علىَّ ورفعنى بالعطاء رُقيَّاً إلى مقامات المكرمين وهم حكام الجنة السُبَّقِ ويقول ذلك وهو يستعظمُ هذا العطاء على نفسه كأنه يقول حياتى فى الدنيا لم أسجد لله سجدة واحدة وكنت على طباع وحالِ أهل الكفر بالله فلم يصدُر منى إلا بيعةً صادقةً بالإيمان بالله فقتلونى أهل الكفر فأدخلنى الله الجنة بصدقى فى البيعة له بالإيمان به وأكرمنى بالمغفرة ومقام المكرمين السُبَّق وإذا تأملْنا فى عطاء الله سبحانه للسيدة خديجة لرأينا أن الله منحها السلام منه برسالةٍ منه يحملها إليها أمين الوحى جبريل ثم سلامٌ من الأمين جبريل عليه السلام . إذن نشاهد أن عطية الوحى تسلَّمَهَا النبى ﷺ ووقعت كل إشعاعاتها فى السيدة خديجة عليها السلام بهذا السلام وبشَّرْها ببيتٍ فى الجنة من قصب لا صخبَ فيه ولا نصب : يعنى هذا البيت تكون به ينابيع تنبع منها ينابيع السعادة لكل بيوت المؤمنين فى الجنة وذلك يكون مدداً لهم من مدد بيت أُمِّهِمْ فى الإيمان لأنها تسلَّمتْ من عطاء الله فى الدنيا سلاماً منه لو استظل به أهل المقامات جميعاً فى المُلك

والملكوت لوسعهم جميعاً إذن مقام السيدة خديجة عليها السلام مقامٌ لا يُدرك .

السيدة خديجة مع الرسالة ومعرفتها : ـ

جلست السيدة خديجة عليها السلام يومها بجوار سيدنا رسول الله ﷺ تُحدِّثهُ وتواسيه بالتسلية الأدبية اللطيفة حتى هدأ ونام ﷺ وساعة أن اطمأنت على نومه قامت وذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نَوفَلُ وكما ذكرنا عنه من قبل أنه تنصَّر ونقل من الإنجيل بعض الترجمة العربية ويعلم بعثة النبى الخاتم من الإنجيل . ذهبت إليه وقصَّتْ عليه ما حدَّثها به النبى ﷺ وبكل ما رأى وسمع فلمَّا سمع منها ورقة بن نوفل أطرق رأسه إلى الأرض وفكَّر فى كل ما قرأهُ فى الإنجيل من علمٍ عن النبى الخاتم فرآهُ هو ما حدَّثت به خديجة وسمعه منها فانفعل ونطق بصوتٍ عالٍ وقال : قدوس . قدوسٌ أى نطق باسم الله القدُّسُ لأن هذا أمرٌ عظيمٌ ينتظرهُ بعلمٍ من الله . أمرٌ له قُدسيَّتُهُ فى الوجود لأن سرَّ كل عطاءٍ فى الوجود مفتاحهُ بيد النبى الخاتم . إذن استقبل ورقة الحديث استقبال البُشْرى التى ينتظرها ويترقب مجيئها بلهفة وقال : قدوسٌ . قدوسٌ . والذى نفس ورقة بيده إن كنت صدقتنى يا خديجة يعنى لو كلامك الذى قُلتيهِ هذا صدقٌ لقد جاءه الناموس الأكبر : أى الوحى الذى كان يأتى موسى وإنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبُتْ : يعنى لا يخاف ولا يتوهم أنها أُمورٌ شيطانية . بل هذه أمورٌ من الله وأقول لك هذا الكلام من علمٍ أنزله الله فى الكتب السماوية فالسيدة خديجة أخذت منه هذه البُشْرى واطمأن قلبها ورجعت عائدة إلى النبى ﷺ فوجدته ﷺ ما

زال نائماً فجلست بجواره وحدَّقت فى وجهه الشريف ﷺ فشاهدت نورانية عظيمة : أى نوراً فى وجهه الشريف ﷺ وكأن وجهها مُحِقَ فى النورانية : أى شعُرت أنها لم يكن لها وجهٌ أو عينٌ تُبصرُ بها من عظمة الجمال المحمدى جمالٌ اختطف كُلية بصرها وكُلِّية تمكينها فى نفسها وصنع بها صنيع الهيام من الفرحة والسرور وقالت فى حديثها مع نفسها إن ابن عمى ورقة لأراهُ صادقٌ ثم نظرتْ إلى النبى ﷺ وهو فى هدأة نومه فرأته قد حدثت له هَزَّةٌ شديدة ، وبلل العرق وجهه الشريف : أى يتصبب العرق على جبينه وذلك من ثِقَل الوحى وعظمة القرآن وقام النبى ليستمع إلى أمين الوحى يقول له قُرآناً : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ .

إعلان رسالته صلى الله عليه وسلم رسولاً : ـ

فإعلان البشارة بالرسالة لسيدنا رسول الله كما ذكرنا من قبلُ بنزول سورة المدثر . كما قلنا أن إعلان النبوة كان بنزول سورة العلق فيتنزل الوحى على النبى ﷺ بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ فهذه البشارة بالرسالة ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ يعنى أنذر الناس وادعوهم إلى عبادة الله وحده وأنذرهم بلقاء الله ، والحساب ، والثواب ، والعقاب . ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أى وربك فعَظِّمْ . عَظِّمْ أمر ربك هذا فيك يعنى لا نوم ولا راحة لك من اليوم ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ بعض الصالحين قال : الثوب هو النفْسُ والمراد إصلاح النفس أى : أصلح نفسك لأن العرب كانوا يقولون فى الرجل الذى ينقضُ عهد الله إنه لمُدَنَّس الثياب وإذا وفَّى

وأصلح يقولون فيه إنه لمُطَّهرُ الثيـــاب ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ أى اهجـــر الأصنام ومن يُعظمها بخُلقٍ وطباعٍ ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ أى لاتمنُنْ بعملك على ربك تستكثرُهُ . أى كل أوقاتك وأنفاسك تبذُلها فى خدمة الرسالة ولم يبق عندك فراغُ وقتٍ بعد اليوم ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ أى اجعل صبرك على أذاهُم لوجه الله ﷻ فإن الصبر على الإيذاء فى الله من أعظم العبادات لله فاصبر على عطيتك لله تعالى . إذن ساعة أن نزل على رسول الله الأمر بالنِّذارة نقول إن هذا أمرُ الرسالة والتكليف مـــن الله لرسوله ﷺ بالدعوة إليه سبحانه . ولذلك السيدة خديجة ســـاعة ان رأت العرق يتصبب على وجهه . رق قلبُها بالإشفاق علـــى رســـول الله وأرادت أن تأخذ بيده إلى فراشه لينام وليستريح جسمهُ الشريف وبدنهُ الطاهر الزَّكىِّ فينظر صلى الله عليه وسلم فى وجهها ويقول : إنقـــضى عهد النوم والراحة يا خديجة : أى عهد الراحة وعهدُ النـــوم إنقـــضى وبدأنا من اليوم فى عهدٍ جديدٍ ليس فيه فراغٌ ولا راحة فأحزانٌ تكـــون متواصلة فقد أمرنى جبريل عليه السلام أن أنذر الناس وأن أدعـــوهم إلـــى الله وإلى عبادته وطاعته (فمن ذا أدعو ؟ ومن ذا يستجيبُ لى ؟) فالسيدة خديجة عليها السلام قصَّت عليه ﷺ أمر ورقة بن نوفل وما قالـــه لهـــا وقالت له إنك لنبىُّ هذه الأُمَّة كما أخبرها ورقة بن نوفل . ثم ســـارعت فأعلنت له إسلامها وآمنت بنبوته ورسالته .

إسلام السيدة خديجة عليها السلام : ▪

كان إسلام السيدة خديجة أول من أسلم من الأمة وأول من آمن بالنبى

ﷺ نبياً ورسولاً إذن نُشاهد فى السيدة خديجة مقامُها الآن أنها أُمَّـــة ؛ لأنها أول من أسلم من الأمة من النساء والرجال ولكنها بعد أن أعلنـــت إسلامها طلبت من رسول الله ﷺ متى جاء الوحى أى الملكُ الذى يأتيـــك فأخبرنى ؛ لأنها رغبت وأصرَّتْ أن تدخل من مدخل إتمام مقام وعطـــاء اليقين التام حتى لا يكون هناك بعد ذلك ريبٌ أو شكٌ فـــساعة أن جـــاء أمين الوحى جبريل عليه السلام ورآه النبى ﷺ أخبرها فأجلستهُ صلى الله عليه وسلم على فخذها اليُسرى والوحى معهُ ثم أجلسته على فخذِها اليُمنى ثم فى حجرِهَا وهو ما يزال يراهُ انظـــروا إلـــى هـــذه الفطانـــة والعطـــاء والإيحاءات المكنونة فى مقام الكمال ؛ لأنها تريد بذلك أن تشاهد يقينـــاً تاماً من منابع اليقين فحسرَتْ وألقتْ خمارَها : أى خلعت الخِمار وألقتهُ بجوارها على الأرض فانكشف بعض جسمها وظهر ، وجـــسم المـــرأة عورة وأهل الكمال أهل البصيرة لا ينظرون إلى العورة بل يفرُّون مـــن المكان إذا حلَّت به ثم سألت النبى ﷺ هل الوحى ما زال معك تراهُ . فإذا هو صلى الله عليه وسلم لا يراهُ . فلماذا صنعت السيدة خديجـــة هـــذا الصنيع ؟ نقول : لأن القضية التى تشغلُها فى حينها بين أمرين إمـــا أن يكون الذى معه ملكٌ ووحىٌ من الله فيكون نبياً وإما أن يكون الذى معهُ شيطانٌ فتكون أمورٌ شيطانية فساعة أن تكشف عن عورةٍ من جـــسمها فإن كان الذى معه شيطانٌ يثبُتُ ولا ينصرف ليتمتع بالنظر إلى العورة ، وإن كان الذى معه مَلكٌ ففيه عطاء الحياء الكامل التام بالإيمـــان بـــالله فينصرف حتى لا ينظر إلى العورة فهى حين تفعل ذلك تفعلـــهُ لتتحقـــق بحقائق اليقين الفاصل بين الكمال والنقص فلما تحققت من سيدنا رسول

الله ﷻ بأنهُ لا يرى الوحى معه بعد أن كشفت عن عورتها علمت يقيناً أنهُ مَلكٌ ووحىٌ من الله سبحانه فلم يبق ريبٌ عندها فى أنه ملكٌ وليس بشيطانٍ وبذلك قد سكنت وثبُتت على مقام اليقين التام الذى يجعلها كأن الوحى يتنزَّل عليها .

لقاء النبى صلى الله عليه وسلم بورقة بن نوفل : ـ

خرج رسول الله ﷻ يوماً وسار فى شِعابِ مكة ثم توجَّهَ إلى الكعبة المُشرَّفة ووقف أمامها وفى جوهرهِ نورُ النبوة والرسالة ، وهو يطوف حول الكعبة لقيهُ ورقة بن نوفل فحدَّثهُ النبى ﷺ بما رأى وسمع فلما سمع ورقة قال : (والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هذه الأُمَّة) أما لمَّا ذهبت إليه من قبل السيدة خديجة أقسم لها وقال والذى نفسى بيده لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى فهذا القسمُ على أمين الوحى بالتحقيق . أما هذا القَسَمُ والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هذه الأمة فهذا القَسمُ على إثباتِ النبوة للأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ثم يُخبرهُ بأمورٍ قرأها فى الكتب السماوية بلسان الحق سبحانه عن رسول الله ﷻ وأحداثٍ يعيشها مع الرسالة . قال له : (ولتُكَذَّبَنَّ) . وهو لم يدعُ أحداً حتى الآن فهذه أمورٌ يُبَشِّرُ بها ورقة من الكتب السماوية بأن رسالتك يُقابلها قومُك بالتكذيب (ولتُؤْذَيَنَّ) (ولتُخرَجَنَّ ، ولتُقاتَلَنَّ) فهذه أحداثٌ مرحلية تواجهك مع الرسالة أخبر عنها الحق بعلمه فى الكتب السماوية(ولتُكَذَّبَنَّ ، ولتُؤْذَيَنَّ ، ولتُخرَجَنَّ ، ولتُقاتَلَنَّ) فهذه أحداثٌ مرتَّبة ترتيباً مرحلياً كل حدث تلوَ الآخر سيكذبونك أولاً ثم يؤذونك ويشتد عليك الإيذاء فى مكة ثم بعد ذلك

يُخرجوك منها ولتُخرجَنَّ ولا تظنُّ أنك إن أخرجوك تهاجرُ إلى وطنٍ تجدُ فيه راحةً وأمنٍ بل ولتُقاتَلَنَّ أى يأتوا ورائك بجمعهم فى المدينة ويقاتلونك وتكون غزواتك الدائمة والقائمة بالقتال ثم يقول ورقة للنبى بعد ذلك (ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصُرَنَّ الله نصراً يعلمهُ ثم أدنى منه رأسهُ فقبَّل يافُوخَهُ : أى أخذ ورقة برأس النبى وقرَّبها إليه وقبَّلها ليحظى ببركةٍ من النبى ﷺ فشعُر النبى ﷺ بصدق ورقة فى قوله ورأى ثِقَل حملِ الرسالة عليه بالرؤيا وفكر النبى ﷺ كيف يدعو قومه إلى عبادة الله وهو يعلم عنهم أنهم أحرصُ ما يكونون على باطلِهِمْ .... وهذا هو ثِقَلُ الرسالة لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ .

وفى هذا القدر كفاية وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ وسلم . وكل عامٍ وأنتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثالثة عشر

وموضوعها

أول مقامات الأمة

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الأربعاء

١١ من ربيع أول ١٤٢١ هـ

الموافق ١٤ من يونية عام ٢٠٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله المعروف من غير رؤية ، والخالق من غير مَنْصَبَةٍ خلق الخلائق بقدرته ، واستعبد الأرباب بعزَّتِهِ وساد العظماء بجُودِهِ ، وهو الذى أسكن الدنيا خلقهُ وبعث إلى الجن والإنس رُسُلَهُ ؛ ليكشفوا لهُم عن غطائها وليُحذِّروهم من ضرَّائِها ، وليضربوا لهم أمثالَها ، وليُبْصرُوهُم عيُوبَهَا ، وليهجموا عليهم بمُعتبرٍ من تصرُّفِ مصاحِّهَا وأسقامِهَا ، وحلالها وحرامها ، وما أعدَّ الله للمطيعين منهم والعُصاة من جنةٍ ونارٍ ، وكرامةٍ وهوانٍ أحمدُهُ إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه . جعل لكل شئٍ قدراً ولكل قدرٍ أجلاً ، ولكل أجلٍ كتاباً . سبحانه لَبِسَ العزَّ والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه ، وجعلهما حِمىً وحرماً على غيرهِ واصطفاهما لجلاله ، وجعل اللعنة على من نازعه فيهِمَا من عباده ، وأظهر مِنْ آثار سُلطانه ، وجلال كبريائه ما حيَّر مُقَلَ العيون من عجائب قُدرتهِ . وردع خطرات هماهِمَ النفوس عن عِرفانِ كُنْهِ صفته فتبارك الله الذى لا يبلغُهُ بُعدُ الهِمَمِ ، ولا ينالُهُ حُسنُ الفِطنِ الأولُ الذى لا غاية له فينتهى ، ولا آخر له فينقضى فهو سبحانه الأول قبل كل أول ، والآخر بعد كل آخر بأوليَّته وجب أن لا أول له ، وبآخريته وجب أن لا آخر له سبحانه أحاط بكل شئٍ علماً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . العلىِّ عن شبهِ المخلوقين ، الغالب لمقالِ الواصفين ، الظاهرِ بعجائب تدبيره للناظرين ، الباطن بجلال عزَّته عن فكر المتوهمين ، العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علمٍ مُستفادٍ ، المُقدِّر لجميع الأمور بلا رَوِيَّةٍ ولا ضمير ، الذى لا تغشاه

الظُّلَمِ ، ولا يستضئُ بالأنوار ، ولا يُرهقهُ ليلٌ ، ولا يجرى عليه نهارٌ ، ليس إدراكُه بالأبصار ، ولا علمه بالأخبار . سبحانه . سبحانه . سبحانه وتعالى عما يقولون عُلُوّاً كبيراً . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وسيدُ عبادهِ كلما نسخ الله الخلق فِرْقَتَيْنِ جعله فى خَيرهما . لم يُسهمْ فيه عاهرٌ ، ولا ضرب فيه فاجرٌ . تنقَّل نوراً فى المُطَهراتِ من النساء بقوله صلى الله عليه وسلم : (لم يلتقِ أبواى قطُّ على سِفاحٍ . لم يزل الله يَنقُلُنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة . مُصفًّى مُهذباً لا تتشعبُ شعبتان إلا كنت فى خيرهما صلى الله عليه وسلم ، فهو صلى الله عليه وسلم نجيب الله ، وسفير وَحْيِهِ ، ورسول رحمتهِ فصلوات الله وسلامه ، ورحمته وبركاته عليك سيدى يا رسول الله ، وعلى آلك وصحبك . أهلُ الذكر أعلام هدىً ، ومصابيحُ دُجىً . قد حفَّتْ بهم الملائكة وتنزَّلت عليهم السَّكينة ، وفُتحت لهم أبواب السماء ، وأُعِدَّت لهم مقاعدَ الكرامات فى مقام اطلَّع الله عليهم فيه فرضىَ سعيهم ، وحمدَ مقامهم فرضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأمدنا بمددهم ، ونفعنا بعلمهم ، وحفظ قلوبنا على محبتهم آمين . آمين رب العالمين .

أما بعد

فنحن فى هذا الجمع الكريم ، وفى هذه الليلة المباركة ، ليلة الذكر الأعظم عند عالم المُلك ، وعالم الملكوت . ليلة مولد سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . ليلةٌ احتضنت أنوارها الأرواح الصافية الطيبة قبل مولده صلى الله عليه وسلم فمسَّتها أنوار النبى قبل مولده فى موكب الأسباب بشراً بين البشر ؛ ليأتنس الناس جميعاً ببشريته صلى الله عليه

وسلم ظاهراً وليقبسُوا من نوره باطناً ، ونحن فى هذه الليلة المباركة لا نقول احتضنت أرواحنا الأنوار المحمدية ، وحُرمت أشباحُنا بل نقول أمْتَنَّ الله علينا وجمعنا بتوفيقٍ منه سبحانه ، وبعانيته بنا ورعايته لنا جمعنا أرواحاً ، وأشباحاً ، وقلوباً استمدَّت من أنوار المحبة لله ورسوله . فهذا شرفٌ عظيمٌ لنا نفخر ونتفاخر به أمام أعُين عالم المُلك والملكوت . ونحن فى هذا اللقاء نعيش مع الحديث الطيب عن سيرة سيد المرسلين نسأل الله سبحانه أن يمدَّنا بمددٍ من إشراقاتِ أنواره وإلهاماتهِ لأهل محبته من أحبابه وأوليائه .... فنحن فى اللقاء السابق وقفنا فى الحديث عن سيرة سيدنا رسول الله ﷺ عند بدء الرسالة ، وقلنا أن أول استقبالٍ للرسالة بالاتِّباع وبالإيمان ، وبنظام بُنيانٍ للأُمة المحمدية فإنه كان اول من تلقَّى فى أُمَّة محمدٍ ﷺ عطاء الرسالة لبناء الأُمة (السيدة خديجة عليها السلام) أُمُّ المؤمنين وصاحبة مقامِ الكمال الصدِّيقةُ ثم بعد ذلك قلنا أن النبى ﷺ أول ما خرج بعد هذا الأمر وحدوثهِ توجَّهَ إلى الكعبة المُشرَّفة فالتقى بورقة بن نوفل وهو يطوف حول الكعبة .

لقاء النبى صلى الله عليه وسلم بورقة بن نوفل : ▪

خرج النبى ﷺ يوماً للطواف بالكعبة ؛ فلقيَهُ ورقة بن نوفل فلما قصَّ عليه النبى أمرَه قال ورقة : (والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هذه الأُمَّة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتُكَذَّبن ، ولتؤذَيَنَّ ، ولتُخرَجَنَّ ولتُقاتَلَنَّ ، ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصُرَنَّ الله نصراً يعلمُهُ) ثم أدنى منه رأسهُ فقبَّلَ يافُوخهُ وشعر النبى ﷺ بصدقِ ورقة فى قوله ،

وبِثُقَلِ ما أُلقىَ عليه إننا إذا تأملنا فى هذا اللقاء بين النبى ﷺ وورقة بن نوفل وما صدر منه من قَسَمٍ بالله بنبوة النبى للأمة حين سمع منه . انفعل وقال بصوتٍ عالٍ قائلاً : (والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هذه الأمة) نقول فى هذا القْسم هل كان ورقة على علمٍ من الله بذلك ؟ أم كان هذا القَسَمِ من خلال أمورٍ هيجَتهُ حين سمع من رسول الله ذلك بلا إدراك لعظمة القسم وما يحويه من بشارة النبوة للنبى ﷺ ؟ نقول : لا لم تكن هناك أمورٌ بداخله تُهيجُهُ هياجَ الضَّالِّ الجاهل ولكنه علمُ الله فيه وهُداهُ فإنه كان دارساً للتوراة والإنجيل ، وكان يستشيرهُ أهل الكتاب وغيرهم فى الأمور الدينية والعقائدية إذن فساعة أن يُقسم هذا القسم نقول أقسم بعلمٍ فيه من عند الله فى التوراة والإنجيل . ولذلك أكد ورقة القسم فقال : ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى . إذن فهو على معرفة بأمين الوحى جبريل عليه السلام ثم يؤكد له بذكر الأحداث التى ستكون مستقبلاً تتعلق بهذه الرسالة ويتعرض لها رسول الله ﷺ وحسب ترتيبها الفعلى والزمنى فيقول ورقة (ولتُكذَبَنَّ) يعنى من أول ساعة تصدعُ بأمر الله بالدعوة إلى الله يُكذبونك وأول من يُكذبونك عشيرتك الأقربين وقومُك . ثم يقول ورقة (ولتُكذَبَنَّ ، ولتؤذَيَنَّ ، ولتُخْرَجَنَّ ، ولتُقاتَلَنَّ) وهذا ما حدث بنفس الترتيب واقعاً واجههُ رسول الله فى حياته فالتكذيب : كان أول واقع حدث لرسول الله ﷺ ثم الإيذاء الشديد : فى مكة والذى وقع لسيدنا رسول الله ﷺ ولصحابته الأعلام من كُفار قريش . ثم إخراجه صلى الله عليه وسلم : من داره ووطنه البلد الأمين . بلد الله ، الوطن المحبوب لقلبه صلى الله عليه وسلم تطاردُهُ

قلوبٌ قاسية حلَّ بها ظُلماتُ الكفر والضلال والجحود . فيخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة ، وينظر صلى الله عليه وسلم إلى مكة المكرمة والوطن العزيز وعيناهُ تذْرفُ بالدموع ، والحزن يفيض على قلبه وجوانحه ، ويخاطب مكة فى ذاتها برؤية جلالها وبهائها وجمالها قائلاً : (إنك أحب بلاد الله إلىَّ ولولا أن أهلك (يعنى بذلك قومه) أخرجونى منك ما خرجت) ونظرة الكوائن كلها للنبى ﷺ أنه سيلقى راحةً بعد هجرته من مكة التى لاقى بها الإيذاءات الشديدة فإنه يستريح فى وطن الهجرة وهى المدينة المنورة ولكنها ستكون محلاً يتحقق على أرضها البُشرى الرابعة لورقة وهى (ولتُقاتَلَنَّ) أى يكون بها القتال وتكون غزواته صلى الله عليه وسلم المتعددة لقتال أهل الكفر الذين تجمعوا عليه لمحاربة الله ورسوله فى دين الله ويكون النصرُ من الله له ولأصحابه وإتمام نعمة الله عليه بكمال التشريع وبناء صرح الأُمَّة وتشييدهِ بالعزَّة والكرامة ويشاهد الجمال كل الجمال فى المدينة المنورة فهى مهبط أنوار الجمال تجلَّى عليها الحق أن جعلها بلداً لحبيبه ومصطفاهُ وجعل بها حرماً مُقدَّساً باسم حبيبه ومنسوباً إليه وكأن هيأ لحبيبه هذه الهجرة بتسليط قومه عليه بالإيذاء ليُظهر جمال رسالته فإن مظهر الجمال فى الرسول ﷺ وفى رسالته كان فى شدة إيذاء قومه له وتكذيب رسالته وإخراجه من وطنه مهاجراً يلتمسُ وطناً آخر ، لماذا ؟ لأن قومه لو استقبلوا رسالته بالتصديق من بادئ الأمر فلرُبَّ أن يقول بعض الناس إن هذه الرسالة وهذا الكتاب الذى جاء به زعمٌ من قريش كاذب ، واختاروا له من يقوم به من بينهم ليسودوا به الناس جميعاً

فاختاروا محمداً لحُسن خلُقه وحُسن ظن الناس فيه فكان ذلك يُهبط شأن الرسالة ، ولكن محاربتهم للرسول وإيذاءه وإنكار رسالته من قومه فذلك إظهارٌ جميلٌ لعظمة الرسول والرسالة ... وإثباتُ يرسخُ فى العقول وفى القلوب بأن هذا الرسول مرسلٌ من قِبَلِ الله حقاً برسالة النور ودين الله والدليل على ذلك أن قومه لم يُناصروه ولم يتَّبعوه ، وآذوهُ وأخرجوهُ من وطنه ، وظلُّوا على كفرهم بالله وعبادة الأصنام من دون الله التى أنكرها عليهم رسول الله بل وظلُّوا على عدائهم له صلى الله عليه وسلم حتى جهزوا جيشاً لهم بالعُدَّة والعَتاد وتابعوه ُ يقاتلونه بعد هجرته بعامين على أرض وطن هجرته المدينة المنورة فهذه مشاهدٌ جمالية تُظهر جمال الرسول والرسالة ففى الشئ ونقيضه مشاهد الجمال . فإننا نشاهد فى المدينة المنورة أنها بلد رسول الله ﷺ تحوى الجمال بأنواره وأسراره كما نشاهد ونلحظ ان بها طمأنينة قلب المؤمن وسُكونه بالسكينة فهذا صنيع الجمال كما ترى فى مكة بلد الله أنها تحوى الجلال نوراً وسراً وهَيْبةً ومن مشاهد الجمال فى المدينة أن الله اختارها لحبيبه دار هجرته بدين الله ، وأرضُ غزواته للقتال فى سبيل الله وبلدٌ أنزل الله فيها تشريعات وتكاليف العبادة لله وأكمل فيها دينه ، وأتمَّ نعمته على رسوله والمؤمنين ورفعت راية الإسلام فيها بالنصر والعزَّة والكرامة ويسكنها سيدنا رسول الله ﷺ وبها حرمه الشريف إلى يوم القيامة جعل الله فيه الصلاة بألفِ عمَّا سواه إلا المسجد الحرام فصلاة فيه بمائة ألف صلاة ، ورؤية هناءة المسلم وعزَّته وسعادته وكرامته ما كانت إلا بالمدينة وفى المدينة ، ونشاهد أن ينابيع العطاء

لذلك كله من ضده ونقيضه (أى من القتال) فلولا القتال ما كان النصر من الله للمؤمنين ، ولولا النصر ما ظهر للمسلمين عزَّتهم ، ولولا ظهور عزة المسلمين ما رُفعت راية الإسلام . فهذه حكمة الله سبحانه لإعلاء كلمته ، لذلك نزل قوله سبحانه بإكمال دينه وإتمام نعمته : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ وإن كنا قد تعرضنا للحديث عن المدينة المنورة فلا يُعدُّ ذلك خروجاً عن الموضوع الذى نحن بصددهِ ، ولكنه ساقنا شوقنا إلى الحبيب فمعذرة ، ونعود إلى حديثنا مع سيدنا رسول الله ولقاء ورقة بن نوفل يقول ورقة بن نوفل للنبى مُعلناً إيمانه به رسولاً وبرسالته ويعدُهُ بأنه لو أمدَّ الله فى عمره ويكون موجوداً على قيد الحياة فى الدنيا يوم أن يخرجوك قومك مهاجراً فإنى أُناصرك وأُهاجر معك ويعلم الله سرِّى وعلانيتى وصدقى بالوفاء بوعدى فيما أقول ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصُرنَّ الله نصراً يعلمهُ) ثم أدنى منه رأسه فقبَّل يافوخهُ) : أى أنه لما شاهد نور الرسالة فى النبى ﷺ أخذه الهيام وجذب رأس النبى إليه أى قربها وقبَّل أعلى الرأس اعتقاداً منه أنها مهبط التجليات النورانية ، وشعر النبى بصدق ورقة فى قوله ، وذلك لما رأى فيه من هيام وحبٍّ ووعدٍ لنُصرتهِ صلى الله عليه وسلم لما شعر النبى بثقل ما أُلقى عليه من مسئولية وأمانة عُظمى لها ثقل فى مبناها ومعناها كما بيَّن الحق سبحانه بقوله : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ لم يكن فى الوجود كله قوة خلقية وخُلُقية مُهيأة لتتلقى هذا الثقل العظيم إلا أنت وحدك يا رسول

الله .

النبى صلى الله عليه وسلم يفكر كيف يدعو قريشاً ؟

بدأ النبى ﷺ يفكر كيف يدعو قريشاً إلى ما آمن به ؟ ، وهو يعلم أنهم أحرص ما يكونون على باطلهم حتى ليقاتلون فى سبيله ويُقتلون وهم من بعد أهلهُ وعشيرته الأقربون ... وإذا لم يؤمنوا به فماذا عسى أن يفعل ؟ هذه هى المسألة الكبرى .

النبى صلى الله عليه وسلم يُصلى هو وخديجة وعلى : ■

وعلَّم الله نبيَّه الصلاة فصلى ، وصلَّت خديجة وكان يقوم معهما غير بناتهما على بن أبى طالب الذى كان صبياً لم يبلغ الحُلُم . (ذلك أن قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدة وكان أبو طالب كثير العيال فقال النبى لعمه العباس (إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه فلنُخفف من عياله آخُذُ من بنيه رجلاً وتأخذُ أنت رجلاً فنكفُلُهُما عنه ، وكفل العباس جعفراً وكفل النبى عليَّاً . فلم يزل معه حتى بعثه الله وفيما النبى وخديجة يُصلِّيان يوماً دخل عليهما علىٌّ مفاجأة فرآهما يركعان ويسجدان ، ويتلوان ما تيسر مما أوحاهُ الله يومئذٍ من القرآن فوقف علىٌّ دهشاً حتى أتمَّا صلاتَهُما . ثم سأل : لمن تسجدان ؟ فأجابه النبى بقوله : إنما نسجد لله الذى بعثنى نبياً وأمرنى أن أدعو الناس إليه ، ودعا النبى ابن عمه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وإلى دينه الذى بُعث نبياً به ، وإلى إنكار الأصنام أمثال اللات والعُزَّى ، وتلا ما تيسر من القرآن . فأخذ علىٌّ عن نفسه ، ووقع فى قلبه نور جمال الآيات وإعجازه ، واستمهل حتى يُشاور أباهُ فى

إسلامه لأنه صبىٌّ .. ثم قضى ليلة مضطرباً حتى إذا أصبح أعلن إليهما أنه اتبعهما من غير حاجةٍ لرأى أبى طالب وقال : (لقد خلقنى الله من غير أن يشاور أبا طالب . فما حاجتى أنأ إلى مُشاورته لأعبد الله ؟ وكذلك كان علِىٌّ أول من أسلم ، ومن بعده أسلم زيد بن حارثة مولى النبى . وبذلك بقى الإسلام محصوراً فى بيت النبى ، وفيه زوجته وابن عمه ومولاهُ .. نقول : لماذا أمر الله نبيه بالصلاة قبل أمته ؟ نقول لأن النبى ﷺ صاحب الرسالة وصاحب مقام الكمال وهو الكمال المطلق الذى لا يعتريه نقصٌ أبداً ولذلك ساعة أن تأتيه الرسالة يبدأ التكليف عليه والعمل بها بتشريعاتٍ اُختُص بها لمقامه الكمالى المحمدى أما الأمة فالمُشرِّع وهو الله سبحانه يُعاملهم بحكمته لأن النقص فيهم دون الكمال ، وإنهم يستقبلون أمر الله بنقصهم فإذا نهاهم الله فيما شرع عن شئٍ خبيثٍ من مأكل أو مشربٍ وهم يُحبونه فإنهم يأتمرون بأمر هوى النفس الأمارة بالسوء إذن فالمحبة عندهم لغير الله . فالحق تبارك وتعالى اسمه الحكيم واسمه الرحيم ، يحب لعباده الرحمة فإن ضلُّوا عنها يأخذ بأيديهم ويرشدهم ويهديهم إليها بحكمته . وما دامت المحبة فيهم لغير الله فيكون ذلك من غِراس النقص الذى هو ضد الكمال . أما النبى ﷺ بكماله يقول له الحق سبحانه : تسلَّم أنت جُملة التكاليف الشرعية لك ولأمتك ثم ابدأ معهم اولاً : بشهادة التوحيد ، ودعهُم لا تُكلِّفهُم بأمرٍ ونهىٍ حتى يثبتوا معنا بالمحبة وحُسن الظن والاعتقاد ، ويتخلوا عن النقص شيئاً فشيئاً ، ويتحلوا بالكمال بمطلبهم للكمال وتقع فى قلوبهم محبتنا فيستجيبوا لطاعتنا ، ولذلك نُشاهد أن الخمر أم الكبائر كان من

الأولى أن يعلن المشرع وهو الله سبحانه تحريمها فى بادئ الأمر ولكنه أرجأ ذلك وأخَّر إعلان تحريمها حتى بعد أن فرض الصلاة على الأمة كانوا يصلون ويشربون الخمر لماذا ؟ لأن الحق رأى فيهم أن الخمر عندهم محبوبة بل تعشقها نفوسهم عشقاً وكانت مشروباً مُعتاداً عندهم وهى تحية الضيف النازل عندهم كالشاى والقهوة عندنا اليوم فليس من السهل عندهم تركها فإذا واجههم بتحريمها فى بادئ الأمر والنقصُ فيهم بتمامه لقالوا إن الخمر عندنا أحب من الأمر والآمر ولسنا فى حاجة إلى هذا الدين . فمن الحكمة أن نؤجل تحريمها ونأخذهم برفقٍ من النقص إلى الكمال خُطوة خُطوة يحلَّ فيهم الكمال ، ويرحل النقص فيشاهدون جمال الطيب فيعشقونه ، ويشاهدون قُبح الخبيث فيبغضونه ، وهذا ما حدث لمَّا نزل قول الحق سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ لأن الصلاة صلةٌ بين العبد وربه ، وهى قضيةُ الإيمان ؛ لأن العبد يقف فيها بين يدى الله يُناجيه ويُقرُّ له أنه قام بكُل ما عليه من واجبات لله طائعاً ممتثلاً لأوامره وله من الله مطالبٌ ورجاءٌ بالعطاء فلابد وأن يكون واعياً ما يقول وما يطلب وهذا ينفى عنه الشكر حتى يعلم ما يقول ولذلك نهى الحق سبحانه عن الدخول فى حِمَىَ الصلاة لا فى الحرم لها . فقال سبحانه ﴿ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى ﴾ ولم يقل لا تدخلوا الصلاة ومعنى ذلك أن الاقتراب منها والمصلِّى سكرانُ يفسدُ الصلاة والاقتراب أى من أول فعلٍ يدخلك على الصلاة . الطهارة مدخلُ ، والإستنجاء مدخلُ ، والوضوء

مدخلٌ مُتمِّمٌ لذلك كله : أى لو كان الإستنجاء وأنت فى حالة سُكْرٍ فلا تصح الصلاة ، ولو كان الوضوء كذلك والمسلم فى حالة السُكْر لا تصحُ له الصلاة . إذن فالنهى عن الاقتراب من الحمى للصلاة فمن باب أولى عدم الاقتراب من الحرم : أى حرم الصلاة وهى التكبيرة الأولى التى تدخلُك فى الصلاة ولذلك سُميَت بتكبيرة الإحرام .. ومع ذلك جماعة من صحابة النبى أخذوا النهى التام فانتهوا عن شُرب الخمر نهائياً وهم الذين غُرِسَ فيهم غِراسُ الكمال بتمامه وكمُلت فيهم محبة الله ورسوله فهم أهل الكمال التام مثل سيدنا أبو بكر ، سيدنا عمر ، سيدنا علِىَّ ، وسيدنا عُثمان ﷺ على سبيل المثال لا الحصر . والجماعة الأخرى بقى حبُّ الخمر فيهم فلم تكمل محبتهم لله ورسوله ولم يصلوا إلى مرتبة الكمال التام . علَّقوا النهى على الخمر بسببه فقالوا إن الله قال حتى تعلموا ما تقولون أى لا تقربوا الصلاة حتى يزول عنك السبب ، وهو السُكْرِ ولم يقفوا عند رؤية الخُبث فى الخمر أو رؤية القُبح فى السُكْرِ ، ومطلب الكمال بالبعد عنها على أنها رجسٌ من عمل الشيطان فقالوا : نختار وقتاً وزمناً طويلاً بين وقتين من الصلاة نسْكَرُ فيه فقالوا نخرج من صلاة العشاء فنشرب الخمر فإذا سَكِرْنا فيكون الوقت من العشاء إلى الفجر طويلٌ وممدودٌ حتى إذا جاء وقت صلاة الصُبح أى الفجر نفوقُ من سُكْرنا وندخل الصلاة بوعيٍ تامٍ وقاموا بذلك بالفعل ... فلما فعلوا ذلك شُوهد فيهم بقية النقص فى نظر أهل الكمال فأخذتهم الغَيرة على جمال الحق وجلاله ؛ لأنهم رسخ فى ذاتهم روحاً وجسداً وقلباً وعقلاً علم اليقين بأن الله جميل لا يحبُ إلا الجمال فيأمرُ به عباده ،

وأن الله طيِّبٌ لا يُحل لعباده إلا الطيبات ، ولا يُحرِمُ عليهم إلا الخبائث ؛ لذلك نهى عن الخمر عبدهُ حين الوقوف بين يديه لكماله بذلك إذن فالذى يُحبُّ أن يتمَّ كماله فينتهى عنها فى كل أوقاته وأحواله وهذا ما أقرَّهُ أهل الكمال التام فانتهوا وبغيرتهم على جمال التشريع وحكمة المُشرِّع ورحمته بخلقه كان مطلبهم أن يكمُل للتشريع جماله وكماله دون النظر إلى مراعاة أهل النقص وسوء اختيارهم لأنفسهم بعد أن علموا الحق والباطل ، والطَّيِّب والخبيث ، والجميل والقبيح . فيقف سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ رافعاً راية الكمال الإيمانى بغيرته التامة الكاملة على جمال الحق فيقول : يا رسول الله أفلا يُنزل الله فى الخمر أمراً شافياً ؟ فكانت غيرة الحق سبحانه على جلال ذاته وتشريعاته تلتقى مع غيرة سيدنا عمر ويتنزَّل أمين الوحى جبريل على سيدنا رسول الله ﷺ وسيدنا عمر بين يدى رسول الله لم ينصرف بالآيات الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فكان الحُكم فى الخمر حُكمٌ قاطعٌ وأشدُّ من التحريم : أى كان اجتناب تام لا استثناء فيه لحاجةٍ وضرورة ماسةٍ ، وذلك لما فيها من الخُبث والضرر التام أما حُكم التحريم فى غيرها جعل الله فيه استثناءً فى الاضطرار بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فهذه حكمةُ المُشرِّع وهو الله سبحانه فى تكليفه لخلقه لعبادته أن لا يُكرهُهُم فى الدين ، وأن لا يكلفهُم إلا

وسعَ طاقتهم حتى يُقرُّونه بالطلب منه بكمال صنيع محبتهم له ولرسوله صلى الله عليه وسلم فإذا كانت التكاليف الشرعية للأمة تتعلق بإثبات الكمال ونفى النقص أولاً كما شاهدنا فى هذا المشهد القرآنى فإننا نقول إن سيدنا رسول الله ﷺ هو صاحب الرسالة من الله إلى الناس جميعاً ، وهو الكمال المطلق ، وقد اصطفاهُ الله سبحانه ، وهيأه كمالاً وجمالاً ، وأدباً ، وخلقاً ، وخُلُقاً ، ونوراً ، وسرَّاً ، ومقاماً ، وعلماً ، ورأفةً ، ورحمةً ، وهيأهُ الله واصطفاهُ على خلقه ليُبيِّن لهم ما نُزِّل إليهم من علوم كيفية عبادته سبحانه بقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ إذن فسيدنا رسول الله ﷺ بكماله يتسلم تكاليف عبادته لله بكمالها وتمامها والعمل بها من أول ساعة لنزول أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام مُعلناً له النبوة والرسالة فهو صلى الله عليه وسلم مُكلَّف بإقامة الصلاة وقيام الليل لقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إذن نقول : (علَّم الله نبيهُ الصلاة فصلى) ، وَصلَّتْ معه السيدة خديجة عليها السلام) لأنها استقبلت الرسالة وهى فى مقام الكمال ، وهى صدِّيقةٌ بالمقام ، والذكر ،والكمال فهى مع النبى فى تكليف الصلاة فبذلك صلى النبى وصلتْ معه خديجة وصلَّتْ قبل الأمة بعشر سنوات ... فقد فرضت الصلاة على الأمة فى مقام المعراج لسيدنا رسول الله ﷺ ليلة أن أُسرىَ به أى ليلة الإسراء والمعراج وحين نُشاهد جمال التشريع الإلهى لمقام النبوة فى السيدة خديجة وحكمة المُشرِّع وعلمهِ الأزلى والأبدى بالحاضر والمستقبل نرى أن مراد الله ﷻ فى ذلك

أن يكمُل لها عطاء الأمة وتحظى بالصلاة فى حياتها مع رسول الله ﷺ بالمعية ، والإمامة بالخصوصية بصلاة النبوة مقاماً وعطاءً وقُربًا ووصلاً .... لماذا ؟ لأنها عليها السلام كانت وفاتها قبل حدوث معجزة الإسراء والمعراج بشهورٍ قليلة : أى قبل أن تُفرض الصلاة على الأمة فهذه هى حِكمة المُشرِّع سبحانه ؛ لأنها أسبق الأمة بل وهى أول الأمة إسلاماً وإيماناً فكيف تُحرَمُ من عطاء الله فى الصلاة للأمة وهى صلة اليقين بين العبد وربِّه . قول إن السيدة خديجة عليها السلام فى مقام الكمال ساعة استقبالها للرسالة فلو كان بها ذرَّةً واحدة من ظواهر نقصٍ لحُرمت من هذا العطاء إذن بشائرُ الكمال كلها فيها بالتجلى تامة وكاملةً . إذن كُلِّفت السيدة خديجة بالصلاة من أول بدء الرسالة صلَّتْ مع النبى ﷺ من أول يومٍ فى عبادته لله بصلاة النبوة ، وكانت بالليل قياماً ، ولم تكن فى أوقاتٍ مُتفرقة على النهار والليل كصلاة الأمة لقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ إذن كانت صلاة النبى قيام بالليل : كما أمره الله سبحانه نصفُ الليل أو ينقص منه أو يزيد عليه ، ويُرتل القرآن الذى أُنزل عليه أولاً بأول . إذن كانت السيدة خديجة فى معية النبى فى العبادة بمقام صِدِّيقة كما ذكرنا من قبل ، وكان يقوم معهما فى بيتهما غير بناتهما على بن أبى طالب ، وكان صبياً لم يبلغ الحُلم ، وكان سبب وجوده أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة : يعنى مجاعة ، وكان أبو طالب كثير العيال لا يقدر على مواجهة المجاعة ؛ فقال سيدنا رسول الله ﷺ لعمِّه العباس :

إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه فلنُخفف من عياله آخذ من بنيه رجُلاً ، وتأخذُ أنت رجُلاً فنكْفُلُهما عنه ، وكفل سيدنا العباس جعفر بن أبى طالب ﷺ وكفل سيدنا رسول الله ﷺ سيدنا علىٌّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهه فلم يزل معه سيدنا علىٌّ حتى بعثه الله ، وفيما النبى ﷺ وخديجة يُصليان يوماً أى أن النبى يُصلى إماماً وتُصلِّى خلفهُ السيدة خديجة هى الفريدة وحدها فى الكون كلهُ حظيت بالصلاة خلف النبى ومعه دخل عليهما علىٌّ مُفاجأة فرآهما يركعان ويسجدان ، ويتلوان ما تيسر مما أوحاهُ الله يومئذٍ من القرآن فسيدنا على لأول مرة يسمع هذا القرآن من رسول الله ولكن سيدنا على شغله أمرُ سجودهما لأنه أُلِفَ على رؤية السجود فى قومه للأوثان ويُنكر عليهم ذلك فوقف علىٌّ دهِشاً يعنى أدهشه رؤية الركوع والسجود ؛ لأنه يُنكر الركوع و السجود إذا لم يعلم لمن يكون هذا الخضوع والذِّلة والخشوع لأن السجود هو أرقى مقامٍ فيه يتذلل العبدُ لمطلبِ العِزَّةِ من الله لأن أعلى وأرقى مقام فى الإنسان جبهته فيخرُّ العبدُ بجبهته لله فى الأرض يعْفُرها فى التراب وهذا لا يليق أبداً أن يصدر من الإنسان إلا لصاحب الجلال وحدهُ وهو الله ﷻ ؛ ولذلك سيدنا علىَّ لما رأى ذلك أخذته الدهشة وظلَّ دهِشاً حتى أتمَّا صلاتُهما . ثم سأل : لمن تسجدان ؟ انظروا إلى هذا السؤال . فإنه فى كماله لم يصدرُ من صبى ، ولكنه يصدر من عاقلٍ اكتمل عقله فقال النبى ﷺ (إنما نسجد لله الذى بعثنى نبياً) تعريف كاف نسجد لله صاحب الجلال ، وأنا صاحب رسالة منه بالعطاء لخلقه يعنى لستُ من عوامِّ الناس

أسجدُ على غير علمٍ بعظمة السجود أو بعظمة المسجود له إنما أنا نبىٌّ رسولٌ صاحبُ مقام القُربِ إلى الملك الجليل ، ورسالتى إلى الناس جميعاً أدعوهم إلى عبادة الله وحده وآمرُهُم بالسجود لله وحدهُ وأنها هُم عن السجود لغيره سبحانه . فإنه سبحانه (أمرنى أن أدعو الناس إليه) ودعا النبى ﷺ ابن عمه إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى دينه الذى بُعثَ نبياً به ، وإلى إنكار الأصنام أمثال اللات والعُزى ، وتلا النبى ﷺ على علىٍّ ما تيسر من القرآن ... فساعة أن تلا النبى ﷺ القرآن على علىٍّ لا نقول قولاً من اللسان برز نُطقاً ولكنها أنوارٌ ، وأسرارٌ تنبع من ينابيع الحكمة والنبوة من قلب النبى وقعت وقعاً بثبوتٍ على قلب سيدنا علىٌّ فأخذ سيدنا علىٌّ عن نفسه . أى غاب علىٌّ عن نفسه ، وارتقت ذاته إلى مقام غاب فيه عن ذاته بحضور ذات الحق فيه بالتجلِّى ، ووقع فى قلب علىٍّ نورُ جمال الآيات وإعجازها ، ولكنه صبىٌّ لا يطالب ببيعة الإسلام فاستمهل حتى يُشاور أباهُ فى إسلامه لأن الصَّبىِّ تابعٌ لأبوية : يعنى إذا أسلم الأبوين فالابنُ الصبى يكون مسلماً بإسلامهما إذا كان لهما ابن بالغٌ عاقلٌ فيكون إسلامُهُ ببيعةٍ منهُ ثم قضى سيدنا علىٌّ ليلة مُضطربا يعنى يُفكر فى عِظَمِ هذا الأمر راغباً فى إعطاءِ بيعةٍ بإسلامه ، ويرى أن إذن هذا العطاء وهذه البيعة عند أبيه ولكنه يخشى أن يعرض هذا الأمر على أبيه فيمنعه عنه حتى إذا أصبح أعلن إليهما أنه اتبعهما من غير حاجةٍ لرأى أبيه إذن فالذى صدر منه الآن هو مضمون البيعة التامة من البالغ العاقل .

إسلام سيدنا علىٌّ بن أبى طالب : ■

إن سيدنا علىٍّ بن أبى طالب أول صبىٍّ أسلم ببيعة تامة وكاملة وعقلٍ كاملٍ هيأه الله بالكمال الذى يفوق القوة العقلية عند سن البلوغ التام والذى يصحبه العقل الكامل بالفهم التام لحمل الأمانة وهى التكاليف الشرعية والقيام بها عملاً وفهماً صحيحاً على مراد المُشرِّع وهو الله سبحانه ، وقد قصَّ الحق سبحانه فى قرآنه قِصَّة نبىٍّ صبىٍّ وهو سيدنا يحيى عليه السلام بقوله سبحانه : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ يعنى وهو فى سن الصبية سن ست سنوات سيدنا يحيى تلقَّى الرسالة من الله وكان نبياً رسولاً يتنزَّل عليه الوحى إذن ليس المراد فى حمل الأمانة بالتكليف بالرسالة هو بلوغ سن الأربعين ، ولكن المراد لذلك هو وجود الطاقة الكاملة ، والقوة التامة التى يُهيئُ الله بها عبده بيد القدرة الإلهية المُطلقة ، بذلك يكون قد اكتملت فيه القوة لحمل ثقل الرسالة ولذلك يقول الله لسيدنا يحيى يا يحيى خذ الكتاب بنفس القوة التى يكون عليها كل نبى ورسولٍ عند بلوغه الأربعين سنة فأنا الله المتجلى فيه بالقوة التى تليق بعظم ثقل الرسالة عقلاً وقلباً وروحاً وجسماً ، وأنا الله المتجلى فيك يا يحيى بنفس القوة فخذ بها الكتاب والحُكمَ والنبوة وأنت صبىٌّ فى ظاهر الأمر ولكن فيك منى فى باطن الأمر قوة بلوغ الأربعين بكُليتها إذن يكون عطاء الله لسيدنا علىِّ بن أبى طالب من هذا الباب من القرآن ومن باب السُنَّة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم (عُلماء أُمَّتى كأنبياء بنى إسرائيل) إذن يكون العطاء من الله لسيدنا علىٌّ من نفس العطاء لسيدنا يحيى نبىٌّ صبىٌّ وسيدنا علىٌّ ولىٌّ صبىٌّ ؛ لأنه ارتقى بفكره إلى معرفة أسرار الخالق ومراده من

خلقه ، وأدرك جمال العطاء وعظم الأمانة والمسئولية أمام الله بتعقلٍ تام كاملٍ والذى يكون عليه بكماله عند الوصول إلى سن بلوغ أشُدَّه وهو سنُّ التكليف بكمال العقل الذى يؤهلُه للاختيار بين البديلات من خيرٍ ومن شرٍّ ومن هُدى ، وضلال ، ومن حقٍ وباطلٍ فقد أعلن سيدنا علىٌّ أنه اتبعهما من غير حاجةٍ إلى مشاورة أبيه فقال : (لقد خلقنى الله من غير أن يشاور أبا طالبٍ فما حاجتى أنا إلى مشاورته لأعبد الله) وبذلك نشاهد أنه قد اكتمل العطاء فيه بكمال عقله لتلقى العطية ، وهو صبى وكذلك كان علىٌّ أول صبىٍّ أسلم ، وصلى مع النبى ﷺ والسيدة خديجة عليها السلام . فالسيدة خديجة لها أولية وسيدنا علىٌّ له أوليةٌ .

إسلام سيدنا زيد بن حارثة مولى النبى : ▪

ومن بعد سيدنا على بثلاثة أيام أسلم سيدنا زيد بن حارثة مولى النبى ﷺ ، وبذلك أصبح عدد المسلمين فى الأمة ثلاثة ١ــ السيدة خديجة . ٢ــ وسيدنا علىٌّ . ٣ــ وسيدنا زيدُ بن حارثة . وبذلك بقى الإسلام محصوراً فى بيت النبى ﷺ فيه ، وفى زوجته ، وابنُ عمِّهِ ، ومولاهُ . أى عددهم أربعة بما فيهم النبى ﷺ فقد كان النبى وحده قبل أن يدعوهم إلى الله ثم أسلمت السيدة خديجة ثم أسلم سيدنا علىٌّ ثم أسلم سيدنا زيدُ وهؤلاء كلهم فى بيت النبوة لم تخرج الدعوة خارج البيت وبقى الإسلام بهم محصوراً فى بيت النبى فإذا أردنا أن نذكر مقاماتهم الأولية فى العطاء فإننا نقول : إن سيدنا رسول الله ﷺ صاحب المقام الفردى الوترى فى الذكر : (أول المسلمين) لقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي

وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ إذن سيدنا رسول الله ﷺ مقامه (أول المسلمين) وهو صاحب الدعوة وحدهُ إلى الإسلام فكل من يستجيب لدعوته يكون مسلماً باتباعه للنبى فيكون بالذكر من أمته صلى الله عليه وسلم فأول من استقبل الرسالة بالتصديق ، واستجاب لدعوته ﷺ وأسلم السيدة خديجة عليها السلام إذن فيكون الذِّكر لها أنها أول أمة محمد ﷺ أى أن النبى أول المسلمين والسيدة خديجة أول الأمة فقد صَلَّتْ مع النبى وحدها وأعطت البيعة وحدها ، وأسلمت وآمنت وحدها ، وأصبحت هى الأمة وحدها إذن فكل من يدخل الإسلام بعدها يتبعها فى العدِّ فنقول إن السيدة خديجة أول الأمة فيكون ترتيبها فى العد فى الأمة رقم واحد ، ومن يدخل بعدها رقم اثنين وهكذا وأيضاً هى أول من أسلم من النساء . إذن السيدة خديجة تحظى فى الأمة بأوليتين فأول من أسلم فى الأمة السيدة خديجة وأول من أسلم من النساء السيدة خديجة ، وبالعد رقم ١ واحد ثم يكون بعد ذلك فى العد رقم ٢ اثنين سيدنا علِىٌّ بن أبى طالب كرم الله وجهه وﷺ وله أوليةُ فى الأمة بالذكر فهو أول صبىٍّ أسلم ، وأول من صلى فى الأمة من الصبيان والرجال سبقاً للأمة بعشر سنوات ؛ لأنه حين رأى النبى والسيدة خديجة يُصليان ويسجدان . سأل عن السجود لمن وحين علم أن السجود لله وحده . أسلم وتاقت نفسه للصلاة مع النبى فأمرهُ النبى بالصلاة معه فصلَّى مع النبى والسيدة خديجة إذن نشاهد أن سيدنا على هو أكمل الأمة فى العبادة لله ؛ لأنه صلَّى صبياً مع النبى صلاة النبوة وسبق بها الأمة وصلى مع الأمة

بصلاة الأمة فَسَبْقَهُ الأمة فى الصلاة مع النبى بمعية المقام المحمدى يجعله فى مقامٍ له مددٌ من النبوة بعطائها ، وأنوارها ، وأسرارها ، وعُلومها فيكون من أهل الحديث (علماءُ أُمَّتى كأنبياء بنى إسرائيل) وإذا كان قول الحق سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ فإنه يعنى ختم ذكر مقام النبوة أما عطاء المقام باقٍ فى أمة محمدٍ بتمامه لأهل المقامات فيكون أول من تسلَّم عطاء النبوة فى الأمة سيدنا علىٌّ ؛ لأنه حظى بالصلاة فى معية النبى صبياً بصلاة الخصوصية لمقام النبى فهو أسبق الأمة إلى مقام النبى مقاماً وهو أكمل الأمة فى العبادة لله ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى علىٍّ مُبيِّناً أنه أسبق السُبَّقِ فى الأمة بقوله صلى الله عليه وسلم (أسبقُ الناس إلى موسى سحرةُ فرعون ، وأسبقُ الناس إلى عيسى مؤمن يس ، وأسبقُ الناس إلى محمدٍ على بن أبى طالب) ومعنى ذلك أن سحرة فرعون حين شاهدوا اليقين والحقيقة التى تدل على الحق لم يُنكروها ووقعوا من فورهم ساجدين لله وبايعوا نبى الله موسى عليه السلام على الإيمان بالله ، ومؤمن سورة يس ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ فقتلوه واستُشْهِدَ بهذه البيعة ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ أى غفر الله لى عُمراً قضيته فى الدنيا لم أسجد لله فيه سجدة وذلك من أجل صدقٍ فى بيعة الإيمان بالله ، ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ السابقين حُكام الجنة فهذا أسبقُ السُبَّق إلى

عيسى عليه السلام من أُمَّتِهِ . وأسبق الناس إلى سيدنا محمد ﷺ سيدنا علىٌّ بن أبى طالب ؛ فصحابة النبى كلهم سُبَّق وأسبق السُبَّق علىٌّ بن أبى طالب ولذلك كانت صلاتُهُ كاملة صلَّى قبل الأمة مع النبى وصلَّى مع الأُمة بالمحافظة على الصلاة بكل أوقاتها طوال حياته فما ترك صلاةً واحدةً فى حياته . ولم يترك صلاةً واحدةً فى جماعة خلف النبى ﷺ طوال حياته ؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ حريصاً بل أشدُّ حرصاً وغيرةً على كمال مقام سيدنا علىٌّ أن يظل بكمالهِ لأنه رأى فى علىٍّ رؤية التمام بالمقام الكامل فى الأُمَّة .

غيرة النبى على مقام علىٍّ : ■

كان صلى الله عليه وسلم يرى كمال المقام الإيمانى فى سيدنا علىٌّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه فكان صلى الله عليه وسلم يحرص كل الحرص على الحفاظ عليه وتأخذه الغيرة على أن لا تنقُصْ عبادتُهُ لله فى جانبٍ من ركنٍ فى الإسلام .. فقد روت السيدة أسماء بنت عُميس أن النبى ﷺ وهو فى غزوة خيبر نزل عليه الوحى وقت العصر فنام على فخذ علىٍّ حتى غربت الشمس فلما انصرف عنه الوحى . قال لعلىٍّ : أصليْتَ العصر يا علىُّ ؟ فقال علىٌّ : كيف أصلِّى ورأسك الشريفة على فخذى ؟ فأخذته الغيرة عليه الصلاة والسلام على مقام الكمال فى علىٍّ ونظر إلى السماء وقال (اللهم إنهُ كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردُدْ إليه الشمس حتى يُصلى العصر) تقول السيدة أسماء : فرأيتُها غرُبَتْ ثم رأيتها أى بعد دعاء النبى ﷺ رُدَّتْ وكست الجبال بشُعاعها كشروقِ يومٍ جديدٍ حتى صلَّى علىٌّ العصر ثم غرُبَتْ . فهذه غيرةُ سيدنا

رسول الله ﷺ على مقام سيدنا علىٌّ الكمالى فهذا مشهدُ الجمال فى مقام علىٍّ الثانى فى العدِّ فى الأمة بعد السيدة خديجة عليها السلام ثم ننتقل إلى المقام الثالث فى الأمة وهو مقام سيدنا زيدُ بن حارثة .

مقام سيدنا زيد بن حارثة مولى النبى : ■

إن مقام سيدنا زيدٌ مقامٌ راقٍ فى الأمة كمالىٌّ جمالىٌّ أبرزهُ الله فى تشريعاته للأمة بعطاءٍ أتمَّهُ الله بين زيدٍ وسيدنا رسول الله كمالاً وجمالاً ؛ ولذلك قال بعض العارفين : (إذا شوهد مقام زيدٍ فى الجنة فإنه يُشاهدُ فوق مقامات النبيين والصدِّيقين فإن مقام زيدٍ أشرقت منه إشراقاتٍ نورانية بتشريعاتٍ إلهية للأمة ، إذن فالثلاثة الذين أسلموا فى أول بناء الأمة كلهم أصحاب مقاماتٍ عليه جليَّةٍ وأصحابُ أسرارٍ فى عطاءٍ للأمة . فهذه السيدة خديجة صدِّيقة وصاحبة سرٍّ فى عطاءٍ جليلٍ فإنها هى جدةُ آل بيت النبى وأُمُّ السيدة فاطمة الزهراء والسيدة فاطمة الزهراء صاحبة مقامٍ لتشريع تكريمىٍّ خَلْقِىٍّ من الخالق سبحانه بينها وبين سيدنا علىٍّ وموصول بمددٍ من سيدنا رسول الله ﷺ بمشهدٍ جمالى كمالى دائم إلى يوم القيامة وقد جعلها الله زهرة النبى وزهراء الأمة فإن زهرة الحياة الدنيا فى ذكر الأنساب والتفاخر هو البنون ، ولكن الجمال الذى منحه الله لحبيبه أن جعل له سُنَّة خلقيةً انفرد بها صلى الله عليه وسلم بكماله فى الوجود أن جعل منه نسباً وذُرِّيةً وعطاءً ممدوداً شريفاً إلى يوم القيامة هم آله من السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ومن علىٍّ زوجها وابن عمِّه من صُلبهِ ؛ ولذلك روى أن رسول الله ﷺ أجلس بجواره علىٌّ يوماً بالمسجد وأمامهُ صحابته الإجلاء ومسح بكفِّهِ اليُمنى

على ظهر علىٍّ وقال : هُنا ذُرِيَّةُ محمدٍ والنبى ﷺ وهبه الله وأعطاه من البنين أربعةٌ منهم ثلاثةٌ من السيدة خديجة وإبراهيم من السيدة مارية ، ولم يشأ الله أن يعيش أحدٌ منهم حتى بلوغ الأشُدِّ لحكمةٍ أرادها الله سبحانه وهى مشهد الجمال فى الرسول وفى الرسالة وفى الأمة ؛ لأن كل رسول كان يُرسلُ إلى قومه ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم أرسله الله إلى الناس كافَّة إلى يوم القيامة ، وتجلَّى الحق على الأمة بالتنزُّل قائمٌ ودائمٌ بدوام الرسالة إلى يوم القيامة والترقى بالدرجات فى الأمة لمن سبق إلى الله بالصدق . إذن لو كان للنبى من عصبه وصُلبهِ ولدُ ويكون رجلاً بالغاً عاقلاً عند انتقاله إلى الرفيق الأعلى وتسلُّمه راية الرسالة فى أمته لكان من الأولى أن يتسلمها ولدُهُ بالعصب ، ولكن الجمال كل الجمال أن لا يكون للنبى ولدُ من صُلبه حتى لا يُقلل من شأن عظمة الرسالة ، ويحدها عند حدٍّ وإنما تكون راية الرسالة فى يد الأمة جميعاً وهذا هو الجمال المشهود من حكمة الله ومن هنا نشاهد مقام السيدة فاطمة الزهراء أن الله اصطفاها لمقامٍ خلقىٍّ وخُلُقِىٍّ فهى زهراء النبى إذن وقع أنوار النبى وأسراره فى الزهراء . ثم نعود بحديثنا إلى سيدنا زيدُ بن حارثة ﷺ إن سيدنا زيدُ بن حارثة ﷺ اختاره الله واصطفاهُ ليُشرِع به تشريعاً سماوياً رحمةً لخلقهِ وجعله الله محلاً تحلُّ به تشريعاتٍ سماوية وقد ارتقى بذلك إلى مقام كمالى وقد أنزل الله فيه قُرآناً يُجلُّهُ ويعظمُهُ مخاطباً به النبى ﷺ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ

مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ **ولنا وقفةٌ عند ذكر اسم زيدٌ فلم يذكر الله فى القرآن اسماً لأحد من الأمة إلا زيدٌ فعند ذكر سيدنا أبو بكر قال سبحانه :** ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ **وبذلك يكون اسم زيدٍ قُرآناً يُتلى وقد جعل الله لعبده على كل حرفٍ يتلوهُ من القرآن حسنة والحسنة بعشرِ أمثالها يعنى إن قُلتَ زيدٌ فيُكتبُ فى صحيفتك ثلاثين حسنة . (إن قُلت زيدٌ فزد يزادُ لك فى العطاء بزيدٍ) أى اسمهُ قُرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة إذن مقامهُ فى الجنة مقامٌ أشرقت منه شوارقٌ نورانية للتشريع الذى يُشرِّعهُ الحق سبحانه وهذا لا يكون إلا لأهل الكمال نبىٌّ أو رسولٌ بل مقامه فى الجنة يكون فوق مقامات أنبياء بنى إسرائيل لأنه لم يكن من أنبياء بنى إسرائيل نبىٌّ كان محلاً للتشريع بك كانوا قدوة وعلماءَ بعلمِ الله وحكمته وقوله سبحانه :** ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ **فمشهدُ الجمال المحمدى فى هذه الآية جلىٌّ واضحٌ بقوله سبحانه :** ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ **أى أن الحق يذكر مقام النبى مقامُ عطَّاءٍ للأمة بصفة المُنعِم الذى يتجلى بها من مولاهُ سبحانه فيقول الله تعالى مخبراً عن نبيِّه عليه الصلاة والسلام أنه قال لمولاهُ زيد بن حارثة وهو الذى أنعم الله عليه أى بالإسلام ومتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأنعمت عليه أى بالعتقِ من الرِّقِّ ، وكان سيداً كبير الشأن جليل القَدْرِ حبيباً إلى النبى ﷺ يُقالُ له الحِبُّ**

ويُقالُ لابنهِ أُسامة الحِبُّ ابن الحِبُّ . ولذلك قالت السيدة عائشة أمِّ المؤمنين رضى الله عنها فى سيدنا أسامة بن زيد ﷺ ما بعثهُ رسول الله ﷺ فى سريةٍ إلا أمَّرَهُ عليهم ، ولو عاش بعدهُ لاستخلفهُ يعنى لو عاش بعد النبى لكان أولى بالخلافة لأنه الحِبُّ لرسول الله . وعن عمر بن أبى سَلَمَة عن أبيه قال : حدثنى أسامة بن زيد قال : (كنت فى المسجد فأتانى عمُّ النبى العباسُ وعلىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنهما فقالا : يا أسامة استأذن لنا على رسول الله ﷺ قال : فأتيت رسول الله فأخبرته فقلتُ يا رسول الله : علىٌّ والعباس يستأذنان ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أتدرى ما حاجتهما ؟ فقلت : لا يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : لكنى أدرى . قال : فأذن لهما . قالا يا رسول الله جئناك لتُخبرُنا أىُّ أهلكَ أحبُّ إليك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم أحبُّ أهلى إلىَّ فاطمة بنت محمدٍ . قالا : يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة . قال : فأسامة بن زيد بن حارثة الذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه . وكانت السيدة زينب بنت جحشٍ الأسديَّة ابنةُ عمَّةِ رسول الله ﷺ أُمُّها أُميمة بنت عبد المطلب ، كان قد زوجها رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة بصداقٍ قدْرُهُ عشرةُ دنانير ، وستين درهماً ، وعشرة أمدادٍ من تمرٍ . فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زيدٌ يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول له : أمسك عليك زوجك ، واتق الله . قال الله تعالى : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ **قال الإمام الحسنُ ﷺ فى قوله سبحانه :**

﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ إن الله أعلمَ نبيَّهُ أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها زيد فلما أتاهُ زيدٌ ليشكوها إليه قال : اتقِ الله وأمسك عليك زوجك . فقال الله لنبيه : قد أخبرتك أنى مُزوِّجُكَها وتُخفى فى نفسك ما الله مُبديه إذن كان مراد الله وحكمته من هذا الزواج التشريعُ للأمة . وكان النبى ﷺ يقول لزيدٍ (أمسك عليك زوجك) وهو يعلم من الله أمر زواجهِ منها وأن زواجها لزيدٍ ما هو إلا للتشريع ، ولكنه صلى الله عليه وسلم استحيى أن يُبلغَ زيداً شيئاً من ذلك خشية كلام الناس عليه وترك الأمر كله لله فعاتبه الله فى ذلك عِتاباً شديداً ولكن من خلال هذا العتاب نشاهد جمال الذات المحمدية ، وكمال النبى فى حمل الأمانة وتبليغ الرسالة عن ربه ﷻ إلى الناس ولم يكتم عتاب الله له .. ولذلك تقول السيدة عائشة أمُّ المؤمنين رضى الله عنها (لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً مما أُوحِىَ إليه من كتاب الله لكتم ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ فالوطر : هو الحاجة والأرب : أى لمَّا فرغ منها وفارقها زوجناكها ، وكان الذى ولىَّ تزويجها منه هو الله ﷻ بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولىٍّ ولا مهرٍ ولا عقدٍ ولا شهودٍ من البشر ومن مشاهد جمال التشريع أن النبى ﷺ أراد أن يُظهر لأمته عطاء الكمال بتمامه فى زيدٍ ﷺ . فعن أنسٍ ﷺ قال : (لما انقضت عِدَّةُ زينب . قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : اذهب فاذكرها علىَّ فانطلق حتى أتاها وهى تُخَمِّرُ عجينها .

قال : فلما رأيتها عظُمتْ فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ذكرها فوليتُها ظهرى ، ونكصتْ على عقبى ، وقلت يا زينب . أبشرى أرسلنى رسول الله ﷺ يذكُرك . قالت زينب : ما أنا بصانعةٍ شيئاً حتى أُؤامرُ ربى ﷻ فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذنٍ ولقد رأيتُنا حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم . ومن عظيم ما نشاهده فى كمال زيدٍ قوله فلما رأيتها عظمت فى صدرى . حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ؛ لأن رسول الله ﷺ ذكرها : أى خطبها ، وأصبحت زوجاً للنبى وأُمٌّ للمؤمنين فهى الآن صاحبة مقام الكمال ، وأُمٌّ كماليه لأهل الكمال ، وهى أمى فى الإيمان ولم يستحضر فى نفسه الكاملة أنها زينب التى كانت يوماً زوجاً له وطلقها ولكن يُشاهدُ فيها العظمة المحمدية وقد أراد النبى ﷺ أن يكشف للناس جميعاً هذا الكمال فى زيدٍ حين أرسله إليها يُبشرها ويخطُبها هو بنفسه للنبى ﷺ ولذلك يقول عظُمتْ فى صدرى ، ولم يقل عظُمت فى نفسى فليست له نفسٌ ولكن له قلبٌ مطمئنٌ بجمال الحق فيه . وروى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ (أن السيدة زينب بنت جحش كانت تفخرُ على أزواج النبى ﷺ فتقول : (زوجكُنَّ أهاليكُنَّ ، وزوجنى الله من فوق سبع سماواتٍ) وعن محمد بن عبد الله بن جحش قال : تفاخرت زينب وعائشة فقالت زينت رضى الله عنها : أنا التى نزل تزويجى من السماء . وقالت : عائشة رضى الله عنها : أنا التى نزل عُذرى من السماء فاعترفت لها زينب رضى الله عنها أى براءتها من حديثِ الإفك بقرآنٍ من السماء .

وعن الشَّعبىِّ قال : كانت السيدة زينب رضى الله عنها تقول للنبى ﷺ : (إنى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن إن جـدِّى وجـدُّك واحدٌ وإنى أنكحنيك الله من السماء ، وإن السفير جبريل عليه السلام ومعنـى ذلك أنها تقول للنبى أنا لى عليك دلالٌ بما ذكرتـه للنبـى وسـرُّ هـذا التشريع وحكمته قوله سبحانه : ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ أى إنا أبحنا لك تزويجهـا وفعلنا ذلك لئلا يبقى حـرج علـى المـؤمنين فـى تـزويج مُطلقـات الأدعياء ... وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيـدُ بـن حارثة فكان يُقالُ له (زيدُ بن محمد) فلمَّا قطع الله هذه النسبة بقولـه تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّـهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ ثم زاد ذلك بياناً وتأكيداً بوقوع تزويج سيدنا رسـول الله ﷺ بزينـب بنت جحش لما طلقها زيدُ بن حارثـة ، ولهـذا قـال آيـة التحـريم : ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ ليتحرز من الابن الدَّعِىِّ فإن ذلك كان كثيراً فيهم ، وقوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ أى كان هـذا الأمر الذى وقع قدْ قدَّرَهُ الله تعالى وحتَّمَهُ ، وهو كائنٌ لا محالة كانـت زينب فى علم الله ستصير من أزواج النبى ﷺ . وفى هذا القدر كفايـة وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم ، وكل عامٍ وأنتم بخيرٍ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الرابعة عشر

وموضوعها

النبى صلى الله عليه وسلم يجهر بالدعوة فى مكة

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الخميس

١١ من ربيع أول ١٤٢٣ هـ

الموافق ٢٣ من مايو عام ٢٠٠٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى لم يسبق له حالٌ حالاً ؛ فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً ، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً . كلُّ مُسَمًّى بالوَحْدَةِ غيرهُ قليلٌ ، وكل عزيزٍ غيرهُ ذليلٌ ، وكل قويٍّ غيرهُ ضعيفٌ ، وكل مالكٍ غيرهُ مملوكٌ ، وكل عالمٍ غيرهُ مُتعلِّمٌ ، وكل قادرٍ غيرهُ يقدرُ ويعجزُ ، وكل سميعٍ غيرهُ يصَمُّ عن لطيف الأصوات ، ويُصِمُّهُ كبيرُها ، ويذهبُ عنه ما بعُدَ منها ، وكل بصيرٍ غيرهُ يعمىَ عن خفيِّ الألوان ، ولطيف الأجسام ، وكلُّ ظاهرٍ غيرهُ باطنٌ ، وكل باطنٍ غيرهُ غير ظاهرٍ . لم يخلق ما خلقه لتشديد سُلطانٍ ، ولا تخوُّفٍ من عواقب زمانٍ ، ولا استعانةٍ على ندٍّ مُثاورٍ ، ولا شريكٍ مُكابرٍ ، ولا ضدٍّ مُنافرٍ ، ولكن خلائقُ مربوبون ، وعبادٌ داخرونَ . لم يحلُلْ فى الأشياء فيُقالُ هو فيها كائنٌ ، ولم ينأَ عنها فيُقالُ هو منها بائنٌ . لم يَؤُدُّهُ خلقُ ما ابتدأَ ، ولا تدبير ما ذرأَ ، ولا وقف به عجزٌ عما خلق ، ولا ولجتْ عليه شُبهةٌ فيما قضى وقدَّرْ بل قضاءٌ مُتقنٌ ، وعلمٌ محكمٌ ، وأمرٌ مُبرَمٌ . المأمولُ مع النِّقَمِ ، والمرهوبُ مع النِّعَمِ . وأشهد أن لا إله إلا الله .. علا بحَولِهِ ودنا بطَولِهِ . مانحِ كل غنيمةٍ وفضلٍ وكاشفِ كل عظيمةٍ وأزْلٍ . أُومِنُ به أولاً بادياً ، وأستهديهِ قريباً هادياً ، وأستعينهُ قادراً قاهراً . وأتوكل عليه كافياً ناصراً ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدهُ ورسوله ﷺ أرسله الله لإنفاذِ أمرهِ وإنهاء عُذرهِ وتقديمِ نُذُرِه . الذى أفضت كرامةُ الله سبحانه إليه وإلى آلهِ الأطهارِ فأخرجَهُ صلى الله عليه وسلم من أفضل المعادن مَنْبِتاً ، وأعزِّ الأُرُوماتِ مَغْرِساً من الشجرة التى صدعَ منها أنبياءهُ ،

وانتخبَ منها أُمناءهُ . عِترَتُهُ خيرُ العِتَرِ ، وأسرتهُ خيرُ الأُسرِ ، وشجرتهُ خيرُ الشجر نبتتْ فى حرمٍ ، وبسَقَتْ فى كرَمٍ ، لها فروعٌ طِوالٌ ، وثمرةٌ لا تُنالُ فهو صلى الله عليه وسلم إمام من اتقى ، وبصيرة من اهتدى . سراجٌ لمعَ ضوءُهُ ، وشِهابٌ سطعَ نورهُ ، وزَنْدٌ برقَ لمعُهُ ، سيرتُهُ القصدُ ، وسُنَّتُهُ الرُّشْدُ ، وكلامهُ الفصلُ ،وحُكمهُ العدلُ أرسلهُ الله على فترةٍ من الرُسلِ ، وهفوةٍ عن العمل ، وغباوَةٍ من الأُممِ ؛ فأخرجهم من الظُلماتُ إلى النور بإذن ربهم إلى صراط الله العزيز الحميدِ فصلوات الله وسلامهُ ، ورحمتُه وبركاتُهُ عليك سيدى يا رسول الله ، وعلى آلك وصحبكَ ومن اهتدى بهديك ، واقتفى أثَرك إلى يوم الدين .

أما بعد

فنحن فى هذا الجمع المبارك ، وساعة أن أقول بلفظٍ صريحٍ جمعٌ مباركٌ فلم يكن هناك جمعٌ جامعٌ للبركات فى السماوات والأرض إلا جمعٌ تهيأَ بالكمال والتمام على محبة سيد المرسلين . فلم يكن هناك عطاءٌ أعظمُ من هذا العطاء ، وفى ليلةٍ مباركةٍ صاحبةُ الفضل لا أقول على كل الليالى ، ولكنها صاحبةُ الفضل فى العطاء على الوجود كله لأهل المُلك والملكوت . إذْ وُلدَ فيها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فلولا سيد الوجود ما كَمُلَ لنا دينٌ ، وما أتمَّ الله علينا نعمتهُ ، وما أشرقت للحقِّ شوارقُ الأنوار الدَّالة على جمال وحدانيتهِ ونحن فى جمعنا هذا الكريم من كل عامٍ نعيشُ مع سلسلةٍ مُتصلةٍ فى السيرة النبوية العطرة ، وقد وقفنا فى اللقاء السابق فى السيرة عند بدءِ الدعوة ، وإعلان تعداد الأمة بالسَّبْقِ لمن أسلم . فقلنا إن أول من أسلم من الأمة المحمدية (السيدة

خديجة أُمِّ المؤمنين عليها السلام) وهى أول من أسلم من النساء إذن يكون لها مقامٌ كمالىٌّ جمالىٌّ واضحٌ جلِّىٌّ وهو (أوَّليةٌ للأمة ، وأولية للنساء) وكان استقبال السيدة خديجة للرسالة استقبالُ تهيئةٍ كماليةٍ تامة ؛ بأنها تلَّقتْ أمر الرسالة من سيدنا رسول الله ﷺ بالتصديق من أول ساعة فاجأهَا بها النبى ، وقالت له مُعلنةً تصديقها بوضوحٍ (والله إنك لنبىٌّ هذه الأُمَّة) إذن ساعة أن تستقبل السيدة خديجة أم المؤمنين الرسالة بالتصديق بهذا الكمال الواضح . نقول إن مقامها مقامٌ كمالىٌّ فهى (صدِّيقةٌ) ؛ ولذلك بدأت رسالتها فى العبادة بالتكليف بالقيام بالصلاة مع النبى ﷺ بالمعية الخصوصية من بدء الرسالة صلاةً تتعلق بمقام النبوة وقبل أن تُفرضَ الصلاة على الأمة بعشر سنوات . إذن فهى أخذت هذا العطاء بكمالها ؛ لأنها صديقة . ثم أسلم سيدنا (علىٌّ بن أبى طالب صبياً) أى لم يبلُغ الحُلُم وصلى مع النبى والسيدة خديجة . إذن مقامه كمالىٌّ وهو صبىٌّ . فهو أول من أسلم من الصبيان فله أولية فى الأمة وسبقٌ بالعطاء . ثم أسلم سيدنا زيد بن حارثة ﷺ فسيدنا زيدٌ مولى رسول الله ﷺ إذن فهو أول من أسلم من الموالى . فله أوليةٌ فى الأمة ، وله مقامٌ كمالىٌّ بحظٍّ فى التشريع كما ذكرنا . إذن ما زال الإسلام محصوراً فى بيت النبوة فى أربعة سيدنا رسول الله أول المسلمين بقوله سبحانه : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فكان صلى الله عليه وسلم مُسلماً وحدهُ قبل أن يدعو الناس إلى الإسلام وكل من يدخل الإسلام تحت ظل دعوته يكون من أمتهِ فالسيدة خديجة أول الأمة ، وبعدها أسلم سيدنا علىٌّ وبعده أسلم سيدنا زيدٌ وكلهم داخل بيت

النبوة أى أن الإسلام محصوراً فى بيت النبوة لم يخرج إلى الناس فى شعابِ مكة . وظل النبى ﷺ يُفكر كيف يدعو قريشاً إلى عبادة الله وحده ؟ وهو يعلمُ ما هى عليه من شدَّةِ التَّعلُّق بعبادات آبائها وأصنامهم . فكان صلى الله عليه وسلم مُتحيراً فى أمرهم كيف يواجههم بهذا الأمر العظيم ، وحتى نُكمل نظام أوليةِ الأمة فعندنا أول من أسلم من النساء وهى السيدة خديجة وعندنا أول من أسلم من الصِّبيان وهو سيدنا علىٌّ وعندنا أول من أسلم من الموالى وهو سيدنا زيدٌ وقد تم ذلك داخل بيت النبوة . إذن بقى لنا من نظام الأولية مقام أول من أسلم من الرجال ، وأول من أسلم من العبيد . وهذا يتحقق خارج بيت النبوة فيكون إسلام سيدنا أبو بكرٍ أول الرجال ، وسيدنا بلال أول العبيد .

إسلام سيدنا أبو بكر رضى الله عنه : ـ

كان أبو بكر بن أبى قُحافة التَّيْمِىُّ صديقاً للنبى يستريح إليه ويعرف فيه النزاهة والأمانة والصِّدق ؛ ولذلك كان أول من دعاهُ النبى إلى عبادة الله وحده ، وتركِ عبادة الأوثان . وأول من أفضى إليه بما رأى وبما أُوحِىَ إليه ، وكان أبو بكرٍ رجلاً وسيماً مألفاً لقومه مُحبَّباً سهلاً ، وكان أنسب قريشٍ لقُريش ، وأعلم قريشٍ بها ، وبما كان فيها من خيرٍ وشرٍّ ، وكان رجُلاً تاجراً ذا خُلُقٍ ،ومعروفٍ وكان رجال قومه يألفونهُ لعلمهِ ، وتجارتهِ وحُسنِ مجالستهِ فكان أول من أسلم من الرجال أبو بكرٍ ﷺ فكان النبى ﷺ وهو يُفكر فى مواجهة قريش للدعوة مُتحيراً وكانت حيرتهُ صلى الله عليه وسلم لا تقل شأناً عن حيرة نبىِّ الله موسى عليه السلام ساعة أن تلَقى الرسالة ، وفوجئ أنه رسولٌ مُرسلٌ من قِبَلِ الله إلى

فرعون ، وعلى علمٍ هو ببطشِ فرعون وجبروته ، وطُغيانه ، واستعلائه ومُنازعته لله فى رداءِ كبريائه بزعمه الكاذب وادعائه الألوهية فى مصر على أهلها ولم يكن علم سيدنا موسى عن بطش فرعون من خلال روايات سمعها عنه ، ولكن من خلال عشرةٍ بالاختلاط به بالمعايشة والمعاملة بالسمع والرؤية ؛ ولذلك ساعة أن فاجأهُ الحق سبحانه بالرسالة . استحضر فى خاطرهِ كل مشهدٍ يعلمهُ عن طغيان فرعون وجبروته . فكان حديثه مع نفسه أن هذا أمرٌ عصيبٌ وحملٌ ثقيلٌ لا يقدر على القيام به وحده وخاصةً إذا كان مع فرعون الذى أعرفهُ عن غيرى من الناس لمُعاشرتى له ثلاثين سنة من عُمرى وأجرَى على خاطرهِ سبب خروجهِ من مصر فارًّا من ظُلمه وطغيانه إلى أرض مَدْيَن والآن يعود إليه مُعلناً له فى وجهه أنه رسول رب العالمين إليه فهذا أمرٌ رآهُ سيدنا موسى من المستحيل تحقيقه فتحيَّرَ فى ذلك وسأل الله سبحانه أن يَمُنَّ عليه بمَنِّه وعطفه ويمنحه منحة المزيد من عطاياهُ من الحِلْمِ الذى يسعُ حماقة فرعون وجهله بعظمة الرسالة . كذلك عطاءاً من التيسير والعون وتقوية الطاقة ، وجعل الأُنس له بشريكٍ له فى مواجهة فرعون ؛ ولذلك كان أول مطلبٍ لسيدنا موسى من ربه قال : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ يعنى اشرح لى صدرى بالحلم الذى يسع جبروت فرعون وهيئ يا رب صدرى بتهيئة قويَّة تليقُ بمواجهة فرعون وجبروته . والمطلب الثانى : ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ أى اجعل أمرى هذا مُيَسَّراً لأنى بضعفى أرى أنه أمرٌ عظيمٌ ومُستحالٌ اتمامُه ، وخاصةً إذا كان مع فرعون الطاغية . المطلب الثالث :

﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ ومعنى ذلك أن سيدنا موسى يطلب مدداً من الله له خاصًّا بذاتهِ الخَلْقيةِ لا يقدر على صنيعهِ إلا الله سبحانه ؛ ليحظى من هذا العطاء بجمال المنطق وحُسنِ الحديث والفصاحة والبلاغة حتى يفقهوا قوله كل من يُخاطبُهم سيدنا موسى بعلوم الله سبحانه ، وهذا علمُ المنْطِق وهذا العلمُ يكتسبهُ العقل بواسطة الأسباب فسيدنا موسى عليه السلام يسأل الله أن يمُدهُ بعلم المنطق مدداً منه وعطاءاً يليقُ بعظمة الرسالة يفقهوا به قولى على مراد الله فى الفقْهِ والتفقُّهُ فهذه ثلاثةُ مطالبٍ بدُعائهِ لربه استُجيبتْ ولكن نبى الله موسى عليه السلام يرى ثِقَلِ الحمل عليه ، وعظمة الرسالة وصعوبة المواجهة مع فرعون فلجأ إلى ربه بمسألةٍ رابعةٍ وهى مطلبُ وزيرٍ وشريكٍ معه فى أمر الرسالة ليكون عوناً معه على الرسالة . فقال : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ قال الله سبحانه : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ ومعنى ذلك أن سيدنا موسى عليه السلام قال : يا رب إنى أحبُّ أن يكون معى وزير وأن يكون شريكاً لى فى حمل الأمانة ، وشريكاً معى فى الرسالة . وترفعُهُ برِفعةٍ منك بالترقَّى بالعطاء إلى مقام نبى رسولٍ معى بالمعية والمقام ، ووزيراً لى والوزير ووظيفتهُ أن يكون عينُ الحاكم لحراسة وأمن السرِّ . ويد الحاكم لحمل الأمانة معه والعمل على حمايتها . إذن مطلبُ سيدنا موسى هذا أن يكون معه أخاهُ هارون وزيراً عوناً له على حمل أمانة سر

الرسالة معه . حتى إذا صدر من فرعون اعتداءٌ على شخصى من أول لقائى به فقتلنى يكون هارون باقٍ مع الرسالة من بعدى يقوم بحمل لوائها بالدعوة إلى الله إذن فمطلب سيدنا موسى غيرةً على بقاء الرسالة ونجاحها سواءٌ كان ذلك فى حياته أو من بعدهِ ويكون أيضاً عوناً لى على تبليغ الرسالة ويحدد سيدنا موسى فى مطلبه الوزير المطلوب أن يكون هارون أخيه . لماذا ؟ لأنه أُنْسُهُ الذى يأتنسُ به فى الأسباب من أهله . وما مراد موسى من ذلك ؟ قال أُشدُدْ به أزْرى ، وأشركهُ فى أمرى . بجعلٍ من عندك وتكليفٍ له بالرسالة معى ؛ لأنى إن دعوتُهُ أنا لذلك من عندى فأخشى أن لا يهتم بدعوتى ، ويقول ' إنها رسالتك وحدك لمقامك ، ومعنى أشركهُ فى أمرى . فالأمرُ هنا الرسالة والرسول . أى بقاءُ الرسالة وبقاءُ الرسول ، وذلك فى حالة اعتداءٍ من فرعون علىَّ بالقتل فيكون شريكاً معى فى الرسالة وفى مقام رسولٍ فيُكمل مسيرته مع الرسالة ويقول أنا هارون رسول الله بعد أخى موسى رسول الله ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ : يعنى إن كنت أسبحك بلسانٍ واحدٍ فإن أخى هارون يسبحُك معى بلسانه فيكون التسبيح لك منا بلسانين أكثر من اللسان الواحد . ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ استجابةٌ سريعةٌ من الله لنبيِّه ورسوله وكليمه سيدنا موسى عليه السلام لأن مطلبه من أجل حماية الرسالة ولم يكن لحماية نفسه أو لإشباع هوى نفسه أو ليحظى بدَنِيَّة من الدنيا ولكنه لتحقيق نجاح الرسالة ثم يقول الحق ﷻ لنبيه موسى عليه السلام : يا

موسى اعلم أنه لم يكن هذا المَنُّ منَّا عليك أول عطائك منا ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أى أن الحق سبحانه يقُصُّ على نبيه موسى عليه السلام أسرار حياته من بدء خلقه فى بطن أُمِّه إلى أن خرج إلى الدنيا مولوداً ليتحدَّى به الحق إرادةَ فرعون المزعومة كذباً وافتراءاً على الله وهو أن فرعون حدثوهُ الكهنة يوماً فقالوا له إن مُلكك هذا سيزول على يد رجلٍ من بنى إسرائيل وإنه سيولد قريباً فأصبح فرعون يأخذ حرصه وحذرهُ من ذلك وكان بنوا إسرائيل يستعبدهم فرعون استعباداً فى مصر فهم مملوكين لإرادته وطُغيانه فجعل عليهم رِقابةً على أن أى امرأة تكون حاملٌ يتمُّ وضعها تحت عينه ورقابته فإن كان المولود ذكراً يُؤتَى به إلى فرعون ليذبحهُ بيده ليطمئن قلبهُ على مُلكه من الزوال ولكن لا يُغنى حذرٌ عن قدرٍ قَدَّرَهُ الله ولذلك يقول الحق سبحانه فى ذلك قُرآناً : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وكان أول مولودٍ يولدُ بعد

حديث الكهنة لفرعون وبَدْءِ حرصه على مُلكه بذبح الأبناء هو سيدنا موسى عليه السلام فأراد الله به قهر إرادة فرعون الكاذبة فأوحى إلى أُمِّه ساعة أن ولدتْهُ أن لا تُسَلِّمُهُ إلى فرعون فيذبحهُ ولكن تُخفيه عليه فإن خافت عليه من رقابة فرعون وبطشه فلتصنع صندوقاً من خشب وتضعه فيه وتُلقيه فى النهر ؛ لذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى آخر الآيات يقُصُّها الحق على نبيه موسى عليه السلام الذى تربّى تحت عين العناية الربانية فى قصر فرعون وأرضعتهُ أمُّهُ وخرج فارّاً إلى أرض مَدْين ثم جاء عائداً من مَدْينَ وهو فى طريقه الآن إلى مصر كان اللقاء بالوادى المُقدَّس على قدَرٍ قدَّرَهُ الله ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ أى لم يكن هذا النداء بالصُّدْفة ولكن على وعدٍ من الأزل قدَّرَه الله فى المقادير بالمكان والزمان . فلما استمع موسى إلى كلام ربه وعلم أسرار حياته من خالقه سبحانه اطمأن قلبهُ وحسُنَ يقينُه بأنوارِ وأسرارِ النبوة فيه وانطلق بالرسالة رسولاً إلى فرعون . ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ ساعة أن يتحير فى أمر قومه كما تحير موسى فى أمر فرعون . لم يلجأ إلى الله سائلاً يطلب منه أن يجعل له وزيراً يُشركه فى أمر رسالته ؛ لأن مقام النبى ﷺ مقامٌ فردىٌّ وِترِىٌّ بكماله وجماله فى الوجود كله هيأه الله بقوةٍ جلالية تليق بحمل أمانة التوحيد وكفى تعظيمهُ فى الوجود كله بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) . فيفكر سيدنا رسول

الله ﷺ فى كيفية خروجه بالدعوة من بيت النبوة إلى الناس فيرى صلى الله عليه وسلم أن الأمر يحتاج إلى حكمةٍ وحُسنِ اختيارٍ لمن يكشف له ستار هذا السِّرِّ من الناس من حوله حتى تكمُل معادلة الأولية فى الأمة بأولية الرجال ، وأن يكون فى مقام كمالٍ . فقد ذكرنا من قبلُ أن أول النساء السيدة خديجة وهى فى مقام صِدِّيقَةٌ إذن فمطلبنا الآن أن يكون أول الرجال إسلاماً فى الأمة فى مقام صِدِّيقٍ . فكان سيدنا أبو بكرٍ بن أبى قحافة التَّيْمىُّ كان صديقاً للنبى يستريح إليه ، ويعرف فيه النزاهة والأمانة والصدق . إذن لم يكن أحدٌ من الناس على معرفة بالنبى كمعرفة أبى بكر ؛ ولذلك كان أول من دعاهُ النبى . لأن النبى ﷺ تحيرهُ فى أمر الرسالة فى العُثور على من يكون أهلاً لحمل ثِقل أسرارها من الرجال مع النبى ويُدقق فى حُسنِ الاختيار خشية أن لا تقع فى يد سفيهٍ غيرُ مُتعَقِّلٍ للأمور مُستخفَّ العقل لا رزانةَ فيه فيكشف أسرار الدعوة بقصدٍ أو بغير قصدٍ فيكون أحمق يُعَرِّضُ الدعوة إلى ما تُخشى عواقبُهُ ، ولكن النبى يُفكر ويُحسنْ الاختيار حتى يضع هذا السر العظيم فى قلب صِدِّيقٍ يكون معه فى تقدير عظمة هذا السر وحمل ثقل الأمانة وهدى الرسالة ومطلب النبى هذا لا يقل شأناً عن مطلب نبى الله موسى لأخيه هارون معه ؛ لذلك لم يرَ النبى أمامهُ من هو أهلٌ لتحقيق مطلبه هذا غير أبى بكر لأنه كما ذكرنا يعرفُ فيه النزاهة ، والأمانة ، والصدق . ولذلك كان أول من دعاهُ النبى إلى عبادة الله وحدهُ وتَرْكَ عبادة الأوثان ، وبيَّنَ له النبى مُوضحاً عظمة الرسالة وما تدعو إليه من تعظيم العبادة الممدودةِ من عظمة المعبود وهذا لا يكون إلا الله الخالق وحدهُ صاحب

الجلال فهو المُنْعِمُ ، وهو الرَّزاقُ ، وهو المُعطى ، وهو الضَّار ، وهو النافع هو الله رب العالمين . وكان سيدنا أبو بكرٍ ﷺ فى قومه رجُلاً له مكانتهُ وقدْرَهُ . كان سيدنا أبو بكرٍ رجُلاً وسيماً مألفاً لقومهِ يعنى يوجدُ فيه أُلفةً بينه وبين قومه مُحبَّباً سهلاً يعنى مُحبباً لهم وسهلٌ فى التعامل معهم كان بالنسبة للتعامل مع قريشٍ أنسبُ رجلٍ يواجه قريشاً بالدعوة إلى الله بعد رسول الله ﷺ وكان رضى الله عنه أعلم الناس فى قريش بأحوالهم وبما كان فيهم من خيرٍ وشرٍ : أى يعلم الخير وأهل الخير منهم ، كما يعلم أهل الشر منهم . إذن ساعة أن يواجههم بالدعوة يُحسن اختيارهُ أن يكون اختيارهُ لأهل الخير بعلمه بهم . وكان رجلاً تاجراً . ذا خُلقٍ ومعروفٍ : يعنى يتعامل مع الناس فى تجارته بخُلُقٍ حسنٍ ويعرفه الناس من معاملتهم معه وكان رجال قومه يألفونه لعلمه وتجارته وحُسن مُجالسته وإذا كان رجال قومه يألفونه ويحبونه . إذن فهو أهلٌ أن يكون وزيراً لسيدنا رسول الله ﷺ ويحمل معه لواء الدعوة إلى الله وكان رجالُ قومه يُحبون مُجالسته والحديث معه لعلمه . فكان أول من أسلم من الرجال أبو بكرٍ ﷺ ولذلك ساعة أن اختارهُ النبى . أحسن النبى اختيارهُ فيه ؛ لأن مطلب النبى فى حَسنِ الاختيار أن يكون له وزيرٌ ووزيرٌ لا يطلبُهُ النبى من الله ليكون شريكاً فى أمر الرسالة كمطلب سيدنا موسى من ربه .. ولكنه ﷺ وزيراً لرسول الله بدعوةٍ من مقامِ رسول الله يحظى بها تحت ظل راية المقام المحمدى بمقامه لا بالمشاركة مع المقام كمقام النبوة والرسالة لسيدنا هارون عليه السلام . لأنه تمَّ تعيينهُ فى الرسالة وتكليفهُ من صاحب المقام وهو سيدنا رسول الله ﷺ

وزيراً له منحةً من مقامه تكريماً له تحت ظل مقامهِ ولذلك فإن الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام يقول فيه : (إن منزلة أبى بكرٍ منِّى كمنزلة هارون من موسى) ولذلك ساعة أن استقبل سيدنا أبو بكرٍ ﷺ دعوة النبى ﷺ لهذا الدين قدَّر المسئولية وعظمِ ثقل الأمانة ، وقال فى نفسه إنه اختارنى من الناس لهذه الأمانة العُظمى لما رآه منى من صدقٍ فى محبتى له فأنا صديقٌ له قبل رسالته من الله رسولاً إلى الناس ، ولم يكن فى مكة من الناس على علمٍ ومعرفةٍ بقدْرِ رسول الله مثلى ، وإزداد حُبُّ أبى بكرٍ وتوقيرُهُ لسيدنا رسول الله ﷺ فرَّد الله على محبته لرسوله أن اصطفاهُ بالمقام والذكر صاحب رسوله الأمين وذكرهُ فى قرآنه بقوله : ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا ﴾ وكان اختيارهُ فى الهجرة مع النبى رفيقاً وصاحباً بأمر السماء وكرَّمهُ الله فى القرآن بالذكر فى معية النبى فى جوف الغار تحُفُّهُما معاً عناية الله وتُظلهُما معاً معجزةٌ إلهية بصنع يد القدرة الإلهية والعناية الربانية لحمايتهما معاً من كفار مكة وبطشهم وعدائهم واعتدائهم عليهما .

عنايةُ الله أغْنَتْ عن مُضَاعَفَةٍ ... من الدُّروعِ وعن عالٍ من الأُطُمِ

وتحت ظلال هذا التكريم الإلهى من الله لسيدنا أبى بكرٍ ﷺ أن لقَّبهُ وسماهُ صاحب نبيهِ ورسوله حظيتْ صحابة النبى بهذا الشرف العظيم بتسمية الصُحْبةِ وكلهم بجمعهم تحت ظلال مقام صاحب الذكر من الله فى القرآن بالصحبة سيدنا أبى بكرٍ ﷺ كل من يصدُق مع النبى فى مُجالسته والتعليم على يده والأخذ منه مُشافهةً والصلاة خلفهُ والجهاد

معه والخروج معه فى غزواته وتحصيل علوم سُننهِ الشريفة ونقلها للتابعين يُسمَّى صحابىٍّ ولكنه مقامٌ بين عدد غفيرٍ من المقامات بمجموعهم يُسَمُّوا صحابة النبى وكلهم يستظلون بظلال مقام صاحب الذكر بالصُحبةِ وهو سيدنا أبو بكرٍ ﷺ وساعة أن أعلن سيدنا أبو بكرٍ إسلامهُ قال فى نفسه إن هذا الإعلان لم يكن مجرد قولٍ أو لفظٍ تلفَّظْتُهُ بين يدى رسول الله ولكنه إعلانٌ منى وإقرارٍ على نفسى بأن أشاركهُ فى حمل ثقل الدعوة إلى الله سبحانه ؛ فجعل من نفسه داعياً إلى الله وإلى دين الله فى معية رسول الله ، ومن عظيم تقديرهِ وتوقيرهِ لسيدنا رسول الله فى رؤية مقامهِ المحمدى الكامل أخذتْهُ الغيرة على سيدنا رسول الله من مواجهة النبى للناس بالدعوة فإنهم ليسوا على علمٍ بمقامه الكمالى فى الوجود ، وقال للنبى إءْذنْ لى بالدعوة فى قومى فأذن له النبى .

سيدنا أبو بكرٍ يدعو إلى الإسلام : ▪

جعل سيدنا أبو بكرٍ يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه فتابعهُ على الإسلام (سيدنا عثمان بن عفان ، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف ، وسيدنا طلحة بن عُبيد الله ، وسيدنا سعد بن أبى وقاصٍ ، وسيدنا الزُبيرِ بن العوام) وكان أحدهم إذا أسلم ذهب إلى النبى ﷺ فأعلن إليه إسلامه وتلقَّى عنهُ تعاليمهُ ، وكان المسلمون الأولون يستخفون لعلمهم بما تُضْمِرْ قريشٍ من عداوةٍ لكل خارجٍ عن أوثانها . وظلوا على ذلك ثلاث سنوات إزداد الإسلام فيها انتشاراً بين أهل مكة ، ونزل على النبى من الوحى ما زاد المسلمين إيماناً وتثبيتاً . فجاء بهم سيدنا أبو بكر إلى سيدنا رسول الله حتى استجابوا له فأسلموا ثم أسلم أبو عُبيدة عامر بن

عُبيد الله بن الجراح ، وأبو سلَمَةَ بعد تسعة أنفسٍ والأرقمِ بن أبى الأرقم المخزومىٍّ وعثمان بن مظعونِ الجمَحىٍّ ، وأخواهُ قُدامة وعبد الله ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وسعيد بن زيدٍ ، وامرأتُهُ فاطمة بنت الخطاب ، وأول امرأة أسلمت بعد السيدة خديجة أُمُّ الفضل زوجُ العباسِ عمُّ النبى ﷺ وأسماء بنت أبى بكر . ثم إن الله سبحانه أمر رسوله بأن يصدَعْ بما جاء به فما زال النبى ﷺ مُستخفياً حتى نزلت : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ فجهر هو وأصحابهُ .

النبى صلى الله عليه وسلم يجهر بالدعوة إلى الله : ▪

كان النبى ﷺ برَّاً رحيماً . جمَّ التواضُع . كامل الرُّجولية . عذبَ الحديث . مُحباً للعدل . يُعطى كل ذى حقٍ حقهُ ، وينظر إلى الضعيف واليتيم وإلى البائس والمسكين نظرةً كلها الأُبوة والحنان والعطف والمودَّة . فآمن به كل ضعيفٍ ، وكل بائسٍ ، وكل محرومٍ ، وانتشر أمر النبى بمكة ودخل الناس فى الإسلام أرْسالاً رجالاً ونساءاً ، وتحدَّث الناس عن الدعوة ، وبعد ثلاث سنواتٍ من حين البعث أمر الله نبيَّهُ أن يُظهر ما خَفِىَ من أمرهِ وأن يصدع بما جاء منه ونزل الوحى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الحق سبحانه أوحى إلى نبيه أن يبدأ الدعوة بأن يُنذر عشيرته الأقربين أولاً والنقيضُ للإنذار التبشير فقال سبحانه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ﴾ ولم يقل وبشِّر عشيرتك . لعلمِ الله

بعشيرته بالجحود والعناد ومحاربة الرسالة والرسول أى قبل أن تخرج بالدعوة إلى أهل مكة فابدأ بأقاربك أولاً لتُشاهد فيهم جُحودهم وإنكارهم للحق واستعلاءهم بهوى النفس وعدم التواضع لله ولخلق الله ولذلك ساعة أن يدعوهم النبى إلى دين الله قالوا نحن سادة الناس إن جلسنا معك فإننا نرى أن من اتبعك جماعة من الضعفاء والفقراء والبؤساء والمساكين فلا تجعلنا نجتمع معهم فى مجلس فاجعل لنا مجلسنا خاصٌ بنا معك ، وجالسهُم وحدهم ، وهذا المطلب لا يرتضيه الإسلام الذى يدعو إليه فالإسلام محبةٌ ، وتواضعٌ ، وانكسارٌ ن وحُسن خُلقٍ . إذن مطلبهم هذا بعيداً كل البُعد عن التخلُّق بخُلُق الإسلام وليس لهم حظٌّ مع الله ورسوله برضوان . فالرضوان كل الرضوان من الله ورسوله لمن صدق فى الإيمان وصدق فى اتباعه لرسول الله ، ولذلك قال الحق سبحانه : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وخفض الجناح : معناهُ أن الله يُوصى نبيهُ أن لا يلتفت إلى أقاربه المستكبرين على خلق الله ، وأن يجعل كل اهتمامه بالعناية والرعاية والبِّر والرحمة ، والتواضع ، والحب ، والحنان ، والعطف ، والمودة لمن اتَّبعوهُ ويحبون رؤيتهُ ومجالسته والاستماع إلى حديثهِ العذب دون ملل منهم الضعفاء والبؤساء ، والمساكين أهل التواضع والمحبة فأظِلَّهُمْ بتواضعك لهم ومحبتك وإكرامهم . فإن قومك شاهدوا منك هذا التواضع لمن اتَّبعك من المؤمنين وأنكروهُ وعصوكَ ولم يتَّبعوك فقُل لهم إنى برئٌ مما تعملون : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أى إجهر بالدعوة كما أمرك الله ، وأعرض عنهم إعراض العزَّة فإن لواء العزَّة

من الله معك ، وإن قابل إعراضك عنهم إعراضهم عنك فلا تهتم واعلم يقيناً أن الله ناصرُك ، ومُتِمَّ نورهُ ولو كرهَ المشركون . إن سيدنا رسول الله ﷺ ساعة أن يُكلَّف بوحيٍ من السماء بأن يبدأ فى دعوته إلى الله بقومه أولاً فإن كذبوهُ يُعرض عنهم ، وينتقل بدعوته إلى غيرهم من الناس فمن حكمة النبى ﷺ لأنه سيد الحكماء وما من نبى ورسولٍ أُوتىَ الحكمة إلا أُوتىَ قبساً بمددٍ معلومٍ من عطاء سيدنا رسول الله ﷺ . فمن حكمته صلى الله عليه وسلم ورحمته بقومه أراد أن يجعل دعوته إليهم فى سترٍ بينه وبينهم حتى لا تشعر نفوسهم بثقل النصح كما لو كان أمام الناس فى نادٍ جامعٍ أو فى مجلسٍ عام فبعلمهِ صلى الله عليه وسلم بعلل نفوسهم اختار أن يكون جمعُهُم عندهُ فى بيته مستوراً بتكريمٍ أرادهُ لهم ثم يُحدِّثهم بحديثه المَرْضِىِّ .

دعوة النبى صلى الله عليه وسلم قومه وعشيرته إلى الإسلام : ▪

دعا النبى ﷺ عشيرته إلى طعامٍ فى بيته وحاول أن يُحدِّثهم داعياً إياهم إلى الله فقطع عمُّهُ أبو لهبٍ حديثهُ واستفزَّ القوم ليقوموا . كان النبى ﷺ يرجوا أن يكون وراء حكمته فى تكريم عشيرته فى بيته حُسنَ استقبالهم لدعوته فيهم إلى الله وخاصَّةً أنه ستر النصيحة لهم عن مسامع الناس وأبصارهم حتى تكون فائدتها لهم أعظم لأن النفوس الشاردة بنفورٍ من الحق يكون النصح لها أمام أعين الناس ثقيلٌ فيستعيرُ الناصح بحكمته خِفَّةَ البيان ، وستر المكان ثم يُرسل نصيحتهُ إلى النفس فى غلافٍ مُحلَّى بحلاوةٍ تتلذذُ النفسُ بها ويُطْلىَ بطلاء المعدن النفيس الذى تعشقهُ نفسُ المنصوح .. فالنصح ثقيل فلا تُرسله جبلاً : ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ فدعا النبى ﷺ عشيرته فى الغداة كرَّةً أُخرى فلما طعموا قال لهم : (ما أعلمُ إنساناً فى العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به .. قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى ربى أن أدعوكم إليه فأيُّكم يُؤازرنى على هذا الأمر ؟) فأعرضوا عنه ، وهَمُّوا بتركه لكن عليًّا نهض وهو ما يزال صبيًّا دون الحُلُم وقال : أنا يا رسول الله عونُك أنا حربٌ على من حاربتَ فابتسمَ بنو هاشمٍ ، وقهقه بعضُهم ، وجعل نظرهُم ينتقل من أبى طالب إلى ابنه ثم انصرفوا مُستهزئين . إذن نشاهد من خلال هذا اللقاء وهذا الجمع فى بيت النبى وحديثه الشريف مع عشيرته أنهم أعرضوا عنهُ وهَمُّوا بتركه ، ولكن سيدنا علىٌّ بن أبى طالب وثب وثبةَ الأسد قائماً وهو ما يزال صبيًّا دون الحُلُم وشهد للنبى بالرسالة قائلاً : (أنا يا رسول الله عونُك) فتعجَّبوا كلهم من ذلك ! كيف يقول علىٌّ أنه رسول الله ونحن نُنكرُ ذلك فما علمُهُ برسالته ، ونظروا إليه نظرةَ الإستهزاء والسخرية والتصغير على أنه صبىٌّ لا يُدرك ما قال ، ولا يؤاخذُ على قوله (ألم يعلموا أنه فى مقام كمالىٍّ اكتمل فيه عقله قبل سنِّ بلوغه وقد أسلم ويُصلِّى مع النبى صلاة الخصوصية منذ ثلاث سنوات وأعظم من ذلك فى قوله : (أنا حربٌ على من حاربتْ) يعنى لو تعرضت برسالتك هذه لإشعال نار الحرب على من يحاربك من أهل الشرك والنُّكران والجحود فأنا من اليوم تأهبتُ للحرب عليهم ، وأمِّرنى على الحرب عليهم وكُن أنت فى مكانك مصُونٌ عن مواجهتهم واللقاء بهم ؛ فازدادوا استهزاءاً وابتسموا ابتسامةَ الساخرِ وقهقهَ بعضُهُم وجعل نظرهُم ينتقلُ من أبى طالب إلى ولده كأنهم

يقولون أدِّبْ ولدَك يا أبا طالبٍ قبل أن يعقل ما يقول ثم انصرفوا مُستهزئين فلما رأى النبى ﷺ من قومه الإعراض عن دعوته إلى الإيمان بالله وعبادته ، وأن يظلُّوا على عبادتهم للأوثان مُشركين بالله . أعرضَ النبى عنهم كما أمرهُ الله بقوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وفكر فى أن ينتقل بدعوته إلى أهل مكة جميعاً ...

ينتقل النبى صلى الله عليه وسلم بدعوته إلى أهل مكة جميعاً :

انتقل النبى ﷺ بعد ذلك بدعوته من عشيرته الأقربين إلى أهل مكة جميعاً ، وكأن أمر الدعوة فى مرْقى انتقالىٍّ مرحلىٍّ فبدأ الأمر مُستخفياً وظل على ذلك ثلاث سنوات ثم انتقل بالرقى مرحلياً إلى مرحلة الجهر بالدعوة ثم إلى أن يبدأ النبى بدعوة قومه أولاً ثم إلى أن ينتقل صلى الله عليه وسلم بدعوته إلى أهل مكة جميعاً .. فيدعو النبى ﷺ أهل مكة (صعد النبى ﷺ الصفا يوماً ونادى : يا معشر قريش ؟ قالت قريش : محمدٌ على الصفا يهتف . وأقبلوا عليه يسألونه ما له ؟ قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقون؟ قالوا : نعم . أنت عندنا غير متهمٍ ، وما جرَّبنا عليك كذباً قطُّ . قال : فإنى نذيرٌ بين يدىْ عذابٍ شديدٍ يا بنى عبد المطلب ــ يا بنى عبد مناف ــ يا بنى زهرة ــ يا بنى تيْمٍ ــ يا بنى مخزومٍ ــ يا بنى أسدٍ) إن الله أمرنى أن أُنذر عشيرتى الأقربين وإنى لا أملكُ لكم من الدنيا منغصةٌ ، ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا (لا إله إلا الله) أو كما قال صلى الله عليه وسلم فنهض أبو لهبٍ ، وكان رجُلاً بديناً سريع الغضب فصاح : (تبًّا لك . سائر هذا اليوم) ألهذا جمعتنا ؟) وارتجَّ على النبى فنظر إلى عمِّه ثم

ما لبث أن جاء الوحىُ بقوله تعـالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ إنه من عظـيم حكمة النبى ﷺ أنه حين أراد أن يدعوا أهل مكة جعل دعوته إليهم فـى آنٍ واحدٍ وجمعٍ واحدٍ بمكانٍ واحدٍ . ففى وقت الضُحى صعد فوق جبـل الصفا ، ونادى بصوتٍ عالٍ : يا معشر قريش ، والنبى عندهم يعرفونه بالصادق الأمين . فكل من سمع النداء أسرع مُهرولاً قاصداً جبل الصفا وهو يُحدِّثُ نفسهُ قائلاً إن هذا الأمر عظيمٌ ؛ لأن محمـداً شـأنهُ فينـا وعندنا عظيمٌ ، وعندما اجتمعوا أهل مكة جميعاً والتفوا حول النبى وقبل أن يعرض النبى عليهم أمر الدعوة إلى الله أراد صلى الله عليه وسـلم بحكمته أن يُقررهم جميعاً بصوتٍ عالٍ يصدُرُ منهم جميعاً بأنه صلى الله عليه وسلم صادقٌ عندهم بثقتهم فيـه وحُـسنِ ظـنهم بـه ، وأنهـم سيصدقونه فى كل ما يقول : فقال النبى : أرأيتم لو أخبـرتكم أن خـيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقون؟ يعنى لو أخبرتكم ان عدواً خلف هـذا الجبل جاء يعتدى عليكم بجيشه القوى بالعُدَّة والعتاد وهو خلـف هـذا الجبل الآن وستبدأ غارتهُ عليكم الآن . أكنتم تصدقون ؟ قالوا : نعم أنت عندنا غير متهمٍ ، وما جرَّبنا عليك كذباً قطُّ . يعنى نُصدقُ يقيناً لا ريب فيه فى كل ما تقول . إذن فلو أخبرهم بذلك النبى لوقع الخـوف فـيهم على أنفسهم وأهليهم وديارهم ، وأموالهم من هذا العدو الذى فاجـأهم وكان كل ما يشغلهم النجاة من مواجهة الهلاك ، والتعذيب الذى يُلحقـهُ بهم هذا العدو الغاشم الذى اقتحم أرضهم وديارهم وعلى قدر تـصديقهم لسيدنا رسول الله وحُسنِ يقينهم يكون شدة الخوفِ وعظمة مطلب النجاة

ومعرفة وسيلة تحقيق مطلب النجاة بأى تكليفٍ مهما كانت مشقتهُ على النُفوس ومن هذا المدخل العظيم الذى صـنعه سـيدنا رسـول الله ﷺ بحكمته ينتقل بهم إلى الأمر الذى هو أعظم من ذلك بعـد أن اسـتعدوا بيقينهم للتصديق والخوف من العذاب ومطلب وسيلة النجاة .. فيُفاجئهم سيدنا رسول الله ﷺ بأمر الدعوة مبتدئاً بالإنذار بعذاب الله الشديد الذى أعدَّهُ فى الآخرة لمن عصاهُ ولم يتبعنى ليأخذ منى وسيلة النجـاة مـن عذاب الله ثم يُبيِّن لهم النبى ﷺ حقيقة الأمر قائلاً : (فإنى نذيرٌ بين يدى عذابٍ شديدٍ) (وإنى لا أملك لكم من الدنيا منغصةً (يعنى أدنى عطاءٍ) ولا من الآخرة نصيباً : يعنى لا مطمع فى نعيم الجنة فى الآخـرة إلا أن تقولوا (لا إله إلا الله) فهذه وسيلة النجاة من عذاب الله لمـن طلـب النجاة ... فنهض أبو لهبٍ وقام ينفُضُ يديهِ وصاح قائلاً : (تبًّـاً لـك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ وكان أبو لهبٍ رجُلاً بديناً سـريع الغـضب . وأبو لهب يكون عمُّ النبى ﷺ وهو الذى صاح فى وجـه النبـى يُكذِّبـه ويسُبُّهُ ويهزأ به وبدعوته قائلاً : تبًّا لك : أى الخـسارة والخيبـة لـك وضياع عملك وسعيك فتوقف النبى عن الحديث مُتحيراً فى هذا الأمـر وهو أن هذه أول ساعةٍ يجهر النبى بالدعوة إلى الله بين أهل مكة جميعاً فلم يكذِّبهُ إلا عمُّهُ ويصيح من بينهم ويسُبُّهُ فنظر إلى عمِّه والغيظ يملأ جوانحهُ وهو يكظمُ غيظهُ ويُمسكُ لسانهُ مـن أن ينطـق لأن فيـه أدبُ النبوة الذى بيَّنه فى حديثهِ (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) فالحق سبحانه تأخذه الغيرة على حبيبه ونبيه ، ويقول إذا كان حُسنُ أدبك يـا حبيبـى منعك من أن تردَّ على عمِّك مسبَّتَهُ فإنه لا يملك أن يحقق شيئاً مما قالهُ

لك فيك ولكنى أنا الله ربُّ العالمين صاحبُ القُدرة فى تحقيق ما أقول وأعدُ ، وغيرتى عليك أشد من غيرتك على نفسك فإنه لا يعلم قدْرَك وعظمة مقامك غيرى فدعنى أردُّ عليه ثم ما لبث أن جاء الوحى بقوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ ويكون ردُّ الله عليه بنفس الكلمة التى قالها ليُثَبِّتَ حبيبه على يقين المعية لله بأن ربك سميعٌ بصيرٌ سمع ما قاله أبو لهب ، وردَّ عليه بنفس القول وليعلم أبو لهبٍ وكل الناس أن الله الذى أرسل محمداً إليهم ليعبدوهُ ويكفروا بعبادة الأوثان . يعلموا أنه سميعٌ سمع أبو لهبٍ فيما قاله لرسوله وردَّ عليه بقدرته وعلمه فإن كان أبو لهبٍ قال : تبَّتْ لحبيبى فقد قالها ويعجزُ عن تحقيقها فيه . ولكنى أقول له : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ يعنى وقد تحقق حُكم الله فيه بالخسارة فى الدنيا والآخرة وذلك من أول ساعةٍ للرسالة ومعنى (تبَّتْ) أى خسرت وخابت وضلَّ عملهُ وسعيُهُ ، ومعنى (وتبَّ) أى وقد تحقق خسارتهُ وهلاكهُ ومعنى ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ ذُكِرَ عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ لمّا دعا قومه إلى الإيمان . قال أبو لهب : إن كان ما يقول ابن أخى حقّاً فإنى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى فأنزل الله : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أى ذات شررٍ ولهيبٍ وإحراقٍ شديدٍ ، ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ كانت زوجته من سادات نساء قريش وهى أم جميل (واسمها) أروى بنت حربِ بنُ أُميةٍ وهى أخت

أبى سفيان ، وكانت عوناً لزوجها على كُفرهِ وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه فى عذابه فى نار جهنم ولهذا قال حمَّالةَ الحطب . ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ يعنى : تحمل الحطب فتلقى على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهى مُهيأة لذلك مُستعدة له ، ومعنى : ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ أنها كانت تمشى بالنميمة ، والمسد : سلسلة ذرعُها سبعون ذراعاً فى عُنقها طوقٌ تُطَوَّقُ به . وهذا إخبارٌ عنها بالشقاء وعدم الإيمان لم يُقيَّض لهما أن يؤمنا ، ولا واحد منهما لا ظاهراً ، ولا باطناً ، ولا مُسِرَّاً ، ومُعلناً فكان هذا أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة . وروى أن امرأة أبى لهبٍ جاءت ، ورسول الله ﷺ جالسٌ ومعه أبو بكرٍ ﷺ فقال له أبو بكرٍ : لو تنحَّيتَ لا تؤذيك بشئٍ . فقال رسول الله ﷺ إنه سيُحالُ بينى وبينها . فأقبلت حتى وقفت على أبى بكرٍ فقال أبو بكرٍ : لا وربِّ هذا البنيةِ ما نطق بالشعرِ ولا يتفوَّهُ به فقالت : إنك لمُصدَّق فلما ولَّت . قال أبو بكر للنبى : ما رأيك ؟ قال : لا . ما زال ملكٌ يستُرنى حتى ولَّت ومن مشاهد جمال القدرة الإلهية فى حكم الله الجلىِّ فى أبى لهبٍ أنه أعلن قضاءهُ فيه أنه من أهل النار بقرآن بيِّنٍ مُحكمُ وفى أول بدءِ الرسالة ، وأبو لهب وامرأته يكيدان للرسالة بالعداء المُستمر وتدبير الشر والمساءات والإيذاء للرسول والرسالة ، وكان من الممكن أن يهديه عقله أبو لهب ويُعلن إسلامه إعلان خدعةٍ ليُكذِّب القرآن فى إخباره عنه أنه لن ولم يؤمن ولكن قضاء الله فيه يُقيِّدُ عقله من أن يقوم بذلك بيد الإرادة الإلهية لا هو ولا امرأته لا ظاهراً ولا باطناً ، ولا مُسِرَّاً ، ولا مُعلناً فكان هذا أقوى الأدلة

الباهرة على صدق النبى فى نبوته الظاهرة وكان حُكم الله فى أبى لهبٍ قوله سبحانه : ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ ولم يقل سوف يصلى بالمستقبل البعيد فى الآخرة بل قال سيصلى بالسين أى مستقبل قريب فى الدنيا قبل الآخرة ولذلك روى أنه لما خرج المشركون من مكة ومعهم صناديد قريش أبو جهلٍ ، وشيبه وغيرهم بالعُدَّة والعتاد لملاقاة النبى ومحاربته فى غزوة بدرٍ فى السنة الثانية من هجرته إلى المدينة تخلَّف أبو لهبٍ وبقى بمكة ليُحَرِّشَ من تخلَّفَ بسفاهته ليلحق بالمشركين لمحاربة النبى ﷺ فأصيب بمرضٍ جلدى حارقٍ لجلدهِ وكان يهيج به فى شوارع مكة يصرخُ من شدة لهيب الاحتراق والإلتهاب الذى يشعر بشدة آلامه ، وكان إذا مسَّ جلدهُ بيده انتقل الاحتراق فى يده ، وكانت العدوى تنتقل فى كل من يمسَّهُ بيده فأغلقوا عليه باب داره لا يعودهُ أحدٌ ولا يقترب منه حتى مات فحفروا له حُفرةً وجعلوا يسوقونه أمامهم على الأرض بخشبةٍ فى أيديهم حتى أوقعوهُ فى القليب الذى حُفر له خشية أن تنتقل فيهم العدوى ، وكان الكل يفرُّ منه يائساً من حاله ومات بمكة بهذا القضاء من الله فيه فى نفس اليوم الذى مات فيه صناديد الشرك أبو جهل ، وعُتبة ، وشيبة ، وغيرهم فى غزوة بدرٍ ، وحُفر لهم القليب الذى جمعهم فى بطنه كما حُفر فى مكة قليبُ أبى لهبٍ الذى ضمَّهُ فى نار الجحيم ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . نسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظ قلوبنا على الإيمان الكامل به على قلوب أنبيائه ورسله وأوليائه وصلى وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم . وكل عام وانتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الخامسة عشر

وموضوعها

إيذاء قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وتكذيب دعوته

أُلقيت بالساحة المحمدية بمدينة المنصورة يوم الاثنين

١١ من ربيع أول ١٤٢٤ هـ

الموافق ١٢ من مايو عام ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الواحد الأحد ، السميع البصير . الذى لا منظورَ له من خلقِه ، المتوحدُ الذى لا يستأنسُ به سكنٌ ولا يستوحشُ لفقده . الذى لا يُدركهُ بُعْدُ الهممِ ، ولا ينالهُ عوضُ الفِطَنْ . الذى ليس لصفتهِ حدٌّ محدودٌ ، ولا نعتٌ موجود ، ولا وقتٌ معدود ، ولا أجلٌ محدود . سبحانه . سبحانه . أحاط بكل شئٍ علماً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . توحَّدَ فى التِّعْدَادِ ، وتفَرَّدَ بالعِظَةِ فى الآزال والآباد ، وتعالى فى أحديَّتِه عن العَدِّ ، وعَزَّ فى عظمتهِ أن يحصُرَهُ الحدُّ . بصفاتهِ جمَّلَ الجمال فعَمَّ ، وبذاتهِ كَمَّلَ الكمال فتَمَّ . لا تحيطُ بعظمته العلوم ، ولا تُدركُ كُنْهَ جلالهِ الفُهُومِ . سبحانه . سبحانه . هو العليم الخبير . وأشهد أن سيدنا محمداً عبدهُ ورسوله . سرُّ الله فى الوجودِ ، وخَزانةِ الكرمِ والجُودِ . المُنفردِ بالأكملية صورةً ومعنىً ، وصاحبُ قاب قوسين أو أدنى ، محلُّ نظر الله من العالم ، ومظهرُ ذاته من بنى آدم . تفرَّدَ بالكمال ؛ فختم الكمالات والمقامات الإلهية باطناً ، وشهدَ له بذلك ختمهُ لمقام الرسالة ظاهراً . فبالعدل زيَّنهُ الله وللقسط أخرجه ، واستنقذ به أُماً من النار وختم به المرسلين ، وبرسالته الرسالات . ورفع ذكرهُ فلا يُذكرِ اللهُ إلا ويُذكرِ اسمَ النبى معهُ . فلا يزُولُ ذِكرهُ صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى تزولُ أى : ذكرُهُ قائمٌ فى الدنيا ، ومددُ النعيم فى الآخرة من مقامه ، ومن جمال عطاء مقامهِ . فصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليك سيدى يا رسول الله ، وعلى آلك وصحبكَ ، ومن اهتدى بهديكَ واقتفى أثركَ إلى يوم الدين .

أما بعـد

فنحن فى هذا الجمع المبارك ، وفى هذه الليلة المباركة . ليلة مولدِ سيد الوجودِ . الذى لولاهُ ما كان وجْدٌ ولا موجودٌ ولولا ليلة ميلاد النبى ﷺ ما كانت ليلة القدر ؛ لأن ليلة القدر فازت بالقدْرِ بالذِّكر الواضح الجلىِّ من أجل نزول القرآن فيها بقوله سبحانه :﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ فحظيت ليلة القدر بالقدر المشهودِ لانتسابها إلى القرآن بالذكر والإنزال والقرآن منسوبٌ إلى سيد الوجودِ لقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ إذن فلولا سيدنا رسول الله ما كان القرآن . نشاهدُ من ذلك أن ليلة القدر صاحبة الفضل على أمة محمدٍ بالعطاء العظيم ، وأن ليلة مولدِ سيد الوجودِ صاحبة الفضل على كل الليالى . بل على الزمان كله من الأزل إلى الأبد ، وعلى العوالم كلها فى عالم المُلك وفى عالم الملكوت ، وكفى ذكرُ العطاء المقرونِ بمقامِ الرسول الأعظم بلسانِ الحق بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ إذن فى هذه الليلة ولدَ صاحبُ هذا اللواء بالذِّكر والمقام ونحن فى هذه الليلة المباركة ، وتحت ظلال العناية الربانية جمعنا الله بفضلهِ ومَنَّه قُلوباً ، وأرواحاً على محبة سيد المرسلين ، ونحن فى هذا اللقاء الميمون المبارك من كل عام نعيش مع سيرة النبى العطرة نستظلُّ بمددِ الله وإلهاماته . فقد وقفنا فى اللقاء السابق عند أمر الله لنبيهِ ومُصطفاهُ بأن يجهر بدعوتهِ إلى الناس فنزل قول الحق سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فساعة أن يجهر النبى فى مكة بالرسالة ،

وفى جمعٍ نادى بصوته فجمعهُ ويفاجئُ النبى ﷺ أن من بين هذا الجمع الذى يُعلنُ التكذيب بصوتٍ عالٍ عمُّهُ أبو لهبٍ من بين هذا الجمع وبانفعالٍ وغضبٍ رفع صوتهُ ورفع يدهُ فى وجه النبى وقال له : تَبًّا لك . ألهذا جمعتنا ؟ بعد أن دعاهُم إلى عبادة الله الواحد فيجيب ويردَّ عليه الحق بقوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ لأن النبى ﷺ إلتزم أدبَ النبوةِ مع عمِّهِ وقف النبى صامتاً ينظرُ فى وجهِ عمِّهِ وغيرته على جلالِ الحقِّ . تظهرُ على وجهه ، وهو صامتٌ يكظمُ غيظهُ . فالحقُ يقول له : يا حبيبى إذا كان صمتُك هذا من خلال أدبٍ جمٍّ أنا الذى صنعتهُ فيك وكمَّلتُكَ به . إذن فيكون الجواب والرَّدُّ على عمِّك من عندى ؛ فينزلُ القرآن يرُدُّ عليه بنفس القول الذى تلفظَّ به قولاً وأشار بيدهِ فيه فى انفعالهِ . ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ . يعنى وقد تحقق فيه التَّبُ والخسارة والهلاك بقُدْرتنا فهو قد قالها كلمةٌ باللسان ، ولكنْ لايقدرُ أن يُحققها فيك ؛ لأنه ليستْ عندهُ قُدرةَ التحقيق . إنما الله وحدهُ صاحبُ القوى والقدر هو الذى يَرُدُّ عليه ، ويحقق فيه بقوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ أى وقد تحقق . إعلانٌ بتحدٍّ واضحٍ جلىٍّ لإظهار قُدرة الحق سبحانهُ حقيقةً مشهودةً تمحو كل خيالٍ ووهم يزعمُ لنفسه إثبات قُدرة أو إرادة كاذبةٍ باطلةٍ وهذا إخبارٌ من الله سبحانه يُبيِّنُ فيه للناس جميعاً حُكْمَهُ بشقاء أبى لهبٍ وزوجتهُ فقد حكمنا عليهما بالشقاء وكان ذلك فى زمنِ بدءِ الرسالة ، لا نقول فى وسطِ زمانها ولا فى آخر زمانها . إذن فإنهُ ليس من الممكن أبداً بالرَّغمِ أنه ليل نهارٍ يكيدُ للرسالة ويُدبرُ لها كل شرٍّ

بالجُحودِ والعنادِ هو وزوجتهُ بعقلٍ مُتيقظٍ للمُحاربةِ بالكراهية والإنكار فلن ولم يهديه عقلهُ أن يُعلن إسلامهُ كذباً خدعةً وفتنةً للمسلمين المؤمنين ليُكذِّبَ القرآن الذى هو من عند الله . فإنه لا يقدرُ على ذلك أبداً لأنهُ لُجِّمَ بلجامِ القُدرة الإلهية على فكرهِ ، ولسانهِ ، وجوارحهِ . فكان هذا الإخبارُ أقوى الأدلة الباهرة على النبوة فى النبى الظاهرة ، وبعد أن نزل قول الله بحُكمِ الشقاء لأبى لهبٍ وزوجتهُ . ظلَّ النبى واقفاً على جبل الصفا ينادى قومهُ بالإسلام ، وصدعَ به كما أمرهُ الله تعالى ولم يبعُدْ منه قومُهُ ولم يرُدُّوا عليه حتى ذكر آلهتهُم وعابهَا . فأجمعوا على خلافهِ وعداوتهِ إلا من عَصمَ اللهُ منهم بالإسلام . وحَدِبَ عليه عمُّهُ أبو طالبٍ ومنعهُ منهم وقام دُونهُ فاشتدَّ الأمرُ ، وتضاربَ القومُ ، وأظهر بعضُهمْ لبعضٍ العداوة ، وتزامرتْ قُريشُ على من أسلم منهم يُعذبونهُم ، ويفتنونهم عن دينهم . ومنع الله تعالى رسوله منهُم بعمِّهِ أبى طالبٍ وبنى هاشمٍ والمُطلبِ غير أبى لهبٍ . وكان النبى ﷺ يطوفُ على الناس فى منازلهم يقول : يا أيها الناس إن الله يأمرُكم أن تعبدوهُ ولا تُشركوا به شيئاً ، وأبو لهبٍ وراءهُ يقول : يا أيها الناس إن هذا يأمركُك أن تتركوا دين آبائكم .

إيذاء قريشٍ للنبى صلى الله عليه وسلم :

تعرض النبى ﷺ لإيذاءٍ شديدٍ وقع عليه من قومه فقد رماهُ الوليدُ بن المُغيرة بالسِّحر ، وتبعَهُ قومهُ على ذلك ، وآذتهُ قُريشٍ ورموهُ بالشعر والكهانة والجنون ، ومنهم من كان يحثوا التراب على رأسه ، ويجعل الدَّمُ على بابهِ صلى الله عليه وسلم وساعة أن نقول رماُ الوليدُ بن

المغيرة بالسِّحر فما من نبيٍّ أو رسولٍ أو ولىٍّ إلا ويُرمَى من قومه بالسِّحر . لماذا ؟ لأن السِّحر عينُ الكُفرَ ، والساحرُ يكونُ كافراً فالآية فى سورة البقرة قوله سبحانه : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ لم يقُل الحق سبحانهُ : وما سحرَ سليمان ولكن قال وما كفرَ سُليمانَ إذن لا يتعلَّمُ الساحرُ علْمَ السِّحْرِ إلا بعد أن يُعلنَ كُفرهُ بالله . وبعد أن يكون كافراً قد تحقق كُفْرُهُ ، وارتحل من قلبه نور الإيمانَ وحلَّ فى قلبه ظلام الكُفر يأخذُ علمَ السِّحْرِ وهماً ، وخيالاً وباطلاً ممحوقاً بغضبِ الله سبحانهُ . فساعة أن يتعرَّض كلُّ نبيٍّ ، وكلُّ رسولٍ ، وكلُّ ولىٍّ بأن يُرمىَ من قومهِ بالسِّحرِ . يكون مُرادُ قومه من ذلك أن يصُدُّوا الناس عنهُ من أن يُصدِّقوهُ أو يُؤمنوا به أو يتَّبعُوهُ ؛ لأنه إن قيل إنهُ ساحرٌ فالساحرُ كاذبٌ فى كل ما يقولُ ؛ لأنهُ كافرٌ ، وليس بعد الكفر ذنب . فكيف يكونُ كاذباً وكافراً ويدعو إلى دين الله المعبُودِ الواحدِ الأحدِ بقيمٍ محمُودةٍ ، وخُلقٍ حسنٍ عظيمٍ . إذن كان اختيار الوليد فى رَميهِ صلى الله عليه وسلم بالسِّحر ليَصُدَّ الناس عنه بالتصديقِ وليكون ذلك فتنةً لمن اتَّبعهُ وصدَّقهُ . إذن معجزةُ النبى وكرامة الولىِّ يُحاربُها السِّحرُ . فمعجزةُ النبى ، وكرامة الولىِّ حقيقةٌ من صُنعِ يد الحقِّ دالَّة على جمال الحق وجلاله ، وتأييداً من الله لأنبيائه ، ورسُله ، وأوليائهِ ؛ لنصرِهِمْ ، ونصر رسالته بهم . فأما الذين آمنوا فزادتهُم إيماناً وأما الذين فى قلوبهمْ مرضٌ فزادتهُمُ رجساً إلى رجْسِهِمْ أى : أن المؤمنين

حين يشاهدوا معجزةٍ لنبىٍّ من الله أو كرامةً لولىٍّ يزدادُ يقينهم ويقوى إيمانهم بالله ، وأما الذين فى قلوبهم مرضٌ (أى ريبٌ وشكٌ) وهذا من رجسِ الشيطانِ يزدادوا رجساً إلى رجسهم . أى بُعداً ؛ لأن الناس ساعة أن يُشاهدوا بأبصارهم معجزةُ الله لنبىٍّ أو كرامتُهُ لولىٍّ فى عالم الحسِّ بأداء الفعل على يد النبى أو الولىِّ ظاهراً فإنهُ يَخْفى عليهم رؤيةَ الباطن ، وهو سرُّ الله الخفىُّ فى المعجزة أو الكرامة ، وهو يدُ الله ، وإرادته ، ويدُ الروح

فيدُ الجسمِ بها انشق الحجرُ ويدُ الرُّوح لها انشقَّ القمرُ

ولذلك إذا رأينا أمام أعيُننا فى ظاهر الأمر حُدوثُ معجزة نبىٍّ ، وحدوثُ سحرِ ساحرُ ، ومشهدُ الفعل والتأثير واحدٌ . أى نشاهدُ الفعل مثل الفعل ونتيجة الصنع فى النهاية أمام أعيُننا هذا مثل ذاك . نقول إن هذا أمرٌ عظيمٌ يحتاج إلى أن ندقق فيه لنتحقق فإذا تحققنا عَلِمنا أن معجزة النبى وكرامة الولىِّ حقيقة يتحول فيها الشئُ بقدرة الله الخالق تحَوُّلاً ذاتياً من شئٍ إلى شئٍ آخر أما سِحرُ الساحر فلا يتحول الشئ ولا يتأثر فى ذاته ولكن الساحر هو الذى يُجرى خيالَ السحر على أبصار المشاهدين للشئ ليُشاهدوا فيه ظواهر شئٍ آخر حسب مطلب الساحر بسحرهِ . دون أن يتحول الشئ ، والشئ على حقيقته ثابت كما هو عليه خَلْقُهُ فلو كان من بين المشاهدين أحدٌ لم يقع على بصرهِ خيال السحر فإنه يُشاهدُ الشئ على حقيقته دون غيره من الذين أصابهم خيال السحر وذلك كما حدث مع نبى الله موسى عليه السلام فإن سيدنا موسى لمّا أرسله الله إلى فرعون . جعل معه مُعجزة ، وهى عصا موسى فلما واجه فرعون بالرسالة كان مطلب فرعون بُرهاناً على صدقهِ يعجزُ عن صُنعهِ المخلوق فألقى

موسى عصاهُ فتحولت بقدرة الله سبحانه إلى ثعبانٍ تحولاً خلقياً تاماً وحقيقة لا خيال فيها ؛ لأن الذى حوَّلها الله صاحب الحوْل ، وصاحبُ القُوة فاتهمهُ فرعون ورماهُ بالسِّحر وجمع لهُ السحرة ليُناظروهُ بسحرهمْ فى جمعٍ من الناس وحشرٍ عظيمٍ فى وقتِ الضُحى . وقال السَّحرة لفرعون قبل أن يبدأوا عملهم فى السِّحر ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ قـــال : ﴿ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ . وهنا نشاهد أن سَحرة فرعون طلبوا منهُ أجراً دُنيويَّاً مادياً على غلبتهم موسى فى المناظرة ؛ لأن الساحر طالبُ دُنيا بكفرهِ بالله فليس له وجهةٌ لمطلب الآخرة بثوابها ونعيمها . فسيدنا موسى عليه السلام يقول للسحرة : ﴿ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ . لأن أمورهُم سحرية من صنع الباطل ، ونحن نُريدُ أن يُشاهَد الناس ضعفُ الباطل فى تمكينه ، وقُبْحَ الباطل فى صُنعهِ حتى إذا شاهدوا بعدهُ قوةَ الحق ، ورأوْا قُدرة الله بالتمكين بالحوْل ، وجمال الحق . شهدوا لسيدنا موسى بالرسالة . وخرُّوا لله سُجَّداً برؤيةِ اليقين : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ فساعة أن يُلقى السَّحرة ما هم مُلقون يقومون بإلقاء خيال السحر على أبصار المشاهدين جميعاً من الناس ليُشاهدوا فيما ألقوهُ أنهُ ثُعبانَ وذلك حسبُ ما هو مطلوبٌ ليشابه ظاهرَ مُعجزة نبيِّ الله موسى ؛ لأن مُعجزته فى تحوِّلِ عصاهُ ثعبانُ حقيقةً ولكن الناس بخيالهم ووهمهم حُجبوا عن رؤية الحقائق فألقوا حبالهم وعصيَّهم وقالوا بعزَّةِ فرعون إنا لنحن الغالبون . فساعة أن ألقوا سحرهم كل المشاهدين من الناس

نظروا إلى سحرهم شاهدوهُ ثعابين بحُكم السِّحر فيهم حتى نبىُّ الله موسى عليه السلام ؛ لأنهم أى السحرة ألقوا على بصره السحر فسُحِرَ ورأى حبالهُم وعصيهم ثعابين : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى ﴾ يعنى أنت الغالبُ وأنت المنتصر ؛ لأنه قال فى نفسه جاؤا بثعبان مثل الثعبان الذى أجئُ به . فما الذى أنتصرُ به عليهم فالحق يقول له : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ أى طمأن الله نبيَّهُ وقال له : لا تخف إنك أنت المنتصر ؛ لأن هذا ميدانٌ التقى فيه الجمعان الحق والباطل بصُنعيهما ، وما صنعوهُ سحرُ ساحرٍ وكيدٌ للحق ، ولا يُفلحُ الساحرُ ، ولا ينتصر حيث أتى معنا فى ميدانٍ يكيدُ لنا ونكيدُ له فلابد وأن تظهر له نتيجةُ وتُعلنُ نتيجةُ النصر للحق قبل أن ينصرفَ هذا الجمع . نقول ساعة ان يُلقى موسى عصاهُ على الأرض فالكل ينظرُ إليها ويُشاهدُها أنها ثعبانٌ فلا يقدرُ أحدٌ منهم أن يُميزَ المعجزة من السحر إلا السَّحرة ؛ لأن أبصارهم لم يُلق عليها خيال السحر فهى مُحصَّنةٌ بثبوت جمال الخالق فيها من أن تُفتنَ بقُبحِ السِّحر ؛ ولذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ

وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ **ولذلك ساعة أن رأى السحرة عصى موسى تحولت بذات كُنْهِها حقيقةً ثُعبانٌ سجدوا على الفور . دون عرض القضية على العقل ؛ لأنهم أعلمُ الناس فى هذا الجمع باليقين ؛ لأنهم شاهدوا اليقين بأن هذه مُعجزةٌ صُنِعتْ بيد القدرة الإلهية . إذن فَهُمْ الذين وقع فيهم سرُّ معرفة حقيقة الحق فسرعان ما سجدوا لله رب العالمين . لماذا ؟ وما الذى حدث إنكم قدمْتُمْ على هذا العمل تحاربون به الحق وكان مطلبكم من فرعون أن يُعطيكم الدنيا أجراً (إن لنا لأجراً) فما الذى حوَّلكم هذا التحول السريع لمطلبكُم لنعيم الآخرة ؟ نقول : رؤيتهم لآيةِ اليقين الذى شاهدوهُ فى آية صُنِعتْ بيد الحق سبحانه ؛ ولذلك دُهِشَ فرعون ! وقال لهم : آمنتم لهُ قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علَّمكُم السِّحر . أى ينقُدُ نفسه ألم يذكر أنهم سحرتهُ وكانوا معه على وعْدٍ سابقٍ ليُعطيهم الدنيا أجراً . ولذلك ساعة أن يُرمى النبى أو الولىِّ بالسِّحر يكون هذا الرَّمْىُ أعظمُ فتنة لمن صدَّقهُ وآمن به ، وصدٌّ لمن لا يؤمن إذن كان رمىُ الوليد بن المغيرة النبى ﷺ بالسِّحر لم يكن كلامٌ يُقالُ غير أن يُدركهُ ، ولكنه يقصدُ به بكيدٍ وتدبيرٍ مُحاربةَ الرسالة والرسول . ثم آذتْهُ قريشٌ كلها اجتمعوا على إيذاءهِ صلى الله عليه وسلم ورمَوْهُ بالشعر والكهانة ، والجنون . ثلاثُ تُهَمٍ وأوصافٍ قبيحة . فذكر الشعر يُقَبِّحُ صاحبهُ ولا يُجملُهُ ، والقرآن الكريم يقول فى الشعراء :** ﴿ وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ

وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ **أى يتَّبعُ الشاعر أهلُ الغواية بهوى النفس الأمارة بالسوء وصُحبتِهم للشيطان ، وأهل النقص والمطلب الدَّنىِّ . لماذا ؟ يُجيبُ الحق سبحانه :** ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ **يعنى الشاعر تراهُ فى كل وادٍ سواءٌ مع الحق أو مع الباطل تجدْهُ فى هيامٍ إذا كان له من وراء ذلك كسبٌ دُنيوىٌّ فإذا لم تتحقق له مطالبهُ الدنيوية يكون فى هيامٍ فى الذَّمِّ : أى يصحبُهُ الهيام فى المدح تارةً فإذا لم ينل مأربهُ من وراء المدْحِ . ينتقل بهيامهِ إلى الذَّمِّ أى وادٍ آخر يهيمُ فيه . فهذا لا يليقُ أن يتَّصفَ به نبىٌّ مُرسَلٌ كامل ؛ ولذلك لمَّا جاءت امرأةُ أبى لهبٍ والنبى ﷺ جالسٌ ومعهُ سيدنا أبو بكر . وكان ذلك بعد نُزُول سُورة قُرآنية فيهما :** ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ **وقالوا إنها شعرٌ يسُبُّنا به محمداً فهى تبحثُ عن النبى ﷺ وتريد أن تعثر عليه بلهفة لتَسُبَّهُ بشعرٍ أمام الناس فى جمعٍ عام فسيدنا أبو بكر ساعة أن رآها قال للنبى ﷺ : يا رسول الله هذه امرأةُ أبى لهبٍ لو تنَحَّيتَ لا تؤذيك بشئ أى : قُم اختبئْ فى مكانٍ يسترُك حتى لا تراك فتعتدى عليك بالسَّبِّ والإهانة ، وأنا لا أطيقُ ذلك فأرُدُّ عليها المسَبَّة غيرةً عليك فالتفت سيدنا رسول الله ﷺ إلى سيدنا أبو بكر وابتسم قائلاً : إنهُ سيُحالُ بينى وبينها : أى لا تخفْ ولا تهتم بذلك لأنه ﷺ أراد أن يُبيِّنُ لصاحبهِ بياناً يقينياً لحراسة الله وعِصمَتُهُ لرسولهِ من الناس ويشاهد صاحبهُ هذا الإعجاز بعينِ بصره ؛ ولذلك دُهش ! سيدنا أبو بكر وقال فى نفسه : كيف يُحال بين النبى وبينها فلا تراهُ وهى أمامنا وجهُها فى وجْهِنا ؟**

فأقبلت حتى وقفت على أبى بكرٍ أمام سيدنا أبو بكر والنبى بجوارهِ يلتحمُ فخذهُ بفخذهِ ، ووقفت تخاطب سيدنا أبو بكر وتقول له يا أبا بكرٍ إن صاحبكَ يقول فينا شعراً فسيدنا أبو بكر أخذتهُ الغيرة على كمال رسول الله ﷺ وردَّ بانفعالٍ وقال : لا وربُّ الكعبة هذه البُنيَةِ ما نطق بالشعر ولا يتفوهُ به : يعنى أن النبى لم ينطق بالشعر طوال حياته ولم يُخرجهُ من فيهِ حاضراً أو مستقبلاً أى نفى عن النبى منطقَ الشعر نفياً تاماً وذلك لكمالهِ صلى الله عليه وسلم فقالت : يا أبا بكرٍ إنك لمُصدَّقٌ أى إنى صدَّقتُك ؛ لأنى أثقُ فيك وألمسُ منك صدقك ثم ولَّتْ مُنصرفة فلمَّا ولَّتْ قال سيدنا أبو بكر لسيدنا رسول الله ﷺ : يا رسول الله (ما رأتْكَ) فقال النبى ﷺ : لا ما زال ملكٌ يستُرُنى حتى ولَّتْ ، وهذا مشهدٌ عظيم ؛ لأن الملك معنىً من المعانى ، وخلقٌ من نورٍ والنورُ يكشفُ الهيئة الحسية لا يسترُها ، ولا يراهُ الحسُّ إذن هى لم ترَ الساتر وهو الملك ؛ لأن الملك معنىً ونورٌ ولا يستُرُ حسَّاً ولا يراهُ الحس ، وهذا إن دلَّ فإنما يدُلُّ على أن حقيقة النبى خلقاً وخُلُقاً نورٌ ومعنىً بل هو سيد أهل المعانى ، (وأهل المعانى) أهل الكمال والجمال يستمدون أنوارهم وأسرارهم من صاحب مقام السِّر الأعظم سيدنا رسول الله ﷺ ؛ ولذلك كان ستارُ الملك لسيدنا رسول الله معنىً يستُر معنىً ؛ لأن المعنى لا يستُرُ الحس بل يُحدثُ له اضطراباً وارتعاداً فيكشفُ أمرهُ ويُظهرُ حالهُ إذن نُشاهدُ أن مظهر البشرية فى النبى لأُنسِ البشرية بالعطاء والرحمات ، وأن حقيقة النبى نورٌ كما بيَّنَ لنا الحق بقوله : ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ وقولُهُ : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ورمى

قريشِ النبى ﷺ بالكهانة ؛ لأن الكاهن يَكذبُ على نفسه ، ويكذبُ على الناس ، ويكذبُ على ربهِ . فساعة أن يقولوا على النبى أنه كاهنٌ فذلك صدٌّ عنهُ كى لا يتَّبعَهُ أحدٌ من الناس . ثم يقولون فيه إنه لمجنون . فهل هناك مجنونٌ يُصدَّقُ فى قوله . إذن فإنهم كانوا يختارون أقبح الأوصاف يذُمُّونَ بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإن المجنون لا يُصَدِّقُهُ أحدٌ فى قولٍ ، ولا يثقُ به أحدٌ ، ولا يُحسنُ الظنَّ به ، ولا يُقتدى به فى قولٍ أو فعلٍ . فالحق سبحانه يقول لحبيبه : ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ وهذه معجزةٌ قد جاء بها الحق سبحانه لحبيبه على مطلبهم ليُصَدِّقوا فلما شاهدوها أنكروا وأعرضوا وقالوا سحرٌ يستمرُّ فيه لنُصَدِّقهُ ، وكذَّبوا واتَّبعوا أهواءهم إذن نقول : آذتهُ قريشٌ ، ورمَوْهُ صلى الله عليه وسلم بالشعر ، والكهانة ، والجنون ، ومنهم من كان يحثُوا التراب على رأسه ، ويجعل الدَّمَ على بابه صلى الله عليه وسلم . أى دمُ الذَّبائح يجمعونهُ ويُلقوهُ على عتبة باب النبى ﷺ حتى يُلوثُ ثيابهُ عند خروجهِ صلى الله عليه وسلم حتى أنه وطِئَ عُقبةُ بن أبى مُعَيْطٍ عليه لعنةُ الله على رقبته الشريفة وهو ساجدٌ عند الكعبة حتى كادت عيناهُ تذْرُفانِ أى أنه وهو صلى الله عليه وسلم يُصلى عند الكعبة وهو ساجدٌ وقف عقبة بن أبى مُعيطٍ بقدمهِ وثِقَلِهِ على رقبة سيد الخلق

حتى كادت عيناهُ تَذرُفانِ من شدَّةِ الاختناق ، وخنقوه صلى الله عليه وسلم خنقاً شديداً فقام أبو بكرٍ دونهُ فجذبوا رأسهُ ولحيتهُ حتى سقط أكثرُ شعرهِ صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر صائحاً فيهم : أتقتلون رجُلاً أن يقول ربى الله ودفع عنه عقبة بن أبى مُعيط بعد أن أخذ بِمنكبِ رسول الله ﷺ فلف ثوبهُ فى عُنُقهِ وخنقهُ خنقاً شديداً وفى روايةٍ للإمام البخارى ﷺ وأرضاهُ . كان رسول الله ﷺ يُصلى عند الكعبة ، وجمعٌ من قريش فى مجالسهم فساعة أن رأوا النبى يصلى نظروا إليه وتغامزوا عليه ، وقال قائلٌ منهم : ألا تنظرونَ إلى هذا المُرائى ؟ أيُّكم يقوم إلى جُزورِ آل فُلانٍ (يعنى المجزر الذى يذبحون فيه الذبائح) فيعمدُ إلى فرثِها ، ودمها ، وسلاها فيجئُ به ثم يُمهلُهُ حتى إذا سجدَ وضعهُ بين كتفيهِ . فانبعث أشقاهم (أى نهض وقام بسرعة أشقاهم وكلهم بجمعهم أشقياء من أهل الشقاء ، ولكنه أشقى الأشقياء) فلما سجد عليه الصلاة والسلام وضعه بين كتفيه (أى على رقبة النبى ورأسه وهو ساجدٌ) وثبت النبى ﷺ ساجداً ؛ فضحكوا حتى مال بعضهم على بعضٍ من الضحك يسخرون ويهزءون بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم فانطلق مُنطلقٌ (أى رجل يرى هذا المشهد القبيح الذى يقوم به أهل الشرك بالإعتداء على سيد المرسلين) فانطلق إلى السيدة فاطمة وأخبرها بما رأى وهى جُويريةٌ أى جارية صبية صغيرة السن . فأقبلت فاطمة تسعى وثبت النبى ﷺ حتى ألقتهُ عنه ، وأقبلت عليهم تسُبُّهم . فلمَّا قضى رسول الله ﷺ الصلاة نظر إلى السماء وهو يدعو فقال : (اللهم عليك بقُريشٍ ثم سَمَّى اللهم عليك بعمر بن هشام (أبو جهل) ، وعُتبةَ بن

ربيعة ، وشيبة بنُ ربيعة ، والوليد بن عُتبة ، وأميَّة بن خلف ، وعقبة بن أبى مُعيطٍ ، وعمارة بن الوليد . كانت هذه الدعوة فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة . استجاب الله لرسوله وتحقق هلاكهم فى غزوة بدرٍ بعد الهجرة إلى المدينة بعامين فسيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ يقول : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدرٍ ثم سُحِبوا إلى القليب (قليب بدر) ثم قال رسول الله ﷺ وأُتْبِعَ أصحاب القليب لعنةً أى استُجيبت دعوة النبى وتحقق هلاكهم بعددهم السبعة الذين سمَّاهم النبى بأسماءهم .

قريش فى ريبٍ من رسالة النبى صلى الله عليه وسلم :-

قالت قريش للنبى ﷺ إن كنت تطلبُ الشرف فينا فنحن نُسَوِّدُك علينا ، وإن كنت تُريدُ مُلكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا : أى جِنِّيًّا قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نُبرِئَكَ منه أو نُعْذِرَ فيك ... إنهم يقولون هذا القول القبيح من خلال القُبح المكنون فيهم ؛ فإنهم لا يشاهدون جمالاً فى الرسالة ولا فى الرسول . يعنى يقولون للنبى ﷺ إن كنت تقوم بهذه الدعوة تزعُمُ من هوى نفسك أنك نبىٌّ لتنال شرفاً فينا بذلك . فنحن نجعل لك منَّا علينا السيادة . فكيف يكون ذلك ؟ إذا كان الله سبحانه هو الذى منحه السيادة بالاصطفاء والاجتباء على الوجود كله فى المُلْكِ والملكوت . فهل ينتظر منكم أن تمنحوهُ سيادة عليكم أو شرفٌ يحظى به بينكم ؟ لا . إن هذا القول عجيبٌ فإن كل شريفٍ فى عالم المُلك والملكوت . لا يُمنح ذكر التشريف له إلا بانتسابه إلى سيد الوجود ﷺ فكيف يقولون ذلك لصاحب المقام الأسمى فى الوجود كله ؟ ثم يقولون وإن كنت تريدُ مُلكاً ملكناك علينا

يعنى إن كنت تريدُ مُلكاً دُنيوياً نُمكنُك من ممتلكاتنا ونجعلك صاحبُ الأمر والتصريف فينا . نقول كيف ؟ وهو صلى الله عليه وسلم صاحب مقام الاصطفاء والاجتباء من الله على أهل المُلك وأهل والملكوت والمُلك كُله لله ! إذن فكل شئٍ فى الوجود طوع أمرهِ صلى الله عليه وسلم .

وراودتْهُ الجبالُ الشُّمُّ منْ ذَهَبٍ ... عن نفسهِ فــأراها أيَّمَا شَمَمِ
وأكــدَّت زُهــدهُ فيها ضــرورتــهُ ... إن الضرورةَ لا تعدُو على العِصمِ
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةُ من ... لولاهُ لمْ تُخرَجِ الدُنيا من العدمِ

إن مُلك الدنيا ومُلك الآخرة تحت لواء فضله ﷺ وكفى قول الحق سبحانه لــه ﷺ : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ وساعة أن يقول الحق وعلَّمَكَ ما لم تكن تعلم معناه أنه لم يُعلِّمُك أحدٌ من الخلق حرفاً واحداً . إذن كل علومكَ من الله فلا فضلَ لمخلوقٍ عليك . بل إن أهل العلم والمعرفة فى عالم المُلك والملكوت استمَدُّوا علومهم من أسرار عُلُومك ، وكان فضل الله عليك عظيماً فساعة أن يذكر الله عظمة الفضل من الله على النبى ﷺ فكأنه يقول لحبيبه أنت صاحبُ فضلٍ على كل مخلوقٍ فى الوجود ؛ لأنى منحتُك فضلى كُله بعظمته فليس لمخلوقٍ عليك فضلٌ والدليل على ذلك أنك الأُمِّىِّ . بالذكر فى الكتب السماوية السابقة النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل . إذن فساعة أن يذكر الله النبى بالأمِّيَّة نشاهد أن الأُمِّيَّة فى النبى ذكرُ الجمال فيه جمَّلَ الله به حبيبهُ وكأن الحق سبحانه يقول للعالمين جميعاً : ليس لمخلوق فضلٌ على

النبى فى أن علَّمَهُ حرفاً واحداً . وأن مشهد الجمال فى الأمية فى سيدنا رسول الله ﷺ أن علْمَهُ كله من الله ؛ ولذلك قال بعض العارفين :

لماذا كان أُمِّيَّاً فلا صُحُفاً ولا قلما ... لتظهر آية الإعجازِ حين يُعَلِّمُ الأُمما

يعنى لم يكن يقرأ صحيفة ، ولا خط بيمينه بقلمٍ كتاباً ؛ لتظهر فيه الآية الإعجازية الإلهية ساعة أن يرجع أهل العلم فى الأمم كلها إلى يوم القيامة إلى الأخذ بعلمهِ بإنصافٍ وخُضوعٍ وإقرارٍ ثم يقولون أى قريش للنبى ﷺ (وإن كان الذى يأتيك رَئِيَّاً أى جِنِّيَّاً قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نُبرئك منه أو نُعذرُ فيك) .. يعنى إن كان هذا الذى يأتيك أى : (الوحى) جِنِّيَّاً قد غلب عليك يعنى لا تقدر على صَرْفِهِ عنك نجمع كل أموالنا ونُنفقها فى طلب مُعالجتك بواسطة الطب حتى نُبرِئَكَ منهُ أى نُخلصُك منه أو نُعذر فيك أى نُعلن للناس أنك مُصابٌ من الجِنِّ كى لا يُعاتبونا فى أمرك ويُكذبونك .

النبى صلى الله عليه وسلم يُجيبُ على قول قُريش : ▪

فقال له عليه الصلاة والسلام : (ما بى ما تقولون ولكن الله بعثنى رسولاً ، وأنزل علىَّ كتاباً وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فَبَلَّغْتُكُمْ رسالاتِ ربى ، ونصحتُ لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكمْ به فهو حظُّكُمْ فى الدنيا والآخرة ، وإن تَرُدُّوهُ علَىَّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم) وكأن رسول الله ﷺ يقول لهم قد سمعتُ منكم الكثير من الأقاويل الباطلة فاسمعوا منى قول الحق مُبيِّناً لهم بتعريفٍ وتبيانٍ واضحٍ أن الله بعثنى إليكم رسولاً ، وأنزل علَىَّ كتاباً بتكليفٍ منهُ وأمرٍ أمرنى أن أُطيعهُ فيه أن أكون لكم بشيراً ونذيراً وما علَىَّ إلاَّ البلاغُ

فبلَّغتُكمْ رسالات ربى ونصحتُ لكم بأمانةٍ فإن تقبلوا منِّى ما جئتكم به من هُدى ونورٍ بصدقٍ فى بيعةٍ وعلُوِّ همَّةٍ وإخلاصٍ فى العمل ومحبةٍ لله ولرسولهِ وحُسنُ استقبالٍ منكم لرسالة الله فيكم بالهدى لتهتدوا وتحظَوْا فى الدنيا والآخرة برضوانِ الله وإن تردُّوهُ علَىَّ يعنى تردُّوا ما جئتكم به من هدى ونورٍ ؛ لتظلُّوا على ما أنتم عليه من ظُلماتِ الشرك فإنى أصبرُ لأمر الله الذى أمرنى به لكم حتى يحكم الله بينى وبينكم . إذن فهذا جوابٌ قاطعٌ . إذن العاقل ساعة أن يسمع هذا الجواب المُستنير بنورِ النُبوةِ من سيد الخلق وهو على يقينٍ من خلال تعامله مع النبى من قبل الرسالة ، وبشهادتهم لهُ بأنهُ الصادق الأمين أصبح هذا حُجةً عليه إذا لم يُصَدِّقُ ، وإذا لم يُؤمن ثم بعد ذلك يقولون نلجأ إلى أحبارِ اليهودِ لنسألهُم عن أمرهِ .

قريش تتحقق من نُبُوَّة النبى ورسالته : ■

إن النَضْرَ بن الحارث ، وعُقبة بن أبى مُعيطٍ ذهبا إلى أحبار اليهود فسألاهُم عنه صلى الله عليه وسلم فقالوا لهما : سلُوهُ عن ثلاثةٍ فإن أخبركُم بهِنَّ فهو نبىٌّ مُرسلٌ ، وإن لم يُجب فهو مُتقوِّلٌ . سلوهُ عن فتيةٍ ذهبوا فى الدهرِ الأول ، وعن رجلٍ طوَّافٍ ، وعن الروح ما هو ؟ فأنزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهُم أصحابُ الكهف ، وذكر الرجل الطوَّافِ وهو ذو القرنين ، وقال فى الروح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ إن كفار قريش ساعة أن ذهبوا إلى أحبار اليهود ليسألوهم عن نبوة سيدنا رسول الله ﷺ نقول إنهم ذهبوا إليهم

وهو على يقينٍ بأنهم أهل كتابٍ وقولُهُم من علم الله . إذن يستجيبوا لهم ويُصدِّقوهُم فساعة أن يُرشدهم إلى أن يسألوا النبى ﷺ عن ثلاثة أسئلة ويقولون لهم : فإن أخبركم بهن فهو نبىٌّ مُرسلٌ ، وإن لم يُجبْ فهو مُتقَوِّل . إذن أصبح الأمر واضحٌ جلىٌّ بأن هذه بشارةٌ وبرهانُ صدقٍ من علم الله فى الكتب السماوية فإن أخبر النبى وأجاب فأصبح لزاماً على الناس بالإيمان به والتصديق برسالته وقد كان ونزل القرآن من عند الله بالإخبار ولكنهم جحدوا بعدما شاهدوا اليقين .

المسلمون يُعذَّبُونَ فى مكة ، وأول شهيدة فى الإسلام : ■

ولما كثُر المسلمون ، وظهر الإيمان أقبل كُفارُ قريشٍ على من آمن يُعَذِّبونهم ويؤذونهم ليردُّوهم عن دينهم حتى أنه مرَّ عدُوُّ الله أبو جهلٍ بالسيدة سُمية أُمُّ عمار بن ياسر وهى تُعذَّبُ فطعنها بحربةٍ فقتلها فكانت أول شهيدةٍ فى الإسلام رضى الله عنها وكان الصِّدِّيقُ أبو بكرٍ ﷺ إذا مرَّ بأحدٍ من العبيد يُعذَّب اشتراهُ وأعتقهُ منهم سيدنا بلال بن رباح ، وسيدنا عامر بن فُهيرة . ولنا وقفة عند هذا المشهد الرهيب . لما كثر عدد المسلمين وظهر الإيمان ؛ لأن للإيمان ظهورُ لقوله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ فالإظهار لا يُشاهدُ جمالهُ إلا فى جمال من آمَنَ . إذن فجمال من آمن بالإظهار هو جمال إظهار الحق ؛ ولذلك نقول ظهر الإيمان ، ولا نقول ظهر المؤمنون ، وظهر الإيمان بالتحلِّى فى المؤمنين الظهور الجلىِّ الواضح بالتجلى من الحق عليهم . إذن لمّا كثر المسلمون ، وظهر

الإيمان أقبل كفار قريش على من آمن يُعذبونهم ، ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم لأنهم شاهدوا جمال الحق فيهم فأرادوا بغيظهم ، وتوهَّمهم أنهم يقدرون على محوِ هذا الجمال ومحقِهِ نقول لهم : إن القُبح هو الذى يُمحى ويُمحقُ أما الجمال : إن وقع فى الرجال يظل جمالاً حتى لو اشتد الإيذاء عليهم والتعذيب بهم تراهم يقولون غَايتُنا الاستشهاد فى سبيل الله حتى نحظى بلقاء الله ونعيم الآخرة فهذا مشهدُ الجمال بظهور الإيمان فى أهله أنهم يذوقون حلاوة الإيمان فى شدة التعذيب والإيذاء فى سبيله . حتى أنه مرَّ عدُوُّ الله أبو جهلٍ لعنهُ الله بالسيدة سُميَّة أم عمار بن ياسر وهى تُعذَّب فطعنها بحربةٍ فقتلها فكانت أول شهيدة فى الإسلام رضى الله عنها وجزاها عن الإسلام والمسلمين كل خيرٍ وهذه امرأة لكنها تزنُ من الرجال رجالاً . أراد بها أهل الكفر أن يُعذبوها ويؤذوها ويُسيئونَ إليها بكل أوجه المساءات ؛ لترجع عن دينها وسألوها عن غايتها من وراء هذا الإيمان فقالت : لقاء ربى والجنة فإنه وعدنى بذلك وإنى أُحْسنُ الظن بربى فى صدق وعدهِ وكان سيدنا أبو بكرٍ ﷺ إذا مَرَّ بأحدٍ من العبيد يُعذَّب اشتراهُ وأعتقهُ حُرَّاً ؛ لأنه يُعذَّب فى الله وفى رسوله فيجعل مالهُ فى الصدقات وفى سبيل الله فى عتق أحدٍ من العبيد لأن خير الصدقات أن يعتق بها رقبةً فى سبيل الله ولله فمنهم : سيدنا بلال بن رباح ﷺ مؤذن النبى ﷺ ، وسيدٌ فى الإسلام ، ومؤذنُ القيامة ، ومؤذنُ الجنة ، وسيدنا عامرُ بن فُهَيرةَ ؛ ولذلك كان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يقول فى سيدنا بلال ، وسيدنا أبو بكر ﷺ أجمعين سيُدنا أعتق سيدنا . ذاك هو حبٌّ وأدبٌ جَمٌّ .

شهادة سيدنا أبو ذرٍّ رضى الله عنه : ـ

عن أبى ذَرٍّ ﷺ قال : (كان أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمَّارُ ، وأُمُّهُ سمية ، وصُهيبٌ ، وبلالٌ ، والمقدادُ . فأما رسول الله فمنعهُ الله بعمِّهِ أبى طالب ، وأما أبو بكرٍ فمنعهُ الله بقومهِ ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون يُعذبونهم فألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم فى الشمس وإنَّ بلالاً هانت عليه نفسهُ فى الله ﷻ وهان على قومه فأخذوهُ فأعطوهُ الوِلْدَانِ فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : (أحدٌ أحدٌ) يعنى قومه أخذوهُ فأعطوهُ الصبيان الصغيرة فى السن ليطوفوا به فى شوارع مكة يُنَكِّلونَ به ، ويسخرون به ويهزءون به . ويرمونهُ بالحجارة ويضربونه على وجهه ، ويصنعون صنيع الإهانة به أمام أعين الناس جميعاً . فهذه شهادةُ سيدنا أبو ذرٍّ الغفارى ﷺ يبين فيهما جمال إظهار الإسلام فى أوله كان وقعُهُ فى أول من أظهرهُ للناس عِياناً وجِهاراً وهم سبعة ذكرناهم فأولهُم سيدنا رسول الله ﷺ منعهُ من تعذيب قريش وإيذائهم بوجود عمِّه أبو طالب يرُدُّهم عنه ويمنع عنه اعتدائهم عليه ، وكأن الله جعله جُندياً من جنود الله ظاهرُهُ أنه مع قريش على مِلَّتِهم فكانوا لا يؤذون رسول الله مُجاملةً لعمِّه أبى طالب حتى لا يُعلن شهادته بالإسلام وهذه حكمةُ الله فى عمِّه أبى طالب أن يستقرَّ الإيمان فى قلبه بالله وبرسوله دون أن يدخل من مدخل الإسلام ظاهراً فقد منحه الله الإيمان باطناً وجعلهُ جُندياً من جنودهِ منع الله به الإيذاء عن رسول الله . وأما سيدنا أبو بكرٍ فمنع الله عنه الإيذاء بهيبة قومه ، وأما عمَّار ، وأمهُ سُمية ، وصُهَيبٌ ، وبلالٌ ،

والمقداد ؛ فتعرضوا لإيذاء شديدٍ ، وتعذيب من المشركين حتى ألبسوهم أدراع الحديد وفى وقت الظهيرة فى القيلولة فى مكة بين صخورٍ حارقة بلهيبها يُصهروهُم فى الشمس . نقول فى هذا كله : أراد الحق سبحانه أن يُبيِّنهُ للناس فى أهل الكمال تِبياناً واضحاً مشهوراً ، مرئياً شهادة عِيان ، ورؤية يقينٍ حتى إذا ذكرهم بمقام السَّبق وعطاء السُّبَّقِ يكون عالمُ المُلك وعالم الملكوت شهدوا وشاهدوا يقيناً أنهم أهلٌ للعطاء إذن هُم معادن نفيسة أغلى من الذهب وأراد بهم ربهم أن يُصهرهُم فى المسبكِ وهو أن يبتليهم بإيذاء الناس لهم ليظهر جمال معدنهم فقد قال الحبيب المُصطفى فى حديثه الشريف : (الناس معادن كالذهب والفضة خيارُهم فى الجاهلية خيارُهم فى الإسلام إذا فقهُوا) ولذلك الحق يُذَكرُهم بقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ يعنى السابق إلينا سابقٌ وإذا كان سابقٌ إلينا من بين خلقنا فهو سابقٌ للخَلق بالدخول فى حضرة قُدسِنا فهو من المقرَّبين أهل القرب ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ أى جماعة أهل سبقٍ سبقوا الخلق إلينا بجمعهم وهم أصحاب النبى ﷺ فهم أصحاب ذكرٍ فى مقام سبقٍ جماعة ، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ إذن فيه جماعة من السُّبَّق وهم أصحاب النبى فى زمانٍ واحدٍ سعدوا بصُحبة النبى ، ومجالسة النبى ، والأخذ مُشافهةً عن النبى ، وتسلَّموا لواء الرسالة من يد النبى وحملوا أمانة الدين إلى الأمة نقلاً عن النبى ﷺ وساعة أن يقول الحق : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ إذن يكون القليل بعد ذلك فى كل

زمانٍ إلى يوم القيامة هم اللاحقون بمقامِ السَّبْق للأُول ، وهم أولياء الله فى كل زمانٍ وهم أهل المحبة ، وأهل العشق ، وأهلُ الشوق ، وأهلُ الذوق ، وأهلُ المعرفة فى كل زمانٍ ؛ إذن يكون لكُلِّ زمانٍ رزقهُ وحظَّهُ لأهلهِ من أهل السَّبق إلى الله إلى يوم القيامة . وقد قال بعضُ الصالحين فى ذكر السَّبْقِ .

السِّبَاقَ . السِّباقَ قولاً وفِعلاً حَذَّرِ النفْسَ حسْرةَ المسبُوقِ

فالسِّباقُ إلى الله بالوصول إلى مقام القُرب إليه مطلوبٌ : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ وكما أن هناك سباقٌ بين أهل الدنيا فى مطلب الزيادة من الفضل والعطاء فيكون هناك سباقٌ أيضاً فى مطلب السعادة والرضوان والنعيم فى الآخرة . حذِّر النفس حسرةَ المسبوقِ : يعنى حذِّر نفسك دائماً إذا كان هناك سباقٌ بين رجلين فى ميدان تأهَّلا له بوَعْدِ سابقٍ وكُلا منهما فى اهتمام وعناية بنفسه منذ شهرين أو أكثر يُعِدُّ نفسهُ ليكون هو الفائز بالجائزة المُعلن عنها وكُلاً منهما طامعٌ فى السَّبقِ عن الآخر ليحظى باستلام الجائزة ثم فوجئ بأنه مسبوقٌ وفاز بالجائزة مُنافسهُ فما الذى يكون عليه حالهُ من الحسرة ؟ فكذلك يكون حالُ أهلُ التقصير فى طاعة الله يوم القيامة ؛ لذلك ساعة أن يقول الحق سبحانه فى أهل السَّبْقِ : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ يكون المقام مقامٌ واحدٌ فمقام الأولين من الثلة هو مقام الآخرين من الثلة أى أهل

الأزمنة الأخرى مُستقبلاً وإلى يوم القيامة ولذلك تكون سُنَّةُ الله سبحانه فى أهل السبق والصدق إلى يوم القيامة أن يبتليهم بشدَّةِ الإيذاء ، والمساءات والتعذيب من الأهل والعشيرة ، وتهونُ عليهم نفوسُهُم فى كل ما يُرضى الله سبحانه لأن سُنَّتَهُ التى أجراها على الثُّلة من أهل السبق الأولين هى نفس السُّنَة التى يُجريها على القليل من أهل السَّبق الآخرين بنفس الإيذاءات والمساءات وبنفس الكيل . فالكيلُ واحدٌ . لأن الحق واحدٌ ، والمقامُ واحدٌ ، والشرفُ واحدٌ ، والمَشربُ واحدٌ ، والعطاء واحدٌ ، والسِّرُّ واحدٌ ، والنور واحدٌ .

أولياء الله : ▪

فإن أولياء الله إلى يوم القيامة هم أهل السبق لهم حُكمٌ يتعلق بمقامهم مثل الأولين . فمن حُكمهم فى بدايتهم أن يُسلِّط الله الخلق عليهم ليتطَّهروا من البقايا ، وتَكْمُلُ فيهم المزايا حتى لا يميلوا إلى اعتماد أو استناد على مخلوق فمن آذاكَ فقد أعتقك من رقِّ إحسانه ومن أحسن إليك فقد استرَقَّك وجُودُ امتنانه ؛ ولذلك قال سيدنا رسول الله ﷺ : (من أسدى إليكم معروفاً فكافئوهُ فإن لم تقدروا فادعوا له) وقال سيدنا بن عطاء فى حِكَمِه : (إنما أجرى الأذى عليهم كى لا تكون ساكناً إليهم . أراد أن يُزعجك عن كل شئٍ حتى لا يشغلُك عنه شئٍ .) معنى ذلك أى أن الروح إذا رَكَنَتْ إلى هذا العالمُ السُّفلى ، وسكنت فيه وأحبَّت ما فيه تعذَّر نقلُها إلى عالم الملكوت الذى هو العالم الروحانى . لما ألفتهُ من حُبِّ الأهل والأولاد ، والأصحاب ، والعشائر . فمن حكمة الله تعالى ، ولُطفه ، وإبرارهِ بوليِّهِ الذى أحبَّهُ أن يُحرِّك عليه ما ركنت إليه نفسهُ

وألفتهُ روحهُ .. الأحبُّ فالأحبُّ فأول من يُنكر الوَلىِّ أهلهُ ، وأولادهُ ثم جيرانُهُ ، وأصحابهُ ثم ينكرهُ العالمُ بأسرهِ . فإذا رأت الروح أن هذا العالم أنكرها وضاق عليها . رحلت إلى مولاها ولم يعُدْ لها تشوُّقٌ إلى هذا العالم أصلاً . فحينئذٍ يكمُلُ وصلها ويتحقق فناؤها ، وبقاؤها وكُلَّما قوىَ على الأولياء الأذى دلَّ على عُلُوِّ مقامهم عند المولى . فإنما أجرى الحق سبحانه الأذى على أيدى الخلق إليك إذ هو المُجرى والمُنشئُ فلا فاعلَ غيرهُ كى لا تكون ساكناً بقلبك إليهم . وقال سيدى أبا الحسن الشاذلى ﷺ : (اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم فإن خيرهم يُصيبك فى قلبك ، وشرهم يُصيبك فى بدنك ، ولأن تُصابُ فى بدنك خيرٌ من أن تُصابَ فى قلبك .) ؛ لذلك فإن مُشاهدة الجمال فى أولياء الله لا تقل قدْراً عن مشاهدة الجمال فى صحابة النبى الأعلام ؛ لأن الحكم واحدٌ . أن يُسلِّطَ الله الخلق عليهم بالأذى إذن الخلق لم يؤذوهم من هوى أنفسهم إنما هو تسليطٌ من الله لماذا ؟ ليتطَّهروا من البقايا وتكْمُلُ فيهم المزايا . لأنه لا تكْمُل المزايا ويظهر فيهم الجمال ولم يبقَ فيهم مظهراً لنقصٍ أو قُبحٍ إلا إذا تطهروا من البقايا لغير الله فيهم . حتى لا يميلوا إلى اعتمادٍ أو استنادٍ على مخلوقٍ ؛ لأن الحق سبحانه اصطفاهم لذاته واستخلصهم لحضرته إذن هم رجالٌ فرَّغوا قلوبهم لله وطَهُرَتْ قلوبهم من كل بقايا تكون لغير الله لأن بقيةَ الأحباب فى الدنيا من أهلها يُعطلونهم باشتغال القلب بهم عن الله الواحد إذن يُسلِّطَ الله عليهم كل من كان يُحبُّهم ويُحبونهُ فمن آذاكَ فقد أعتقك من رقِّ إحسانهِ والرقُّ هو العبدُ المملوك كما رأينا سيدنا أبو بكرٍ ساعة

أعتق سيدنا بلالٌ من رِقِّ إحسان سيِّدِه . أصبح حُرًّا وسيداً كذلك من كان يُحسن إليك بالأمس ويمُنَّ عليك بإحسانه فأنت تكون بذلك من الرِّقِّ له . فإذا بدَّل الإحسانُ بالأذى ، وآذاك فقد أعتقك من رِّقِّ إحسانه بإيذاءه لك وتخلَّصت أنت منه بالعتق حُرًّا لربك ومولاك . ومن أحسن إليك فقد استَرَقَّك وجُودُ امتِنانِه كذلك من أحسن إليك فأنت رِقٌّ له مملوكٌ بوجود ما امتن به عليك فإذا أحببت أن تتخلص من رِقِه لك لتكون مع الحق وبالحق ، وللحق مُخلصاً وليس لأحدٍ من الخلق فضلٌ عليك . بل تكون أنت صاحبُ الفضل بتسلُّمِك أنت العطاء من الله لخلقِه ؛ لذلك يقول سيدنا رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف : (من أسدى إليكم معروفاً فكافئوهُ) أى أن كل من يُقدم لك معروفاً فى دنياك فأعطه مُكافأتهُ أولاً بأول حتى لا يكون له امتنانٌ عليك فيسترقَّك به . (فإن لم تقدروا فادعوا له) فإن دعوت له فقد كافأته لأنك لجأت إلى الله بالدعاء له ، وأن يجزيه الله على إحسانه والله هو صاحبُ المَنِّ والعطاء وهو الذى وفقه لإحسانِه إليك فبهذا تكون قد كافأتهُ بأعظمَ من إحسانِه وليس له فضلٌ عليك فالله صاحبُ الفضل عليه و عليك ؛ ولذلك كانت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذا جاء سائلٌ ووقف على الباب تأتى بالصدقة وتُعطِّرُها بالطِّيب (أى المسك) لأن يقينُها ساعة أن تقع الصدقة فى يد السائل فإنها تقع فى يد الرحمن ، والله طَيِّبٌ يُحبُّ الطيِّبُ وجميلٌ يُحب الجمال . ثم تُعطى الصدقة لجاريتها وتقول لها أعطيها للسائل بالباب ثم انصتى إليه واسمعى ما يقوله من أدعية الخير واحفظيهِ وعِيهِ ثم عودى إلىَّ واذكريها لى فساعة أن ترجع إليها

بالدعوات تدعو السيدة عائشة رضى الله عنها للسائل بنفس الدعوات وبنصِّها كما قالها حتى تكون الصدقة خالصةً لله ودعوةٌ بدعوةٍ . إنما نُطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شُكوراً ودعوتها هى فى محلِّ القبول ؛ لأنها أم المؤمنين ــ دعوةٌ تصعد من بيت النبوة ــ ولذلك كان يقول سيدنا ابن عطاء فى حِكَمِه (إنما أجرى الأذى عليهم كى لا تكون ساكناً إليهم) يعنى أجرى الأذى على أيدى من كان يُحبُّك وتُحبُه وتألفُه نفسك أجرى على يده إيذاؤك أراد أن يُزعجك عن كل شئ حتى لا يشغلُك عنه شئ . يعنى أراد الله أن يجعل لك إزعاجاً من كل شئ كنت أنت تحبه من قبل حتى لا يشغلك عن ربك شئ . بمعنى أن الروح إذا ركنت إلى هذا العالم المادى السفلى ركنت إليه بالألفة والمحبة ، وسكنت فيه وأحبَّتْ ما فيه . تعذَّر نقلُها إلى عالم الملكوت الذى هو العالم الروحانى ونحن نحب أن نمنحهُ الترقى إلى أن ينتقل إلى العالم العُلوى الملكوتى الروحانى وتسبْحُ الروحُ فى فضاء عالمنا فكيف نُخلصُها فنحن نحب أن تأتى بعشقٍ منها لهذا العالم العلوى ويكون بفرارها من هذا العالم السفلى فلا يتحقق لها ذلك إلا أن نُسلط عليها الأذى من كل ما ألفته من حبِّ الأهل والأولاد والأصحاب والعشائر فمن حكمة الله تعالى ولُطفِه وإبرارِه بوليِّه الذى أحبه أن يُحرك عليه ما ركنت إليه نفسُهُ وألفته روحهُ . الله الذى يُحرك عليه من حُبه لهُ أن يبدأ الأذى عليه ممن يُحبه الأحب فالأحب يعنى حُبُّ الأهل إليه ثم من يتبعهُ فى مقامات المحبة فأول من يُنكر الولىِّ أهلهُ وأولادهُ ثم جيرانهُ وأصحابهُ ثم يُنكرهُ العالم بأسرِه ؛ لأنه فريدٌ بمقامِه وحالِه وكمالِه فإذا رأت الروح أن هذا

العالم أنكرها وضاق عليها رحلَتْ إلى مولاها ولم يبق لها تشوقٌ إلى هذا العالم أصلاً فحينئذٍ يكمُل وصلُها يعنى يكمل الوصل مع الحق فى القرب بأن يُسلِّطَ الله عليه كل ما ألفتهُ روحهُ وركنت إليه نفسهُ بالمحبة حتى يفرَّ بقلبه وروحه إلى مولاهُ ويتحقق فناؤها ، وبقاؤها : يعنى أنه كان يتفانى فى محبة الله الباقى فتحقق فناؤهُ بصدقه فأورثه الله عطاءاً بصفة الموروث فيه وهى صفة البقاء فتحقق بقاؤهُ ... وكلما قوىَ على الأولياء الأذى دلَّ على عُلُوِّ مقامهم عند المولى نقول : كلما قوىَ لأن الأذى له قوة تُهاجم قوةً فالقوة التى تواجهُ قوة الأذى بالنصر والغلبة قوةُ يقين الولى برَّبه فإن كانت قوة اليقين أقوى من قوة الأذى انتصر بقوة يقينهِ بتحمُّلِ الأذى على أيدى الخلق إليه إذ هو المُجرى والمُنشئُ فلا فاعلَ غيرهُ إذن يكون يقين الولى أنه لا يُجرى عليه شئٌ فى الدنيا من أذى إلا وأن يحتسبهُ على الله وبأنه فِعلُ الفعَّالِ فيه كى لا تكون ساكناً بقلبك إليهم لأنك كُنت ساكناً بقلبك بالمحبة إليهم فهذا كان يُنقصْ من محبتك لربك ونحن نريد أن لا يشغلُ قلبُك أحدٌ غيرنا ؛ ولذلك نشاهد من جمال صنيع المحبة بأهل المحبة نشاهد فلسفة الحبِّ الإلهى نجدها حتى فى المنطق بنصائح أهل المحبة التى هى بلسان الروح . فسيدنا الإمام أبو الحسن الشاذلى ﷺ يقول : (إهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم) فالناس من عادتهم أن تهرب من شر الناس ويقولون ابعد عن شر الناس فانظروا إلى فلسفة أهل المحبة فإن خيرهم يُصيبك فى قلبك ، وشرهم يُصيبك فى بدنك يعنى إذا اشتغل قلبك بمحبة من يُقدم لك الخير فقد فُتن قلبك عن محبة ربك ، وتكون قد أصبت

بخيرهم إصابةً فى قلبك أما لو طُعنت منهم بحربةٍ أصبت بها فى بدنك تكون أسهلُ من إصابة القلب ؛ ولأن تصاب فى بدنك خيرٌ من أن تُصابَ فى قلبك . وفى هذا القدر كفاية ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم وكل عامٍ وأنتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة السادسة عشر

وموضوعها

هجرة المسلمون الأولى إلى الحبشة وإسلام سيدنا حمزة عمّ النبى وإسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنهما

أُلقيت بالساحة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم السبت

١١ من ربيع أول سنة ١٤٢٥ هـ

الموافق ١ من مايو عام ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى لا يَفرُهُ المنع والجُمودِ ، ولا يُكيدُهُ الإعطاءُ والجودُ . إذ كلُ مُعطٍ مُنتقصٌ سواهُ ، وكل مانعٍ مذمومٌ ما خلاهُ ، وهو المنَّانُ بفوائدِ النعم وعوائدِ المزيد والقِسَمِ . الأول الذى لم يُكُنْ له قبلٌ فيكون شئٌ قبلهُ ، والآخر الذى ليس له بعدٌ فيكون شئٌ بعدهُ والرَّادعُ أناسىَّ الأبصار عن أن تنالهُ أو تُدركَهُ ما اختلف عليه دهرٌ فيختلفُ منه الحالُ . ولا كان فى مكانٍ فيجوز عليه الانتقال ، لا يحُول ولا يزولُ ، ولا يجوزُ عليه الأُفولِ ولم يلد فيكون مولوداً ، ولم يُولدُ فيصيرَ محدوداً لا تنالهُ الأوهام فتُعَذِّرُهُ ، ولا تتوهَّمُهُ الفِطَنُ فتصوِّرُهُ ولا تدركهُ الحواسُ فتحِسَّهُ ، ولا تلمسُهُ الأيدى فتمسَّهُ لا يُغيِّرُ بحال ، ولا يتبدل بالأحوال ، ولا تُبليه الليالى والأيام ، ولا يُغيِّرُهُ الضياء والظلام . مُنَزَّهٌ بصفاته عن كل ما يتصفُ به المخلوقات . سبحانه . سبحانه . هو الملك العلام . وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له شهادةً يُوافقُ فيها السِّرُّ الإعلانُ ، والقلب اللسان فهو سبحانه الغالبُ جُندَهُ ، والمُتعالى جَدَّهُ الذى عظُمَ حِلمُهُ فعفا ، وعدل فى كل ما قضى وعلمَ ما يمضى وما مضى . مُبتدعِ الخلائق بعلمهِ ومُنشئَهُمْ بحِكَمِهِ . بلا اقتداءٍ ولا تعليمٍ ولا احتذاءٍ لمثالِ صانعٍ حكيم ، ولا إصابة خطأٍ ولا حضرةِ ملأٍ . سبحانه . سبحانه . هو الخلاق العليم . وأشهد أن سيدنا محمداً عبدهُ ورسولهُ ﷺ ابتعثهُ والناس يضربون فى غمرةٍ ، ويموجونَ فى حَيْرَةٍ قد قادتهم أَزِمَّةُ الحينِ ، واستغلقت على أفئدتهم أقفالُ الرَّيْنِ . دعا إلى طاعته ، وقاهر أعدائهُ جهاداً فى دينهِ . لا يثنيهِ عن ذلك اجتماعٌ

على تكذيبهِ والتماسٌ لإطفاء نوره حتى رفع راية دين الله بكماله وتمامه فنزل قول الحق سبحانه مُعلناً له ولأصحابه ولأمته إعلان تكريم لم يكن لأُمَّةٍ سابقة . أو لنبيٍّ ورسولٍ سابقٍ نزل قوله سبحانه :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ فصلوات الله وسلامه ، ورحمته ، وبركاتهُ عليك سيدى يا رسول الله ، وعلى آلك وصحبك الغُرِّ الميامين ومن اهتدى بهديك ، واتَّبع سُنَّتك ، واقتفى أثرك إلى يوم الدين ...

أما بعد

فنحن فى هذا الجمع المبارك ، وفى هذه الليلة المباركة ليلة مولد سيد الوجود ﷺ ليلة مولد هديَّةُ الله لأمَّتِه فهو الرحمة المهداة لقوله سبحانهُ فى قرآنه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فإن كل الأنبياء لأممهم عطية ، ونبينا لنا هدية ، والعطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين فنحن الأمة المحبوبة إلى الرحمن إذ أهدانا رحمتهُ للعالمين ، ونحن كلنا فخَارٌ فى هذا الجمع المبارك ؛ لأن كلٌّ منَّا تحت عين الرحمن بالتزكية . وشرفٌ عظيمٌ لنا أن يُزكينا الخالق ﷻ لأنه ما جمعنا هذا الجمع إلا محبة النبى ﷺ ومن أحبَّ النبى فقد أفادتهُ الهدية فلا استفادةَ إلا بالمحبة ولا انتفاعَ إلا بالإتِّباع ولا عطاءَ إلا بالاقتداء . ونحن فى هذه الليلة من كل عام يكون لنا لقاءٌ مع سيرة النبى العطرة فى سلسلة متصلة بالحديث حسبَ ترتيب أحداث الرسالة . فإن ملائكة الرحمن تشتاق إلى أن تستمع إلى سيرة النبى بل إن الملائكة تُشَنِّفْ آذانها لتسمع ذكر اسم النبى ﷺ

من أحبابه من أمته لأن هناك ملائكة رسالتهم فى عبادة الله وطاعته الصلاة على النبى فلا شاغلَ لهم يشغلهم إلا الصلاة على النبى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ أى صلاة استمرارية إلى يوم القيامة ولكن إذا سمعت الملائكة من يُصلى عليه من أُمتهِ تهيمُ الملائكة بالزيادة والمزيد من الصلاة عليه . بل إن كل عطاءٍ من الله لعبدهِ رهينٌ لا يتسلَّمُهُ إلا بالصلاة على النبى ، ومحبة النبى ﷺ توجب على كل مسلم أن يكون مع النبى بمعيةٍ دائمة ، ومعنى المعيَّة هى صُحبةٌ لمطلبِ عطاءٍ وأن تستحضر معيَّة النبى فيك : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ حتى وإن غِبْتَ أنت عن نفسك كُن مُستحضراً رسول الله فيك : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ يقول : (لو غاب عنى رسول الله ﷺ طرفة عينٍ ما عَدَدْتُ نفسى من جملة المسلمين) فاستحضر معيَّة النبى بيقينٍ أنَّ النبى معك فى قيامك ، فى قعودك ، فى نومك ، فى ذكرك ، فى فكرك ، فى قولك ، فى فعلك ، فى عملك ، فى حالك ، فى كل مطلبٍ لك فى حياتك . فمن استحضر النبى ﷺ عند كل مطلبٍ ارتقى إلى مقام الصُحبة ، ولم يكُن هناك مقامٌ أرقى من مقام صُحبة النبى فإن صحابة النبى هُم السَّبَقِ فى الأمة : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ فالثُلة هم الصحابة رضوان الله عليهم . الذين جالسوه وصلوا خلفهُ ، وجاهدوا معهُ . وأخذوا عنه العلم مُشافهةً . وقليلٌ من الآخرين : هُم الذين جاءوا من بعده وأحبُّوهُ

واستحضروهُ بالمعيَّة مع كل أنفاسهم فإن من داوم على استحضار المعيَّة للمحبوب صار صاحبهُ ، وصار لهُ المحبوب صاحباً ، ولم يكن هناك فى الوجود شرفٌ فى الوجود أعظم من ذلك ، ونحن فى اللقاء السابق وقفنا فى الحديث عند ذكر صحابة النبى رضوان الله عليهم ... نقول : إن كان الحق سبحانه قال لحبيبه ﷺ فى قرآنه : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ فهناك ذكرٌ محمودٌ ، وهناك ذكرٌ مذمومٌ ، وما دام هناك ذكرٌ محمودٌ فالذِّكرُ المحمود يكون لسيدنا رسول الله ﷺ ؛ لأن مقامهُ الكمالى جامعٌ للمحامد كلها ، والقرآن خُلُقُه كما أخبرت بذلك أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها حين سُئلتْ عن خُلُق رسول الله . قالت : كان خُلُقهُ القرآن فهذا معنى ذِكرٌ لك أما ذِكرٌ لقومه فقومُهُ بعضهم آذوهُ وتعرضت صحابة النبى لشدة الإيذاء من قومه . إذن فذكر المحامد يكون لسيدنا رسول الله ومن اتَّبعَهُ سيرةً بأحداثِ الرسالة معهم ، (ولقومك) إذن البعضُ منهم يحظى بالمحامد وهم الذين آمنوا به واتَّبعوهُ من قومهِ والبعض من قومه أخذوا حظَّهم من ذكر المساوئ والمذمومات إذن كل حدث يتعرض له النبى وصحابته مع قومه فهو ذكرٌ سواءٌ كان حسناً أو قبيحاً . وساعة أن يتعرض سيدنا رسول الله ﷺ بدعوته إلى الله للإيذاء الشديد هو وصحابتَهُ الكرام الذين صدقوا فى اتِّباعهِ يكون هذا المشهد جليَّاً أمام الوجود كله يُشاهدهُ أهل المُلك وأهل الملكوت ؛ فتاخذهم الغيرة على صاحب مقام الجمال سيدنا رسول الله وأصحابه . وعلى التوحيد وجلال الله الواحد الأحد وتكون لهم استغاثاتٍ وترجِّياتٍ لله أن يكشف عن حبيبه وصحابته هذا البلاء ويصرف عنهم

أذى المشركين الذى لا تطيقهُ الجبال الرواسى ، ويكون لأهل المُلك وأهل الحسِّ مشاهد حسية بالرؤية لشدة الإيذاء والتعذيب الواقع من أهل الشرك على أهل الإيمان بالله ورسوله فتصْدُر منهم من خلال رؤيتهم لذلك شهادةُ حق ينطقون بها أمام الله وأمام الناس لتكونَ حُجَّةً لهم على غيرتهم على التوحيد وأهل راية التوحيد سيدنا رسول الله ﷺ وصحابتهِ الكرام .

شهادة سيدنا أبى ذَرٍّ : ■

وهذه شهادة سيدنا أبى ذرٍّ ﷺ يقول فيها : كان أول من أظهر الإسلام سبعةٌ . رسول الله وأبو بكر ، وعمارٌ ، وأُمُّه سُمية ، وصُهيبٌ ، وبلالٌ ، والمقدادُ . فأما رسول الله فمنعه الله بعمِّهِ أبى طالب أما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون يُعذبونهم فألبسوهم أدراعَ الحديد ، وصهروهم فى الشمس ، وإن بلالاً هانت عليه نفسه فى الله ﷻ وهان على قومه فأخذوهُ فأعطوهُ الوِلْدانَ فجعلوا يطوفون به فى شِعابِ مكة وهو يقول : أحدٌ أحدٌ ... فهذه شهادةُ سيدنا أبو ذرٍّ ﷺ وقد ذَكَرْناها بشرحِها فى اللقاء السابق فهذا مشهدٌ لشدة الإيذاء والتعذيب للنبى وصحابته فلما رأى سيدنا رسول الله ذلك أذن لأصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة لعِلمِهِ بأن النجاشى مَلك الحبشة صاحبُ كتابٍ سماويٍّ ويجيرُ من استجار به مظلوماً .

هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة : ■

ثم أذِنَ رسول الله ﷺ لأصحابه فى الهجرة إلى الحبشة ، وذلك فى شهر رجب سنة خمسٍ من النبوة فهاجر إليها أُناسٌ ذو عددٍ منهم من هاجر

بأهلهِ ومنهم من هاجر بنفسه ، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وأميرهم سيدنا عثمان بن مظعُونٍ وكان أول من خرج سيدنا عثمان بن عفان ﷺ مع امرأتهِ السيدة رُقية بنت سيدنا رسول الله ﷺ وأبطأ عليه خبرهُما فقدمت امرأةٌ فقالت : رأيتُهُما وقد حمل عثمانُ امرأتهُ على حمارٍ . فقال صلى الله عليه وسلم : إن عثمانَ لأَولُ من هاجر بأهلهِ بعد لوطٍ فلمَّا رأت قريشٌ استقرارهُم فى الحبشة وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاص ، عبد الله بن أبى ربيعة بهدايا وتُحفٍ من بلادهم إلى النجاشى (واسمهُ أصْحَمَةَ) وكان معهما عمارة بن الوليد . ليرُدُّهم إلى قومهم فأبى ذلك . وردَّهُما خائبين بهديتهما . إذن ساعة أن أَذِنَ النبى ﷺ لأصحابه فى الهجرة إلى بلاد الحبشة كانت هناك نظرةٌ لأهل المعرفة فى هذا الإذن . لم يكن القصد فيه من سيدنا رسول الله ﷺ الفِرارُ من كُفارِ مكة وما يُلحقون بهم من الأذى ولكن ما ثبت من تاريخ سيدنا رسول الله ﷺ فى أطوار حياته جميعاً أنهُ كان سياسياً بعيد الغَورِ كما كان صاحبُ رسالة وأدب نفسٍ لا يُدانيهِ فيهما فى السُّمُوِّ والجلال والعظمة مُدَانٍ . مما جعل كُفارُ قريشٍ أرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة إلى النجاشى ملك الحبشة وبطارقتهِ بالهدايا والتُحف ليرُدُّوا المسلمين إلى مكة خوفاً من أن يقتنع بدعوتهم النجاشى بعد سماعهِ إليهم فكان خوفهم إن بقى هؤلاءِ فى الحبشة أن تشتدَّ شوكتُهُم فإنْ عادوا بعد ذلك عادوا أقوياء بالمال والرجال لنُصرة النبى ودينهِ .

دخول عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على النجاشى :

ولذلك لمَّا دخلا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على النجاشى

قالا له : أيها الملك إنه قد ضَوى (أتَى) إلى بلدك مِنَّا غِلمانٌ سُفهاءُ فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدينٍ ابتدعُوهُ لا نعرفهُ نحن ولا أنت وقد بعثَنَا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لترُدَّهُم إليهم فهُم أعلى بهم عَيْناً وأعلمُ بما عابُوا عليهم وعاتبُوهم فيه . وكان السفيران قد اتفقا مع بطارقة النجاشى بعد أن أتحفاهُم بهدايا أهل مكة أن يُعاونوهم على ردِّ المسلمين إلى قريش دون أن يسمع النجاشى كلامهم فأبى النجاشى أن يفعل حتى يسمع ما يقولون وبَعَثَ فى طلبهم فلمَّا جاءوا سألهم : ما هذا الدِّين الذى فارقتُمْ فيه قومكم ؟ ولم تدخلوا به فى دينى ؟ ولا دينَ أحدٍ من هذه المِلل . فكان الذى كلَّمهُ سيدنا جعفر بن أبى طالب ﷺ .

كلام وحديث سيدنا جعفر بن أبى طالب ﷺ مع النجاشى :

قال سيدنا جعفر بن أبى طالب ﷺ للنجاشى ملك الحبشة : أيها الملك كُنا قوماً أهلُ جاهلية نعبُد الأصنام ، ونأكل الميتةَ ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونُسيئُ الجوار ، ويأكل القويُّ منَّا الضعيف فكُنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسُولاً مِنَّا نعرفُ نسبهُ وصِدْقَهُ وأمانتهُ وعفافهُ . فدعانا إلى الله لِنُوَحِّدَهُ ونعبُدهُ ونخلعُ ما كُنَّا نعبُد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدقِ الحديث ، وأداءِ الأمانة ، وصلة الرحِم ، وحُسن الجوار ، والكَفِّ عن المحارم والدِّماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذْفِ المحصنات وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة والصيام ، وعدَّدَ عليه أمور الإسلام فصَدَّقْناهُ به واتَّبعناهُ على ما جاء به من الله ؛ فعبدنا

الله وحدهُ لا نُشرك به شيئاً ، وحرَّمْنا ما حرَّمَ علينا ، وأحللنا ما أحلَّ لنا فعدا علينا قومُنا فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا ليرُدُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحلَّ ما كُنَّا نستحلُّ من الخبائث . فلمَّا قهرونا ، وظلمونا ، وضيَّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نُظلمَ عندك . فقال النجاشى : وهل معك مما جاء به عن الله من شئ تقرؤهُ عَلَىَّ ؟ قال سيدنا جعفر ﷺ : نعم . وتلا عليه سورة مريم من أولها إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ فلمَّا سمع البطارقة هذا القول مُصَدِّقاً لما فى الإنجيل أُخِذُوا ! وقالوا : هذه كلماتٌ تصدُر من النَّبع الذى صدرت منه كلماتُ سيدنا يسوعُ المسيحُ ... وقال النجاشى : إنَّ هذا والذى جاء به موسى لَيَخْرُجُ من مِشكاة واحدة انطلقا والله لا أُسْلِمُهُمْ إليكما ... فلمَّا كان الغدُ عاد بنُ العاص إلى النجاشى فقال له : إن المسلمين يقولون فى عيسى بن مريم قولاً عظيماً . فأرسل إليهم فسلهمْ عمَّا يقولون فيه . فلمَّا دخلوا عليه قال سيدنا جعفر بن أبى طالب ﷺ فيه نقولُ الذى جاء به نبيُّنا . يقول : هو عبد الله ورسولهُ وروحُهُ وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول فأخذ النجاشى عُوداً وخَطَّ به على الأرض وقال : وقد بلغت منه المَسرَّة

أكبر مبلغٍ . ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط . ولنا نظرةٌ فى هذا المشهد العظيم الذى يكشفُ لنا عن جمال الحق فى أهله ورجاله بإلهامات الحق سبحانه لسيدنا جعفر بن أبى طالب وفصاحتهُ وحِكمتِهِ وبلاغتهِ وقولهُ الصدق الذى هيمن على عقل النجاشى وقلبه هو وبطارقتهُ وذلك بعد أن دخلا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على النجاشى . قالا له بأسلوبٍ سياسى يستفزونهُ به ويُسلمَهُمُ المسلمين عند سماعهِ لهما خوفاً على بلادهِ من الفتنة . قالا له : أيها الملك إنه قد أتى إلى بلدك منَّا غِلمانٌ سُفهاءَ يعنى مُستخفةٌ عقولهُم واختارا له وصفهمَا ليخشاهُما ويُسرعُ فى إخراجهما من بلاده ألم يعلموا أنهم هو السفهاء ولكن لا يعلمون . ثم قالا له بعد ذلك : إنهم فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدينٍ ابتدعوهُ لا نعرفهُ نحن ولا أنت . وهذا القول المُراد منه استفزازَ النجاشى حتى يأتى بهم ويُكرهُهُم على الدخول فى دينه وإلا يُخرجُهم من بلاده لرؤيته فيهم بأنهم مُبتدعين هذا الدين من أنفسهم وفكرهم . وقالا له : ما جئنا إليك من هوى أنفسنا ولكن قد بعثنا إليك فيهم أشرافَ قومهِم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتَرُدَّهُم إليهم ليسهُل عليه تسليمهم لهما لرؤيته أن هذين سفيران إليه من دولةٍ أخرى بصفةٍ رسمية وذهبا السفيران إلى بطارقة النجاشى وأتحفاهُم بهدايا أهل مكة على أن يعاونوهم على ردِّ المسلمين إلى قريش دون أن يسمع النجاشى كلامهم فأبَى النجاشى أن يفعل حتى يسمع كلامهم وبعث فى طلبهم فلمَّا جاءوا وسألهم : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا دين أحدٍ من

هذه الملل ؟ أنا عندى بالحبشة ملل مُتعددة وإذا لم يُعجبكم دينى فاختاروا ملةً من هذه الملل ، وكانت هذه سياسة أهل الباطل أحبطها الحق ثم يظهر جمال الحق الذى يدمغُ الباطل ويُزهقَهُ لقوله سبحانه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ فيقف سيدنا جعفر بن أبى طالب ﷺ ويتكلم بلسانِ الصدق بمنطق النبى الحكيم ؛ لأن فيه مدد النبوة ومدد الرسالة وابن عم سيدنا رسول الله ﷺ يُبين أولاً قُبحُ ما كانوا عليه أفعالٍ مذمومة قبل رسالة النبى لهم بهذا الدين ثم يُبيِّن جمال الرسول وكماله وجمال رسالته فيما أحلَّ من طيباتٍ وحرَّم من خبائث . وموقفُ قومنا المُعادى للرسول وللرسالة ومَن آمن واتبعهُ والإيذاء الشديد الذى لاقيناهُ من قومنا والذى جعلنا خرجنا إلى بلادك كما ذكرنا من قبل فى حديث سيدنا جعفر : فعدا علينا قومنا فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا ليرُدُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحلَّ ما كُنا نستحلُّ من الخبائث فلمَّا قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ؛ خرجنا إلى بلادك وهذا أسلوبٌ سياسى أقوى من أسلوب عمرو بن العاص حين قال للنجاشى : فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ليستفزَّهُ . فسيدنا جعفر يختار أسلوباً فى الحديث مُبيِّناً به للنجاشى أننا ما جئنا إلى بلادك إلا من خلال معرفتنا بك ؛ لذلك اخترناك على من سِواكَ وقد قالها فى كلامه واخترناك على من سِواكَ ورَغِبنا فى جوارك ، ورَجَوْنَا ألاَّ نُظلمُ عندك يعنى نعرفُ فيك صفة العدل فساعة أن يسمع النجاشى هذا الكلام بجوهرهِ النورانى ومنطقِهِ الجمالى فى مكنونهِ من بلاغةٍ وفصاحةٍ وصدقٍ وحكمةٍ وهذا ظاهرهُ والنجاشى يستمع إلى سيدنا

جعفر بإنصاتٍ وكُله مسامعَ مُفتَّحةً يتلقى بحُبٍّ للحديث وإنصافٍ لجماله فهذا ما كان من الظاهر . أما الباطن فإنها كلماتٌ خرجت من قلبٍ طاهرٍ ومن نبعٍ نورانى مكنونٍ فى قلب صادقٍ شهد له الحق سبحانه بقوله : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ إذن هذا الكلام نبعٌ من ينابيع نورانية ربانية محمدية نبوية من قلبٍ مُطَهَّرٌ . إذن يكون ما خرج من القلب وقع فى القلب يعنى ما خرج من قلب المُخَاطِبِ وقع فى قلب المُخَاطَبِ ولذلك خرج من قلب سيدنا جعفر وقع فى قلب النجاشى . إذن ساعة أن وقع نور الحديث فى قلب النجاشى حرَّكهُ بالشوقِ بعد أن ارتقى النجاشى إلى مطلب المزيد ؛ لأنه يستمعُ بإنصاتٍ بالسمع المجموع فيه وعقلٍ مُتيقظٍ وقلبٍ مُصدِّقٍ إذن وقع الحديث فى القلب . إذن شاهد النجاشى من الحديث جمالاً وقع فيه فجمَّلهُ ؛ ولذلك ارتقى النجاشى بالمطلب وقال فى نفسه إذا كان هذا الحديث كلام مخلوقٍ وأحدث بى هذا الجمال وهذا الوقعُ الجمالى فارتقى بالمطلب إلى أن يسمع كلام الخالق بعد أن شاهد ورأى الجمال فى حديث المخلوق شوقهُ إلى أن يسمع كلام الخالق . فقال النجاشى لسيدنا جعفر : هل معك مما جاء به عن الله من شئ تقرؤُهُ علىَّ ؟ قال سيدنا جعفر : نعم وتلا عليه سورة مريم من أولها إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ

يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ وهنا يظهر الجمال بوقعه التام على العقول والقلوب عند البطارقة والنجاشى وإحداث اليقين بُحسنه فى نفوسهم وقلوبهم شاهدين بأنه الحق ودينُ الله فلمَّا سمع البطارقة هذا القول مُصدقاً لما فى الإنجيل أُخذوا ! يعنى أُخذوا من أنفسهم ودُهِشوا ! بالرغم أنهم كانوا قد أخذوا الهدايا والتُحف لِتُجَنِّبهم عن الحق ولكن جمال الحق جعلهم ينطقون بشهادة الحق من خلال ما شاهدوه يقيناً وقالوا هذه كلماتٌ تصدُرُ من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوعُ المسيح . فهذا قولُ البطارقة . وقال النجاشى : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرُجُ من مِشكاةٍ واحدةٍ أى : جاء بالأصل الأول التوراة ؛ لأن سيدنا عيسى رسالتهُ بعد سيدنا موسى والإنجيل بعد التوراة ثم التفتَ النجاشى إلى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة قائلاً لهما : (انطلقا والله لا أُسلمهم إليكما) ففكر عمرو بن العاص فى أن يوقع بين النجاشى وبين المسلمين طوال ليله فلما أصبح وكان الغد عاد بن العاص إلى النجاشى فقال له : إن المسلمين يقولون فى عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسِل إليهم فسلهُم عمَّا يقولون فيه . فلمَّا دخلوا عليه : قال سيدنا جعفر بن أبى طالب ﷺ فيه نقول الذى جاء به نبيُّنا يقول : هو عبد الله ورسوله وروحُهُ وكلمتهُ ألقاها إلى مريم العذراء البتول فلما سمع النجاشى ذلك . قام وأخذ عوداً وخطَّ به على الأرض وقال وقد بلغت من المسرة أكبر مبلغٍ يعنى يظهر فى وجهه الفرحة والسرور والبشاشة وقال : ليس بين دينكم ودِيننا أكثر من هذا الخط ؛ ولذلك ساعة أن يقوم بصُنع هذا الخط فالكُل يرى أن النجاشى قد حدد

موقفهُ من هذا الدين وقال فى نفسه إن كل المحامد وكل الكمالات المذكورة عندنا فى رسالة عيسى هى المذكورة عندكم فى رسالة نبيِّكم فما هو الفارق . إذن الفارقُ هذا الخط بمعناهُ وهو كمال ذكر الله بتمام التوحيد بذكر اسم النبى الخاتم للنبيين بقول : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وما دام حددها بهذا الخط فلا مانع عندهُ أن ينتقل من هنا إلى هنا بتخطيته هذا الخط وأسلم النجاشى ويوم وفاته روى أن سيدنا رسول الله ﷺ قال لصحابته إن أخيكم العبدُ الصالحُ أَصْحَمَةُ ملك الحبشة توفاهُ الله وهو فى الحبشة والنبى بالمسجد النبوى بالمدينة فصلَّى النبى عليه بالصحابة صلاة الجنازة على النجاشى ساعة أن كانوا يُصلُّون عليه بالحبشة كان إمامُهم النبى بالمدينة بعلم الله فيه ﷺ . إذن ساعة أن يعرض سيدنا جعفر هذا العرض الجمالى للرسالة نقول لم يكن عرضاً فكرياً ولكن نقول إنه كان عرضاً علمياً نبوياً من مدد علوم النبوة ؛ ولذلك أُخِذَ البطارقة إلى حديثهِ عن أنفسهم كما أُخِذَ النجاشى إلى أن دخل الإسلام وحلَّ فى قلبه نور الإيمان . نقول إن استئمان النبى ﷺ أصحابه على الدعوة إلى الله وإذنهِ لهم بأن يُرسلُهم رُسُلاً منه برسالته إلى دولةٍ أخرى ودولةٌ بها مِللٌ عديدة وفِتنٌ كثيرة وهى الحبشة فيستأمنهم على العقيدة والدعوة إلى عبادة الله بعلوم العبادة فهذا أمرٌ عظيمٌ وعطاءٌ جميلٌ وهذه العظمة تكون من صفاء الروح ووحدة الكمال الذاتى فى الإنسان من صنيع الإيمان .

الروح والإيمان : ▪

إن الإيمان دعوتُهُ المحبة . فالروح من أمر الله . الروح المتصل بأزل

الزمن وأبده . هذا الروح ما عمل صالحاً فلا حجاب بينه وبين وجه الله ، ولا سلطان لغير الله يستطيع الأغنياء والأقوياء ، والشريرون أن يُعذِّبوا الجسد وأن يحولوا بينه وبين ملاذَّهُ وشهواته وأن يُهلكوه لكنهم لن يصلوا إلى الروح ما دام صاحبه يريدُ به سُمُوّاً فوق سلطان المادة وفوق سلطان الزمن واتصالاً بالوجود كله . إنما يُجزى الإنسان عن أعماله يوم تُجزى كل نفسٍ بما كسبت ، يومئذٍ لا يجزى والدٌ عن ولده ، ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً . ويومئذٍ لا ينفع الأغنياء مالهم ولا الأقوياء قوتهم ، ولا المتكلمين كلامهم . إنما هى الأعمال وحدها تشهد لصاحبها أو تشهد عليه ، ويومئذٍ يقف هذا الوجود جميعاً مُتَّسِقَةً وحدتُهُ مجتمعاً أزله وأبده لا يظلم ربك أحداً ولا تُجزون إلا ما كنتم تعملون . هذه المعانى علَّمَها سيدنا رسول الله ﷺ لصحابته فحلَّتْ منهم فى سويداء القلب ومكان العقيدة والإيمان فلا يخاف عليهم الفتنة . إذن ساعة أن أَذِنَ لهم النبى بالهجرة إلى الحبشة كانوا فى مقام كمالٍ أرقى من المقامات الملائكية ؛ لذلك استأمنهم رسول الله ﷺ على الدعوة ولم يخشَ عليهم فتنةِ زمانٍ ولا فتنةِ مكانٍ فهم أهل مقامٍ وأصحابُ أمانةٍ ؛ ولذلك أصبح مقامهُم وشأنهُم فى الحبشة معلومٌ ومشهودٌ لهم بالصدق والأمانة مما جعل النجاشى يُقسم بالله لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة قائلاً : انطلقا (والله لا أُسلِمُهُمْ إليكُما) .

إسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب عمُّ النبى ﷺ : ■

ثم أسلم سيدنا حمزة بن عبد المطلب (عمُّ النبى) ﷺ وكان أعزَّ فتىً فى قريش وذلك سنة ستٍّ من البعثة بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشة

الهجرة الأولى بأيام ثم أسلم سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بعد سيدنا حمزة رضى الله عنهما بثلاثة أيام ، وكان المسلمون إذ ذاك بضعةً وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة يعنى عدد المسلمين بعد ست سنوات للدعوة تسعة وأربعين من الرجال وإحدى عشرة من النساء يكون عدد من أسلم فى ست سنوات ستون رجالاً ونساءاً يعنى المتوسط لكل سنة عشرة بالرغم من تعرُّضِهم للإيذاء الشديد والتعذيب الذى هم فيه ليل نهار نقول لأن فى ذلك مشاهدُ الكمال فى الرجال ومشاهد جمال الحق ؛ لأن الحق نبىٌّ قليلُ التَّبع ، والباطل مشعوذٌ كثير الشِّيعُ . إذن الحق فى ذاته بذكر نبىٌّ قليل التَّبع والباطل مُشعوذٌ بذكرهِ فيكونُ كثير الشِّيع ويُشير إلى رُوَّادِهِ فيسعون إليه شيعاً يُبايعونه بلا جدلٍ ولا تردُّدٍ أما الحق يظلَّ يدعو سنوات فلا إقبالَ عليه إلا القليل والشيطان يُوحى إلى أوليائهِ أن يطلبوا برهاناً ، ومعجزة ، وكرامة ، وبيِّنَةً ، ودليلاً كى نرى أنك حقٌّ صادقٌ فى دعواك وبعد أن يتيقَّنوا يقيناً من حقيقة مطلبهم بالإثبات يُكفروا به ويقولوا سحرٌ مُستمرٌّ .

سبب إسلام سيدنا حمزة ﷺ : ■

كان سبب إسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب عمُّ النبى ﷺ أن أبا جهلٍ لعنهُ الله مرَّ يوماً بسيدنا رسول الله ﷺ فآذاهُ وشتمهُ ونال منه صلى الله عليه وسلم بعض ما يكرهُ من العيب لدينهِ والتوْهين من أمره فأعرض سيدنا رسول الله ﷺ عنه وانصرف ولم يُكلِّمهُ وكان سيدنا حمزة عمُّهُ وأخوهُ من الرضاعة لا يزال على دين قريش وكان رجلاً قوياً مخُوفاً وكان ذا ولعٍ بالصيد فإذا رجع من صيدهِ طاف بالكعبة قبل أن يعود إلى

داره فلمَّا جاء من الصيد فى ذلك اليوم وعلم بما أصاب ابن أخيه من أذى أبى جهل ملأهُ الغضب وذهب إلى الكعبة ولم يقف مُسلِّماً على أحد ممن كان عندها كعادته ودخل المسجد فألْفَى أبا جهل فقصد إليه حتى إذا بلغَهُ رفع القوس فضربَهُ بها فشجَّهُ شَجَّةً مُنكرةً وأراد رجالٌ من بنى مخزوم أن ينصروا أبا جهل فمنعهم حسْماً للشر ومخافةً استفحاله معترفاً أنه سبَّ سيدنا رسول الله سبَّاً قبيحاً . ثم أعلن سيدنا حمزة إسلامهُ وعاهد سيدنا رسول الله ﷺ على نُصرته والتضحية فى سبيل الله حتى النهاية وقد وفَّى ﷺ بعهده هذا حتى استشهد رضوان الله عليه فى غزوة أُحد ولقَّبهُ سيدنا رسول الله ﷺ بسيِّد الشهداء .

إسلام سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ : ■

كان إسلام سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ فى السنة السادسة من البعثة وكان إسلامهُ بعد إسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب عمُّ النبى ﷺ بثلاثة أيام رضى الله عنهما . وكان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً فى فتُوَّة الرجولة بين الثلاثين والخامسة والثلاثين وكان مفتُول العضل قويُّ الشكيمة حادُّ الطَّبع . سريع الغضب ، مُحباً للَّهو والخمر ، وفيه إلى ذلك برٌّ بأهله ورِقَّةٌ لهم وكان من أشد قريش أذى للمسلمين ووقيعةً فيهم فلما رآهُم هاجروا إلى الحبشة ورأى النجاشى حماهُم شعُر لِفراقهم بوحشةٍ وبما لفراقهم وطنهم من ألمٍ يُحزُّ فى الكبد ، ويَفرى المهجةِ . وكان سيدنا رسول الله ﷺ يوماً مُجتمعاً مع أصحابه الذين لم يُهاجروا فى بيتٍ عند الصفا ومن بينهم عمُّهُ حمزة وابن عمِّه سيدنا على بن أبى طالب ، وسيدنا أبو بكرٍ الصديق وغيرهم من سائر المسلمين ﷺ وعرف

سيدنا عمر اجتماعهم فقصد إليهم يريد أن يقتل سيدنا رسول الله ﷺ كى تستريح قريش وتعودُ إليها وحدتها بعد أن فرَّق أمرها وسفَّهَ أحلامها وعاب آلهتها . ولقيَهُ نُعَيم بن عبد الله فى الطريق وعرف أمرهُ فقال له : والله لقد غشَّتْكَ نفسُك من نفسك يا عُمر أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت مُحمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك وتُقيم أمرهُم ؟ وكانت السيدة فاطمة أُخت سيدنا عمر وزوجُها سيدنا سعيدُ بن زيدٍ قد أسلما فلما عرف سيدنا عمر من نُعَيم أمرهُما همَّ راجعاً إليهم ودخل البيت عليهما فإذا عندهما من يقرأ عليهما القرآن فلما أحسُّوا دُنُوَّاً داخل عليهم . اختفى القارئ وأخفت السيدة فاطمة الصحيفة وسأل سيدنا عمر : ما هذه الهينمةَ التى سمعت ؟ فلما أنكرا صاح بهما وقال : لقد علمتُ أنكما تابعتما محمداً على دينهِ وبطش سعيدُ فقامت السيدة فاطمة تحمى زوجها فضربها فشجَّها فهاج إذ ذاك هائج الزوجين وصاحا به نعم : أسلمنا فاقض ما أنت قاضٍ واضطرب سيدنا عمر حين رأى ما بأختهِ من الدم وغلبهُ برُّهُ وعطفُهُ فارعوى وسأل أُختهُ أن تُعطيهُ الصحيفة التى كانوا يقرأون فلما قرأها تغير وجههُ وأحسَّ الندم على صنيعهِ ثم اهتزَّ لِمَا قرأ فى الصحيفة وأخذهُ إعجازُها وجلالُها وسُمُوِّ الدعوة التى تدعو إليها . فزاد جانب البر غلبةً عليه وخرج وقد لان قلبُهُ واطمأنت نفسهُ . فقصد سيدنا عمر إلى مجلس سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه عند الصفا فاستأذن وأعلن إسلامهُ فوجد المسلمون فيه وفى حمزة للإسلام منعةً وللمسلمين حمىً ... وفَتَّ إسلام عمر فى عضُدِ قريش فأثمرت مرةً أخرى ما تصنع والحق أن هذا الحادث عزَّز

المسلمين بعُنصرٍ قويٌّ غاية القوة . جعل موقف قريش منهم ، وموقفهم من قريش غير ما كان . واستتبع ما بين الطرفين سياسة جديدة مليئة بأحداثٍ وتضحياتٍ وقُوى جديدة أدَّتْ إلى الهجرة وإلى ظهور النبى محمدٍ السياسى إلى جانب النبى محمدٍ الرسول . وقد أقام المسلمون فى الحبشة الهجرة الأولى ثلاثة أشهر أسلم أثناءها سيدنا حمزة وسيدنا عمر رضى الله عنهما . ساعة أن نعيش مع سيرة سيدنا عمر بن الخطاب أو ذكر إسلامه نُشاهد فيه جمال أصالة المعدن النفيس الكامل يعنى لا يشاهد فيه نقصٌ فى ذاته ولا فى صفاتهِ ولا فى قوتهِ جسماً وعقلاً وقلباً . كان شجاعاً فى الجاهلية انتقل بشجاعته فى الإسلام كان غيوراً على عقيدته فى الجاهلية انتقل بغيرته كاملة على عقيدته فى الإسلام . إذن نشاهد جمال المعدن الأصيل فيه كما بيَّن ذلك سيدنا رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف (الناس معادن كالذهب والفضة خيارُهم فى الجاهلية خيارُهم فى الإسلام إذا فقهُوا ...) إذن انتقل بمعدنهِ بتمامهِ وأصالتهِ ؛ فكان ﷺ رجلاً فى فتوة الرجولة فى سن الثلاثة وثلاثين سنة من عمرهِ ساعة أن أعلن إسلامه وظلَّت فيه فُتوتَهُ فى الإسلام . وكان ﷺ مفتولَ العضل . ومعنى مفتول العضل أى قوةٌ فيه كاملةٌ مُجمعةٌ فى ذاته قوةٌ فى جسمهِ وفى كل أعضائهِ . قوةٌ فى عقلهِ الرجح . قوةٌ فى قلبهِ بقوةِ تصديقٍ وقوةُ يقين . جوارحهُ قوية . من رآهُ على حقيقة أمرهِ رآهُ مُجمِّعٌ للقوى ظاهرهُ وباطنهُ . وكان ﷺ قويُّ الشكيمة : ومعنى قويُّ الشكيمة أى قويُّ المواجهة من التقى به وواجههُ يهابهُ لقوةُ استقبالهِ له ومشاهد العزة فيه الدَّالة على جمال رجولته وكمال

قوته . حادُّ الطبع : أى كالسيف الحادِّ القاطع أى لا يُساومُ أحداً على أمرٍ يكون فيه كتمانٌ لحقٍّ أو مساسٍ لكمالٍ عدلٍ وذلك بصنيع طبعهِ فيه وليس لأحدٍ رأىٌ بين يديه لأنه ﷺ قوة العقل فيه راجحةٌ لكل قُوى العقول من حوله وكاملةً بل من أراد أن يحظى برأىٍ فى مشورةٍ لنجاحِ أمرٍ له يستشيرهُ ويأخذُ برأيه ومشورته . إذن خضوعهُ ﷺ بهذه القوة المجمعة لأخذ رأىٍ من مخلوق أو لطاعة أحدٍ من الناس فى أمرٍ لا يليق ولا يكون إلا لسيدنا رسول الله ﷺ صاحب مقام الكمال المُطلقُ وصاحبُ الأمر المُطاعِ بأمر الله فى خلقهِ بقوله سبحانه : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ لذلك كان هوى نفسهِ مهزوماً فيه بل مسلوباً منهُ لشدة خضوعهِ لهوى الحق الذى جاء به سيدنا رسول الله ﷺ . وما دام فيه هذه الأوصاف الجامعة للقوة الذاتية فيه (مفتول العضل ــ قويُّ الشكيمة ــ حادُّ الطبع) يكون سريع الغضب . لماذا ؟ لأن ما دام فيه هذه الأوصاف القوية فى تأثيرها الكاملة فى ذكرها لابد وأن يكون سريع الغضب ؛ لأنه ساعة أن يغضب لا يغضب إلاَّ من خلال يقينٍ راسخٍ فيه بأن هذا القول الذى قيل أو الفعل الذى رآهُ خطأً فيغضبُ وهو على حقٍّ وتأييدٍ له بغضبه لأن غضبتهُ على علمٍ ومعرفة . كان (مُحباً للَّهوِ والخمرِ) نقول ما شاهدناهُ وعرفناهُ فى قوتهِ هذه نرى أن حُبَّهُ للَّهوِ والخمر كان خيراً لهُ وشاغلٌ يشغلهُ عن أن يرى قوتَهُ فى نفسه فيستعلى بها على غيرهِ من الناس وبدلاً من أن يشتغل بحب اللهو والخمر يشتغل بالشَّغب والاعتداء وسفك الدماء . إذن كان حالهُ مع حبِّ اللهو رحمةً به وفيه إلى ذلك (برٌّ بأهلهِ ورقَّةً لهم) أى مع وجود ما

فيه من قوة توجد فيه رحمة بارٌّ بأهلهِ وفى قلبهِ رقةً لهم وهذا ما شاهدناهُ فيه فى خلافتهِ فى الأمة رحمةً منه بالضعفاء فى رعيَّتهِ وشدةً منهُ على الأقوياءِ حتى يأخذَ حق الضعفاء منهم وهذا ما وصف الله به أمة محمدٍ فى التوراة والقرآن : ﴿ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ وهذه صفاتٌ تتحلى بها الملائكة فملائكة العذاب فى النار بالكفار يقول الحق فيها : ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ويقول فى ملائكة الرحمة : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ﴾ فالمؤمن كامل الإيمان من أمة محمدٍ جمَّلهُ الله بصفتىْ الشدة والرحمة ولم يصفهُ بصفة الغلظةِ لأنها للتعذيب واستأمنهُ الله على خلقهِ ليُصَرِّفَ فيهم الشدة مع من يستحقها والرحمة مع من يستحقها بميزان العدل الذى مكنهُ الله به بالعلم والإيمان بالله وقد شوهد هذا الجمال فى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ من الرعيَّة فيه فى أيام خلافته أميرُ المؤمنين وحاكماً على الدولة الإسلامية العُظمى صاحبةُ التمكين على عُمرانِ الأرض كلها دولاً وشعوباً وقبائل وهو بنفسه ساعة أن تحقق من عطاء الله له بالعدل أراد أن يُشاهد هذا الجمال بنفسه فى نفسه من حكم الرعية وشهادتهم فيه وله ... فنام ﷺ ساعةً من النهار تحت ظل شجرة فى طريقٍ عام يكثُرُ عليه المرور من الناس وكان وحدهُ لم يأخذ معه أحدٌ من جُندهِ لحراستهِ وهو نائمٌ وجعل حارسهُ جمالُ عدلهِ بين رعيتهِ وإذ برجلٍ أعرابى (بدوى من البدو) يعرف سيدنا عمر ﷺ فنظر الإعرابى فى وجهه وهو مُستغرقٌ فى نومهِ

فرآهُ أميرُ المؤمنين عمر ؛ فوقف مُتعجباً ! فى أمره سائلاً نفسهُ أليس هذا هو حاكم الأمة وأميرها ؟ ألم يخش على نفسه من أحد من الرعية تكون له مظلمةٌ فيراهُ هكذا فيقتُلُهُ ثم نظر إليه الأعرابى يُوقِّرُهُ ويُعَظِّمُهُ برؤية الجمال والكمال فيه بعطاء الله له من النزاهة بحُكمهِ بالعدل على مراد الله ورسوله وقال قولتَهُ المشهورة : (حكمت . فعدلت . فأمنت . فنمتَ يا عمر) . وقد ضرب مثلُ العدل به إلى يوم القيامة إذا رأى الناس من يتحرى الدقة فى حُكمهِ وعدلهِ ويأتى بالصغيرة قبل الكبيرة خوفاً من الله قالوا له : (إنتَ مُحبِّكْها قوى) يعنى بالقاضى عمر فهذا مثلٌ لعدلهِ فى كل زمانٍ يُذكر به إلى يوم القيامة ومن الجمال والكمال المشهود فى سيدنا عمر أن قوَّتَهُ المتكاملة له فى سن فُتوتهِ أى ثلاثاً وثلاثين عاماً يظلُّ عليها بتمامها إلى حتى يبلغ سِنُّهُ تسعين سنة لا ضعفَ ولا نقص فيها ويوصى ابنه بوصيتهِ هذه وهو فى سن التسعين من عمرهِ يقول ﷺ : (أى بُنى قد بلغتُ تسعين عاماً ما نغض لى سنٌّ ولا انتشر لى عصبٌ ولا عرفتُ ذنينَ أنفٍ ولا سيلان عينٍ ، ولا سلسَ بولٍ ما لذلك علةٌ إلا التخفيفُ من الزاد . فإن كنت تُحب الحياة فهذه سبيل الحياة وإن كنت تريدُ الموت فلا يُبعدُ الله إلا من ظلمَ نفسهُ) . يعنى يا بُنى هذا ما تراهُ فىَّ الآن قد بلغتُ تسعين سنة من العُمر فى الدنيا (ما نغض لى سنٌّ) يعنى لم أشكو يوماً من ألم فى أسنانى ولم تُصابُ لى سِنَّةٌ واحدةٌ بتسوس . (ولا انتشر لى عصبٌ) يعنى وما شكوتُ يوماً بحدوث نشرانٍ فى عصبٍ من أعصابى أو التهابٍ فى مفصلٍ من مفاصلى . (ولا عرفتُ ذنين أنفٍ) يعنى الزكام والرشح فى الأنف

لا أعرف له وصفاً من ألمٍ يُحدثُهُ لأنه ما جربتُهُ ولا أصابنى . (ولا سيلانِ عينٍ) يعنى لم تدمع عنيى يوماً دموعُ سيلانٍ من أثر ضعفٍ أو مرضٍ حلَّ بها أى بصرُهُ بقوتهِ كاملةٍ . (ولا سَلس بولٍ) يعنى سلامة الكلى والمثانة والحوض وما يتصل بذلك سلامةٌ تامة وكاملة كما خلقها الله . (ما لذلك علَّةٌ) أى سبب (إلا التخفيف من الزَّاد) أى التخفيف من الطعام . حكمة الأنبياء . (فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة) إذن قوتهُ فى جسمه فى سن التسعين هى نفس القوة بكمالها وتمامها فى سن الثلاثة والثلاثين من عمره ولذلك ساعة أن رأى المسلمين هاجروا إلى الحبشة وكان من أشد قريشٍ أذى للمسلمين ووقيعةً فيهم ورأى النجاشى حماهُم شعُر لفراقهم بوحشةٍ ؛ لأن كما ذكرنا فيه برٌّ بأهلهِ ورحمةٍ ورقةَ قلبٍ لهم وبما لفراقهم وطنهم من ألمٍ يحُزُّ فى الكبد ، ويفرى المُهجة . فجمع قوتَهُ . قوتهُ الفكرية وفكَّر من الذى كان سبباً فى فراقهم لوطنهم وإحداث هذا الألم بهم وبنا فاتَّهم بلا إنصاف سيدنا رسول الله ﷺ بذلك . ثم جمع قوتهُ الجسمانية وعزم على أن يقتُل سيدنا رسول الله وكان سيدنا رسول الله ﷺ يوماً مُجتمعاً مع أصحابهِ الذين لم يهاجروا فى بيتٍ عند الصفا ومن بينهم عمه الحمزة ، وابن عمه سيدنا على بن أبى طالب ، وسيدنا أبو بكرٍ وغيرهم من صحابة النبى رضوان الله عليهم . وعرف سيدنا عمر اجتماعهم فقصد إليهم يُريد أن يقتل سيدنا رسول الله ﷺ وليس له قصدٌ سوى أن يقتل النبى ﷺ وحديثُهُ مع نفسه أنه يصنع خيراً فيقول : كى تستريح قريش وتعود إليها وحدتُها بعد أن فرَّق أمرها وسفَّهَ أحلامها وعاب آلهتها ومن خلال هذه التُّهم

الذى نسبها إلى سيدنا رسول الله وبغير علمٍ يقينىٍّ بالرسالة والرسول ذاهبٌ إلى النبى ﷺ ليقتلهُ وهو فى طريقه إلى النبى لقيهُ نُعَيم بن عبد الله فى الطريق وعرف أمرهُ فقال له : والله لقد غشتكَ نفسكَ من نفسك يا عمر) أحب أن ينصحهُ ليرُدَّهُ عن هذا الأمر مُبيِّناً له أمورٌ لا يُدركها هو بغضبهِ وهو إن قتلتهُ اعلم يقيناً أنك تقتل فى ليلتك هذه . فيقول له نُعَيم : (أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك وتُقيم أمرهم ؟ وقد حوَّله بذلك إلى أمرٍ هو عندهُ أهمُّ من ذلك فى القصد الذى يُريدهُ ليقصد إليه بكُليَّته محزوناً مهموماً غيوراً على أهله مُسرعاً إليهم ليرُدَّهم بقوتهِ هذه المشحوذة بالقصد للقتل ؛ ليكون ذلك معهم بدلاً من أن يكون مع سيدنا رسول الله ﷺ . وكانت السيدة فاطمة أُخت سيدنا عمر وزوجُها سيدنا سعيدُ بن زيدٍ قد أسلما فلما أخبرهُ نُعَيم بذلك تحوَّل بقصدهِ وقصد إليهما ودخل البيت عليهما فإذا عندهما من يقرأ عليهما القرآن فلما أحسُّوا دُنُوَّاً داخل عليهم . (يعنى قُرباً لأحدٍ أحسُّوهُ داخل البيت عليهم) اختفى القارئ وأخفت السيدة فاطمة الصحيفة فوقف سيدنا عمر ينظر إليهم وسأل : ما هذه الهينمةَ التى سمعت ؟ (يعنى يقول لهما سمعتُ عند دخولى البيت دندنة تُشبه الشعر من القول . لأن لها جمالٌ فى الإلقاء والترتيب والقافية) فلما أنكرا (أى كتما عليه سرَّهما) صاح بهما وقال : لقد علمتُ أنكما تابعتما محمداً على دينهِ فبطش سيدنا سعيدُ (أى ضربهُ) فقامت السيدة فاطمة تحمى زوجها فضربها فشجَّها (يعنى ضربها ضربةً فشج رأسها) فهاج إذ ذاك هائج الزوجين وصاحا به نعم :

أسلمنا فاقض ما أنت قاضٍ (يعنى نحن أسلمنا والذى تحب أن تفعلهُ بنا فافعلهُ) فحين سمع منهم هذا القول واضطرب سيدنا عمر حين رأى ما بأختهِ من الدم وهو الذى ضربها وغلبهُ برُّهُ وعطفُهُ فارعوى وسأل أُختهُ أن تُعطيهُ الصحيفة التى كانوا يقرأون فلما قرأها تغير وجههُ وأحسَّ الندم على صنيعهِ ثم اهتزَّ لِمَا قرأ فى الصحيفة وأخذهُ إعجازُها وجلالُها وسُمُوِّ الدعوة التى تدعو إليها . (أى أخذه إعجازها وجلالها عن نفسه وعن قصده وأموره التى كانت تشغلهُ من قبل لعداء الرسالة والرسول) فزاد جانب البر غلبةً عليه وخرج وقد لان قلبُهُ واطمأنت نفسهُ . لأن كما قلنا فيه قوة اليقين فى قلبه تامة وكاملة إذا رأى شيئاً يدل على الحق بوضوح صدَّقهُ ولان له قلبه واطمأنت به نفسه إلى الحق وقد كان . فقصد إلى مجلس سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه عند الصفا فاستأذن وأعلن إسلامهُ . انظروا إلى صنيع جمال الحق فى المعدن الأصيل قد خرج بقصدٍ أن يقتل سيدنا رسول الله ﷺ وقلبه مملوءٌ بشُحنةِ الكراهية والعداء لسيدنا رسول الله . وفى نفس الساعة والمجلس لم ينتهِ بعدُ المُنعقد فى بيتٍ عند الصفا للنبى وصحبهِ يتحول القصد بالنيَّةِ من القتل لإنهاء حياة النبى ﷺ إلى نيَّة صُحبتهِ واتِّباعهِ ومحبةِ بقاءه فى الحياة ولو كان فداؤهُ حياة عمر والمجلس مازال مُنعقداً يقصدُ سيدنا عمر وقلبه تتبدل فيه الكراهية لسيدنا رسول الله ﷺ بالمحبة المقدَّمة على محبة نفسه وتتبدل العداوة بصدقٍ فى الصُحبة وحُسن يقينٍ فى الأخذ والعطاء منه وعنهُ . فاستأذن بأدبٍ جَمٍّ من عظيم النور الذى وقع فى قلبه من أسرار وأنوار القرآن الذى حظى بقراءتهِ فى الصحيفة فأى

معدنٍ هذا إن ما نُشاهده الآن فى عمر أنه ارتقى إلى مقامٍ أعلى من الملائكة وأصبح نوراً بحقيقته ومعدنه أزال خيال البشرية ووهمها ووقف بين يدى رسول الله وأعلن إسلامهُ فكان ذلك إعلانٌ حلَّتْ به الأفراح فى قلب سيدنا رسول الله ﷺ وارتحل الغمَّ لأن إسلام سيدنا عمر كان استجابةُ دعوة سيدنا رسول الله وأُمنيَةً له تحققت دعوته ﷺ فيما قالهُ أبونعيم (اللهم أعزَّ الإسلام بأحدِ العمرين عمرو بن هشام أو عمر بن الخطاب ففاز بالدعوة سيدنا عمر وسَعِدَ بالرُّقى إلى مقام لُقِّبَ فيه بالفاروق أى فرق الله به بين الحق والباطل والعدل والظلم ... وخاب عمرو بن هشام وشقى ولُقِّبَ بأبى جهل لعنهُ الله وكانت استجابةُ دعوة النبى ﷺ كما حددها هو فى مطلبه بأحدهما يعنى واحدٌ منهما يدخل الإسلام ويكون به عِزَّةُ الإسلام ولذلك ساعة أن أعلن سيدنا عمر إسلامهُ استبشر النبى وظهر البِشْرُ فى وجهه ورأى مطلبهُ بِعزَّة الإسلام قد تحقق بإسلام عمر ولذلك قال سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما (لمَّا أسلم عمر بن الخطاب ﷺ هبط أمين الوحى جبريل عليه السلام على النبى ﷺ وقال : يا رسول الله : لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر) أى أن ملائكة السماء استبشروا بإسلام عمر بن الخطاب على أن إسلامهُ عزَّةٌ للإسلام كيف يكون ذلك لابد وأن يكون هناك عند ملائكة الرحمن وهم اهل الملكوت معرفةً بسيدنا عمر . نقول إن ملائكة السماء علِمُ الله فيهم بخلقهِ وينظرون بعين البصيرة فى أهل الكواكب فى عالم المُلك فيما بين السماء والأرض وفى سُكان الأرض من الناس ويشاهدون فيهم أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم فهم على معرفةٍ بمقام وحال

سيدنا عمر فهم خلقٌ نورانيون ، وعلى علمٍ بدعوة النبى لسيدنا عمر بالإسلام وأن يكون إسلامهُ عزَّة للإسلام فساعة أن أعلن سيدنا عمر إسلامهُ تحققت البُشرى للنبى ﷺ بعزَّة الإسلام واستبشرت ملائكة السماء بإسلامه الذى يُحقق للإسلام عِزَّتُهُ وأهل السماء شهودٌ يشاهدون ويشهدون فهم يشاهدون سيدنا عمر أن قلبهُ معدناً نورانياً تكمُل فيه الأنوار بمعدنه إذن يكون وعاءٌ نورانى المعدن تُصَبُّ فيه أنوار الحق ويتلقَّى رسائل الوحى من السماء قبل أن تهِلَّ على أهل الأرض إذن يكون هذا مشهدٌ شاهدوه فيه الملائكة ومنهُ استبشروا لأنهم قالوا إذا كنا نرى جمال معدن القلب أنه يتلقى بشارات الوحى من السماء إلى أهل الأرض وتحلُّ فى قلب عمر قبل أن يتنزَّل بها الوحى وقد شاهدنا ذلك فإن من حكمة المُشرِّع وهو الله سبحانه فى علمهِ أن الخمر أم الكبائر ، وأُم الخبائث ولكنها عند الناس يحبونها ويعشقونها وهى مشروبُ الضيف الطبيعى عندهم كمشروب الشاى والقهوة عندنا اليوم ، ومادامت هى أم الكبائر يبدأ التشريع بتحريمها أولاً ولكن من رحمته بهم وحكمته فى تصريف رحماتهِ بخلقهِ رأى فيهم حبهم للخمر أعظم من محبتهم للتشريع وللمُشرِّع فلو حرَّمها الله عليهم من البداية لفرُّوا من الإسلام وقالوا لسنا فى حاجةٍ فى أن ندخل هذا الدين الذى يُحرِّم علينا ما تحبُّهُ نفوسنا من حكمة المُشرِّع تركها لهم وقال لا نُحرمها عليهم إلا بعد أن تدخل فى قلوبهم محبتنا ونُشاهد فيهم أنهم أحبُّونا ندخل عليهم بالتحريم من خلال محبتهم لنا ولذلك فرض الله عليهم الصلاة وهم يشربون الخمر وظلُّوا يشربونها ويدخلون فى الصلاة وهم مخمورون وسكارى والصلاة

قضية الإيمان وصلة يقين بين العبد وربه فكيف يقف العبد بين يدى ربه مخموراً سكراناً وهو يقرأ القرآن ويُنظِّمُ ركعاتهِ بالحركة والعدِّ ؟ وله مطالب يدعوا الله لقضاءها له إنه لا يصحُّ ذلك أبداً . فالحق ﷻ يُنزِّل قرآناً بحكمةٍ يُحرِّمُ جانباً ويُعلل التحريم بعلةٍ وسببٍ واقعىٍّ فيهم بقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ ومعنى لا تقربوا (يعنى من أول مدخلٍ فى حمى الصلاة وحمى الصلاة يبدأ من غُسل الطهارة ثم الإستنجاء ثم الوضوء فهذا الحمى للصلاة أما الحرام للصلاة فهى تكبيرةُ الإحرام يعنى (لو أن أحداً كان سكراناً واستنجى وهو سكران فصلاتهُ باطلة) فالبعض منهم امتنع عن شرب الخمر وأخذوا من هذا الأمر والنهى تحريماً وهم الذين بلغوا الكمال وتحلَّوْا بالكمال وتخلَّوْا عن النقص وشاهدوا فيها الخبث مادام الحق سبحانه نهى عن جانبٍ منها وقت الوقوف فى الصلاة التى هى صلةٌ بين العبد وربه والله طيبٌ لا يحب إلا طيباً ويُحل الطيبات ويُحرم الخبائث ومادام الحق سبحانه حرَّم جانباً منها فكلها خُبثٌ . فالجماعة الذين قالوا نشربها قالوا نختار وقتاً وزمناً طويلاً بين وقتين من الصلاة فنشربُ حتى إذا سكرنا نفوق من السُّكر قبل دخول الوقت فاختاروا ما بين العشاء والفجر فكانوا إذا خرجوا من صلاة العشاء شربوا الخمر وسكروا وقبل الفجر يفوقون من سُكرهم فجماعة أهل الكمال الذين حرَّموها ببلوغ كمالهم وهم كُمَّلُ الصحابة أهل مقامات القُرب كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم أخذتهم الغيرة على جمال التشريع وجلال المُشرِّع وهو الله سبحانه : فذهب سيدنا عمر إلى سيدنا

رسول الله ﷺ بشُحنة الغيرة فيه بكماله وأنواره على التشريع والمُشَرِّع وهو الله المعبود الواحد وقال سيدنا عمر ﷺ : يا رسول الله : أفلا يُنزل الله فى الخمر أمراً شافياً يعنى (يُحرِّمها تحريماً قاطعاً فى دينه) ففى نفس الوقت يتنزَّلُ أمين الوحى سيدنا جبريل بالآيات وسيدنا عمر لا يزال واقفاً أمام سيدنا رسول الله حتى قرأ عليه الآيات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ فكان لها حُكم وحدها بالاجتناب نهائياً أقوى من التحريم فإن فى التحريم حاجة الاضطرار بقوله : ﴿ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ أما الخمر فلا حاجة إليها فى اضطرار لأنها خبثٌ كلها ليس فيها ذرةٌ طيبة تُصلح شيئاً فى الجسم إذن نشاهد أن سيدنا عمر ﷺ سبق نزول الوحى بالطلب لما هو آتٍ به من السماء نقول كيف كان ذلك ؟ نقول : لأن قلبه وعاءٌ تلقىَّ رسالة الوحى قبل أن يخرج بها أمين الوحى من السماء إلى أهل الأرض . إذن من خلال ذلك ملائكة السماء استبشرت بإسلامه ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ يقول فى سيدنا عمر ﷺ : (بِعُمرٍ يتغير حالٍ ، وبِعمرَ تتبدل أحوالٍ ، وبعمر تظهرُ البشاراتُ لأُمتى) نقول كيف تظهر البشارات للأمة ؟ نشاهد معاً إن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو خليفةُ رسول الله وأمير المؤمنين وقد جهزَ الجيوش لفتح البلاد ونشر دين الله وهو يقف على منبر سيدنا رسول الله ﷺ بالمدينة والجيش فى سوريا والجنود والقائد ينامون بسفح جبل والعدو يصعد الجبل من الجانب الخلفى المقابل لمكانهم ليصل إلى ذروة

الجبل ثم يهبط على المسلمين وهم نيامٌ فينقض عليهم ضرباً بسلاحه فلا يقدرون حينئذٍ على مقاومته وتكون الهزيمة للمسلمين . فالجيش فى سوريا والقائد الأعلى للقوات المسلحة سيدنا عمر فى المدينة وعلى منبر سيدنا رسول الله يقطع موضوع خُطبتهِ ويُنادى بصوت عالٍ وهو مأخوذٌ عن نفسهِ يقول : (يا سارية الجبل . الجبل) طوى الله الأرض والزمن فرأى سيدنا عمر الجبل والمسلمون نائمون والعدو يصعد ليقتلهم وهو على منبر النبى فى المسجد النبوى بالمدينة فيحمل الله صوت عمر ويوقعه فى سمع سارية قائد الجيش فيقوم سارية من نومه وصوتُ أمير المؤمنين عمر يُدَوِّى فى أذنيه فينهض واثباً مُسرعاً يُقظ جنوده ويأمرهم أن يصعدوا الجبل بكل سرعة يقدرون عليها حتى يصلوا إلى ذروة الجبل قبل أن يصل العدو حتى ينقضوا هم على عدوهم ويكون النصر للمسلمين فقاموا مسرعين وقالوا من أين علمت ذلك قال من القائد الأعلى أمير المؤمنين عمر فلم يكن لهم وقفةَ تحقيق من ذلك لماذا ؟ لأنهم صحابة النبى الكرام تأدبوا وتربَّوْا على مائدة اليقين التام بمدد النور المحمدى النبوى فيهم . فنشاهد جمال صدقهم مع الله ورسوله يكشف به الله لقائدهم سيدنا عمر وهو فى المدينة وهم بين جبال سوريا تسترهم الجبال لا يراهم من حولهم فى مكانهم من الناس ولكن سيدنا عمر يراهم وبينهُ وبينهم سفراً طويلاً يقطعه أهل الأسباب فى شهر على الإبل ولكن الله زوى له الأرض وطوى له الزمان حتى يراهم أمام المنبر ويتحقق من رؤيتهم ويُخاطبهم ويصدر إليهم أوامرهُ لمطلب النصر . نقول إن سيدنا عمر نادى بأوامره من يقينه بربه طالبهم بسرعة تنفيذ

هذا الأمر لتحقيق النصر . إذن اليقين يكون بينهم مبنى على قاعدة إرسال واستقبال إذن يقين عمر فيه جهاز إرسال يقينى من خلال مُشاهدةٍ يقينية شاهد جنوده نائمين وهو صاحب الأمر فيهم بقيادته عليهم فنادى وصدر أوامرهُ على قائد هذه القوات والذى كلَّفه بأوامره فيكون النداء له باسمه ليُكلفهُ بأمر فيحمل الله صوت سيدنا عمر إلى مسامع سارية فيقوم ويقينهُ أنه تسلَّم الأمر مشافهةً من أمير المؤمنين كأنه واقفٌ بين يديه وأسرع فى إيقاظ الجنود وأمرهم أن يُسرعوا فى تنفيذ الأمر . نشاهد من ذلك أن يقين سارية أمامنا الآن مُتفق مع يقين أمير المؤمنين عمر فهذا إرسال من يقين تامٍّ وهذا استقبالٌ من يقينٍ تامٍّ نشاهد فى الجنود لو أن يقينهم أضعف من يقين القائد كانوا يتعطلون ويتباطئون ويقولون من أين علمتْ ؟ فقال : من أمير المؤمنين عمر لاتهموه باختلال عقله وقالوا كيف ذلك وأمير المؤمنين عمر بالمدينة ونحن هنا فى سوريا لا . إنما اليقين واحد ؛ لأنه صنيع الحق فيهم بيدٍ واحدة ووجهتهم إلى الله بقصدٍ واحد وجمال التوحيد فيهم صنع بهم الوحدة والوحدة يكون فيها لقاء بينها وبين الواحدية والأحدية بالاتصال فهذه أمورٌ تسير مع بعضها تُكملُ العطاء إذن كان جهاز الإرسال عند سيدنا عمر والاستقبال عند سارية وجنوده فإذا كان الاستقبال صالحاً بنفس صلاحية الإرسال كان الفوز بالعطاء والنصر فهذه بُشرى للأمة وقد بشَّر بها سيدنا رسول الله بأن تكون بعمر للأمة فإن من شاهد ذلك فى سيدنا عمر من الأمة نقول له : إن كل من يَحسُنُ يقينه بالله ويصدق من الأمة إلى يوم القيامة يُكشف له من الله ما كشفه للفاروق عمر .

إذن ليست خاصة بعمر دون الأمة أو لتكون قصةً وحكاية تعطَّل عطاؤها إنما نقبل كلنا عليها بالترجى والدعاء وصالح الأعمال للعطاء والاستعداد للسبق والترقى فهذا عطاءٌ من مدد عطاء الله سبحانه لمقام سيدنا عمر ﷺ . وإن ما شاهدناه فى هذا العطاء لسيدنا عمر ﷺ من الحديث الذى تكلمنا فيه عن تمكين الروح وقلنا إنهم أى (الأغنياء والأقوياء والشريرون) أن يُعذبوا الجسد وأن يحولوا بينه وبين ملاذه وشهواته وأن يُهلكوه لكنهم لن يصلوا إلى الروح مادام صاحبه يريد به سمواً فوق سلطان المادة وفوق سلطان الزمن واتصالاً بالوجود كله . والسموا فوق سلطان المادة معناه (أن يقهر سلطان المادة ، ولا يقهر سلطان المادة إلا الله سبحانه بقدرته وسلطانه) وفوق سلطان الزمن (يعنى يقطع الإنسان المسافات الطويلة بالزمن الطويل ولكن مع الروح إن صدق العبد مع مولاه يُطوى له الزمن ويُقهر سلطانه لأن السلطان الذى فوقه يطويه ويقهره هو سلطان الحق ﷻ واتصالاً بالوجود كله . وذلك ما شاهدناه بتمامه عطاءاً مُباركاً من الله لسيدنا عمر وكان هذا العطاء من قبل عرضُهُ ثقيل على العقل أن يتلقَّاهُ بالتسليم وعظيمٌ عليه ولكن فى عصرنا مع العلم الحديث نقول للعقل إنك يا عقل بواسطة العلم الذى منحك الله إياهُ استطعت أن تصنع من قطعة من الحديد جهازاً تليفونياً لاسلكياً يتصل به الإنسان بعالم الوجود من حوله وأعظم من ذلك جهازاً تليفزيونياً من خلاله يُشاهد الإنسان عالم الوجود من حوله ويتعرف عليهم بالرؤية والحديث والحركة وأعظم من ذلك جهاز الكمبيوتر والإنترنت الذى يربط بين عالم الناس فى الأرض بالاتصال وهذا بقدرتك

وطاقتك المحدودة وسيلة أفتستعظم على الله سبحانه صاحب القوى والقُدَرِ أن يتجلَّى على من أحبه بعطاءٍ إلهى مع الروح التى هى أمرُهُ وسرُّهُ به يتصل بحقائق الوجود كله ! نقول : إن ما حققه العقل من وسائل علمية فى الاتصال والمشاهدة فإنها تتصل بالخيال لا بالحقيقة أما عطاء الله لأحبابه يُحقق فيهم ولهم اتصالاً بحقائق الوجود ولذلك وجد المسلمون فى سيدنا عمر وسيدنا حمزة للإسلام منعةً وللمسلمين حِمىً فجزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وﷺ ونفعنا بحبهم وعلمهم . وفى هذا القدر كفاية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وكل عام وأنتم بخير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة السابعة عشر

وموضوعها

مقاطعة قريش للنبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من بنى هاشم وبنى المطلب وحصار المسلمين ثلاث سنوات ووفاة عمِّه أبى طالب ووصيَّتُه الغرَّاء بالرسول والرسالة

أُلقيت بالساحة المحمدية بمدينة المنصورة يوم الأربعاء ١١ من ربيع أول ١٤٢٦هـ
الموافق ٢٠ من إبريل عام ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله المُتجلِّى لخلقه بخلقه ، والظاهر لقلوبهم بحُجَّتِه . خلق الخلق من غير رَوِيَّة . إذ كانت الرَّوِيَّات لا تليقُ بذوى الضمائر ، وليس بذى ضميرٍ فى نفسه . سبحانه . سبحانه خرق علْمُهُ باطن غيب السُّتُراتِ وأحاط بغموضِ عقائد السريرات . هو الأول قبل كل أولٍ ، والآخر بعد كل آخرٍ . ليس لأوليته ابتداءٌ ، ولا لأزليته انقضاءٌ . فهو الأول لم يزل ، والباقى بلا أجلٍ . بأوليته وجب أن لا أول له ، وبآخريته وجب أن لا آخر لهُ . نحمدهُ على ما كان ، ونستعينه من أمرنا على ما يكون ، ونسأله المعافاةِ فى الأديان كما نسأله المُعافاة فى الأبدان . ونسأله لمنَّتِه تماماً ، وبحبلِه اعتصاماً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تتلقَّاهُ الأذهان لا بمُشَاعَرَة . وتشهد له المرائى لا بمُحاضرة . سبحانه . لم تُحط به الأوهام . بل تجلَّى لها بها وبها امتنع منها ، وإليها حَاكَمَهَا . لا تراهُ العيونُ بمشاهدةِ العيَانِ ولكن تُدركهُ القلوبُ بحقائق الإيمان . سبحانه . سبحانه . هو الكبير المُتعالِ . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ﷺ أرسلهُ الله على حين فترةٍ من الرُسلِ ، وطُولِ هَجْمَةٍ من الأمم ، واعتزامٍ من الفتن ، وانتشارٍ من الأمور ، والدنيا كاسفةُ النور ، ظاهرة الغُرُورِ ، ثمرُها الفتنة ، وطعامُها الجيفةُ ، وشعارُها الخوف ، ودثارُها السَّيفُ . فخاض ﷺ إلى رضوان الله كل غمرةٍ ، وتجرَّعَ فيه كل غُصَّةٍ . فأخرج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله سبحانه ، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته سبحانه . بقرآن قد بيَّنهُ وأحكمهُ ليعْلَمَ العبادُ ربَهُم إذ جَهِلُوهُ ، وليُقرُّوا به إذ

جَحَدُوهُ ، وليُثبتُوهُ بعد إذ أنكرُوهُ . فتجلى سبحانه لهم فى كتابه من غير أن يكونوا رأوْهُ بما أراهم من قدرته ، وخوَّفهُم من سطوتِه فصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليك سيدى يا رسول الله وعلى آلك وصحبك ومن اهتدى بهديك واقتفى أثرك إلى يوم الدين .

أما بعد

فنحن فى هذا الجمع المبارك ، وفى هذه الليلة المباركة . ليلةٌ جُلِّيَتْ بأنوار الحق ، وأسرار الحق ، وبكل ما هو فيه أمانى أهل الحق . ليلةٌ وُلِدَ فيها سيد الوجود . صاحب الفضل على كل كائنٍ وموجودٍ وُلِدَ فيها سيدُ الخلق . ليلةٌ ظهرت فيها كل بشائر الحق بميلاد النبى المصطفى ، والحبيبُ المُجتبَى ﷺ ونحن فى هذا اللقاء من كل عامٍ نعيش مع الحديث فى السيرة النبوية العطرة فى سلسلة مُتصلة حسب ترتيب أحداث الدعوة والرسالة وأطوارها ومراحلها وقد وقفنا فى اللقاء السابق عند إعلان إسلام سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وقبل أن نبدأ الحديث المتواصل مع السيرة النبوية العطرة نعيش لحظاتٍ مع ذكر الجمال للمدينة المنورة مدينة سيدنا رسول الله ﷺ وذلك تلبيةً لمطلب بعض الأحباب فى هذا الجمع المبارك .

المدينة المنورة وجمالها : ـ

المدينة المنورة مدينةٌ جُلِّيَت بجمال الحق ، نُسبتْ إلى الحبيب بالمحبة والذِّكر والإيواء والاستيطان وطناً وحرماً آمناً يتعلقُ بالذِّكر بجمال الذات المحمدية أسراراً وأنواراً والحق تبارك وتعالى حين شاءت إرادته سبحانه باختيار المدينة المنورة دارَ الإيمان ، وأرضُ الهجرة للحبيب

المصطفى ﷺ . أراد سبحانه أن يُظهر الكمال المُحمدى أمام عين الوجود كله بمقامه الأسمى . فإن لله سبحانهُ بلدٌ هى مكة المكرمة البلد الأمين ، ولله بها بيتٌ يُنسبُ إلى ذاته العَلِيَّة ألا وهو البيت الحرام الكعبة المُشرفة . ومن عنايته سبحانه بحبيبه ومصطفاهُ وخيرتُهُ من خلقه نبيَّهُ ورسولهُ وحبيبهُ وأمينُهُ وصفوته محمداً ﷺ أراد أن يجعل له داراً وبلداً وحرماً آمناً يتعلقُ ذِكرهُ بذاته المحمدية . كما أن الحرم المكى يتعلق ذكرهُ بالذات الإلهية كمالاً وجمالاً وجلالاً . فإن الحرم المدَنىِّ يتعلقُ ذِكرُهُ بالذات المحمدية كمالاً وجمالاً ووَجْداً بالأسرار والأنوار مبنىً ومعنىً وروحاً وجسداً ؛ ولذلك يُبيِّن لنا الحبيب المصطفى ﷺ أن المدينة المنورة بلدٌ حرامٌ حُرْمَتُهَا على الله كحُرمة مكة المكرمة . ولكن مكة المكرمة بلد الله الأمين تُنسبُ إلى الجلال الإلهى مَن يقيم بها من المؤمنين يشعُرُ فيها بالهيبة والرَّعدة على قدر إيمانه وحُسن يقينه بالعظمة الإلهية على قدر هَيبته وخوفه على نفسه من أن يرتكب إثماً أو يُذنبُ ذنباً فى هذا البلد الأمين ، وأن يكون حريصاً على طاعة الله ومرضاته ؛ لأن فى مكة المكرمة مشاهد الجلال . أما المدينة المنورة تنبعث منها رسائل الجمال المحمدى ويُشاهد فيها مشاهد الجمال من قَدِمَ إليها ودخل بين حناياها ونهض قريرَ العين بين ربُوعها وأقام بها مُستوطناً سكنَ روعهُ واطمأن قلبهُ وهدأت نفسهُ وحلَّت السكينة بقلبه ؛ لأن المدينة بلد الجمال تُنسبُ إلى الجمال المحمدى الذى هو من جمال الذات الإلهية كما قال بعض العارفين مادحاً فى سيدنا رسول الله ﷺ : يا جميلاً من جمالِ الذَّاتِ أنتَّ . فمشهدُ الجلال يُحدثُ الهيبة فى قلب المؤمن الصادق ومشهدُ

الجمال يجلبُ الأُنسَ والطمأنينة ؛ ولذلك كان سيدنا العباس عمُّ النبى ﷺ كان يُقيم فى مكة حياتهُ قبل أن يدخل الإسلام ولم يشعر بهيبة الجلال فلما أُسرَ فى غزوة بدر ودخل الإسلام ومَنَّ الله عليه أن هداهُ للإيمان ارتقى به الحالُ إلى مُشاهدة الجمال بالمدينة فانبعثت الطمأنينةُ فى قلبه بنور الإيمان وحلَّت السكينة وشعُر بالأُنْسِ الربانى النورانى الجمالى المحمدى . فلما قَدِمَ إلى مكة مُسلماً ارتقى به الحال إلى مشاهدة الجلال الإلهى بمكة المكرمة والذى لم يشاهدهُ بها من قبل إسلامه وحُلولِ نور الإيمان فى قلبه فشعُر بالهيبة من الجلال بصنيع نور الإيمان فيه وأخذهُ الخوف على نفسه من أن يقترفَ ذنباً فى هذا البلد الأمين بلدُ الله العظيم الذى عظَّمَ اللهُ فيه الأجر على حُسن طاعته وعبادته فجعل الحسنة فيه بمائة ألف حسنة وحدَّث نفسهُ وقال إن الله سبحانهُ بعدله وهو العدل كما جعل الحسنة فى هذا البلد الأمين بمائة ألف حسنة وفى الصلاة الركعة بمائة ألف ركعة فمن العدل أن يكون الذنب الذى يُذنبهُ العبد فى هذا البلد الأمين بمائة ألف ذنب . فكان سيدنا العباس عمُّ النبى ﷺ إذا دخل مكة بعد إسلامه يدخُلُها وهو خائفٌ على نفسه من أن يقترف بها ذنباً وحريصٌ على أن يكون كل أنفاسه زمن إقامته بها مُستنفذةً فى طاعة الله وعبادته وذكره وأن لا يُطيل مُدَّة الإقامة بها من هيبته للجلال المهيمن عليها ؛ لأنه لا يقدر على عِصمة نفسه من الخطايا والزَّلل وكان من شدة خوفه على نفسه كان إذا اقترب من مشارف مكة مُقبلاً قادماً إليها من المدينة يدخُلها خائفاً يدعو الله أن يعصمَهُ من المعصية ويُوفقهُ للطاعات فيقول : (اللهم إنى أعوذُ بك من أن أرتكب ذنباً فى

هذا البلد الأمين بلدك وحرمُك الشريف العظيم المُعظَّم كما أسألك أن تجعل كل أنفاسى فيه لك لطاعتك ومرضاتك . فإنى أعلمُ علمَ اليقين أنك العدلُ وبعدلك أنك كما جعلت الحسنة بمائة ألف حسنة فى هذا البلد الحرام فإن الذنب يكون بمائة ألف ذنب فتعطَّفْ عَلَىَّ بعطفك وعافنى بعفوك ووفقنى لطاعتك واعصمنى بعصمتك التى جعلتها لأنبياءك أهل محبتك يا أرحم الراحمين) ؛ ولذلك كان يدخل سيدنا العباس مكة بعد إسلامه خائفاً وجلاً بالرغم أنه كان من قبلُ قضى حياته بها لا يشعر بخوف ولا هيبة ولكن حين وقرَ الإيمان فى قلبه حلَّت به هيبة الجلال ؛ فرأى أنه يدخُلها ويُقيم بقدر أداء الفريضة بها ثم يُسرع بالخروج منها خشية أن يُحدث بها حدثاً أو يرتكب ذنباً وجعل كل حياته بالمدينة بلد النبى الحبيب والشفيع الطبيب موطن الجمال الرَّغيبِ الرَّحبِ الرَّحيبِ دارُ الإيمان .

فضل المدينة المنورة : ■

والمدينة المنورة بلدٌ حرامٌ تتعلق حُرمَتُها بالذات المحمدية فعن عبد الله بن زيدٍ بن عاصمٍ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إن إبراهيم حرَّمَ مكة ودعا لأهلها وإنى حرَّمتُ المدينة كما حرَّمَ إبراهيم مكة وإنى دعوتُ فى صَاعِهَا ومُدَّها بِمِثْلَىْ ما دعا به إبراهيم لأهل مكة) . فكانت دعوة الخليل سيدنا إبراهيم عليه السلام لأهل مكة ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ لم يقل

سيدنا إبراهيم فى دعوتهِ فاجعل جماعاتٍ من الناس تأتى إليهم ولكن قال فاجعل أفئدةً : أى قلوبٌ عامرةٌ بالمحبة تهوى بهويةِ الحبِّ وهيام المحبين وارزقهم من االثمرات لعلهم يشكرون فدعا لهم بالرزق من الثمرات . أما سيدنا رسول الله ﷺ فقد دعا لأهل المدينة بطيبِ العيشِ والبركة فى الصَّاعِ أى الكيل والمُدِّ أى القمحِ والشعير أصل الأصول فى مقومات المعيشة فقال ﷺ : (وإنى دعوتُ فى صاعها ومُدَّها بمثلى ما دعا به إبراهيم لأهل مكة) معنى ذلك أن أهل المدينة والذى يقيم بها تكون معيشتهُ من بركةِ الشئ والأصل ثابتٌ والبركة مِثلين من دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام لأهل مكة . لذلك رُوى عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَىْ ما جعلت بمكة من البركة) ومعنى ذلك أن النبى ﷺ يرجو الله أن يجعل بالمدينة مثلين من البركة التى جعلها بمكة ويدوم هذا العطاء ويقوم بها إلى يوم القيامة وهذا إن دل فإنما يدلُ على محبة النبى ﷺ للمدينة أكثر من محبتهِ لمكة لأنه ﷺ حين أخرجهُ قومهُ من مكة وخرج مُهاجراً إلى المدينة كان حبُّ مكة فى قلبهِ عظيمٌ لأنها وطنهُ ووطنُ آباءهِ وأجدادهِ وبلدُ الله الأمين الذى أقسم به وفيها وُلِدَ ونشأ وترعرع على أرضها ونزل عليه الوحى فيها بالرسالة واكتست جبالها بأنوار القرآن ولذلك كان ينظُر إلى مكة ويُخاطبها قائلاً : إنك لأحبُّ بلادِ الله إلىَّ ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت) فلما قَدِمَ المدينة سأل الله بأن يجعل محبة المدينة فى قلبهِ كحبِّ مكة أو أشد ليكون ذلك عِوَضاً له من الله وخيرُ بدلٍ بالدارِ والأهلِ . فعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله

عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (اللهم حبِّب إلينا المدينة كحُبنا مكة أو أشدَّ) كأنه ﷺ يشكو إلى الله حالهُ قائلاً أنت أعلم يا ربى بشدة حبى لمكة وما كنت لأخرج منها أبداً طالباً غيرها من بلادك إلا أن أهلها أخرجونى ، وما سبب ذلك كله إلا إيمانى بك فإنى أرجو أن يستقبلنى بالمدينة الإيمان بذاته وجوهرهِ وحقيقتهِ وأن تكون المدينة دارٌ للإيمان وموطنٌ له وحِلٌّ له يحلُّ بها معى إلى يوم القيامة .

المدينة دار الإيمان : ▪

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إن الإيمان ليأرَزُ إلى المدينة كما تأرزُ الحيَّة إلى جحرها) يعنى يفرُّ الإيمان من كل مكانٍ على سطح الأرض حُوربَ فيه ينضمُّ بعضُه إلى بعضٍ فى المدينة بسرعةٍ كسرعة الحية إلى جحرها فراراً من الاعتداء عليها ؛ لأن جحرها دارُها ومأواها . إذن المدينة دارُ الإيمان ومأواهُ فلا مُستقرَّ له ولا أمنَ له إلا بالمدينة وإذا كانت المدينة مأوى الإيمان فمن بابِ أولى أن تكون مأوى المؤمن وأرضُ هجرته ؛ لأن المؤمن إذا هاجر إليها استقبلهُ بها الإيمان .

عظمة المدينة المنورة : ▪

إن من العظمة الممنوحة من الله للمدينة المنورة جمالها المحمدى الربانى إذ جعلها مظهر الكمال والتمام للإسلام وداراً للإيمان ، ووجهةُ أهل الإيمان بالهجرة إليها فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (المدينة قُبَّةُ الإسلام ، ودارُ الإيمان ، وأرضُ الهجرة ، ومبوأ الحلال والحرام) . ومعنى ذلك أن المدينة قصرٌ بناهُ الله بيد عنايته ورعايته

وحمايته لدينهِ الإسلام وهيأهُ وكمَّلهُ وجمَّلهُ وجعلهُ قُبَّةً مرفوعةً مشهودٌ بها الجمال الربانى المحمدى الذى ينبع من محيطاتهِ ينابيع علوم الإسلام بكل تشريعاته ومحاسنه وكمالاته كما جعل قُصور الجنة لأحبابه أهل الإسلام وأهل الإيمان وأهل الإحسان قبابٌ قاصرةٌ على النعيم الذى اختصهم به فالقبة : سقفٌ جمالى يُغشِّى المكان وصاحبهِ بمظهر الجمال التام ، (ومعنى دار الإيمان) أن كلا منا له دارٌ يسكنها تأويه وتسترهُ محببةٌ إلى قلبه بالاستيطان بقلبها وطناً له لا يقدر على مُفارقته فكذلك المدينة هى دارٌ للإيمان وموطنٌ له (ومعنى وأرضُ الهجرة) أى أن المدينة المنورة هى أرض الهجرة للإيمان ولأهل الإيمان صنعها الله لذلك من الأزل إلى الأبد . وإن كان قد أذِنَ سيدنا رسول الله ﷺ لبعض صحابته فى بدء الرسالة فى مكة بالهجرة إلى بلاد الحبشة فإن ذلك كان من سياسته الرشيدة وحكمتهِ النبوية ليفرَّوا من شدة الإيذاء والتعذيب من المشركين أعداء الحق والدين وكان هذا الإذن مؤقتاً يتعلق بأحداث وقتهِ وأيضاً يتعلق بخدمة الرسالة وليُعلنوا عن دين الله فى بلاد الحبشة ويدعوا إليه مما جعل النجاشى ملك الحبشة أعلن إسلامهُ ودخل فى دين الله الحنيف وكان هذا الإذن وقتُهُ قبل الهجرة إلى المدينة بثمانى سنوات أما بعد أن هاجر النبى ﷺ وصحابته معه إلى المدينة المنورة فلم يكن هناك إذنٌ بعد ذلك للهجرة إلى أى مكان على سطح الأرض ؛ لأنه لم تكن هناك بقعةٌ على سطح الأرض هيأها الله لهجرة المؤمنين بعد الهجرة إلى المدينة لأن المدينة هى أرض الهجرة للإيمان وأهل الإيمان حقيقة من الأزل إلى الأبد . إذن كل مؤمنٍ إلى يوم القيامة يتعرض

للإيذاء فى إيمانه فى أى بلدٍ وفى أى مكانٍ على سطح الأرض نقول له لا هجرة لك إلى مكانٍ تجد فيه الأمن والأمان والاستقرار والطمأنينة قلباً ونفساً وقالباً إلا بالهجرة إلى المدينة قُبَّةُ الإسلام ، ودار الإيمان ، وأرض الهجرة ومبوأ الحلال والحرام . (ومعنى مبوأ الحلال والحرام) أى أن فى المدينة تجلى الحق سبحانه على نبيِّهِ ومصطفاهُ بإنزال القرآن بكل التكاليف الشرعية للإسلام دين الله الحنيف وبيَّن سبحانه كل ما أحل من حلالٍ وكل ما حرم من حرامٍ للأمة المحمدية أمة الإسلام وكان بالمدينة أيضاً إذنُ القتال للدفاع عن العقيدة السمحاء ورفع راية الإسلام ورفع أعلام النصر للمسلمين بقوله سبحانه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ فإن شرائع الإسلام من أول أبينا آدم عليه السلام تتنزَّل على الأنبياء والمرسلين كلٌّ يأخذ قبساً على قدرِ مقامهِ وعلى قدر طاقة قومه لأن كل رسول من قبل كان يُرسل إلى قومه خاصة ليُخرجهم من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهُدى فكان يأخذ قبساً من التكاليف الشرعية للإسلام على قدر مُعالجة علَّةِ قومه فإن تخلصوا من علةٍ . أتاهُم بقبسٍ آخر ولكنهم مع أممهم جميعاً لم يستنفذوا قبساً واحداً من الإسلام أما سيدنا رسول الله ﷺ فقد أرسله الله إلى الناس جميعاً من ساعة إعلان بعثته إلى يوم القيامة ولكنه سبحانه وتعالى أراد أن يُبيِّن للعالمين جمال الرسالة التامة الخاتمة الشاملة الممدودة من جمال الرسول الخاتم للمرسلين الجامع لمقاماتهم ولأسرار رسالاتهم برسالته الخاتمة لرسالاتهم فأمرهُ أن يبدأ الرسالة بدعوة قومه فإن بدا له من قومه وظهر ما ظهر من أقوام المرسلين من

قبله من تكذيبٍ واستهانة به وبرسالته فيأتى إليه الإذن من الله أن يُعرض عن قومه ويصدع بالدعوة إلى الناس جميعاً ويهاجر من وطنه لمفارقة قومه إلى وطنٍ جامعٍ لأهل الإيمان به من الناس ولذا يقول الحق سبحانه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ثم يبيِّن الحق الجمال الواضح بقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ أى أن القرآن الكريم يتنزَّل من السماء ليكون ذكرٌ لأحداثِ الرسالة لك ولقومك فذكر الكمال لك بتوفيتك مع الله بأداء الأمانة ، وتبليغ الرسالة ونُصحك للأمة وذكر النقص لهم بتكذيبهم للرسالة والرسول فيقول سبحانه : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ ولذلك ظل الرسول ﷺ برسالته فى مكة داعياً فى قومه ثلاثة عشر عاماً فلم يستجيبوا له ثم كانت هجرته إلى المدينة وقضى بالمدينة عشر سنوات مباركات تنزلت عليه كل شرائع الإسلام بتمامها وقام ﷺ ببناء صرح الأمة ووضع كل الأسس لبناء قوائم الإسلام وكل ما تحتاجهُ الأمة إلى يوم القيامة من علمٍ وعملٍ ومعرفة ورفعةٍ وعزَّة . إذن عشر سنوات بالمدينة تحقق فيها للحق ما لم يتحقق له من قبل فى عُمر الدنيا كله من أول أبينا آدم عليه السلام وعلى يد كل المرسلين من قبل من استكمالٍ لشرائع الدين وتتمَّة لنعيم الله على خَلقه وفى خاتمة العشر سنواتٍ بالمدينة وفى حَجَّة الوداع وعلى جبل عرفات فى يوم عرفة وفى يوم الجمعة يتنزَّل القرآن على النبى ﷺ بقول الحق وشهادته

سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ إذن مشاهد البركة فى عشر سنوات للرسالة فى المدينة أعظم من البركة فى عُمر الدنيا كلهُ مع الرسالة من قبل بل من أول أبينا آدم عليه السلام إلى أول يومٍ دخل فيه الرسول ﷺ برسالته المدينة فهذا مشهد جمال المدينة مع جمال الرسالة أما مشهدُ جمال عمر النبى ﷺ الذى قضاهُ فى الدنيا والبركة والسر المكنون فيه فإنه أعظمُ من مجموع البركات والأسرار التى أودعها الله فى جميع الأنبياء والمرسلين لأنه تحقق فيه كل مُراد الحق لخلقه من إكمال دينه وإتمام نعمه وتحقيق مرضاته إذن فالرسول الكريم هو مراد الله فى خلقه لذا أقسم الله بعُمرهِ المبارك الذى بوركت به الدنيا والآخرة فى قرآنه العظيم بقوله : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

المدينة مُحصَّنةٌ من البلاء : ■

إن جمال المدينة المنورة ليس له مثليةٌ فى أى قرية أو فى أى مدينة سواها على سطح الأرض فهى المدينة المُحَصَّنة بيد الله وقدرته وحفظه وعنايته ورعايته ولذلك بيَّن الحبيب المصطفى ﷺ فى ذكرها أنها هى البلد المحصَّن فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (على أنقابِ المدينة ملائكة لا يدخُلها الطاعون ولا الدَّجَّال) . ومعنى ذلك أن على مشارف المدينة المنورة أى مداخلها من كل الجوانب والطرق الموَصِّلة إلى دخولها ملائكة جعلهم الله حُرَّاساً عليها يمنعون وباء الطاعون أن يدخلها حتى لا يُصاب ساكنيها من المؤمنين بمرض

الطاعون ؛ لأنها بلدُ الجمال بلدُ الحبيب المُتَوَّج بتاج الجمال من جمال الذات الإلهية ﷻ . فقد جعل الله له ملائكة مكَّنَهم بعلمهِ وقُدرته قائمين على مشارف المدينة المنورة من يوم أن خلق الله الدنيا إلى يوم القيامة حُرَّاساً على هذا الجمال يمنعون كل قبيحٍ أن يقترب من حرم الجمال وحِماهُ يمنعون وباء الطاعون القبيح أن يدخل المدينة ؛ ولذلك لا يُصاب أهل المدينة بمرض الطاعون أبداً ويمنعون المسيخ الدَّجال أن يدخل المدينة المنورة ؛ لأنه فتنةُ الإيمان وأهل الإيمان حصَّنَهُم الله بإيمانهم والمدينة كما ذكرنا دار الإيمان ومأواهُ فالملائكة حُراس من الله على الإيمان بالمدينة وعلى أهل الإيمان بالمدينة يمنعون دخول فتنة الإيمان : أى المسيخ الدَّجَّال من دخوله المدينة لحماية أهلها من الفتنة فى إيمانهم وتحصينهم بالجمال الدائم فيهم .

المدينة المنورة بلد رسول الله المعصوم بعصمته : ■

إن المدينة المنورة بلدٌ منسوبٌ إلى سيدنا رسول الله ﷺ حرَّمها ودعا لها بالبركة كما ذكرنا والنبى ﷺ عصَمَهُ الله من الناس بقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ إذن كما جعل الله لرسوله عصمةً من الناس من أن ينالوا منه بكيدهم له فقد جعل لأهل المدينة المنورة المنسوبة بالذكر إلى النبى بأنها بلدُهُ وحرمُهُ وموطنُهُ وموطِنُ الإيمان والمؤمنين به جعل للمدينة وأهلها عصمة من الناس من مدد عصمة الرسول الكريم ﷺ . فعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها

قالت : سمعتُ سعداً ﷺ قال : سمعتُ النبى ﷺ يقول : (لا يكيدُ أهل المدينة أحدٌ إلا انْمَاعَ كما ينْمَاعُ المِلْحُ فى الماء ، ولا يريدُ أحدٌ أهل المدينة بسوءٍ إلا أذابهُ الله فى النار ذوبَ الرَّصاصِ أو ذوبَ المِلح فى الماء) ومعنى ذلك أن كل من تُسَوِّل له نفسه أن يكيد لأهل المدينة بسوءِ فعلٍ أو بسوءِ قولٍ أو يُبيِّت نيَّةُ السوء باعتداء على أهلها فإن الله يُعاقبهُ فى الدنيا قبل الآخرة بهلاكه الذى يمحوه من الوجود فى الحياة كمحوِ الملح حين يذوب فىالماء أو كمحو الرصاص حين يذوب فى النار لماذا ؟ لأنها بلدُ حبيبهُ ومُرادهُ لذاتهِ ومُرادهُ لأحبابهِ ورحمتهُ لخلقهِ . لذلك فإن قلوب أهل المحبة فى شوقٍ دائمٍ وهيامٍ قائمٍ إلى المدينة المنورة وإلى زيارة الحبيب المعصوم سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ .

مُخاطبةٌ للمدينة المنورة البلد الكريم وزائريها : ـ

فَرِّغ فـــــؤادكَ للحبيـــب ويَمِّـــم ... نحو المدينـــة والبقيـــعِ وزمـــزمِ
وانْهَضْ قَريرَ العينِ بـــين رُبُوعِهـــا ... نشوانَ تشدو فى الـــدُّجى بتـــرنُّمِ
هَجَرَ الأحبَّـــةُ للمـــــدينة أهْلَهـــمْ ... حُبَّاً وشوقاً للحبيـــب الأعظـــمِ
هَامُوا إليها تـــاركينَ ديَـــارَهُـــمْ ... والشوقُ يُلهبُ كل قلـــبٍ مُـــضرَمِ
عرفوا طريق الحـــقِ بـــين شِـــعَابِهَا ... فَسَعَى إليهـــا كُلَ صَبٍّ مُغـــرَمِ
وتَعَالَت الأصـــواتُ فـــى عَرَفَاتـــهَا ... ما بـــين داعٍ أو مُلَبٍّ مُحـــــرم
ومن الحَطِيمِ وزَمْـــزَمٍ بَلَغُـــوا منَـــى ... ورموْا جماراً للَّعـــينِ المـــرْجَمِ
وشَذَا عبيقَ المسكِ هـــبَّ نـــسيمُـــها ... من طيبةٍ يا نعمَ مثوى الأكـــرمِ
يا أيها البلـــدُ الكريـــمُ بأهـــلـــــهِ ... هلاَّ قصصتَ عن الحبيبِ الأفخـــمِ

ذكرى الأحبةِ فى الحَـــشَا وشُـــجُونِهَا ... بَرْدٌ على الأحشـــا لكـــل مُتـــيَّمِ
شَنِّفْ بذكـــراهمْ وذكـــــرِ حَبيبهـــم ... أُذُنيك أكرِمْ بالحديـــثِ وأنْعـــمِ
رَوِّح بكأسٍ من رحيـــقِ شرابهـــم ... كيما يُبَرِّدُ حرَّ ذاك المُـــضـــرَمِ
فإذا وصلت إلـــى المدينـــة هائمـــاً ... فاحضُنْ ثرى أعتابِ حبِّـــكَ والـــثِمِ
وإذا الرِّياضَ حَلَلْـــتَ فـــارتعْ حولهـــا ... تُعْطَ القَبُولَ فَفُزْ بذاك المَـــغْنَمِ
لحظاتُ سعـــدٍ فاغتنمهـــا مُتعـــةً ... ما بين مِنْبرهِ وروضٍ مُكـــــرَمِ
قف بالخُضوعِ إلى الحبيـــبِ وناجـــهِ ... تجدِ الوفاءَ من النبى الأكـــــرمِ
واهنأْ هُنـــــالكَ بالمقـــــامِ مُجَـــدِّداً ... عهدَ النبى على الوفاء وســـلمِ
وقُل السلامُ عليكَ يـــا خيـــرَ الـــورى ... مِنْ عاشقٍ هجر الورى ومُتـــيَّمِ
لا أنثنى مهـــــما يفُـــوتُ وإننـــــى ... بالحُبِّ مجذُوبٌ وذكرُكَ فى فمى
ومن الحوادثِ لا أخـــــافُ لأننـــــى ... بكلاءةٍ فى رُكنِ عِزِّكَ أحتمـــي
مددُ النعيـــم وكلُّ عِـــزٍّ فـــى الـــورى ... من فيض جُودِ الهاشمى الخاتم
هذا الحبـــيبُ وتلك طيبتُـــهُ التـــى ... نشرت عبيق شذيِّها فى العالـــم
لا شـــك أن الله كـــــرَّم طـــيبـــةً ... قبل السماءِ وقبل عرشٍ أعظـــمِ
وعليه صلى الله فـــى كـــل الـــورى ... يا رب صلِّ على الحبيب وسلَّم

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ النبـــى الأعظـــم وعلـــى آلـــه وصحبهِ صلاةً تُتوِّج بها جمعنا هذا بكل عطيةٍ وتجليات ورضوانٍ وقبولٍ وقُربٍ وعزٍّ وسترٍ وبركاتٍ جعلتها لأحبابك وأوليائك فـــى هـــذه الليلـــة المباركة آمين .

ثم ننتقل إلى حديثنا المتواصل مع السيرة النبوية العطرة فقد وقفنا فى

اللقاء السابق عند إسلام سيدنا حمزة بنُ عبد المُطلب عـمُّ النبـى ﷺ وإسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقُلنا أن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : (لمَّا أسلم عمر بن الخطاب ﷺ هـبط أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام على سيدنا رسول الله ﷺ وقال لـه يـا رسول الله (لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر) نقول إذا كانت فرحة أهل السماء واستبشارهم لِنُصرة دين الله بإسلام سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بُشرى تُزَفُ من السماء إلى أهل الأرض بوحى السماء على يد أمين الوحى سيدنا جبريل عليه السلام فما الذى يكون عليه حال أهل الأرض وخاصةً أهل الإيمان فإن أهل الإيمان يستبشرون بها ويستقبلونها بقلوبٍ تهـيمُ إلى نُصرة دين الله مُستيقنين ذلك أما أعداء الإسلام وهم كفارُ قريش فقد اختلت موازينهم .

إسلام عمر بن الخطاب قوةً تُرهِبُ كُفار قريش : ـ

فَتَّ إسلام عمر فى عضُدِ قريش أن دخل فى دين الله بالحميَّة التى كان يُحاربُهُ من قبل بها . لم يُخْفِ إسلامهُ ولم يستتر بل ذهب يُعلِنُـهُ علـى رؤوس الملأ ويُقاتلهم فى سبيله . ومعنى ذلك أن إسلام سيدنا عمر ﷺ فَتَّ فى عضُدِ قريش أى مزَّق جمعُهم وهدد قوتهم وانبعث فيهم الخوف وهذا إسلامُ فردٍ واحد ولكن ليس كل فرد كعمر إنه فردٌ ولكنهُ أقوى فى هيبتهِ من الجماعات فهذا مشهدٌ جمالىٌ فى شخصية عمر أن يُقال فيـه أنه فردٌ ولكنه أقوى من جماعاتٍ جمِّعَتْ وكانت المصيبة العُظمى التـى أُصيبت بها قريش أن عمر دخل فى دين الله بالحمية التى كان يُحاربـه من قبل بها : أى أنه كانت حميَّتُه فى الجاهلية بُغضُ الإسلام ومُحاربتِهِ

وغيرةٌ على الجاهلية عقائدية ولمَّا دخل الإسلام انتقل بأصـالة معدنـه غيرةٌ على الإسلام وبُغضٌ للجاهلية أعظم مما كان عليه للجاهلية فساعة أن أعلن سيدنا عمر إسلامهُ وقع فى قلبه حُبُّ الله وحُـبَّ رسـول الله وحُبُّ دين الله والغيرة عليه والاستعداد للدفاع عنه ونُصرتهِ وكراهيتُـه للجاهلية أى : دخل بنفس الحميَّة التى كان عليها بالحبِّ والبُغضِ مـع الشئ وضدَّه أى انتقل من الجاهلية إلى الإسلام بأصالة معدنه فالنـاس معادن كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ فى حديثه الـشريف : (النـاس معادن كالذهب والفضة خيارُهم فى الجاهلية خيارُهُم فـى الإسـلام إذا فقَهُوا) ومعنى : لم يُخف إسلامهُ ولم يستتر . لأن الدعوة فى بـدايتها فى مكة كانت خِفيةً لمدة ثلاث سنوات فكان الذى يدخل الإسـلام يُخـفِ إسلامه على كل من حوله حتى لا يتعرض للإيذاء وشدَّة التعذيب حتـى جاء الإذن من الله بالجهر بالدعوة بقولهِ سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أى اجهر بالدعوة ولا تخـش إلا الله ولكـن كان بعد ذلك خِفيةً فردية كان الفرد الذى يُحب أن يدخل الإسلام يُخفـى إسلامهُ على من حوله من قومه حتى لا يؤذونهُ بما يكره وكان إذا ذهب إلى رسول الله ليُعلن إسلامهُ يستتر من الناس ويراقب الطريق حتـى لا يراهُ أحدٌ من الناس ولا يسألهُ عن حالهِ ويرغبُ فى أن يُعلن إسلامه فى سترٍ أما سيدنا عمر لم يُخف إسلامهُ ذهب إلى سيدنا رسول الله وهو فى طريقه إذا تعرض لمن يسألهُ إلى أين تذهب يا عمر يَرُدُّ بـصوتٍ عـالٍ ذاهبٌ إلى رسول الله لأُعلن بين يديه إسلامى فهذا معنى لم يُخف إسلامهِ ومعنى ولم يستتر : أى أنه ساعة أن أسلم خرج وذاع الخبـر بـأعلى

صوته على رؤوس الملأ أنه دخل الإسلام . بل كان يقاتلهم فى سبيل ذلك أى كان الذى يُجادلهُ فى إسلامه كان يُقاتله ويجهر فى وجهه بالشهادة بكلِّ فخارٍ واعتزازٍ بدين الله وإعلانٍ بقوةٍ لم تكن قوةُ فردٍ بل إعلانُ قوةُ الجماعة الذى جاء به القرآن : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إذن سيدنا عمر له مشهدٌ جمالىٌّ وحدهُ فى المظهر الإيمانى ولذلك حين رأت قريش ذلك فى عمر أيقنت أن ما تنالُ به من رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى لن يحول دون إقبال الناس على دين الله ليحتموْا من بعد ذلك بعمر وحمزة أو بالحبشة أو بمن يقدر على حمايتهم فأثمرت من جديدٍ ماذا تصنع ؟ والحق أن هذا الحادث عزز المسلمين بعنصرٍ جديدٍ قويٍّ غاية القوة جعل موقف قريش منهم وموقفهم من قريش غير ما كان . واستتبع ما بين الطرفين سياسة جديدة مُلئتْ بأحداثٍ وتضحياتٍ وقوى جديدة أدَّت إلى الهجرة وإلى ظهور النبى محمدٍ السياسى إلى جانب النبى محمدٍ الرسولِ .

إجماع قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ▪

لما رأت قريش عِزَّة النبى ﷺ بمن معه وإسلام عمر وعزة أصحابه بالحبشة وفُشُوَّ الإسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى ﷺ فبلغ ذلك عمُّهُ أبو طالب فجمع بنى هاشمٍ وبنى المطلب فأدخلوُا رسول الله ﷺ شِعَبَهُمْ ومنعوه ممن أراد قتله وأجابهُ لذلك حتى كفارهُم فعلوا ذلك حَمِيَّةً .

مقاطعة قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وحصار المسلمين ثلاث سنوات :

فلما رأت قريش ما فعله عمُّ النبى أبو طالب من إدخالهِ شعبهم ومنعه

عمُّه منهم وموقف بنى هاشم وبنى المطلب معه فى ذلك . اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب أن يقاطعوهم مقاطعةً تامةً أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، ولا يقبلوا منهم صُلحاً أبداً حتى يُسلِموا رسول الله ﷺ للقتل . وكتبوُهُ فى صحيفةٍ بخطِّ بغيض ابن عامر فَشُلَّتْ يدهُ وعُلِّقت الصحيفة فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبعٍ من النبوة توكيداً لها وتسجيلاً ؛ فانحاز بنوا هاشم وبنوا المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبِهِ إلا أبا لهبٍ فكان مع قريش فأقامت قريش على حصار المسلمين وحصار بنى هاشم وبنى المطلب سنتين أو ثلاثاً حتى جُهِدوا وكان لا يصل إليهم شئٌ إلا سِرًّا . وكان أكبر ظنهم أن هذه السياسة السلبية وسياسة التجويع والمقاطعة ستكون أفعل أثراً من سياسة الأذى والإعنات وإن لم ينقطعوا عن الإعنات ولا عن الأذى ، وكانت قريش ترجو خلال هذه المقاطعة أن تصل من رسول الله ﷺ إلى اعتزال قومه إياهُ فيعود وحيداً ولا يبقى له ولا لدعوته من خطرٍ .

اعتصام النبى صلى الله عليه وسلم بحبل الله وانتشار الإسلام بين القبائل :

كانت قريش تتوهَّم أن هذه المقاطعة وسياسة التجويع تؤثر على الجانب النفسى للنبى ﷺ والذين آمنوا به فأما سيدنا رسول الله ﷺ فلم يزدهُ ذلك إلا اعتصاماً بحبل الله ولم يزد أهله والذين آمنوا به إلا ذوْداً عنه وعن دين الله ولم يَحُلْ دون انتشار الدعوة إلى الإسلام انتشاراً خرج بها من حدود مكة . وذاع أمر الدعوة بين العرب وقبائلها مما جعل الدين الجديد

يفشوا ذكرهُ فى شبه الجزيرة بعد أن كان حبيساً بين جبال مكة .

قريش تهكَّمت بالنبى ودعوته : ■

إنه حين ذاع أمر الدعوة بين العرب وقبائلها جعل قريشاً تزيد إمعاناً فى تفكيرها كيف تحارب هذا الذى خرج عليها وسبَّ آلهتها ؟ وكيف تقف دون انتشار دعوته بين قبائل العرب . هذه القبائل التى لا غِنى لِمكةَ عنها ولا غنى لها عن مكة فى التجارة المُتَّصلة التى تصدُرُ عن أم القرى وتردُ إليها . هددت قريش رسول الله ﷺ وهددت أهلهُ وأعمامهُ .. تهكمت به وبدعوته وسخرت منه وممن اتَّبعُهُ .. نالتهُ بالأذى .. ونالت من اتَّبعهُ بالسوء والعذاب وعرضت عليه المُلك وعرضت عليه كل ما يطمع الناس فيه . شرَّدت أنصارهُ عن أوطانهم ، وأصابتهم فى تجارتهم وفى أرزاقهم . أنذرته وأنذرتهم الحرب وأهوالها وما تجنى وما تُدمرُ . وها هى ذى تحاصرُهُم أخيراً لتُميتُهُم جُوعاً إن استطاعت إلى ذلك سبيلاً . مع ذلك ظل سيدنا رسول الله ﷺ يشتد فى دعوة الناس بالحسنى إلى الحق الذى بعثهُ الله به للناس بشيراً ونذيراً .. ولم يأن لقُريش أن تُصدِّق الأمين الذى عرفتهُ منذُ طفولتهِ وكل صباهُ وشبابهُ أميناً ... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

مشهد الجمال فى أهل الكمال : ■

ومن خلال هذا المشهد الجلىِّ الواضح فى مقاطعة قريش للنبى ﷺ وفرض الحصار التام عليه وعلى من اتَّبعه وآمن به وتعرضُهُم للتجويع هم وأطفالهم وصبيانهم ونساءهم مما جعلهم يربطون الحجارة على بطونهم من شدة الجوع وآلامه المؤثرة على النفوس والعقائد وخاصة

أنهم كانوا ينظرون إلى أطفالهم الرُّضع وهم يموتون جوعاً فأى قوةٍ تتحمل هذا المشهد العصيب وهذا الجُرمِ الغاشم والصنيع الآثم الذى يصنعه أهل الكفر بغياً وعدواً بأهل الإيمان ليردُّوهم عن دينهم إن استطاعوا ولكنها قوة الرجال أهل الصدق وأولوا العزم جعلهم الله أهلاً لحمل أمانتهِ وتبليغ رسالته واختارهم واصطفاهم لصُحبة حبيبه ونبيِّهِ ورسوله المُجتبى ورفع مقاماتهم بمعيتهِ بقوله سبحانه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ وشهد لهم سبحانه بالصدق بقوله : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ ولذا كان اختيار أعداء الله كفار قريش لمحاربتهم لأهل الإيمان بالمقاطعة والتجويع أشر اختيار وأقبح صنيع لأنه لا يؤثر على النفوس والعقائد بقوةٍ أقوى من المجاعة فإن للتجويع ثِقلٌ شديدٌ على النفس بالتعذيب وعلى العقيدة بالفتنة والزلل فإن الإنسانية قادرة على مواجهة كل صدمات الحياة وزلاَّتها ومِحنها وشدائدها بعزيمةٍ قوية ما عدا شدة المجاعة فإن أمام قهرية المجاعة تعجز القوى البشرية بكل سطوتها وكبريائها ولو جُمعت كل عزائم البشر باستعداداتها وعدَّتها وقدراتها على أن تواجه المجاعة بثبوتٍ لا تُصيبهُ الزلازل ما استطاعوا إلا من رحم ربى .

رسالة سيدنا يوسف عليه السلام : ■

إن رسالة نبى الله ورسوله سيدنا يوسف عليه السلام مضمونها أن يقوم بالمحافظة على أهل مصر والشام من أن تحلَّ بهم المجاعة بتكليفٍ

سماوىٍّ تشريعى علمىٍّ برسالة وحىٍ يوحى إليه من قبل الله وبمقام رسولٍ وعطاء رسالة مرادُ الله فيها صدُّ المجاعة وردَّها والمحافظة على الناس من فتنتها بعلمٍ من الله بإرسال رسولٍ وبعثة نبىٍّ ، وقد بيَّن ذلك سيدنا يوسف عليه السلام حين قام بتأويل الرؤيا للملك وقد أحسن الله به إذ أخرجه من السجن وأتى به إلى الملك بناءاً على طلب الملك بقول الحق سبحانه : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ أى كان عرض منصبٍ تمكينى وزارى وأمانة سر للمملكة من الملك على نبى الله يوسف عليه السلام ولكن نبى الله ورسوله يوسف عليه السلام أبى أن يخضع لاختيار الملك له ؛ لعلمه بمضمون رسالته باختيار الله له وقدَّمَ بين يدى الملك رسالة الحق طالباً منه أن يخضع لها بالتحقيق لتتحقق الرحمة بالناس جميعاً بما فيهم الملك وأهله وحاشيته . قال : اجعلنى أقوم على تأليف حكومة تأتمرُ بأمرى وأُشرفُ على النظام العملى بها بنفسى أجمع محصول الزراعة وأقوم بتخزينه بعد حصاده بمخازن تحفظهُ وحراسة عليها تحرسه ، وأقوم بتوزيعه على الناس بعدلٍ وتساوٍ فى الحقوق وأحافظ عليكم جميعاً من أن تصيبكم المجاعة بعلمٍ من الله بوحىٍ يوحى إلىَّ بذلك الشأن وهذا معنى قوله سبحانه : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ إذن نشاهد أن رسالة سيدنا يوسف عليه السلام فى مصر كان مضمونها بتمامه من أجل المحافظة على أهل مصر والشام من حدوث المجاعة لما

لها من تأثيرٍ على العقائد .

فتنة المسيخ الدَّجَّال والمجاعة : ■

إن فتنة المسيخ الدجال فى أهل زمانه الأصل فيها حدوث المجاعة ووقوعها على أهل الأرض جميعاً بسوء صنيع الناس حينذاك بأنفسهم وظُلمهم لأنفسهم لماذا ؟ وكيف ؟ لأن الإنسان بدأ حياته على الأرض بتكليفٍ من الله للتعمير لقوله سبحانه : ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ فكان طلب العلم لخدمة التعمير وسخر الله العقل بالعلم بإشارات البحث والاكتشافات العلمية فى الكون فى الآفاق بقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ وسعى العقل تابعاً لإشارة الحق ليُريهُ الحق وقد أراه الحق ما وعدهُ فصعد الإنسان إلى الآفاق إلى الكواكب العُلوية والأفلاك المدارية ونزل على سطح القمر وغير ذلك من الأسرار الفضائية حتى استطاع أن يصنع قمراً صناعياً ينقل إلى العالم أخبارُ بعضه بعضاً وإشارة أخرى من الحق للعقل بتوجيه عكسىٍّ للآفاق فيقول سبحانه : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ . فكانت إشارة وما تحت الثرى ساعة نزول القرآن بها كانت غيباً تاماً وسرّاً خفيّاً على العقل الكامل فسلَّم لها عقل المؤمن وصدَّق بها قلبُهُ ثم كانت إلهامات الحق سبحانه للعقل ليسعى وراء هذه الإشارة الإلهية باحثاً عن سرِّها تحت الثرى : أى تحت الأرض فتحقق له وعدُ الله فى سر هذه الإشارة فكانت الاكتشافات العلمية والصناعات الإعجازية التى لو خُوطب بها العقل ساعة نزول

الآية لأنكرها واتُّهِمَ بالجنون من صَدَّقَ بها . وها نحن نعيش كلنا مع هذه الحقائق العلمية والصناعات الإعجازية من صنع طائرات تطير فى جو السماء تحمل أثقالاً من الناس بأمتعتهم وكثرة عددهم وأجهزةٍ إلكترونية كجهاز التليفزيون والكمبيوتر والإنترنت وأجهزة الفضاء من تليفونات ، وأجهزة لاسلكى وغير ذلك من أجهزة الخدمة النافعة فنقول هذه الصناعات لخدمة التعمير لا بأس بها ولكننا نشاهد الصراع العلمى القائم بالفخار والاستعلاء من بعض الدول بعضها على بعض هو لخدمة التدمير فدولةٌ تصنع صاروخاً مُدمراً وتعلن أنها صنعت صاروخاً مدمراً يُدمر نصف العالم بالكرة الأرضية ودولة أخرى ترُدُّ عليها بأنها صنعت صاروخاً يُدمر العالم بالكرة الأرضية كلها ، وكذلك الصراعات النووية بالسلاح النووى المدمر المشوِّه بكل كائنٍ حىٍّ والحارق القاتل لبنية الأرض الذى يُميتها عن أن تُنتب الزرع ويحرق الحبَّة والبذور فى بطن الأرض ويسود ذلك كله العداوات القائمة بين هذه الدول والاعتداءات والحروب المستمرة وغرور كل منهم بإثبات إرادته ظنّاً ووَهَمّاً وإنكارهم إرادةُ الحق الحقيقية واليقينية وإذا تأملنا فى كل ما هو محدَثٍ من صناعات فى هذا الزمان وما سيحدث مُستقبلاً لرأينا أنه من باطن الأرض أصلهُ تابعٌ لإشارة الحق : ﴿ وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ وأصل الأرض فى بدء خلقها ذاتٌ ممهَّدَةٌ ليس على سطحها من الأشياء شيئاً واحداً مما نراهُ الآن . إذن ما هو موجودٌ الآن زينةٌ تزينت بها بواسطة العلم استخرجها من باطنها وازَّيَّنَتْ به وهذا مُرادُ الله الأزلى .. وما نشاهدهُ فى هذه الصناعات نرى فيها حسنٌ جميلٌ وهو ما يخدم للراحة والترف

ونرى فيها سيئٌ قبيحٌ وهو ما يؤدى إلى التدمير وإن أهل الصراعات من أهل الغرور يميلون إلى استخدام الأسلحة المُدِّمرة من شدة ما بينهم من عداوات وحروب قائمة ودائمة ولكنهم يتمنَّعون حرصاً على حياتهم ولكنه سيأتى عليهم يومٌ يأخذُ العنادُ حقهُ وحينئذٍ تُجرُّهم الحماقة إلى فقدان الوعى فيُطلق أحدهم صناعته النووية على سبيل التخويف والتهديد لخصمهِ . فيرى الآخر أنها ليست تهديداً ولا تخويفاً فيطلق هو الآخر صناعتهُ النووية على سبيل الحرب المدمرة علىَّ وعلى أعدائى فحينئذٍ يهيج العالم كله مُستنفذاً كل طاقاته النووية فيشمل التدمير أهل الأرض جميعاً يموتُ من يموتُ ويبقى من يبقى مُشَوَّهاً ويُحرق الأكسجين بالجو وتموتُ الأرض فلا تُنبت . ويواجه العالم كله مجاعة لم تحدث من قبل وتعود الأرض كما بدأت ويعود الإنسان كما بدأ ولم تكن هناك دولة غنية ودولة فقيرة كما نرى الآن . وكل حكام الدول يتلهَّفون إلى من يُخرجهم من هذه المجاعة فيُخرج الله لهم المسيخ الدجال بفتنتهِ الحمقاء . يدخل على الناس وهم فى شقاءِ المجاعة وفى لهفةٍ إلى من يُخرجهم منها فيُفسد عليهم عقيدتهم بالله خالقهم . فيكون تمكينهُ فى ذلك أن يُخاطب الناس ويقول لهم : أتُحبونَ أن أخرجكم من بأس ما نزل بكم من جوعٍ ؟ فيقولون : نعم . فيقول الدجال : أن تؤمنوا بى إلهاً وهذا ما يدل على ذلك فيرفع ذراعهُ اليمنى إلى أعلى فينظرون تحت إبطهِ فيرون جناتٍ وأنهارٍ . فيقول من آمن بى إلهاً أُخرجهُ من المجاعة وأُدخلهُ جنتى . ثم يرفع ذراعهُ الشمال فيرون ناراً وجحيماً فيقول الدجال : من لم يؤمن بى إلهاً أدخلهُ نارى ويمكث حياته فى المجاعة

حتى إذا آمن به من الناس من آمن خدعُهم وتركهم فى مجاعتهم على ما هم عليه وهذه فتنتهُ فهذا هو التأثير القوى من التجويع على إفساد العقيدة ويُؤيد ما ذكرنا فى هذا الحديث قول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ فساعة أن يُعلنوا بغرورهم ووهمهم وظنهم الكاذب أنهم أهل قُدرة وإرادة ويُشعلون نار الحروب للتدمير يكون ذلك لتحقيق هذه الآية القرآنية الكريمة بأن أمر الله يأتى بذلك كما وعد فى الآية والجعل منه كما وعد فيحصدُ بيد قدرته كل ما على الأرض فتُصبح الأرض خالية من كل شئ على سطحها كأن لم يكُن عليها شئٌ بالأمس القريب وها هو العالم الآن يُعدُ نفسهُ ويتسابق ويتسارع لسرعة تحقيق أمر الله فى هذه الآية تحقيقاً بيِّناً وهم لا يشعرون . أما أهل الإيمان فلا يُفتَنون فى إيمانهم ؛ لأن فى جوفهم نور القرآن وعلومه وأسراره يأتنسون بمعرفة جلال الله وجماله فينظرون إلى الدجال فيرون أن له مثليةٌ فى الخلق فيذكرون صفة الله من القرآن بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

عودة أصحاب رسول الله ﷺ من الحبشة وسببها : ـ

روى الإمام البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن ، ولمَّا سمع بذلك

من فى الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ قَدِمَ نفرٌ منهم لظنهم أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلَّوْا معه ﷺ وقد آمن المسلمون بمكة فأقبلوا سراعاً من الحبشة . أى أن النبى ﷺ جلس يوماً أمام باب الكعبة وتلا بصوته العذب النبوى سورة النجم بصوت عالٍ وحين وصل إلى آية السجدة سجد وكانت الكوائن كلها تسمع وتُصغى إلى القرآن الذى ينبُع من فيه سيدنا رسول الله ﷺ نوراً يتلألأ ودُرَّاً منثوراً يقع على الأسماع يُشَنِّفُها بالتسليم وعلى القلوب تهيم بالخشوع والسجود والتصديق فما من كائنٍ حىٍّ بين السماء والأرض إلا وسجد حين سمع آية السجدة ورأى النبى يسجُدُ فسجدوا جميعاً حتى المشركين الذين قالوا قلوبنا غُلْفٌ : أى عليها غُلافٌ يحجبها عن نور الحق ورؤيته . وساعة أن وقع على مسامعهم صوتُ سيد الوجود بجمال القرآن الذى يُتلى من فيه وتنبُعُ من قلبه أنوارهُ غلب كل فكرٍ عنيدٍ فى عقولهم وقهر كل غُلاف على قلوبهم يتعمدُ صدَّ أنوار الحق أن تقترب من قلوبهم فسجدوا قهراً بإعجازِ الحق وقوة صنيعه بهم وهم لا يشعرون حتى أنهم لاقوْا ملامةً من قومهم وقالوا لهم : لقد رأيناكم تسجدون وراء محمدٍ لرب محمدٍ . فأنكروا وقالوا : واللات والعُزَّى ما سجدنا . فقالوا : لقد رأيناكم ونحن ننظركم بأعيننا ، وأنتم فى حال السجود . فقالوا لهم : إن كنتم قد رأيتمونا سجوداً فما شعُرنا بذلك . فلقد خانتنا جوارحنا فوقعنا على الأرض دون أن نشعر بشئٍ مما تزعمون . وهذا مشهدٌ من مشاهد جمال القرآن وإعجازه بصنيعه بأعدائه دون أحبابه فكيف بصنيعه بأحبابه وأهله ؛ ولذلك حين سمع بذلك من فى الحبشة من أصحاب

رسول الله ﷺ قالوا إن أهل مكة ماداموا قد سجدوا خلف رسول الله فسجودهم يكون تابعٌ لإسلامهم . ومادام قد أسلم أهل مكة فالمسلمون فى مكة يعيشون فى أمنٍ وأمانٍ فأقبلوا سراعاً من الحبشة . فلما رجعوا إلى مكة رأوا الحال فى مكة على ما هو عليه من إيذاءٍ مُستمر للمسلمين . فقالوا : سمعنا عن سجود المشركين بمكة خلف رسول الله فقلنا : أنهم أسلموا . فقال لهم المسلمون : إن المشركين لم يسجدوا إسلاماً ولا اختياراً بل سجدوا جبراً أَسْجَدَهُمْ الحق بجماله وقُدرته وإعجازِ صنيعهِ فليس هم الذين سجدوا فنحن أسجدناهم ليُشاهدوا جمال الحق فى رسولنا ورسالتنا .

هجرة المسلمين الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة : ■

ثم هاجر المسلمون الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة وعِدَّتُهُمْ ثلاثةٌ وثمانون رجلاً ، وثمانى عشرة امرأة ، وكان معهم عُبيد الله بن جحشٍ مع امرأتهِ أم حبيبة بنت أبى سفيان فتنصَّرَ هناك ثم تُوفى على دين النصرانية وتزوج رسول الله ﷺ أمُ حبيبة بنت أبى سفيان سنة سبعٍ من الهجرة إلى المدينة وهى بالحبشة .

نقضُ الصحيفة ومعجزة النبى صلى الله عليه وسلم : ■

ثم قام رجالٌ فى نقض الصحيفة فأطلع الله نبيَّهُ محمداً ﷺ على أن الأرضَةَ أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظُلم فلم تدعْ إلا أسماء الله تعالى فقط . فلما أُنزلت لِتُمَزَّقَ وُجدَتْ كما قال ﷺ وذلك فى السنة العاشرة .

وفاة عمِّ النبى أبى طالب : ■

ولمَّا أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسعٌ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً مات عمُّهُ أبو طالب وله سبعٌ وثمانون سنة .. فى السنة العاشرة قبل هجرته عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين .

وصيَّةُ عمِّ النبى أبى طالب قريشٌ بالنبى ﷺ خيراً : ■

حُكى عن هشامِ بن السائب الكلبىِّ عن أبيه أنه قال : لمَّا حضرت أبا طالبٍ الوفاة جمع إليه وجوهَ قريشٍ فأوصاهم فقال : يا معشر قريش أنتم صفوةُ الله من خلقه وإنى أوصيكم بمحمدٍ خيراً فإنه الأمين فى قريش والصِّدِّيقُ فى العرب ، وهو الجامع لكل ما أُوصيكم به وقد جاء بأمرٍ قَبِلَهُ الجَنَانُ وأنكرهُ اللسانُ مخافةَ الشَّنآنِ . وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الوبرِ والأطرافِ والمُستضعفين من الناس قد أجابوا دعوتهُ وصدَّقوا كلمتهُ ، وعظَّموا أمرهُ . فخاض بهم غمراتِ الموت فصارت رؤساءُ قريشٍ وصناديدها أذناباً ، ودورها خراباً ، وضُعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمُهُمْ عليه أحوجُهُم إليه وأبعدُهم منه أحظاهُم عندهُ . قد مَحَضَتْهُ العرب وِدادَها ، وأصفت له فُؤادها ، وأعطته قيادها ... يا معشر قريشٍ كونوا له وُلاةً ولحزبهِ حُماةً ... والله لا يسلُكُ أحدٌ سبيلهُ إلا رَشَدَ ، ولا يأخُذُ بهديهِ إلا سَعِدَ ... ولو كان لنفسى مُدَّةٌ ولأجلى تأخيرٌ لكففتُ عنه الهَزَاهِزَ ولدفعتُ عنه الدَّواهى ثم توفاهُ الله على هذا الحال من الإيمان ونُصرةِ الرسول والرسالة ومن كلامهِ وإيمانهِ بدين الله ونُصرتِهِ له .

ولقد علمتُ بأن دينَ محمدٍ ... من خيرِ أديانِ البريَّةِ ديناً
لولا الملامةَ أو حذارىَ سَبَّةً ... لوجدتَنى سمحاً بذاكَ مُبيناً

فاصدعْ بأمركَ ما عليك غضاضةً وأبشرْ وسُرَّ وقرَّ منكَ عُيوناً
واللهِ لن يَصلوا إليك بجمعهم حتى أُوَسَّدَ فى التُرابِ دفيناً

شرح وصية أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم : ـ

إن أبا طالب عم النبى ﷺ جعله الله جُندياً فوق العادة فى الأسباب منع الله به الإيذاء عن سيدنا رسول الله ﷺ وكان حريصاً كل الحرص على دفع الأذى عن سيدنا رسول الله ﷺ حتى فى ساعة احتضاره للموت فلم يشغلُهُ شاغلٌ يُوصى به قومهُ إلا أن يجمعهُم حوله ويُذكِّرُهم بمقام الأمانة والصدق وعظمة الرسول والرسالة ويوصيهم بموالاتهِ ونُصرته واتِّباعه فى سبيل الرشاد والأخذ بهديهِ الذى الذى فيه سعادة الدنيا والآخرة فيبدأ وصيتهُ بالنداء الجامع بقوله : (يا معشر قريش) أى يا جماعة قريش بجمعكم ومجموعكم حاضركم وغائبكم (أنتم صفوةُ الله من خلقه) أى يُذَّكرهم بمقامهم الإصطفائى وتأهيلهم لحمل أمانة الوصية ثم يُبيِّن لهم جوهر الوصية ومضمونها وموضوعها بكماله وتمامه أنه رسول الله محمداً عليه الصلاة والسلام وتعريف ذكرهِ الرفيع ومقامهِ بينهم وصدقِ رسالتهِ وجمالها وجمال صنيعها بمن صدَّق بها وآمن بالله وبرسولهِ ويدعوهم إلى التصديق بالنبى الكريم وتعظيم أمره فيقول : (وإنى أوصيكم بمحمدٍ خيراً فإنه الأمين فى قريش والصِّدِّيق فى العرب وهو الجامع لكل ما أُوصيكم به) أى إنى أوصيكم أن تجعلوا كل صنيع الخير منكم فى حياتكم بمحمدٍ قدِّمُوهُ على أنفسكم بالمحبة حافظوا عليه وكونوا له فِداءً بأنفسكم ؛ فإنه أهلٌ لذلك ، وإنهُ العلمُ الواضح الفريد بالأمانة فى قريش بكُليَّتها وإنه هو الصِّدِّيق فى العرب جميعهم وقد

لقبْتُموهُ ببيعَكُمْ بالشهادة له بالصادق الأمين . وهو الجامع لكل ما أُحبُّ أن أوصيكم بالحفاظ عليه لِعُلُوِّ قَدْرِهِ وجمِّ محاسنهِ وعظيم خُلُقهِ ، وكريم قولهِ ، وفعلهِ ، وصُنعهِ ، وكمال صفتهِ ووصفهِ وكل خيرٍ أرجوهُ فى وصيتى لكم أن تبذلوا فى سبيل تحقيقه النفس والنفيس فهو الجامع لذلك كله . (وقد جاء بأمرٍ قَبِلَهُ الجَنَانُ ، وأنكرهُ اللسانُ مخافةَ الشنآنِ) ومعنى ذلك أن أبا طالب عم النبى ﷺ فى هذه العبارة الصريحة يُفصحُ عن مكنونٍ فى صدرهِ وهو الإيمان وتصديق القلب وقبوله لأمر الرسالة بالنداء أن آمنوا بربكم فآمن قلبهُ ولكنهُ لم ينطق بالشهادة لسانهِ لا لإنكار الرسالة أو منطوق الشهادة لذاته لا ولكنه أعلن السبب أن عدم النُطق بالشهادة باللسان مخافةَ بُغضِ قومهِ له فيؤذون رسول الله ﷺ لأن الذى يمنعهم عن إيذاء سيدنا رسول الله ﷺ مُجاملتهم لعمِّه أبى طالبٍ لكتم إيمانه عنهم ويتوهمون فيه أنه على فإن آذوا رسول الله ﷺ يخشوا أن يترك أبا طالب ملَّتهُمْ ويُعلن إسلامهُ . وهذا ما قاله أبا طالب فى عبارته مخافة الشنآن . والشنآن هو البُغض . لقوله سبحانه : ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ أى لا يحملنَّكم بُغضِ أقوامٍ على ترك العدل ؛ فإن العدل واجبٌ على كل أحدٍ فى كل أحدٍ وفى كل حالٍ . ولذلك يُبيِّن أبا طالب علَّةَ ذلك فيقول مخافة بُغض قريش لى لأنهم إن بغضونى آذوا ابن أخى ؛ لأن الذى يمنعهم عن إيذائه أنهم يروا أن ظاهرَ أمرى أمامهم معهم على ملَّتهم . إذن الأمر جلىٌّ واضحٌ القلبُ مُصدِّقٌ ومُطمئنٌ بالإيمان وقضية الإيمان محلَّهُا القلب أما اللسان يمتنع عن النطق لأنه أُكرهَ على ذلك من أجل

حماية سيدنا رسول الله من أذى المشركين وهذا المشهد الجليل من الصُّنع الدقيق بالمؤمن الصادق فى إيمانه أن يجعل الله أمر إيمانه مستوراً فى القلب بستائر الباطن . ومستوراً على اللسان بستائر الظاهر وهذه قضية إيمانية ذكرها القرآن وبيَّنها سيدنا رسول الله ﷺ فى سُنَّتِه فقول الله سبحانه : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ فهو استثناءٌ ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مُكرَهاً لما نالهُ من ضربٍ وأذى وقلبهُ يأبى ما يقول . وهو مُطمئنٌ بالإيمان بالله وبرسوله ... وهذه الآية نزلت فى عمار بن ياسر لمَّا أخذهُ المشركون فعذبوهُ وأرادوا منه أن يسُبَّ سيدنا رسول الله ﷺ ويذكُر آلهتهم بخيرٍ فإن فعل ذلك تركوهُ . وأخذوا يعذبونهُ حتى قاربهُم (باراهم) أى فعل مثل ما أرادوا فلما تركوهُ وانصرف من تعذيبهم له الشديد . انطلق إلى سيدنا رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله . ما تُركْتُ حتى سببتُكَ وذكرتُ آلهتَهُم بخير . فقال ﷺ : كيف تجد قلبك ؟ قال : مُطمئناً بالإيمان . فقال ﷺ : إن عادوا فعُدْ . وفى ذلك أنزل الله : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ وفى هذا المشهد القرآنى العظيم نرى أن صحابياً جليلاً من صحابة سيدنا رسول الله وهو سيدنا عمار بن ياسر ﷺ مؤمن كامل الإيمان بحقيقته حقاً وأُرغِمَ مُكرِهاً أن يَسُبَّ بلسانه سيدنا رسول الله ﷺ وأن يذكر بلسانه إثبات الأصنام والأوثان أنها آلهةٌ وذكرها بخيرٍ يعنى أنها آلهة تنفع وتضُر وتسمع وتُبصرُ وتُعطى وتمنع إلى غير ذلك من الصفات العلوية للألوهية نُشاهد هُنا أن اللسان أثبت بالنُطق الكفر

والقلبُ يأبى ويُنكر مُطمئناً بالإيمان بالله ورسوله . إذن القضية الإيمانية . نراها بكُليَّتها فى القلب وبالقلب وللقلب ومع القلب ؛ ولذلك سيدنا رسول الله ساعة أن يُقرِّرْ سيدنا عمار بن ياسر ويقول له كيف تجدُ قلبَك ؟ أى الوجدُ فى قلبك لمن ؟ للإيمان يطمئنُ أم للكفر يميلُ ويحِنُّ ؟ فقال سيدنا عمار ﷺ : يا رسول الله مُطمئناً بالإيمان قلبى فيقول له سيدنا رسول الله ﷺ مُثبتاً له جمال الإيمان : يا عمار إن عادوا لإيذائك مرَّاتٍ ومراتٍ وأكرهوك على أن تَسُبُّنا وتذكر آلهتهم بخيرٍ كما ذكرت فافعل . نقول نفس المشهد الإيمانى عند أبى طالب قلبُهُ مُطمئنٌ بالإيمان ولكن لسانه لم ينطق بشهادة الإسلام منعاً لوقوع الإيذاء والتعذيب على سيدنا رسول الله ﷺ من المشركين . إذن نفسُ الحال الذى عند سيدنا عمار بن ياسر إذ قيل له سُبَّ محمداً فسبَّ فرُفِعَ عنهُ الإيذاء والتعذيب وكذلك أبو طالب إن نطق لسانهُ بالشهادة اشتدَّ الإيذاء عليه وعلى سيدنا رسول الله ﷺ وإذا لم ينطق لسانهُ بالشهادة فالرسول ﷺ فى أمنٍ وأمانٍ من أن يقع عليه الإيذاء وهذى حكمةُ الله فى جُندية أبى طالب لله ولرسوله ، وما عند أبى طالب أهونُ مما عند سيدنا عمار لأن ما عند عمار نُطقٌ باللسان بالمسبَّة لسيدنا رسول الله أما ما عند أبى طالب إلجامٌ للسان عن النطق وكتمان وصمتٌ لمنع الإيذاء من حدوثه فبذلك لا يؤذَى سيدنا رسول الله ﷺ وهنا نشاهد فى أبى طالب أنه مؤمناً ولذلك ألَّفَ بعض الصالحين كتاباً فى ذكر إيمان أبى طالب فسماهُ (أسمى المطالب فى إيمان أبى طالب) ذكر فيه جمال الإيمان عند أبى طالب وإذا تأملنا فى إيمان أبى طالبٍ لوجدناهُ كإيمانِ ورقة بن نوفل فإن

ورقة بن نوفل كان مؤمناً لأن سيدنا رسول الله ﷺ حين لقيَهُ ورقة بن نوفل وقصَّ عليه النبى أمرهُ قال ورقة (والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى وذكر له أحداثٌ مُستقبلية ستحدث مُستقبلاً قال له ورقة : (ولتكَذَّبنَّ ، ولَتُؤذَيَنَّ ، ولَتُخرجَنَّ ، ولَتُقاتلنَّ ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمهُ) يؤكد ورقة للنبى ﷺ أنى لو امتد أجلى فى الدنيا وكنت حيَّاً يوم هجرتك لهاجرتُ معك وساعة أن يهاجر ورقة مع النبى يكون قد دخل الإسلام لأنه لا يُهاجر حينذاك فى معيَّة النبى ﷺ إلا من كان مُسلماً . إذن نرى أن ورقة كان وقتئذٍ مع النبى فى حديثه كان مؤمناً بقلبه إيمان البيعة بالتصديق بالرسالة من خلال علم الله فى الكتب السماوية وحدَّث بذلك فى تبشيراته للرسالة وما تتعرض لها مُستقبلاً ولكن لسانهُ لم ينطق بالشهادة بعد إذن نشاهد أن إيمان أبى طالب كإيمان ورقة بن نوفل وذلك حين قال : وقد جاء بأمرٍ قَبِلَهُ الجَنانُ وأنكرهُ اللسان مخافة الشنآنِ . ثم ينتقل أبى طالب إلى مقامٍ إيمانى أرقى فى العطاء الربانى . مقام الكشف والمشاهدة لأحداث مُستقبلية للرسالة ونجاحها ويذكر أحداثاً ستحدث مُستقبلاً وهى الآن فى علم الغيب وقد تحقق ما بشَّر به أبى طالب بعد خمس سنواتٍ كما ذكر وهذا العطاء لا يكون إلا لولىٍّ لله ارتقى بمددٍ من الله وعنايته إلى مقام الكشف للغَيوب ومشاهدة الحقائق فيقول أبا طالب ويُقسم بالله وقسمُ الشريف الحُرِّ لا يكون إلا من خلال رؤية يقينية بعين البصر إن كانت المرائى فى دائرة الأسباب وعلى قدر طاقة البصر الحسىِّ أو بعين البصيرة إن كانت المرائى فى عالم الحقيقة

وفى مستقبل الغَيوب فى عالم الملكوت . وهذا القسمُ يُقسِمُهُ أبا طالب على ما ينظر إليه فى الغَيُوب بعين قلبهِ وبصيرته فيقول أبا طالب : (وأيمُ الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الوَبرِ والأطرافِ والمُستضعفين من الناس قد أجابوا دعوتهُ ، وصدَّقوا كلمتهُ ، وعظَّموا أمرهُ) وهذه أمورٌ لم تكن حدثت وإنها فى غيب الله ولكنها حدثت وتحققت بعد ذلك بسنواتٍ فمن أين جاء بها أبى طالب ؟ ويقول كأنى أنظر . يعنى ينقل هذه الأحداث من الغَيوب بالنظر إليها ثم يتلوها على من حولهُ يسمعونها منه بالوصيَّة . قد أجابوا دعوته وفى هذه الساعة لم يكن أحدٌ أجاب دعوة النبى ممن حوله من قريش ، وصدَّقوا كلمتهُ يعنى : أراكم كُلكم مُكذبين ولكنى أرى الجميع مُستقبلاً صدَّقَ كلمته وعظموا أمرهُ ولم يكن هناك فى الطاعات أعظم من تعظيم أمر الآمر ؛ لأن تعظيم الأمر أن يُقدم أمر النبى على أمر نفسه وأن يُثبت ذات النبى فيه بالحضور الدائم بنفى نفسه وغيابه عن نفسهِ وأن يكون هواهُ مُسلِّماً لهوى النبى الحبيب وقد تحقق ذلك فى صحابة النبى وأحبابه ثم يقول أبا طالب (فخاض بهم غمراتِ الموت) يعنى دخل بهم فى غزوات ومعارك قتالٍ مع أعداء دين الله فيذكر أنها غمراتٍ أى يدخلون وهم طالبون الموت برغْبة الاستشهاد فى سبيل الله مُغامرين بحياتهم هانت عليهم دُنياهم بكل ما فيها من مالٍ وولد ، وهذا الكلام كان ينطقُ به لسانُ أبى طالب فى السنة العاشرة من البعثة ، وهذا لم يتحقق بالفعل فى دائرة الأسباب إلا بعد خمس سنواتٍ فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة وكان ذلك فى غزوة بدرٍ الكبرى . وكأن أبا طالب كان ينقل لهم

أحداث المعركة قبل حدوثها بخمس سنوات وعلى أرض بدر بالمدينة والتى تبعد عن مكة بمئات الأميال يعنى بُعدٌ فى الزمن وبُعدٌ فى المسافة وهذا إعجازٌ . ثم يقول أبا طالب : (فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً) والصناديد فى هذا الوقت الذى يتحدث فيه أبا طالب ويُحاربون الرسول والرسالة هم أبو جهلٍ ، وعُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عُتبة ، وأُمية بن خلف ، وعُقبة بن أبى مُعيطٍ ، وعمارة بن الوليد . يقول سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ فيهم : فوالله لقد رأيتُهم صرعى يوم بدرٍ ثم سُحبوا إلى القليب (قليب بدرٍ) ثم قال رسول الله ﷺ : (وأُتبِعَ أصحابُ القليب لعنة) ثم يقول أبا طالب : (ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً) وقد تحقق ذلك بعد غزوة بدر أصبحت ديارُ أهل الشرك بمكة خربةً وضُعفاؤها أرباباً . يعنى : الضعفاء الذين كانوا يُحقِّروهم الرؤساء والصناديد أصبحوا سادة وأُمراء فى الإسلام . ثم يقول أبا طالب : (وإذا أعظمهم عليه الآن) يعنى الذى يستعظم الآن على رسول الله ويسخر منه ومن دعوته سيكون أحوجهم إليه وقد تحقق ذلك فى أسرى بدرٍ كانوا أحوج ما يكون إلى عطف سيدنا رسول الله ﷺ عليهم وحاجتهم لعفوهِ (وأبعدهم منه أحظاهُم عندهُ) وكان أبا طالب يُشير إلى عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ؛ لأنهما كانا لم يدخلا الإسلام ويُقيمان بالتدبير والمكر للرسالة لأهل الشرك فى خفيةٍ بعيدان عن أن يظهرا فى مظهرٍ عدائى مباشر وأصبحا بعد إسلامهما بعد غزوة بدرٍ الكبرى أحظى الصحابة حظاً عند سيدنا رسول الله ﷺ وكان سبب إسلامهما نصر الله للمؤمنين فى غزوة بدرٍ الكبرى فى السنة

الثانية من الهجرة لأنهما كانا أصحاب علمٍ ودراية وخبرة بالفنون الحربية فلما نصر الله المسلمين فى غزوة بدرٍ جلس كُلاًّ منهما فى بيته مُختليا يُفكر فى كيفية هذا النصر العظيم فئةٌ قليلةٌ وهم المسلمون مُجردة من نية القتال ومُجردة من العُدَّة والعتاد تغلبُ فئةٌ كثيرة ثلاثة أضعاف لها فى العدد فعدد المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر ، وعدد المشركين ألفاً خرجوا من ديارهم مُجهزين بنيَّة القتال ومسلحين بأسلحةٍ للقتال وبِعُدَّةٍ بالمؤنِ من طعامٍ وشرابٍ وأمتعةٍ تكفيهم الشهور العديدة أما المسلمون فقد خرجوا قلةً من ديارهم ليس معهم مؤن المعيشة لمدة تطول وليس معهم سلاحٌ للقتال وليسوا على نيَّةٍ للقتال فإنهم ما خرجوا إلا لمُلاقاة عير أبى سفيان فى عودته من التجارة من بلاد الشام يرون أن هذه الأموال ليست أموالُ قريش وإنها أموالهم فتعرضوا لها ولكنهم لم يلتقوا بأبى سفيان وكانت حكمة الله فى ذلك أن يُغيِّر أبا سفيان مسار طريقه بالتجارة ونجا بها وكان قد أرسل إلى قريش أن رسول الله وأصحابه يتعرضون لتجارتكم عند بدر فجمعوا رجالهم ونساءهم وصبيانهم وخرجوا بنيِّة القتال . أما المسلمون حين رأوْا أن أبا سفيان نجا بالأموال . فأذن الله لهم بالقتال وتولى الله المعركة وقادها سيدنا رسول الله وأوحى الله إلى الملائكة أن تتنزَّل من السماء للقتال مع المسلمين وأمر الله نبيَّه عليه الصلاة والسلام أن يُحرِّض المؤمنين على القتال بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ

الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ فبدأ القتال وحمى الوطيس بالمعركة وتحقق وعدُ الله للمسلمين بالنصر . فلما فكر عمرو بن العاص فى انتصار المسلمين رأى أن هذا إعجازٌ من الله قهر كل علوم الأسباب والفنون الحربية كلها فقال : إن محمداً وأصحابهُ على الحق وعزم على الخروج من مكة قاصداً المدينة ليدخل الإسلام ولما خرج من مكة إلتقى بخالد بن الوليد يخرج من مكة قاصداً المدينة وكان خالد بن الوليد قد شغله ما شغل عمرو بن العاص وفكر فى انتصار المسلمين فى غزوة بدر كما فكر عمرو وألهمهُ الله بنفس الإلهام الذى ألهمهُ عمرو لأن الحق لأهله واحدٌ ؛ لأن الوجهةُ لله الواحد سبحانه . وحين التقيا خارج مكة عمرو وخالد سأل كلا منهما الآخر إلى أين تذهب ؟ وكتم كلاً منهما سرَّهُ على الآخر لينجوا بقصدهِ وإتمام أمره للوصول إلى سيدنا رسول الله بالمدينة ليُعلن إسلامه ولما طال الحوار بينهما قال عمرو بن العاص لخالد بن الوليد : العهدُ والميثاق بيننا أن تصون السر وتكتم الأمر فقال له خالد : عهدُنا عهدُ الأحرار من الرجال يا عمرو فقص عليه عمرو أمرهُ وما فكر فيه وما خرج من أجله . فقال خالدٌ مُبتسماً فرِحاً بحُسن الرفقة : والله يا عمرو فكرتُ فيما فكرت فيه أنت وخرجت لما خرجتَ له وهو طلبُ المدينة ولقاء رسول الله محمداً وإعلانى إسلامى فالحمدُ لله الذى هدانا للإيمان بتوفيقه لنا وجعلنا رِفقةً حسنةً طيبةً فى الهجرة إلى الله ورسوله وتعانقا وأخذ كلا منهما بيد الآخر ودخلا المدينة سوياً حتى دخلا على سيدنا رسول الله وهو يجلس بين أصحابه فسلَّما عليه وأعلنا إسلامهُما بين يديه وقال مُبتسماً لهما فرحاً بهما : أنتما قِدَمُ النصر لدين

الله وما جاء بكما إلا نصرُ الله فى بدرٍ وإنصافكما للحق وبيعتُكما بالصدق بارك الله لكما وهدى بكما وأصبحا أحظى الصحابة عند سيدنا رسول الله ﷺ وهذا ما نبأ به أبا طالب وأذاعهُ وبَشَّر به بالرؤيا والنظر إليه ساعة استحضارهِ للموت قبل حدوثه بخمس سنوات . إذن نقول ما يتحدث عنه أبا طالب فى وصيته هذه رؤية حقيقية فيها مشاهدة للروح وكشفٌ للغيوب بمددٍ من الله للروح بالعطاء بالكشف عن ما هو خفى ولا يتم هذا العطاء إلا بصفاء الروح ؛ لأن هذه الأمور الذى يذيعها لابد وأن تتحقق مستقبلاً ، وساعة أن تتحقق وقد أخبر عنها أبا طالب نشاهد أن ذلك مددٌ من الله سبحانه ولا يكون ذلك إلا لولىٍّ مُقَرَّبٍ صاحب مقام قُربٍ وخصوصية وأن هذا الإخبار من خلال رؤية للروح .

مقامات الرؤية : ▪

رؤية الروح

(١) إما أن تكون رؤيا منامية يراها النائم تحظى بها الروح حقيقةً ولكن العقل فى غيابٍ عن الإثبات والجسم نائمٌ فإذا استيقظ من النوم يستشعرُها بالشفافية .

(٢) وإما أن تكون رؤيا فى اليقظة ينظرها العبد الصالح برؤية الروح ويُذيع ويُخبر عنها بلسان الروح ويشاهدها يقيناً بعين القلب وبعين البصيرة يقظة لا مناماً .

(٣) وإما يُخبر عن حقائق يقينية من علم الله فى الكتب السماوية بحُسن يقينه بالله عن أمورٍ غيبيةٍ ستحدث مستقبلاً ثم تحدث بعد ذلك . أو عن أمورٍ حدثت وقد قرأ عنها فى الكتب السماوية فيُقِرُّ صحتَها مُثبتاً لها

ومُعلناً أنها من الحقائق الدَّالة على الحق ، ومن خلال ذلك نشاهد أن الرؤية على ثلاث مقامات مددُها واحدٌ من مددِ الله وعلمه . وإذا تدبرنا آيات القرآن العظيم نُشاهد ذلك مشاهدة يقينية لا ريب فيها . فى سورة يوسف عليه السلام : ــ رؤيا منامية يراها الملك وهو نائم ويقصُّها علينا الحق سبحانه فى قرآنه بقوله : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ وهذا الملك ليس بمؤمن فكيف يرى فى منامه رؤية حقيقية من حقائق الحق ونقلاً من غَيوبِ المستقبل الآتى بعد ثم يتحقق بعد ذلك ما رآه الملك بالتصديق لرؤيته ؟ نقول : لأنه حاكم الدولة وسلطانها وراعيها من الخلق فى دائرة الأسباب وهو أيضاً صاحب القرار والكلمة فى مصير حياتهم الدنيوية ومُطاعٍ بأمرهِ فيهم وإنه سيحدث مستقبلاً بلاءٌ شديدٌ يؤدى إلى المجاعة والهلاك إذا لم تتدخل رحمة الله بالتصريف فى خلقه فيجرى الله برحمته هذه الرؤيا المنامية على روح الملك ؛ لأنه الحاكم لأن إذا رآها غيرهُ من نُوَّابهِ ووزرائه لا يُهيبهُ الأمر ومع أنه غير مؤمنٌ لكن أجرى على روحه ما يُجريه على أرواح الصالحين من عباده لماذا ؟ لأن رحمة الله بخلقه أعظم من رحمة أنفسهم بأنفسهم والدولة تحت حكم هذا الملك يعيش بها الضعفاء والبؤساء واليتامى والمساكين والشيوخ والأطفال الرُّضع والبهائم الرُّتَّع واليتامى وغير ذلك من الموصوفين بالعجز ، ويريد الله أن يُصرِّف رحمته بهم وهو الفعال لما

يريد وما ملوك الدنيا بنواصيهم وقلوبهم إلا مملوكين بيده يُقلِّبُ قلوبهم ويُصيِّرُ أفعالهم بمشيئته على مُراده وحكمته فالحاكم للرعية من الخلق لا يحكم بإثبات فعله ولكن يحكم بإثبات فعل الفعال فيه لتصريف الرحمة بخلقه ولذلك يقول الله سبحانه فى حديث قدسىٍّ : (أنا الله ملك الملوك . قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فإن عبادى أطاعونى جعلت الملوك لهم رحمة وإن عصونى جعلت الملوك عليهم عذابٌ . فلا تشتغلوا بسبِّ الملوك واشتغلوا بطاعتى أجعلهم لكم رحمة) ونرى أن الله أجرى رؤية الحقائق للملك بعين الروح وهو غير مؤمن والرؤية المنامية تراها الروح إشارات سرية خفية لا تُدركُ معرفتها بعلم البيان المُحكم ولكنها تخضع فى تبيانها لعلمِ التأويل ولا يعلم التأويل إلا الله فإذا أراد الله خصوصية عبدٍ اصطفاهُ وعلَّمه التأويل بصَّرَهُ فى غَيُوب المستقبل الآت فيتلو إشارات الرؤيا بالتأويل ثم يحولها بالتبيان بعلم البيان الذى يُدركه العقل بالعلم ويدركهُ الإنسان بالحسِّ والفعل ولذلك فى الرؤيا يقول الملك إنى أرى سبع بقراتٍ سمانٍ يأكلهُن سبعٌ عجافُ وسبع سنبلاتٍ وأُخر يابسات . فهذه إشارات تنطق بالتعريف بعلم البيان لمُسَمَّيات بيانية ولكن هذه المسميات البيانية ساعة أن تؤولُ بعلم التأويل نرى أن السبع بقراتٍ سبع سنواتٍ وأن السبع سنبلاتٍ سبع سنوات ولذلك ساعة أن يُؤوِّلُهُا العبد الذى اصطفاه الله وعلمه التأويل وهو نبى الله ورسوله المرسل برسالة من السماء لهذا الشأن خاصة وهو سيدنا يوسف عليه السلام يقول فى تأويله للرؤيا : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ

شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ ومعنى ذلك أنكم تزرعون الأرض سبع سنوات قمح وشعير والمحصول الزراعى يكون وفيراً فإذا حصدتموه فخذوا منه ثلثهُ تأكلونه وذروا ثلثيه فى سنبله لتخزّنوه للمستقبل ؛ لأن الأرض بعد ذلك لا تُنبت لمدة سبع سنوات فتأكلون مما خزَّنتموهُ لمدة سبع سنوات ثم إذا أنبتت الأرض فى السنة الثامنة فإنها لا تنبت قمحاً ولا شعيراً وهما ضرورة الحياة للخبز ، ولكن تُنبت الأرض حلبةً وهى غوثٌ للعصيرِ والشراب تُعلنكم بالغيَاثِ أن الكرب والبلاء بدءا يُرفعان عنكم ونشاهد من ذلك أن الرؤيا المنامية لا تُفسر بعلم البيان ولكنها تُؤَول بعلم التأويل فإذا رأى أحدكم رؤية منامية فلا يوهم نفسه ويُفسرها لنفسه برأيه ولكن يذهب بها إلى عبدٍ صالح اصطفاهُ الله ويُحسن به الظن أنه ينهل من اليقين وعنده علم التأويل فيؤولها له . ولذلك ساعة أن يؤول الرؤيا سيدنا يوسف بهذا التأويل الرهيب . رُهِب منه الملك ويخاف على نفسه من مواجهة هذه الصعاب فيُسلِّم أمر الدولة لسيدنا يوسف عليه السلام إذن كان ولابد من أن يرى الملك الرؤيا بنفسه حتى يكون على يقين تام بِعِظَمِ الأمور المستقبلية فهذه عند الملك رؤيا منامية . أما عند أبى طالب فكانت رؤيا فى اليقظة تامة اليقين بالمشاهدة يقول فيها كأنى أنظر ويتلو مُبيِّناً المرائى المرئية له بالنظر إليها ثم بعد ذلك بسنوات تحقق كل ما تلاهُ وسمع منه على رؤوس الملأ . وهنا نشاهد أن الرؤيا المنامية عند الملك مددها من علم الله سبحانه ــ وأن الرؤيا فى اليقظة عند أبى طالب مددُها من علم الله ؛

لأن الله حقق ما قاله أبا طالب حق اليقين ــ وأن ما أخبر به ورقة بن نوفل سيدنا رسول الله من حقائق جاء بها من علم الله من الكتب السماوية عن أحداث الرسالة مُستقبلاً وهى فى الغَيُوب وقد تحقق ما أخبر بتمام اليقين . إذن نرى أن عطاء الرؤية المنامية ، وعطاء الرؤية فى اليقظة بالكشف والمشاهدة وعطاء الإخبار عن علمٍ من الكتب السماوية . كل ذلك من علم الله سبحانه ثم يقول أبا طالبٍ بعد ذلك مُبيِّناً أن العرب كلهم سيكونون على ودٍّ له وحُبٍّ ومُناصرة مُستقبلاً ولكنى أنظر وأراه الآن وفى هذا الوقت كانوا يُكذبونه ويؤذونهُ فيقول فى ذلك أبا طالب : (قد محضتُه العرب ودادها وأصفت له فؤادها) يعنى تسليمٌ وتصديقٌ وحُبٌّ له وقرَ فى القلب وفرَّغوا له الفؤاد بصفاءٍ واصطفاءٍ لمحبته (وأعطته قيادها) أى سلمته العرب زمام أمرها وأصبح ولىَّ أمرٍ للعرب بتسليمٍ منهم (له كاملِ عقلاً وقلباً وقالباً) ثم يقول أبا طالب مؤكداً إيمانه بالرسالة ناصحاً قومه بمحبة الرسول ﷺ ومُناصرته وحماية أتباعهِ يقول : (يا معشر قريش كونوا له وُلاةً ولحزبه حُماةً) ثم يُقسم بالله أن سبيله سبيل الرشاد وهديه فيه السعادة لمن اهتدى به فيقول : (والله لا يسلك أحدٌ سبيله إلا رشدَ ولا يأخذُ بهديه إلا سَعِدَ) وفى هذا القدر كفاية . وكل عام وأنتم بخيرٍ .

محمد رسول الله

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم

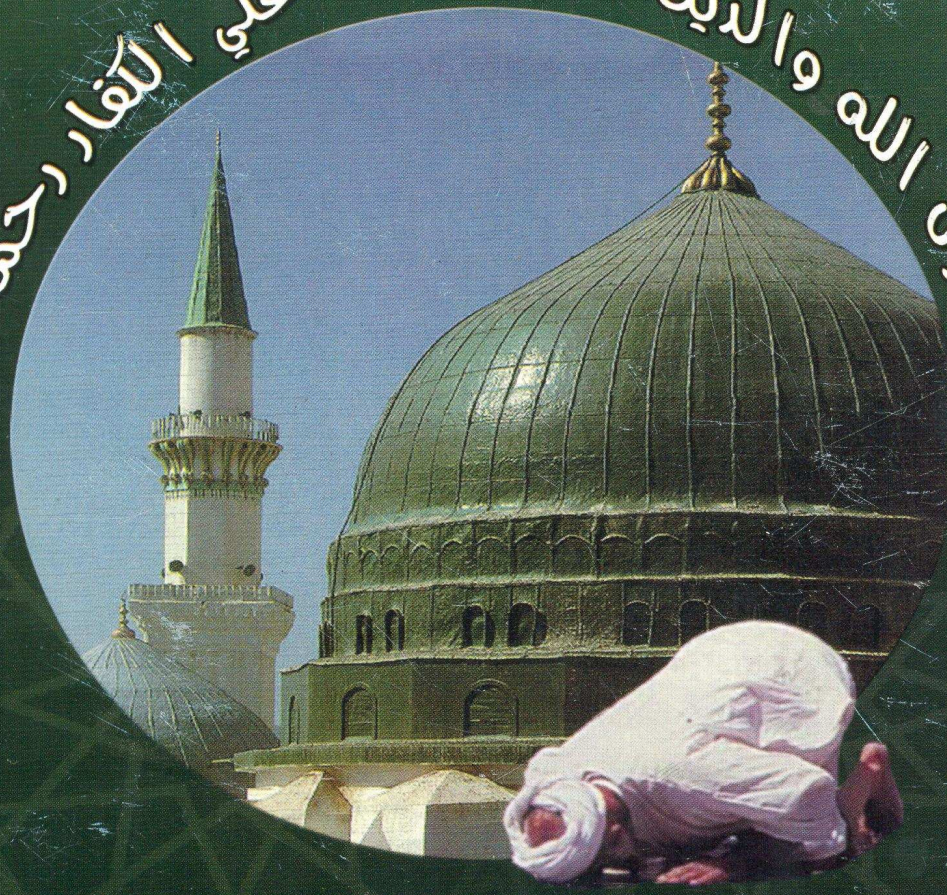

١٤٢٧هـ

٢٠٠٦م